

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة 8 ماي 1945 قالمة



الكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

التاريخ : القسم

مخبر التوطنين: مخبر التاريخ للدراسات والأبحاث المغاربية

## أطروحة

### لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان: العلوم الانسانية      الشعبة: التاريخ

الاختصاص: التاريخ المعاصر

من إعداد: الطالب عبد الحميد برقية

## بغوان

الاستشراف الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962 دراسة تاريخية فكرية

بتاريخ:..... أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة
السيد: شايب قدارة	استاذ التعليم العالي	بجامعة: 8 ماي 1945 - قالمة
السيد: محمد شرقي	استاذ التعليم العالي	بجامعة: 8 ماي 1945 - قالمة
السيد: يوسف قاسمي	استاذ التعليم العالي	بجامعة: 8 ماي 1945 - قالمة
السيد: رمضان بورعدة	استاذ التعليم العالي	بجامعة: 8 ماي 1945 - قالمة
السيد: عثمان منادي	استاذ محاضر - أ -	بجامعة: محمد الشريف مساعدي - سوق اهراس ممتحننا
السيد: العياشي رواحي	استاذ محاضر - أ -	بجامعة: باجي مختار - عنابة
السيد: عمر عبد الناصر	استاذ محاضر - أ -	بجامعة: 8 ماي 1945 - قالمة

السنة الجامعية: 2021/2022

## اهـءاء

الى روح والءى رحمة الله؁ والى والءى حفصها الله؁ وامءها بالصحة والعافية؁  
والى زوجتى ام اولاءى الفاضلة التى صبرت على واعانتنى فى هذا العمل

## شكر وعرهان

الى اساذى الفاضل محمد شرقى؁ والى كل من كان سببا فى اءراج هذا العمل؁

اقدم شكرى

ثبت المختصرات :

باللغة الاجنبية		باللغة العربية	
T	Tome	دون دار النشر	د.د.ن
P	Page	دون بلد النشر	د.ب.ن
N	Numéro	دون سنة النشر	د.س.ن
Vol	Volume	العدد	ع
R.A	Revue africaine	ترجمة	تر
		دون طبعة	د.ط
		ميلادي	م
		جزء	ج
		مجلد	مج
		تقسيم	تق

## مقدمة :

عرف تاريخ أوروبا منذ القرون الوسطى تغيرات كثيرة وتحديات، بسبب الصراعات المختلفة التي ميزت مسيرة المجتمعات الغربية، وعلاقتها بحضارات الشرق المختلفة، اقتصاديا، وثقافيا، ثم الحروب الصليبية، هذا الاحتكاك هو الذي فتح النوافذ بين الطرفين، وأدى إلى تفاعل حضاري، كان من أبرز ملامحه ظهور رغبة الغرب في معرفة الشرق، جغرافيا، وبشريا، وحضاريا، ومن ثم الاطلاع على تراثه، ومنتجاته المادية والعلمية والثقافية، والتواصل معه، بغض النظر عما إذا كان هذا التواصل هدفه الحوار والتفاعل الحضاري، أم من اجل التمهيد للغزو الاستعماري.

من هنا ظهر الاستشراق كنتاج فكري غربي، يختص بدراسة الأمم الشرقية، وكل ما يتعلق بها، من آداب، وعلوم، وفنون، ولغات، وأديان، وما إلى ذلك، وفي هذا المجال يعتبر الاستشراق الفرنسي احد ثمار الحركة الاستشراقية الأوروبية، وأكثر أنواع الاستشراق الغربي تجندا للغزو الثقافي، ففرنسا كانت أكثر البلدان الأوروبية اعتمادا على الاستشراق، وتوظيفه في توسعها الاستعماري، كإحدى الوسائل الهامة في المغامرة الاستعمارية في العالم، لذلك وظفته بكل مؤسساته، وأدواته العلمية، والمعرفية، وكل إمكاناته لتحقيق أهداف غير أخلاقية وغير إنسانية، كان أبرزها تمهيد الأوضاع في أقاصي البلدان غير الخاضعة للسيطرة والاحتلال، من خلال انجاز بحوث ودراسات حولها، وقامت بمساعدة وتمويل من تراه أكثر ملائمة وموافقة لتوجهاتها السياسية والاستعمارية، ذلك أنها أيقنت أن السياسة العسكرية وحدها لا تكفي، ولم تعد سياسة ناجعة تتمكنها من بلوغ أهدافها ومراميها، دون الاعتماد على سلاح العلم أيضا، الذي استنجد الاستعمار الفرنسي به، ووظفه إيديولوجيا في خدمة الدوافع المحكومة لمختلف المصالح، فبدأ ذلك نوعا من تحديد الأهداف بالعلم وتحديد العلم بالأهداف .

والجزائر كبلد شرقي لم تستثن من هذه القاعدة، وهي التي كان لها حظ وافر في توافد رجال الاستشراق الفرنسي عليها منذ وقت مبكر، فكانت محور اهتمام من قبل المستشرقين الذين توافدوا عليها كتاب وسياسيين، وفنانين، وعسكريين، وبسطوا نفوذهم فيها مبكرا لتكون سنة 1830م سنة دخول الاحتلال الفرنسي إليها، والتي مهد فيها الاستشراق للاستعمار، وكان عوناً له في رسم سياسته، واتخاذ

مواقفه، فظهر بذلك الرابط المتين بين الاستشراق، والاستعمار الفرنسي، ضمن مخطط واحد ومهمة واحدة، وهي احتلال الجزائر، وهذا في المرحلة الاولى، فصارت الجزائر بذلك مجالاً استشراقياً نموذجياً، فهي جزء من الشرق كما اسلفنا الذكر، من حيث القضايا التي تهم الاستشراق ( الدين اللغة والادب والتاريخ والانسان)، وهي في الوقت نفسه، جزء من الدولة الفرنسية من حيث الواقع الاستعماري

لقد عرف الاستشراق الفرنسي في الجزائر تطوراً وتغيراً على غرار نظام الحكم فيه، من حكم عسكري إلى نظام مدني، هذا التغير جعل المدرسة الاستشراقية الفرنسية في الجزائر تنتقل من مرحلة النشأة إلى مرحلة النضج، فخرجت من مرحلة الهواية (فترة اللامعروف والاستكشاف) إلى مرحلة أكثر تخصصاً - مرحلة إنتاج خطاب علمي من طرف المستشرقين - ليستفيد فيها (الاستشراق) بمستجدات العلوم، لاسيما الإنسانية عامة والاجتماعية خاصة، تزامن ذلك ايضاً بظهور مناهج جديدة لهذه العلوم، كان لها الأثر البارز في تحويل مسار الحركة الاستشراقية في مناهجها، وحتى في مسماها، ومن المعلوم أن الظاهرة الاستشراقية، كان لها اهتمام كبير بكل مناحي الحياة العلمية، والثقافية، والفكرية، والسياسية للجزائر، وهذا ما يفسر غزارة الإنتاج الاستشراقي الفرنسي، ووفرة الدراسات والأبحاث التي قاموا بها

فوظفت الادارة الاستعمارية العديد من هذه العلوم الانسانية، والاجتماعية من قبيل علم التاريخ، وعلم الآثار (الاركيولوجيا)، وعلم الاجتماع (السوسيولوجيا)، وعلم الاناسة (الانثروبولوجيا)، والتي تنتمي الى قطاعات معرفية وتخصصية متعددة ومتباينة، وكانت مدرسة الجزائر 1879-1962 المؤسسة الحاضنة لهذه التخصصات العلمية، ظهرت كمؤسسة علمية بدعم وتمويل رسمي، لإنتاج معرفة تصنف نفسها ضمن الابحاث الاكاديمية، وتستثمر سياسياً لصالح الهيمنة الاستعمارية

### اهمية الدراسة

تكمن أهمية بحثنا المعنون بالاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962م، في كونه يبحث في إشكالية مكانة الاستشراق الفرنسي الأكاديمي في الجزائر، والذي أصبح بمرور الزمن يرتبط بمختلف مناحي الحياة الدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وحتى الجوانب الأكثر أهمية في مخططات الاستعمار، والسعي وراء تبرير التواجد الفرنسي في الجزائر بشتى الطرق، على حساب

التجاهل التاريخي للجزائر وشعبها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الموضوع اكتسب أهمية كونه يبحث كذلك في العلاقة المتداخلة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي لاسيما من خلال منجزاته، وأعماله، وأوجه توظيفها في خدمة الإيديولوجية الاستعمارية الفرنسية.

## اهداف الدراسة

-التعريف بأعلام الاستشراق الفرنسي وخاصة منهم الذين اشتغلوا في الجزائر وعملوا بها لسنوات طويلة  
-التعريف بالمؤسسات الحاضنة لهم ابتداء بالمكاتب العربية، ثم المدارس، الى اساتذة في الجامعة، والكليات والمعاهد

-محاولة دراسة الاستشراق الفرنسي دراسة موضوعية(له ما له وعليه ما عليه)

-تتبع مسار الدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر وخاصة مع تأسيس جامعة الجزائر 1879

-التعريف أيضا بأهم الجوانب، والتخصصات العلمية، التي ركز عليها المستشرقون، وانجزوا من خلالها  
اعمالا كبيرة، وضخمة

-الكشف عن سبب اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالجزائر، وتراثها المادي، والمعنوي

-محاولة الكشف أيضا عن دوافع المستشرقين من دراسة المجتمع الجزائري، وخاصة المجتمع الناطق بالسان  
الامازيغي

-مدى استفادة الادارة الاستعمارية الفرنسية من مساهمة المستشرقين الفرنسيين في الحياة العامة،  
والسياسية، وكيفية توظيفها لخدمة مصالحها

## أسباب اختيار الموضوع:

لماذا تم اختياري لهذا الموضوع بالذات؟

لقد اثر في هذا الموضوع، سواء في سنوات التدرج، وما بعد التدرج، وتفاعلت معه بسبب آثاره السلبية على المجتمع الجزائري طيلة فترة الاحتلال الفرنسي، بل لا تزال تؤثر على الثقافة الوطنية إلى يومنا هذا، ووجدت ان المجالات التي ركزت عليها الدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر، اللغة العربية وهي التي تأتي في المقام الاول، سواء الفصيحة منها او العامية، لحاجتهم اليها ولتسهيل لهم التواصل مع الاهلي الجزائري، ثم انصب اهتمامهم بالتاريخ وعلم الاثار، وبالدراسات السوسيوولوجيا والانثروبولوجيا جنبا الى جنب، والتي تركز في مجملها حول تاريخ الجزائر منذ اقدم العصور، مع الاهتمام البالغ للفترة الرومانية، والاهتمام بالمجتمع الجزائري قصد التعرف عليه في البداية ثم اخضاعه للسيطرة في مرحلة لاحقة، ويرجع اهتمامي بهذا الموضوع الى سببين وهما :

### 1. الذاتية

-الرغبة في البحث عن هذه الظاهرة التي ارتبط مسارها التاريخي على طول فترة تاريخ الجزائر من قبل الاحتلال الى غاية نيل الاستقلال

- اهتمامي بتاريخ الجزائر عامة وخاصة تاريخ الجزائر الثقافي

-بالإضافة إلى توجيه الأستاذ المشرف الذي حفزني و اشار الى اكماله والبحث فيه ولهذا الأسباب وغيرها وجدت نفسي مشدودا فكريا وعاطفيا إلى هذا الموضوع.

### 2.الموضوعية

من الاسباب ايضا كون موضوع الاستشراق يعتبر حلقة مهمة لفهم ما حدث في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية من صراع ثقافي، أثر على الوحدة والهوية الوطنية، لذلك يستحق الاهتمام والدراسة، إضافة إلى علاقته المباشرة بالاستعمار الفرنسي، فهو موضوع يسلط الضوء على شخصيات، ومؤسسات فرنسية، أدت دورا كبيرا في الجزائر، وساهمت بخدماؤها المختلفة في شتى المجالات



المساهمة في الكتابة عن هذه الظاهرة، والتعرف على المستشرقين في الجزائر، والمؤسسات التي كان تحتضن اعلام الاستشراق الفرنسي، وكيفية تعاملهم مع المصادر الكتابية، والمادية، وحتى الشفوية، وبالمقابل يصور لنا موضوع الاستشراق والمستشرقون من خلال دراساتهم الكبيرة عن الجزائر الحياة الاجتماعية، والثقافية للمجتمع الجزائري، على طول فترة الاحتلال، وكيف كانت رؤية المستشرقين للجزائر، وعلى الكيفية التي تمت بها قراءتهم للتراث الجزائري، والأدوات التي استعملوها، والخلفيات التي كانت تحركهم، ومنهجهم في الكتابة عن تاريخ الجزائر، ومنهجهم في ترجمة النصوص الأصلية ونشرها.

### الإشكالية:

ليس من غرض الدراسة تقييم إيجابيات الدراسات الاستشراقية الفرنسية، وما أسدته من خدمات معرفية، وإنما الهدف هو محاولة تتبع استغلال الاستعمار الفرنسي لهذه الدراسات، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي حاولت فيه أن أجيب على سؤال مهم: ما علاقة الاستشراق الفرنسي باعتباره آلية ومؤسسة من مؤسسات الإدارة الاستعمارية الفرنسية بمشروع الاحتلال وتثبيت قواعده في الجزائر؟

او بتعبير آخر كيف تم توظيف الدراسات الاستشراقية الفرنسية في خدمة المصالح الاستعمارية بالجزائر؟.

و لعل هذه الإشكالية التي سنحاول الإجابة عنها تثير بدورها العديد من التساؤلات الفرعية من بينها ما يلي:

ما المقصود بالاستشراق؟ ومن هو القائم عليه؟ وما المقصود بالشرق في مفهوم الاستشراق؟

و ما هي الخلفية التاريخية لنشوء الاستشراق الفرنسي؟ ومن هم أهم رواده؟

فيما تتمثل أغراض الاستشراق الفرنسي في الجزائر؟ وماهي مراحلها؟

ماهي الوسائل والمؤسسات التي سخرها الاستشراق الفرنسي لتسهيل مهمته في الجزائر؟

فيما تتمثل أعمال ومنجزات الاستشراق الفرنسي في الجزائر ؟ وهل كانت كلها موجهة لخدمة المصالح الاستعمارية الفرنسية ؟.

ماهي المواضيع التي ركز عليها المستشرقون في دراساتهم؟ كيف كانت نظرتهم لتاريخ الجزائر؟

ماهي اهم المعالم الاثرية التي اكتشفوها؟ كيف كانت نظرتهم للمجتمع الجزائري؟ وماهي العناصر التي ركزوا عليها في اجاثهم؟

ما هو واقع الاستشراق الفرنسي بعد 1962 ؟ وإلى اي مدى يمكن التسليم بالطرح القائل عهد الاستشراق قد ولى بزوال الاستعمار؟.

### منهج الدراسة:

للبحث عن الإشكالية وللإجابة عن مختلف التساؤلات التي يطرحها هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي، التحليلي وذلك لرصد الأحداث التاريخية المتعلقة بالموضوع المدروس، ووصفها وفق تطورها الكرونولوجي، وتحليلها بإعطاء نظرة موضوعية علمية، دون التحيز او الميل لطرف ضد آخر.

### حدود الدراسة:

بالنسبة للإطار الزمني للبحث، والممتد بين 1879-1962، فانه يمثل مرحلة تأسيس وتوسيع النشاط الحقيقي للاستشراق الفرنسي في الجزائر، والذي فسنة 1879 هي البداية الحقيقية للاستشراق الاكاديمي الفرنسي في الجزائر، الذي بدأ باستحداث هياكل ومؤسسات تساعده في انجاز المهام الملقاة على عاتقه، ثم بتكوين موظفين واساتذة الجامعة، وتأطيرهم لخدمة أهداف فرنسا، وصولا إلى سنة 1962 وهي سنة استقلال الجزائر، والتي عرف فيها الاستشراق الفرنسي تراجعاً، حيث ظهرت أصوات تنادي بان عهد الاستشراق قد ولى وانتهى بنهاية الاستعمار، أما الإطار المكاني فهو الجزائر بحد ذاتها .

## الصعوبات:

مالا يفوتنا ان نذكر به في مقدمة هذا العمل هي الصعوبات التي يتلقاها الباحث وهو يؤدي رسالته العلمية تلك التي تقف كحاجز امام تقدم العمل واذكر منها، صعوبة التنقل من مكان لآخر قصد التزود ببعض المصادر والمراجع التي لم استطع الحصول عليها وذلك بفعل الوباء(كورونا)، اضافة الى عدم حصولنا على المنحة للتنقل الى فرنسا والى الارشيف الفرنسي وبعض المعاهد والجامعات التي درس بها واشتغل معظم المستشرقين الفرنسيين وتركوا بها اعمالا كبيرة ، والتي كانت ستخدم بحثنا كثيرا وخاصة في بعض المواضيع والمتعلقة اساسا بنشاط المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين

## الدراسات السابقة:

نعتقد ان موضوع الاستشراق، كموضوع عام قد استوفى حقه من الدراسات، والبحث والاهتمام، واسال الكثير من الحبر وتناولته كثير من الافلام، ولاسيما المشرقية منها، غير ان دراسة الاستشراق دراسة خاصة والنظر اليه من زوايا محددة، او تناوله في مناطق معينة، خاصة المناطق التي كانت تحت الاستعمار ومنها الجزائر بحاجة الى المزيد من الدراسة والاهتمام، لان الاستشراق الفرنسي في الجزائر كان استشراقا خاصا ومميزا عن المناطق الأخرى ،وفي هذا الصدد نذكر بعض الدراسات الأكاديمية التي حاولت الخوض في هذا المجال ومنها :

أطروحة دكتوراه للباحث محمد العربي معريش بعنوان الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية 1822-1872م، وقد استفدت منها في بعض جوانبها خاصة فيما يتعلق بالتعريف بالجمعية الآسيوية ومجلتها.

أطروحة الدكتوراه للباحث سويس محسن بن علي بن صالح حول مؤتمرات المستشرقين العالمية، نشأتها تكوينها أهدافها ورسالة الماجيستير للباحث عبد الكريم حموا بعنوان الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر والتي استفدت منهما خاصة فيما يتعلق بمؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر سنة 1905م

رسالة ماجستير للباحث عبد النور غرينة حول الاوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939م وقد أخذت منها بعض المعلومات وظفتها في الفصل الخامس

و للإشارة فقط هناك دراسات أكاديمية أخرى لم تتطرق الى موضوع الاستشراق الفرنسي في الجزائر لكنها أفادتني في جوانب أخرى يأتي في مقدمتها:

أطروحة دكتوراه للباحث خميلي العكروت حول التعليم العالي في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي 1879-1962م، والتي استقيت منها معلومات هامة، خاصة في أثناء معالجاتي لوسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر، وفي الفصل الخاص بالبحث الأكاديمي في إطار الجامعة.

**اهم مصادر ومراجع البحث:**

اهم مصدر اساسي اعتمدنا عليه في هذا الموضوع هو المجلة الافريقية **La Revue Africaine**

بمختلف اعدادها، وبعض المصادر الاخرى اذكر منها :

**1.Jean Melia ; l'épopée intellectuelle de l'Algérie histoire de l'université d'Alger.**

واستعنت به في التعريف بجامعة الجزائر ونشاتها واهم المعاهد التابعة لها

**2.E.Doutté, L'œuvre scientifique de l'école des lettres d'Alger, revue Africaine, pub: par la société historique algérienne, Adolph Jourdan, Alger, 1905, vol 49, 1er trimestre, N0 256**

يتناول المستشرق في هذه الدراسة الاعمال العلمية التي قامت بها وانجزتها المدرسة العليا للاداب بصفتها مدرسة الاستشراق الفرنسي في الجزائر

**3.E.Doutté. E.F.Gautier, Enquête sur la Dispersion de la Langue Berbère en Algérie, imp: Adolph Jourdan, Alger, 1913**

افادتني هذه الدراسة ايما افادة في موضوع تراجع اللغة البربرية(الامازيغية) في الجزائر على حد قول كاتبها هذا المقال، والاسباب المباشرة لذلك التراجع، وايضا الإحصاءات التي وضعها في دراستهما للناطقين باللغة البربرية في تلك الفترة

**4.A. Cour, Note sur les chaire de la langue arabe d'Alger de Constantine et d'Oran 1832-1879 , revue africaine , N 318 , Alger, 1924**

المستشرق من خلال دراسته هذه تناول بالتفصيل نشأة المدارس الشرعية الثلاث، واهم المستشرقين الذين تعاقبوا عليها، واهم المواد التي كانت تدرس بها للتلاميذ

**5.I.Goldziher, l'école Supérieure des Lettres et les Médersas d'Alger Au XIVE  
Congres des Orientalistes, Revue de l'Histoire des Religions, pub: Association  
de la Revue de l'Histoire des Religions, 1905, Vol 52**

المستشرق غولد سيهر يتناول في هذه الدراسة مؤتمر المستشرقين الذين انعقد في الجزائر تحت رعاية كلية الآداب، واهم الاعمال التي انجزت في هذا المؤتمر، خاصة ما تعلق بها بالجانب الديني بحكم تخصصه في هذا المجال

**6.Jacque Heurgon, L'œuvre Archéologique française en Algérie , Bulletin de  
l'Association Guillaume Budé, Année 1956**

المستشرق الاركيولوجي جاك هارغن، يتناول في مقاله هذا العمل الاثري الفرنسي في الجزائر، معرفا بأهم المستشرقين الأثريين، واهم الاعمال المنجزة في مجال علم الاثار في الجزائر كما توجد هنالك مصادر هامة ولحسن حظنا انها ترجمت الى العربية واستفدت ايما استفادة منها اذكر منها اعمال كل من:

غابرييل كامبس البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2014.

شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الاقصى من البدء الى الفتح الاسلامي، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، مؤسسة تاولت الثقافية، 2011

أوجست مولييراس، المغرب المجهول، ترجمة وتحقيق عزالدين الخطابي، منشورات نقرانز الريف دار النجاح الجديدة، 2007، ج1.

أما بالنسبة لمراجع البحث، فقد كتب الكثيرون عن ظاهرة الاستشراق، وحتى اليوم لا تزال الدراسات حول هذه الظاهرة متواصلة، أما فيما يخص موضوع الاستشراق الفرنسي، فنجد اهتمام البعض من الباحثين والكتاب به، ولكن ليس كموضوع رئيسي، وإن كان في أغلبها تتناوله كموضوع ثانوي، فتجد البعض منهم يكتب مقالا عن مستشرق، والآخر يكتب في موضع اللهجات، وآخر عن التراث وغيرها، ومن الكتابات التي أشارت إلى الاستشراق الفرنسي في الجزائر نجد أبو القاسم سعد الله في مؤلفه الموسوعي تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، الجزء 6 والذي كان بمثابة الأرضية التي انطلقت منها هذا عدا عن مؤلفاته الأخرى، كأبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج 1، ج 2، ج 4، ج 5، وأفكار جامعة كذلك كتاب إبراهيم لونيبي بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وبالنسبة للمراجع الفرنسية فقد استفدت إما أفادة من كتابات (الان مسعودي)، ومقالاته العديدة، ولا سيما كتاب: Alain Masaoudi , les arabisants et la France coloniale، سواء فيما تعلق باهتمام اعلام الاستشراق الفرنسي في الجزائر، وفي التعريف بالمستشرقين الفرنسيين في حدود الامكان، فتعرضت لهم في المتن والبعض الآخر في إجازة موجزة في الهامش، مع الإحالة لمن يريد الاستزادة أكثر، كذلك استفدت الكثير من ارشيف جامعة الجزائر la Bibliothèque Virtuelle de l'université d'Alger والتي تتطرق للجزائر وفضاءها الحضاري، تاريخها منذ القدم إلى يومنا هذا في كل الميادين وتغطي الفترة منذ ظهور الطباعة إلى غاية 1930 بالنسبة للكتاب العربي، وحتى 1811 بالنسبة للكتاب بالحرف اللاتيني)، والتي تحوي على كم هائل من المصادر الفرنسية، والتي اعتبرها بمثابة كنز للباحثين في الجزائر من اجل دراسات تاريخية قيمة عن تاريخنا نظرا لكم الهائل من المصادر التي تتوفر عليها، إضافة إلى ذلك استفدت الكثير من المواقع الفرنسية اذكر على سبيل المثال Gallica، للوصول إلى الكثير من المصادر وتحميلهاو Persée، الذي استفدت منه على الحصول على الكثير من المجلات والمقالات المتخصصة والتي تخدم دراستي وغيرها من المواقع الأخرى.

## الخطوة:

لقد اجتهدت في هذه الدراسة محاولا رصد واقع الاستشراق الفرنسي في الجزائر، واستخلاص مختلف القضايا التي اجتهد فيها المستشرقون في اعمالهم وابحاثهم، كما حرصت على تقصي المعلومة من المؤرخين المختصين، وغايتي في ذلك التوثيق والاستقصاء الجيد للمعلومة من مصادرها، وجاءت خطة الدراسة في شكلها النهائي، مقدمة وخمسة فصول، وكل فصل تندرج تحته عدة مباحث، وعناصر، وخاتمة، نوجز محتواها فيما يلي:

الفصل الأول: عنوانه ب فصل مفاهيمي تاريخي حول الاستشراق الفرنسي، وقسمته الى مبحثين، المبحث الأول جاء تحت عنوان: ماهية الاستشراق تناولنا فيه مفهوم الاستشراق والمستشرق، نشأته ودوافعه، ووسائله، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان: الاستشراق الفرنسي بداياته وأعماله ورواده وتعرضت فيه الى نشأة الاستشراق الفرنسي، ونماذج من أعماله، وأهم رواده

الفصل الثاني: المعنون ب: (الاستشراق الفرنسي في الجزائر)، أغراضه، مراحل ووسائله وقسمته الى 3 مباحث تطرقت في المبحث الأول إلى أغراض الاستشراق الفرنسي ( الدينية الاستعمارية العلمية ) اما المبحث الثاني، فقد استعرضت فيه مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر، وقسمته إلى 3 مراحل، مع تقييم خاص بكل مرحلة، وفي المبحث الثالث تناولت وسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر، والمتمثلة في اللجان العلمية، الجمعيات، والمجلات

اما الفصل الثالث: تحت عنوان البحث الاكاديمي الاستشراقي في اطار الجامعة، تناولت في المبحث الاول تطور مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، بدءا بالكليات الاربعة، ثم العمل العلمي لها، ثم تناولت بالتحليل مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في الجزائر سنة 1905، والى اهم المواضيع الذي طرحها، والتي تم تداولها في هذه المؤتمر، ثم انتقلت الى ظروف تأسيس جامعة الجزائر، والمعاهد المكونة لها، وفي الاخير تناولت في المبحث الثاني اللغة العربية في اهتمامات المدرسة الاستشراقية الفرنسية لكونها الموضوع الاول الذي اشتغل عليه الاستشراق الفرنسي في الجزائر، بدءا بالمعاجم، الى كراسي التعليم الى اللغة العربية، ولهجاتها، ثم مدرسة تلمسان لأهميتها ودورها الكبير في الاستشراق الفرنسي، ولان جل المستشرقين

البارزين مّوا عليها، وتركوا بها اثارا كبيرة، خاصة فيما يتعلق بتحقيق التراث الجزائري، محتتما الفصل بأهم الدراسات الاكاديمية التي عُنيت باللغة العربية ولهجاتها

اما الفصل الرابع ف جاء تحت عنوان (الدراسات التاريخية والاثرية الفرنسية في الجزائر)، تناولت في المبحث الاول الدراسات التاريخية، متتبعا فيها اهم الفترات التي تناولتها الاقلام الاستشراقية الفرنسية، من الفترة الرومانية، معرجا على الفترة الوسيطة، الى غاية الفترة الحديثة والمعاصرة، كما قمت في نهاية هذا المبحث بتقييم هذه الدراسات الاستشراقية، معتمدا على اهم ما كتبه المؤرخون الجزائريون والمغاربة، في حين تناولت في المبحث الثاني رؤية هؤلاء المستشرقون للفتح الاسلامي، وخاصة العنصر البارز في تلك الحقبة الا وهي الهجرات الهلالية، او كما يحلو للمستشرقين ان يطلقوا عليها لفظة الغزوة، وفي المبحث الثالث قمت بتتبع الدراسات الاثرية في الجزائر، وتناولتها بالتفصيل، بدءا من الاهتمامات المبكرة بهذا العلم، ثم اهم المجالات التي عُنيت بالآثار في الجزائر، محتتما المبحث باهم الاعمال التي انجزت في هذا المجال واهم الحفريات، الى الكتب التي نشرت، والى الملتقيات، والمؤسسات الفاعلة في مجال البحث والتنقيب الاثري في الجزائر

وفي الفصل الخامس عنونته ب: (السوسيوولوجيا والانثروبولوجيا الاستعمارية الفرنسية في الجزائر)، وقمت في المبحث الاول بتتبع مسار السوسيوولوجيا العسكرية في المرحلة الاولى، ثم السوسيوولوجيا الاكاديمية في المرحلة الثانية، وجاء المبحث الثاني بعنوان البحث الانثروبولوجي الفرنسي، والذي ركز في اصحابه على التقسيم العنصر البشري للجزائري، بدءا بالتسمية، ثم القبيلة، ثم اللغة، وأصل السكان، واخيرا النزعة البربرية، وهي ختام ما كان يصبوا اليه البحث الانثروبولوجي الفرنسي، وفي المبحث الثالث تناولت ايضا عنصرا لا يقل اهمية من العنصر السابق، والتي ركزت عليه اغلب الدراسات السوسيوولوجية الفرنسية في الجزائر، الا وهو الدين، تناولت فيه سوسيوولوجيا الدين عند ضباط المكاتب العربية، ثم عند الاكاديميين، وفي الاخير اختتمت هذا الفصل بدراسة سوسيوولوجيا الدين بين الاصلاحيين الجزائريين والمستشرقين الفرنسيين



و في الأخير يمكن القول ان هذه الدراسة هي محاولة وإسهام لسد حلقة من حلقات التاريخ الثقافي الاستعماري في الجزائر، وأمل لان اكون قد وفقت في معالجتها بطريقة منهجية سليمة، ولا يفوتني ان نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل، شرقي محمد، الذي دعمني و اشار إلى دراسة الموضوع، وشجعني على اكماله، واتمامه، واخراجه، في احسن حلة، واشرف عليّ، وكان سخيا في النصح، والإرشاد، والتوجيه، والتصويب، وكان في علاقته معي، بمثابة الاب مع ابنه.

الفصل الأول: فصل مفاهيمي تاريخي حول الاستشراق الفرنسي

المبحث الأول: الاستشراق وبداياته.

1. ماهية الاستشراق

1.1. مفهوم الاستشراق والمستشرق

2.1. نشأته

3.1. دوافعه ووسائله

المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق الفرنسي

1.2. بداياته وأعماله

2.2. المدرسة الاستشراقية الفرنسية

3.2. نماذج لأهم أعماله

4.2. أهم رواده

يُعدُّ الاستشراق بوصفه حقلاً معرفياً وفرعاً بحثياً له مصادره، أغراضه، رواده، دراساته، أساليبه ووسائله... أحد المصطلحات والمفاهيم التي نالت جانبا كبيرا وشغلت حيزا لا يستهان به من اهتمام العلماء والمفكرين؛ لما يحمله هذا اللفظ من دلالات ومعان، تختلف باختلاف مجالاته وميادينه فهناك الاستشراق الديني، السياسي، الاستعماري، العلمي والثقافي... ومن هنا كان لزاما علينا كباحثين تحديد ماهية الاستشراق، بالوقوف على مفهومه اللغوي والاصطلاحي، وعلى القائم به والذي هو المستشرق وحقيقة مهمته، ثم البحث في نشأته، والبوادر الأولى لظهوره، ودوافعه والوسائل التي سُخرت لتحقيق هاته الدوافع، وصولا إلى المدرسة الاستشراقية الفرنسية - التي تعد الرائدة في هذا المجال من المعرفة - وأهم ما قدمه روادها من منجزات وأعمال.

## المبحث الاول: الاستشراق وبداياته

### 1. ماهية الاستشراق:

#### 1.1 مفهومه:

#### الاستشراق في اللغة:

في اللغة العربية: " الاستشراق " orientalisme " مصطلح له دلالاته، وعند البحث في المعاجم اللغوية القديمة فإننا لا نجد مفردة " الاستشراق "؛ إنما نجد مفردة المشرق، وهي مأخوذة ومشتقة من كلمة الشرق<sup>1</sup> والشرق كما جاء في المعجم الوسيط في مادة شرق: « شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت<sup>2</sup> » وكلمة استشراق مكونة من الألف والسين والتاء، وهاته الحروف إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب، فاستشرق معناها طلب علوم الشرق<sup>3</sup>، وهناك من يذهب إلى أن الألف والسين والتاء " است " تدل على إظهار أو إبراز ما كان مخفيا أو ماحقه الظهور، ويفسر دلالاتها ما تلحق به من لفظ، فيقال مثلا: استخراج، أي إخراج أمر من باطن الأرض، فحيث لحقت هذه الحروف بكلمة شرق، أصبحت تعني اظهار أو إبراز ما كان موجودا في بلاد الشرق، من علوم وأفكار وحضارات، أو طلب ما فيه من معارف وعلوم وأفكار.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد شمس الحكم بن عبد الصمد، الإطار التاريخي لمواقف المستشرقين من القراءات القرآنية دراسة تحليلية، بحث مقدم لنيل درجة

الماجستير في أصول الدين، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا كوالالمبور، 2006، ص 29

<sup>2</sup> يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين من قضايا الاستشراق بحوث ودراسات، د.د.ن ؛ د.س.ن، ص 23

<sup>3</sup> محمد شمس الحكم بن عبد الصمد، مرجع سابق ؛ ص 29

<sup>4</sup> عبد الحليم ريوقي، " ماهية الاستشراق النشأة المناهج والأهداف الأصناف الوسائل "، مجلة الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان ع 2، الجزائر، ديسمبر 2011 ؛ ص 78.

في اللغة الانجليزية:

تعني كلمة "Orientation" و "Orientât": توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي<sup>1</sup>، ويذكر الطيب بن إبراهيم أن كلمة استشراق كانت قد عرفت في اللغة الانجليزية قبل غيرها سنة 1811م<sup>2</sup>.

أما في اللغة الفرنسية:

يعني فعل "orienter": وجه أو هدى أو أرشد<sup>3</sup>، أو التوجيه والإرشاد، وقد دخلت لفظة الاستشراق إلى معجم الأكاديمية الفرنسية حسب المستشرق الألماني ماكسيم رودنسون سنة 1838م، حيث جسدت فكرة نظام خاص، مكرس لدراسة الشرق<sup>4</sup>.

في حين اللغة الألمانية: اذا نظرنا إلى معنى كلمة استشراق في اللغة الألمانية "Sich orientiern"، نجدها تعني جمع المعلومات والمعارف من مصدرها<sup>5</sup>.

وإذا ذهبنا إلى اللغة اللاتينية والماليزية: فإننا نجد في اللاتينية كلمة (Orient): بمعنى يتعلم أو يبحث عن شئ ما، وفي الماليزية يطلق على الاستشراق مصطلح (Orientalisme)، ومعناه قيم ومبادئ مجتمع الشرق<sup>6</sup>.

وهناك من يذهب إلى انه ثمة تعريف اخر يدل على أن المراد بالشرق ليس الشرق الجغرافي، وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والنور والضياء والهداية، بعكس الغروب بمعنى الانتهاء والأفول والزوال<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ياسين حسين الويسي، مالك بن نبي وموقفه من الاستشراق والمستشرقين كتابه إنتاج المستشرقين أنموذجا، مجلة دراسات استشراقية؛ المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ع 9، العراق؛ 2016؛ ص 83.

<sup>2</sup> الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر، دار المنابع، 2004، ص. 18.

<sup>3</sup> محمد شمس الحكم بن عبد الصمد، مرجع سابق؛ ص 29.

<sup>4</sup> صالح بوسليم، حركة الاستشراق؛ المفهوم والنشأة والدوافع والأهداف، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة الغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي الياقوب بلعباس، ع 11- 12، الجزائر، مارس 2016، ص. 232.

<sup>5</sup> عبد الحليم ريوقي، مرجع سابق، ص. 78.

<sup>6</sup> محمد شمس الحكم بن عبد الصمد، مرجع سابق، ص 29.

<sup>7</sup> الصادق خشاب، "الاستشراق والإسلام من خلال شخصية كريستيان سنوك هور خرونيه"، مجلة الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ع 2؛ الجزائر، ديسمبر 2012؛ ص. 39.

وفي مجمل ما نجد من معاني الكلمة في هذه اللغات، فإنها تعني جمع المعلومات، يبحث أو توجيه أو إرشاد، وهو ما يعكس مفهوم الاستشراق عند الغربيين، بأنه جمع معلومات عن حضارات الشرق، وما صاحبها من معارف وعلوم وأديان بالبحث والاهتمام<sup>1</sup>.

**الاستشراق اصطلاحاً:** المقصود به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في اجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي والتي تشمل أديانه وآدابه وثقافته ولغاته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الاسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما<sup>2</sup>، ويمكن تعريفه أيضا بأنه تيار علمي من شأنه البحث في الحضارات الشرقية جمعا<sup>3</sup>.

رغم تداول مصطلح الاستشراق في مختلف الدراسات والكتابات التاريخية، الا أنه ثمة اختلاف وتباين في تحديد مفهومه، سواء في كتابات المفكرين العرب أو المفكرين الغربيين، وربما يرجع ذلك إلى لجوء كل مفكر إلى تعريف الاستشراق وفقا لما يتطابق مع وجهة نظره وتوجهاته، ولذلك ارتأينا استعراض بعض من هذه التعاريف، لنقوم بعد ذلك بمحاولة وضع تعريف محدد قدر الإمكان لهذا المصطلح.

<sup>1</sup> عبد الحليم ريوقي، مرجع سابق، ص 79.

<sup>2</sup> محمد بن سعيد السرحاني الاثر الاستشراقي في موقف محمد اركون 2010 دب ص 2

<sup>3</sup> فلوربال سناغوستان، الاستشراق الفرنسي ضرورة مثيرة للجدل، مجلة حوليات جمعية كلية الاداب، تصدر عن جمعية الاداب في الجامعات،

الاردن، 2004، مج1، ع 1، ص 21

## عند المفكرين العرب

يقول أحمد حسن الزباد: يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق، وأهمه، ولغاته، وآدابه، وعلومه، وعاداته، ومعتقداته، وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لصلتها بالعلم<sup>1</sup>.

ويذهب حسن حنفي الى القول بأن الاستشراق: هو تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب، للوقوف على معالم الفكر الإسلامي، وحضاراته، وثقافته، وعلومه (...). ومصطلح الشرق يشمل الشرق الأدنى والأوسط والأقصى<sup>2</sup>.

أما رضوان السيد فيرى أن: الاستشراق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ، والسوسيولوجيا، والانثروبولوجيا، والاقتصاد السياسي، ولم يعد هناك علم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث، والشرق الأوسط متباينة وغير علمية، فان مفهوم الاستشراق صار اليوم كذلك<sup>3</sup>، ويعرفه البستاني بأنه: العلم باللغات، والآداب، والعلوم الشرقية<sup>4</sup>.

في حين يعرفه أحمد عبد الحميد غراب بأنه: عبارة عن دراسات أكاديمية، يقوم بها غربيون غير مسلمون للشرق الإسلامي بشتى جوانبه، تاريخه، وثقافته، وأديانه، ولغاته، ونظمه الاجتماعية والسياسية، وثوراته، وإمكانياته من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق، بغرض السيطرة عليه لصالح الغرب، وتبرير هذه السيطرة بدراسات، وبحوث، ونظريات، تتظاهر بالعلمية والموضوعية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يحي مراد، مرجع سابق؛، ص 29.

<sup>2</sup> محمد قدور تاج، الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 18.

<sup>3</sup> ياسين حسين الويسي؛، مرجع سابق، ص 85.

<sup>4</sup> محمد حسن زمني، الاستشراق والدراسات الاسلامية لدى الغربيين، تر محمد نور الدين عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة؛،

2010، ص 44.

<sup>5</sup> الصادق خشاب؛ مرجع سابق؛ ص 40.

يعرفه الميداني عبد الرحمان بقوله: الاستشراق أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين وشعوبهم، وتاريخهم، وآديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم،<sup>1</sup> وبحسب عبد الرحمان عميرة فان الاستشراق هو: علم الشرق، أو علم العالم الشرقي (...). والمعنى الخاص لمفهوم استشراق، يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته، وآدابه، وتاريخه، وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عام<sup>2</sup>.

والاستشراق بالنسبة لشكري النجار هو: أسلوب غربي لفهم الشرق، والسيطرة عليه، وإعادة توجيهه، والتحكم فيه<sup>3</sup>، وقد قدم ادوارد سعيد ابن الشرق الذي عاش في عمق الغرب بالولايات المتحدة عدة تعريفات مهمة للاستشراق نذكر منها:

الاستشراق مصطلح واسع يشمل ميادين عدة، تعمل في حقل الدّراسات الشّرقيّة المختلفة، يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق، أممه، لغاته، آدابه، علومه، عاداته، معتقداته وأساطيره. لكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لصلتها بالعلم، ويقدم ادوارد سعيد تعريفا للمستشرق بأنه: هو كل من يدرس الشرق، أو يبحثه، سواء في جوانبه المحددة أو العامة، وسواء كان هذا المستشرق انثروبولوجيا، أو عالم اجتماع، أو مؤرخا أو فيلولوجيا، انما هو مستشرق وما يفعله هو استشراق<sup>4</sup>، والمستشرقون (orientaliste)، وفي أحيان يدعون (Arabisant) (المستعربون)، علما أنه ليس كل مستشرق مستعرب، وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الاجانب الذين خصصوا جزءا كبيرا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق الاسلامي<sup>5</sup>، وتتصف المدرسة الاستشراقية الفرنسية ان مستشرقها الأوائل اهتموا باللغة العربية وبالادب العربي.

<sup>1</sup> عبد الرحمان حينكة الميداني ؛ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها " التبشير الاستشراق والاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه "؛ ط8، دار القلم ؛ دمشق ؛ 2000 ؛ ص 53.

<sup>2</sup> عبد الرحمان عميرة ؛ الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ؛ دار الجيل ؛ بيروت لبنان ؛ د.س.ن ؛ ص 90.

<sup>3</sup> ياسين حسن الويسي ؛ مرجع سابق ؛ ص 86.

<sup>4</sup> ادوارد سعيد ؛ الاستشراق المعرفة السلطة الانشاء ؛ تر ؛ كمال ابو ديب ؛ مكتبة ديوان العرب ؛ د.ط ؛ د.ب.ن ؛ د.ت.ن ؛ ص 30.

<sup>5</sup> ناجي عبد الجبار، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، منشورات دار الجاحظ، بغداد العراق، 1981، ص 23



و يضيف: ان الاستشراق هو أسلوب من الفكر، قائم على تمييز وجودي "اونطولوجي" ومعرفي "ابستيمولوجي" بين الشرق والغرب<sup>1</sup> ويخلص إلى أن الاستشراق هو أسلوب غربي، يهدف إلى السيطرة على الشرق وبسط السيادة عليه، بحيث أصبح الاستشراق مرادفا للحركة الامبريالية واستعباد الشعوب الشرقية، ونهب ثرواتها وخيراتها.

من خلال التعريفات السابقة نخلص إلى مايلي :

جل تعريفات المفكرين العرب تدور حول: أن الاستشراق هو تلك الدراسات الغربية، التي تتناول الشرق الإسلامي وكل ما يتعلق به من دين ولغة وحضارة وفكر وعادات وتقاليد ... للبحث والدراسة وبالتالي نلاحظ بان هذا التيار حصر الاستشراق في دراسة الشرق الإسلامي دون غيره.

بينما هناك تيار يتجه إلى اعتبار أن الاستشراق هو دراسة الغربيين للشرق بكل جوانبه، من لغة وآداب وعلوم، ولم يخصص مكان هذا الشرق إسلامي أم لا، وهو التيار الذي نعتبره قريبا من الصواب فالصين واليابان مثلا من الشرق، ولكن لا يدينون بالإسلام .

هناك من يرى بأن الاستشراق ليس له تعريف محدد، بدليل أنه يتداخل في تخصصات أخرى كالانثروبولوجيا، الفيلولوجيا، التاريخ والاقتصاد، وبالتالي عندما نتجه إلى تعريف الاستشراق، فإننا نقوم بتعريفه وفق تخصصه .

ويذهب البعض إلى اعتبار أن الاستشراق ماهو الا وسيلة غربية لإحكام السيطرة على الشرق، والهيمنة عليه، وبالتالي ماهو إلا وجه من وجوه الاستعمار.

<sup>1</sup> المرجع السابق ؛ ص ص . 30-31.

عند المفكرين الغربيين:

يُعدّ المستشرق الألماني مكسيم رودنسون الاستشراق بقوله: هو التوجه العلمي للبحث حول البلدان الاسلامية في الشرق وحضارتها<sup>1</sup> ويضيف: إنما ظهر للحاجة الماسة إلى إيجاد فرع متخصص لدراسة الشرق ومتخصصين للقيام بإنشاء المجالات، والجمعيات والأقسام العلمية<sup>2</sup>

أما رودي بارت فيرى أن الاستشراق: هو علم يختص بفقهِ اللغة وأقرب شيئاً إليه، إذن إن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق، فهي مشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس وعلى هذا يكون الاستشراق، هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي،<sup>3</sup> ويرجع أحد الباحثين تعريف بارت للاستشراق على هذا النحو، الى انه عندما بدأت الدراسات والأبحاث الاستشراقية، كان يشترط في المستشرق معرفته للغة العربية وآدابها، حتى يكون بمقدوره الاطلاع على المصادر الإسلامية والشرقية بصفة عامة.<sup>4</sup>

وقد صوّغ الفرنسي اميل ليتري سنة 1876 م الاستشراق بأنه: جملة المعارف والأفكار الفلسفية وعادات الشعوب الشرقية.<sup>5</sup>

نلاحظ من خلال التعريفات الغربية للاستشراق:

أنه هناك اتجاه يرى أن الاستشراق اتجاه علمي يهتم بالبحث في الشرق الإسلامي وحضارته، في حين يرى البعض بأنه علم يختص بفقهِ اللغة من جهة، وعلم الشرق من جهة أخرى، وعلى العموم نلاحظ أن آراء المفكرين الغربيين في أغلبها، تُصب في بوتقة أن الاستشراق علم يختص بالشرق من كل جوانبه

<sup>1</sup> محمد حسن زمني ؛ مرجع سابق ؛ ص 43.

<sup>2</sup> محمد قدور تاج ؛ مرجع سابق ؛ ص 24.

<sup>3</sup> محمد إبراهيم الفيومي ؛ الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام ؛ دار الفكر العربي ؛ جامعة الأزهر ؛ 1993 ؛ ص 143.

<sup>4</sup> عبد الرؤوف قرناوب ؛ جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1962 ؛ مذكوره مقدمة لشهادة الماجستير

في العلوم الإسلامية ؛ تخصص مقارنة الاديان ؛ جامعة الجزائر 1 ؛ 2014-2015 ؛ ص 73.

<sup>5</sup> المبروك الشيباني المنصوري ؛ صناعة الآخر المسار في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق الى الاسلاموفوبيا ؛ مركز نماء للبحوث

والدراسات ؛ بيروت لبنان ؛ 2014 ؛ ص 46 .

التاريخية والحضارية والاجتماعية والعلمية والثقافية... مستبعدين بذلك أنه كانت له أغراض أخرى (سوف نتطرق إليها في المطلب الثالث من هذا الفصل) تخدم المصلحة السياسية الاستعمارية أو المصلحة الدينية التبشيرية، دون أن نغض النظر عن الدافع العلمي.

وفي هذا الصدد يذهب أحد الباحثين إلى أن كلمة استشراق على الرغم من أنها تتسم في الظاهر بسمة علمية - ويقال أنها تخصص علمي محض بين غيره من العلوم الأخرى - فإن الواقع أن الاستشراق إنما هو تيار اجتماعي وعقائدي وسياسي متلازم، مع تميز وميل خاص لمدرسة ما، ولذلك لم تتم الاستفادة في اصطلاحه اللاتيني من اللاحقة "logy" التي تعني "علم"، وهي لاحقة لكل علم من أنواع العلوم، وفي المقابل فإنه استفاد من اللاحقة "lism"، التي تعبر أو تدل على مدرسة، أو مذهب، أو نزعة إيديولوجية.<sup>1</sup>

وعليه ومن خلال كل التعريفات السابقة سواء للمفكرين العرب أو الغرب، فيمكن القول بأن الاستشراق، هو اتجاه فكري غربي، يهتم بدراسة الشرق عامة، في عاداته، تقاليده، تاريخه، دياناته شعوبه والإسلام بوجه خاص، لأغراض ودوافع معينة، مع العلم أن الاستشراق في بداية ظهوره كان مقتصرًا على دراسة الإسلام، ثم اتسعت دائرته، لتشمل دراسة الشرق من مختلف نواحيه.

### تحديد مفهوم مصطلح مستشرق:

#### عند المفكرين العرب:

يعتبر مالك بن نبي من أبرز المفكرين العرب الذين تناولوا هذا الموضوع، فيقول: اننا نعني بالمستشرقين، الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية،<sup>2</sup> في حين يرى يحي مراد أن المستشرق هو: عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه،<sup>3</sup> ويذهب عبد الرحمان عميرة إلى أن المستشرق هو: من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق، كالعربية والعبرية والسريانية

<sup>1</sup> محمد حسن زماتي ؛ مرجع سابق ؛ ص ص ؛ 48-49.

<sup>2</sup> مالك بن نبي ؛ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ؛ دار الإرشاد ؛ بيروت لبنان ؛ 1969م ؛ ص 5.

<sup>3</sup> ياسين حسين الويسي ؛ مرجع سابق ؛ ص 85.

والفارسي وغيرها، ثم درس بهذه اللغة التي تعلمها فنونها وآدابها ومعتقدات أهلها،<sup>1</sup> بينما ذهب كل من أحمد الاسكندري وأحمد أمين في تعريفهما للمستشرق بأنه: كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية وتقصي آدابها، طلبا للتعرف على شأن أمة أو أمم شرقية، من حيث أخلاقها، عاداتها، تاريخها وديانته، أو علومها وآدابها، أو غير ذلك من مقومات الأمم والأصل في كلمة استشرق، أنه صار شرقيا، كما يُقال استعرب أنه صار عربيا<sup>2</sup>، يُعرّف علي العناني المستشرق بقوله: هو المشتغل بالعقليات الشرقية، سواء كانت سامية أو غير سامية، ولكن هذه الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة، ويتبع ذلك البحث في اللغات الحامي<sup>3</sup>.

ويرى شكري النجار أن كلمة مستشرق تطلق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو من بعيد، أما ناجي التكريتي، فيرى أن كلمة مستشرق تطلق على الرجل الذي يتعمق بدراسة حضارة الشرق، أو الذي ينجح في دراسة جزء واحد من حضارات الشرق. لقد تعودنا أن نطلق اسم مستشرق على الذي يهتم بدراسة حضارتنا العربية والإسلامية، وكثير من المجتهدين يرون أن نطلق على الذي يهتم بدراسة حضارتنا العربية اسم مستعرب طالما أنه يدرس أدبنا وعلما وتراثنا<sup>4</sup>. ويصف إبراهيم عبد المجيد اللبان أصحاب الاستشراق فيقول: المستشرقون اسم واسع يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم والآداب بالهند والفرس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمان عميرة ؛ مرجع سابق ؛ ص . 90.

<sup>2</sup> محمد قدور تاج ؛ مرجع سابق ؛ ص . 21.

<sup>3</sup> يحي مراد ؛ مرجع سابق ؛ ص . 29.

<sup>4</sup> ياسين حسين الويسي ؛ مرجع سابق ؛ ص . 86.

<sup>5</sup> يحي مراد ؛ مرجع سابق ؛ ص . 30.

في حين يذهب علي حسني الخربوطلي إلى اعتبار أن المستشرق هو: عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، فلا بد أن يتوافر في هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها في العالم المتخصص المتعمق، حتى ينتج ويفيد البشرية والحضارة بإنتاجه العلمي، ولا بد أن ينتهي هذا العالم إلى الغرب، ولو كان هذا العالم يابانيا او اندونيسيا أو هنديا، لما استحق أن يوصف بالمستشرق؛ لأنه شرقي بحكم مولده وبيئته وحضارته.<sup>1</sup>

وعلى نقيض ذلك يذهب الطيب بن إبراهيم إلى اعتبار أن المستشرق هو من يختص بدراسة تاريخ وتراث وحضارات هذا الشرق من غير المسلمين، فهو يعدّ مستشراقا وإن كان شرقي الدار،<sup>2</sup> ويفسر ذلك بقوله: إن التحديد سواء بالنسبة للشرق أو المستشرق يرتبط بالانتماء للإسلام، أكثر مما يرتبط بالانتماء الجغرافي، فالغربي إذا أسلم سواء الأوروبي، أو الأمريكي، تسقط عنه صفة المستشرق، ويصبح شرقيا بالانتماء الديني، لا بالانتماء الجغرافي، والصيني، والروسي، والياباني إن لم يكونوا مسلمين، فهم جميعا مستشرقون، رغم انتمائهم للشرق الجغرافي، ويخلص هذا الأخير إلى القول: إن المستشرق هو كل غربي لا ينتمي إلى الشرق والعروبة والإسلام، ويدخل في ذلك حتى من هو شرقي، لا ينتمي إلا للشرق الهوية الجغرافية، دون الانتماء إلى الهوية العربية والإسلامية، كما هو حال الشرقي الياباني والروسي<sup>3</sup>، ويعرفه منير البعلبكي بقوله: هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته.<sup>4</sup>

ويعرف أحمد حسن الرحيم المستشرقين بأنهم العلماء الأجانب الذين خصصوا جهودهم العلمية لدراسة تراث الأمم الشرقية في الميادين الأدبية، والعلمية، والاجتماعية، أو تراثها الحضاري بصورة عامة، وذلك لمعرفة لغات هذه الأمم، وعلومها، وأديانها، وعاداتها، وتقاليدها من أجل غرضين قد يتحدان،

<sup>1</sup> يحي مراد؛ مرجع سابق؛ ص 31.

<sup>2</sup> الطيب بن إبراهيم؛ مرجع سابق؛ ص 13.

<sup>3</sup> المرجع السابق؛ ص 13؛ 17.

<sup>4</sup> محمد حسن زمامي؛ مرجع سابق؛ ص 45.

وقد يفتقران، وهوما الغرض العلمي، أو السيطرة على هاته الشعوب بالأساليب المؤثرة فيها<sup>1</sup>، غير أن هناك كتابا آخرين لا يلحقون صفة المستشرق بالعربي الشرقي، فالعربي لا يكون مستشراقا إن كان غير مسلم<sup>2</sup>.

ومن خلال التعريفات السابقة للمفكرين العرب للمستشرق نلاحظ:

أن هناك فئة تذهب إلى أن المستشرق هو عالم غربي يختص بدراسة الشرق الإسلامي وكل ما يتعلق به، خاصة الإسلام، ويذهب آخرون إلى اعتباره باحثا غريبا، يختص بدراسة الشرق بصفة عامة من كل جوانبه لغرضين، إما علمي وإما استعماري، ويراه البعض العالم الغربي الذي يختص بدراسة لغات الشرق، لكي يتمكن من خلالها من معرفة عادات وتقاليد ومعتقدات أهلها.

في حين يرى آخرون بأن المستشرق هو عالم غربي يهتم بدراسة الشرق، وإن كان هذا العالم شرقيا (يابانيا أو هنديا) لما استحق أن يوصف بالمستشرق؛ لأنه شرقي أصلا .

على خلاف هذا الرأي يرى البعض بأن المستشرق هو عالم غربي غير مسلم، يختص بدراسة علوم الشرق فلو كان غربيا مسلما يسقط عنه لفظ المستشرق، وعلى العكس لو كان شرقيا وغير مسلم فهو مستشرق، حتى وان كان شرقي الدار، فالتحديد بالنسبة للشرق أو المستشرق، يرتبط بالانتماء للإسلام أكثر من الانتماء الجغرافي.

### عند المفكرين الغرب:

يرى آرثر أربري أن أول استخدام لكلمة مستشرق ( Orientaliste ) كان في سنة 1630 م، حيث أُطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، أو اليونانية، وفي سنة 1691م وُصف انطونيو وود صاموئيل كلارك بأنه استشراقي نابه، وعنى بذلك أنه يعرف بعض اللغات الشرقية<sup>3</sup>، ويرى أربري أن

<sup>1</sup> احمد حسن الرحيم ؛ المستشرق الفرنسي ارنست رينان ونضرتة الى اللغة والفلسفة ؛ سلسلة كتب الثقافة المقارنة ؛ مجلة الاستشراق، ع 2 ؛ العراق، فيفري 1987؛ ص 39.

<sup>2</sup> الطيب بن إبراهيم ؛ مرجع سابق ؛ ص ص . 16-17.

<sup>3</sup> محمد ابراهيم الفيومي ؛ مرجع سابق ؛ ص 142.

المستشرق من تبحر في لغات الشرق وآدابه، والتعريف كما يذهب أربري، يحمل في طياته التاريخية مفاهيم سلبية، كالصراعات الغربية، والتوجهات الاستعمارية، مما ألصق به تهماً وشكوكاً، وذلك ما تشير إليه تشارلز دوبي التي تقول: إن الشمس جعلتني عربياً لكنها ما شوهتني قط بالاستشراق<sup>1</sup>، كما تعتقد أن الاستشراق قد تخطى حدوده إلى ميادين أخرى، حتى أن المستشرق أصبح يشارك في عمله المؤرخ، وعالم اللاهوت، والفنان، والفيلسوف، وعالم الآثار<sup>2</sup>.

ويرى ديتريش أن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار، ما لم يتقن لغات الشرق، وتجدد الإشارة هنا بأن كلمة مستشرق ظهرت لأول مرة في أوروبا، وبالضبط في إنجلترا سنة 1779م، ثم بعد ذلك في فرنسا سنة 1799م، لتعم فيما بعد باقي الدول الأوروبية<sup>3</sup>.

وبالرغم من رفض الكثير من هؤلاء للتسمية (orientaliste)، وإصرارهم على تسمية الاختصاص (Islamologue)، (Arabiste)، (Indologue) في عصر الاختصاص فان المصطلح لا يزال متداولاً<sup>4</sup>.

وفي هذا السياق يعلق علي النملة قائلاً: مازالت كلمة الاستشراق رائجة، ولم تتمكن الكلمات البديلة من إزاحتها عن الساحة، ذلك أنه ليس من المنتظر نسيان كل هذا الانجازات التي نمت خلال عدة قرون تحت مسمى الاستشراق، بمجرد تغيير الاسم والكلمة، وعلى افتراض أنهم غيروا الكلمة، فمن المؤكد أن المسمى والواقع لم يتغيرا<sup>5</sup>.

ومن التعريفات السابقة للمستشرق نلاحظ :

<sup>1</sup> صالح بوسليم ؛ مرجع سابق ؛ ص 230.

<sup>2</sup> يحي مراد ؛ مرجع سابق ؛ ص 24.

<sup>3</sup> الطيب بن ابراهيم ؛ مرجع سابق ؛ ص 18 .

<sup>4</sup> قاسم السمراني ؛ الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ؛ دار الرفاعي ؛ 1983؛ ص 108.

<sup>5</sup> علي بن ابراهيم حمد النملة ؛ المستشرقون والتنصير دراسة للعلاقة بين ضاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصرين ؛ موسوعة الدراسات

الاستشراقية 04 ؛ الرياض ؛ 1998 ؛ ص 12 .

أن كل التعريفات السابقة، سواء للمفكرين العرب أو الغرب، تذهب الى أن المستشرق هو باحث غربي، يختص بدراسة الشرق وكل ما يتعلق به، من علوم وآداب وفنون وديانات وحضارات ولغات وغيرها، وقد يكون ذلك إما لهدف علمي، أو بهدف السيطرة على هاته الشعوب، وإحكام قبضتهم عليها، وجل تعريفاتهم تصب في أن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يتقن لغات الشرق، ثم يحاول بهذه اللغة دراسة آدابه وفنونه وكل ما يتعلق به.

### المقصود بالشرق في مفهوم الاستشراق :

يرى بعض الباحثين أن الشرق هو اصطلاح ابتدعته أوروبا لكل أرض تقع وراء حدودها شرقا إلى اليابان، بيد أن المصطلح بدأ في الانحصار عبر القرون الوسطى الى الشرق الأوسط وماضيه من حضارات وأديان ومعتقدات وثقافات مختلفة<sup>1</sup>، وقد ورد في معجم أكسفورد، أن الحدود الجغرافية للشرق الأقصى، الصين واليابان، هي هدف الاستشراق، لذلك فان من المعاني الشائعة لكلمة (orientaliste) هي الإنسان الصيني والياباني.<sup>2</sup>

فأوسع حدود للاستشراق عند الغربيين، هي التي تشمل كل دول الشرق وآسيا والشرق الأوسط والمشرق الأقصى والمشرق الأدنى، وهي التي تقع في شرق أوروبا والبحر الأبيض المتوسط سواء كانت دول إسلامية أو غير إسلامية<sup>3</sup>، وأحدث حدود جغرافية للاستشراق، هي حدود الاستشراق الجغرافي الديني؛ وذلك بدافع التبشير للمسيحية أو اليهودية، وأحيانا بدافع استعماري فأزالوا الحدود الجغرافية لعلم الأرض، وأحلوا محلها الحدود الجغرافية الدينية، وأصبحوا فقط يتطلعون للبلاد التي يقطنها المسلمون.<sup>4</sup>

يقول بارت: فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان، يعني العالم السلافي، العالم الواقع خلف الستار الحديدي، وهذه المنطقة يختص بها علماء بحوث شرق أوروبا، أما الشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا، من الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا، وذلك الاصطلاح يرجع

<sup>1</sup> الصادق حشاش ؛ مرجع سابق ؛ ص 39.

<sup>2</sup> محمد حسن زمني ؛ مرجع سابق ؛ ص 42.

<sup>3</sup> محمد حسن زمني ؛ مرجع سابق ؛ ص 42.

<sup>4</sup> المرجع السابق ؛ ص ص 42-43.



إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة التي كان فيها البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، فلما انتقل مركز الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال، بقي مصطلح الشرق برغم ذلك على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط<sup>1</sup>، وبالتالي فان بارت يعتمد في تحديده لمفهوم الشرق على الرقعة الجغرافية التي انتشر فيها الإسلام، بحيث أخرج جغرافيا دول شرق أوروبا، وأدخل فيه ما يُعد من الشمال والجنوب، وبذلك يكون مفهوم الشرق هو الإسلام<sup>2</sup>. وأما الطيب بن إبراهيم، فيرى أن الشرق سابق للاستشراق في الوجود، وأن الشرق الذي اهتم الغرب ببحثه ودراسته، والاتجاه للتخصص فيه، هو الواقع في شرق البحر المتوسط، وتحديدًا هو المنطقة الواقعة بين الصين شرقًا إلى موريطانيا غربًا، ومن العراق وتركيا شمالًا، إلى اندونيسيا جنوبًا، وأن المراد بالشرق في مفهوم الاستشراق هو الشرق الإسلامي، وكل ما يتعلق به من تراث، وموروث وثراء، وأصبح كل ما هو جغرافي يلحق بما هو إسلامي وتابع له، ومعنى ذلك أن الموقع الجغرافي غير الشرقي، إذا كان سكانه مسلمين يلحق بالشرق الجغرافي، ويصبح سكانه شرقيين، وبالتالي فان الموقع الجغرافي ليس ضابطًا في تحديد شرق الاستشراق، وإنما الإسلام كدين هو المتحكم في ذلك.<sup>3</sup>

## 2.1. نشأة الاستشراق

أسأل موضوع الاستشراق حبر الكثير من الباحثين والمهتمين لا سيما المختصين في مجال الدراسات الاستشراقية، إلا أن تحديد فترة زمنية معينة تؤرخ لبدايته لا زالت من الأمور الغامضة بالنسبة إليهم، ولذلك نجد أن هناك اجتهادات متنوعة ومتعددة لتحديد نقطة الانطلاقة لهاته الظاهرة.

يذهب البعض إلى أن البذور الأولى لنشأة الاستشراق كانت قبل الميلاد، وهو ما نلمسه في كتابات هيروdot اليوناني، الذي عاش في القرن الخامس ق م، وفي مؤلفه "التواريخ" عن ليبيا ومصر وغيرها، وما كتبه سترابون في القرن الواحد ق م. في مؤلف له عن مدن العرب وقبائلهم، ووصف أحوالهم

<sup>1</sup> عبد الكريم حمو ؛ الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر ؛ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي قسم اللغة العربية وآدابها ؛ جامعة وهران ؛ 2007 - 2008 ؛ ص ص 2-3.

<sup>2</sup> محمد ابراهيم الفيومي ؛ مرجع سابق ؛ ص 144.

<sup>3</sup> الطيب بن ابراهيم ؛ مرجع سابق ؛ ص ص 12-13.

الاقتصادية والاجتماعية، وما أورده المؤرخ الروماني ساليستيوس في مؤلفه "التاريخ"، دفاعا عن سياسة يوليوس قيصر، وعن توسعات الرومان في شمال إفريقيا، وكان ذلك في القرن الواحد ق.م. وقد اعتبر الباحث توفيق مزاري، أن هذا يعد إرهابا استشرافيا مبكرا، أغفله العديد من الباحثين،<sup>1</sup> كذلك حملة اسكندر المقدوني على الشرق والتي كانت عام 334 ق.م<sup>2</sup>، وهي كتابات غربية عن مجتمعات شرقية بالمفهوم الجغرافي، كانت تمجد التوسعات والهيمنة الاستعمارية القديمة.

يرى البعض الآخر أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام، ويعود إلى أول لقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران، أو عندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية، أو حتى في أثناء اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة<sup>3</sup>، بينما هناك من يرى بأن احتكاك المسلمين بالروم في غزوة مؤتة وغزوة تبوك، يعد من البدايات الأولى للاستشراق،<sup>4</sup> ويرى آخرون أن الانتشار السريع للإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، لفت أنظار رجال الدين المسيحي إلى دراسته والاهتمام به، ليس من أجل اعتناقه، وإنما بغرض حماية أتباعهم وأنصارهم في الدين، منهم العالم المسيحي يوحنا الدمشقي (676-749م)، ومن بين مؤلفاته (محاورة مع مسلم)، وكتاب (إرشادات النصارى في جدل المسلمين)، ولكن البعض يعتبر يوحنا الدمشقي شرقيا كونه من عاش في العصر الأموي، ولذلك يستبعدون أن تكون هذه المحاولات بداية للاستشراق<sup>5</sup>.

ومنهم من يرجعه إلى القرن 8م بعد دخول المسلمين إلى الأندلس، وبقائهم فيها على مدى سبعة قرون (92هـ-897هـ/711م-1492م)، فآثروا في سكانها الأصليين الذين سعوا الى تقليدهم، واهتموا بها عندهم من عادات وتقاليد، وعقيدة، ودين، ومعارف، وعلوم، فحرصوا على النهل منها<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> توفيق مزاري عبد الصمد ؛ بدايات الاستشراق قراءة في المنطلقات والمفهوم ؛ سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية، من 7 الى 10 ديسمبر 2014 ؛ الجزائر، 2015، ص ص . 24 - 25.

<sup>2</sup> المحسن بن علي بن صالح سويسي ؛ مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها تكوينها أهدافها ؛ رسالة لنيل درجة الدكتوراه ؛ جامعة الإمام سعود الإسلامية ؛ السعودية ؛ 1998 م ؛ ص ص . 2- 3.

<sup>3</sup> توفيق مزاري عبد الصمد ؛ مرجع سابق ؛ ص . 25.

<sup>4</sup> قاسم السامرائي ؛ مرجع سابق ؛ ص . 19 .

<sup>5</sup> محمود حمدي زقزوق ؛ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ؛ دار المعارف القاهرة ؛ د.ت.ن ؛ ص ص . 18- 19.

<sup>6</sup> عبد الحليم ريوقي ؛ مرجع سابق ؛ ص 81

خاصة طائفة الرهبان الذين قصدوا الأندلس في أوج ازدهارها، وتعلموا في مدارسها، وبعد عودتهم الى بلدانهم نشروا ثقافة العرب وعلومهم، من خلال ترجمتهم للقرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت، وبطرس المحترم، وجيرا ردي كريمون).<sup>1</sup>

هناك أيضا من يعود به إلى القرن العاشر ميلادي، بداية من الراهب الفرنسي (جربرد دي اوراليك 940-1003م)، الذي اتجه إلى الأندلس، وتعلم على يد أساتذتها في اشبيلية وقرطبة، حتى صار من أكثر علماء عصره اطلاعا على الثقافة العربية الإسلامية، وقد تقلد فيها بعد منصب البابوية في روما سنة 999م باسم سلفستر الثاني<sup>2</sup>، غير أن يوسف جبرا يصر على أن أول المستشرقين في فرنسا (غليوم بوستيل 1505-1581م) الذي كان جادا في تعلم اللغات الشرقية، كالعبرانية، والكلدانية، والسريانية، والعربية، والحبشية، وأسس عام 1539م أول كرسي للغة العربية في الكوليج دي فرانس في باريس،<sup>3</sup> وأن البداية الحقيقية للاستشراق كانت مع الحروب الصليبية (491هـ-1098م)،<sup>4</sup> بوصفها بداية الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية في فلسطين، وحجة هؤلاء، العداء السياسي الذي استحکم بين النصارى والمسلمين أيام نورالدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، ومن ثمة أيام أخيه العادل على اثر الهزائم التي ألحقها هؤلاء القادة بالصليبيين، الأمر الذي دفعهم إلى محاولة التعرف على المسلمين للانتقام منهم بشتى الطرق.<sup>5</sup>

يرجع رودي بارت بداية الاستشراق إلى القرن 12م، إذ فيه ترجم القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية عام 1134م، وفي القرن نفسه تم تأليف أول قاموس لاتيني عربي<sup>6</sup>، وفي هذا الصدد يذهب العديد من المؤرخين، إلى أن أول ترجمة للقرآن الكريم كانت بتوجيه من الراهب (بطرس المحترم 1092-1156م) رئيس دير كلوني، عن طريق تكليفه لراهب انجليزي بترجمة القرآن إلى اللاتينية، بغرض الطعن

<sup>1</sup> مصطفى السباعي؛ الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم؛ دار الوراق للنشر والتوزيع؛ د.ط؛ المكتب الاسلامي؛ د.س.ن؛ ص ص؛ 17-18.

<sup>2</sup> نجيب العقيقي؛ المستشرقون؛ دار المعارف؛ ط 3؛ مصر؛ 1964م؛ ج 1؛ ص 120.

<sup>3</sup> يحي مراد؛ مرجع سابق؛ ص 62-63.

<sup>4</sup> عبد الحليم ريوقي؛ مرجع سابق، ص 81.

<sup>5</sup> محمد عبد الله الشرقاوي؛ الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية؛ كلية دار العلوم؛ جامعة القاهرة؛ د.س.ن؛ ص 26.

<sup>6</sup> يحي مراد، مرجع سابق، ص 59.

فيه، وتزييف حقائقه، ومنذ ذلك الحين لم يتوقف الغربيون عن مثل هذه الأبحاث والدراسات في الإسلام والعربية، وترجمة علومها باسم البحث العلمي ونشر المعرفة.<sup>1</sup>

ويذكر قاسم السامرائي أن بطرس المحترم، كان قد كلف اليهودي المنتصر (بطرس بيدرو)، بترجمة القرآن إلى اللاتينية، بالرغم من أن هذه الترجمة كانت قد نسبت إلى (هرمان الألماني وروبرت أوف جستر) الراهبين اللذين قيل فيهما، أن المحترم أمرهما بتزك دراسة علم الفلك في الأندلس، والتفرغ لترجمة القرآن.<sup>2</sup>

وثمة من يرى بأن تاريخ الاستشراق الرسمي يعود إلى مطلع القرن 14م، بعد صدور قرار من مجمع فيينا الكنسي عام 1312م، يقضي بإنشاء عدد من كراسي الأستاذية لتدريس اللغات الشرقية، كالعربية، والعبرية، واليونانية، والسريانية،<sup>3</sup> في خمس جامعات أوروبية كبرى هي: باريس، أكسفورد، فينونا، بولونيا وسلامنكا<sup>4</sup>، ثم توسعت فيما بعد، لتشمل عددا من جامعات الغرب الأوروبية، ففي سنة 1587م بدأ تدريس اللغة العربية بصورة منتظمة في (College de France) في باريس، وفي سنة 1613م في جامعة ليدن بهولندا، وفي سنة 1632م بجامعة كمبردج، وفي سنة 1634م تأسس كرسي أستاذية للعربية والدراسات الإسلامية في أكسفورد<sup>5</sup>. وبحسب حمدي زقزوق فان هناك استشراقا غير رسمي قبل هذا التاريخ، فضلا على أن هناك باحثين أوروبيين لا يعتمدون التاريخ المشار إليه آنفا بداية للاستشراق<sup>6</sup>، وقسما آخر يرى أن نشوء الاستشراق كان لحاجة الدول الغربية في مواجهة الإسلام، والرد عليه أولا، ولمعرفة سر قوة المسلمين ثانيا، خاصة بعد سقوط القسطنطينية في سنة 1453م، ومن ثم

<sup>1</sup> توفيق مزارى عبد الصمد، مرجع سابق، ص 24.

<sup>2</sup> قاسم السامرائي، مرجع سابق، ص 22-23.

<sup>3</sup> الطيب بن براهيم، مرجع سابق، ص 30.

<sup>4</sup> عبد الحليم ريوقي، مرجع سابق، ص 82.

<sup>5</sup> محمد عبد الله الشرفاوي، مرجع سابق، ص 31.

<sup>6</sup> محمود حمدي زقزوق؛ مرجع سابق؛ ص 18.

وصول الأتراك العثمانيين إلى أسوار فيينا، وبالتالي فإن الإسلام وقف حاجزا أمام انتشار النصرانية،<sup>1</sup> وقد أرجع انطلاقته آخرون إلى ما بعد الإصلاح الديني الذي قام به ( مارثر لوثر) منذ القرن 15م.<sup>2</sup>

وهناك رأي يعتبر بأن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، هي البداية الحقيقية للاستشراق لأن هذه الحملة دخلت مصر ومعها عدد كبير من المستشرقين الذين قاموا بعمل دراسات مختلفة نُشرت في كتاب "وصف مصر"<sup>3</sup>، والهدف من ذلك معروف سلفا وهو تقديم ما يمكن معرفته عن مصر لاستغلاله في الحملة. وتذهب طائفة أخرى إلى القول بأن الاستشراق بدأ رسميا منذ القرن 18م ذلك لأن مفهوم مستشرق (Orientaliste) لم يظهر في أوروبا إلا في سنة 1779م، وبالضبط في إنجلترا وفرنسا عام 1799م، بيد أن مفهوم الاستشراق (Orientalismes) أُدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م<sup>4</sup>، غير أنه حسب وجهة نظري، فإن ظهور المصطلح لا يؤرخ لبداية الاستشراق، لأن ذلك يُعدُّ تحصيلًا حاصلًا، وأن الاستشراق بدأ قبل ذلك بكثير.

ويعتقد البعض الآخر أن القرن 19م و20م عصر الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية، على اعتبار انه في شهر مارس 1795م أسست فرنسا مدرسة اللغات الشرقية الحية، التي عرفت أوج ازدهارها على يد المستشرق الفرنسي (سلفستر دي ساسي)، وفي منتصف القرن 19م قام المستشرقون بإنشاء جمعيات، ومجلات للدراسات الاستشراقية في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا، كما شهد هذا القرن عقد المؤتمرات الدولية الاستشراقية، كان أولها المنعقد بباريس سنة 1873م<sup>5</sup>، غير أن ما يجب التنبيه إليه هو أن الاستشراق في بداياته الأولى لم يكن استشراق رسميا أو منظما بوسائل ومؤسسات، وإنما ظهر بشكل انفرادي وتدرجي على يد أفراد أوروبيين، كانوا في اغلبهم رهبانا، وباباوات، كما هو حال الراهب الفرنسي (جربردي أوڤاليك أو بطرس المبعجل)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> قاسم السامرائي ؛ مرجع سابق ؛ ص 23.

<sup>2</sup> المحسن بن علي صالح السويسي ؛ مرجع سابق ؛ ص 3.

<sup>3</sup> عبد المتعال محمد الجبري ؛ الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ؛ مكتبة وهبة ؛ القاهرة ؛ 1995م ؛ ص 182.

<sup>4</sup> محمود حمدي زقزوق ؛ مرجع سابق ؛ ص 20.

<sup>5</sup> صالح بوسليم ؛ مرجع سابق ؛ ص 236.

<sup>6</sup> الطيب بن ابراهيم ؛ مرجع سابق ؛ ص 29.

في الأخير يمكن القول :

أنني لا استطيع تأييد إحدى هذه النظريات، أو تفنيد ودحض بعضها، لكن مايجب أن اشير إليه هو أن الظاهرة أو الحادثة التاريخية، لا يمكن تفسيرها بسبب او عامل واحد، وإنما بمجموعة من العوامل، ولذلك فان الآراء السابقة جدية بالقبول، وكلها تُعد من قبيل الارهاص لنشأة الاستشراق، غير ان التساؤل الذي يتبادر إلى ذهن أي باحث في هذا الموضوع، هو سبب تعدد الآراء في تحديد مفهوم الاستشراق ونشأته؟ مع العلم أن الجواب قد وجدته عند اطلاعي على مختلف كتابات المؤرخين حول هذا الموضوع، الا وهو أن الدارسين لهذه الظاهرة دائما يحاولون ربطها، أو توجيهها الوجهة التي تتوافق ورأيهم، ويجتهدون في خلق المبررات لها وإثباتها .

### 3.1. دوافعه ووسائله

دوافع الاستشراق :

الاستشراق كتيار فكري يهتم بالدراسات المختلفة عن الشرق، وفي البحث عن علومه، وعقائده، وآدابه وحضارته، وأديانه ولغاته، له نوايا ودوافع مختلفة، إما دينية أو استعمارية أو علمية، وفي هذا الصدد يقول احد المهتمين بالدراسات الاستشراقية: يظهر واضحا أن الاستشراق أظهر منذ البداية خلطا عجيبا من الدوافع التنصيرية الدينية، والسياسية، والفكرية، والاهتمام العلمي المحض، ومع هذا فان الاستشراق لم يستطع أن يتخلى عن هذا الخلط العجيب المتناقض حتى يومنا هذا، مع اصرار الاستشراق اليوم على اتخاذه الموضوعية دليلا في دراسته عن الإسلام، أو الإنتاج الفكري عند المسلمين<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن عراج؛ مرجع سابق؛ ص 48.

## الدافع الديني:

يتفق الكثير من الباحثين الذين اهتموا بدراسة أهداف ودوافع الاستشراق، بأن الدافع الديني كان السبب الرئيسي في نشأته، بحجة أن جل المستشرقين كانوا من القساوسة، الرهبان، والباباوات،<sup>1</sup> والذين سعوا الى نشر الخرافات، والاباطيل، والافتراءات عن الاسلام ونبيه، من ذلك نجد كتابات (يوحنا الدمشقي 675-749م) الذي يُعدّ اللاهوتي المسيحي الاول الذي اعتبر بأن الاسلام هرطقة، وديانة زائفة<sup>2</sup>، و(بطرس المجل) رئيس ديركلوني، الذي رأى بأنه لا يمكن تدمير الاسلام والقضاء عليه، الا من خلال دراسته، واستخراج أخطائه، فقام باصدار أول ترجمة لاتينية للقران الكريم سنة 1143م /537هـ<sup>3</sup>، هذا عدا عن الحكايات الخيالية التي اخترعها الكتاب، مثل أنشودة رولاند، وغيرها من الآثار التي تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام، وأنهم يعبدون آلهة ثلاثة مثل، تيرفاجان، ومحمد ابو للو،<sup>4</sup> وكل هذا بهدف حماية أتباعهم من الدخول في الإسلام، وإقناعهم بأنه دين لا يستحق الانتشار<sup>5</sup> والزعم بأنه يستلهم أفكاره من اليهودية والنصرانية، ومحاولة تنصير المسلمين.<sup>6</sup>

ضف إلى ذلك أن العلاقة بين الشرق والغرب كانت قائمة على صراع ديني بدا جليا أثناء الحروب الصليبية، التي امتدت على مدى قرنين من الزمان،<sup>7</sup> والتي منيت بالفشل الذريع، وهو ما دفع ببعض الباحثين الكنسيين ومنهم روبر بيكون إلى القول: بأن الكنيسة يجب أن تبذل جهدا كبيرا لكي تحول المسلمين بشكل سلمي الى النصرانية، ولكي يتحقق ذلك لابد من دراسة القرآن واللغة العربية.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> محمد حسن زمني ؛ مرجع سابق ؛ ص 153.

<sup>2</sup> محمد عبدا لله الشوقاي ؛ مرجع سابق ؛ ص 37.

<sup>3</sup> عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي ؛ حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية ؛ الرياض المملكة السعودية، 2013، ص ص 18،20.

<sup>4</sup> محمود حمدي زقروق ؛ مرجع سابق ؛ ص 22.

<sup>5</sup> عبد الرحمان حينكة الميداني، مرجع سابق ؛ ص 48.

<sup>5</sup> محمد حسن زمني ؛ مرجع سابق ؛ ص 153.

<sup>6</sup> سعد آل حميد ؛ اهداف الاستشراق ووسائله ؛ قسم الثقافة الإسلامية ؛ جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.س.ن ؛ ص 5.

<sup>7</sup> علي بن إبراهيم الحمد النملة، مرجع سابق ؛ ص 15.

<sup>8</sup> عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي ؛ مرجع سابق ؛ ص ص 19-20.

وقد شارك بيكون (1214-1294م) في أفكاره ريموند لول (1235-1316م) الذي كانت له جهود ومساعي كبيرة، كان نتاجها تأسيس كراسي لتدريس اللغة العربية في أماكن متعددة في أوروبا، وذلك بموجب قرار مجمع فيينا الكنسي سنة 1312م، وكان الهدف من كل هذه الجهود هو التبشير للمسيحية .

وقد اعترف رودى بارت نفسه بماهية الاستشراق التبشيري بقوله: **كان الهدف من هذه الجهود الاستشراقية في ذلك العصر وفي القرون الثانية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي**.<sup>1</sup>

وإذا ما نظرنا الى المجالات الاستشراقية المتخصصة، نجد أن أبرز محرريها من المبشرين، كمجلة العالم الإسلامي التي تأسست سنة 1911م، برئاسة صموئيل زويمر، الذي يعد رئيس المبشرين في الشرق الأوسط.<sup>2</sup>

في الأخير وحسب ما تم ذكره سالفا يمكن القول، بأن التنصير كان الدافع الحقيقي للاستشراق في البداية نظرا للحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين، خاصة بعد فشل الحروب الصليبية، التي دفعت ببعض أفراد الكنيسة كالرهبان والباباوات إلى دراسة علوم المسلمين لاسيما القرآن الكريم، لمعرفة سر قوتهم ومن ثمة التغلب عليهم، ولذلك يُقال بأن الاستشراق وُلد في أحضان الكنيسة، ثم أصبحت له دوافع أخرى مع ظهور الحركة الاستعمارية في النصف الثاني من القرن 18م منها الدافع الاستعماري والسياسي وحتى الاقتصادي والعلمي .

### الدافع السياسي والاستعماري :

لقد تمكن الاستعمار الغربي بعد إفادته من التراث الاستشراقي من إحكام سيطرته على العالم العربي والإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى كان له دور كبير في تعزيز موقف الاستشراق .

<sup>1</sup> محمد عبد الله الشرفاوي ؛ مرجع سابق ؛ ص ص 35،41.

<sup>2</sup> عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، دار طيبة، الرياض المملكة السعودية ، د.س.ن ج 1 ؛ ص



والذي تزامنت مرحلة التقدم الضخم في مؤسساته، وأعماله مع مرحلة التوسع الأوروبي،<sup>1</sup> حيث لم تأت نهاية القرن 19م حتى كانت كل أقطار العالم الإسلامي تقريبا خاضعة للنفوذ الاستعماري، ففي عام 1830م تم استيلاء فرنسا على الجزائر، ثم تونس في عام 1881م، وفي عام 1857م، تم استيلاء إنجلترا سياسيا على الهند، ثم مصر سنة 1882م، هذا الانتشار الواسع للنفوذ الأوروبي كان لا بد له من دليل يهديه ويرشده للوصول إلى هاته البلدان من خلال معرفة سكانها، وبيئتها الطبيعية، وعقيدتها الدينية، ومن هنا نشأت رابطة رسمية وثيقة بين مؤسستي الاستشراق والاستعمار، الذي استطاع تجنيد وتسخير طائفة من المستشرقين، تحقق أغراضه وتعمل لصالحه.<sup>2</sup>

وفي هذا الصدد صرح وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور قائلا: ان المستشرقين والمبشرين، هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة، وعضدها في كثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات.<sup>3</sup>

ومن بين الأدلة والشواهد العديدة على ارتباط الاستعمار بالاستشراق نذكر:

المستشرق الفرنسي فولني، والذي استعان بأفكاره وآرائه نابليون بونابرت في حملته على مصر سنة 1798م، معتمدا في ذلك على كتابه "حضارات في الحرب الراهنة على الأتراك عام 1788م"، الذي صرح فيه بأهمية منطقة الشرق الأدنى، والتي يمكن أن تكون مرتعا خصبا، لتحقيق طموحات وأهداف السياسة الاستعمارية الفرنسية.<sup>4</sup>

المستشرق كارل هينريش بيكر 1933م، مؤسس مجلة الإسلام الألمانية، والذي قام بدراسات وأبحاث تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في إفريقيا. المستشرق الهولوندي كريستيان سنوك هور خرونين، عالم الإسلاميات، فانه ولأجل خدمة الأغراض الاستعمارية الهولندية، سافر إلى مكة المكرمة سنة 1880م

<sup>1</sup> محمد عبد الله الشرقاوي ؛ مرجع سابق ؛ ص 67.

<sup>2</sup> محمود حمدي زقزوق ؛ مرجع سابق ؛ ص 47.

<sup>3</sup> محمد جعيجع ؛ دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر ؛ جامعة الأمير عبد القادر ؛ قسنطينة ؛ ص 16.

<sup>4</sup> عبد القادر بخوش ؛ توظيف الاستشراق في خدمة الاستعمار ؛ مجلة المعيار ؛ تصدرها كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية ؛

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ؛ ع 10 ؛ الجزائر، 2005 ؛ ص 4.

باسم إسلامي مستعار، وهو " عبد الغفار"، ومكث هناك قرابة 6 أشهر، وما ساعده على ذلك أنه كان يتقن العربية جيدا، وقد لعب هذا المستشرق دورا أساسيا في وضع أسس وركائز السياسة الاستعمارية الهولندية في الهند الشرقية، وتقلد منصب مستشار للحكومة الهولندية في اندونيسيا.<sup>1</sup>

أما المستشرق الروسي بارتولد، مؤسس مجلة عالم الإسلام الروسية، فقد كلفته الحكومة الروسية بمهمة إنجاز بحوث، ودراسات عن الإسلام والمسلمين، والتي تخدم مصالحها في آسيا الوسطى.<sup>2</sup>

و في الأخير يمكن القول: أن الاستشراق أدى دورا كبيرا في التهيئة والتمهيد لاستعمار العالم الإسلامي، بحيث أنه كان المرشد والدليل الموجه له، وكانت جُل دراساته تستعمل في كيفية إضفاء طابع الشرعية، وإيجاد المبررات المقنعة لاحتلال أقطار العالم الإسلامي، وفي هذا السياق يقول "زكاري لكمان": "الاستشراق كمشروع فكري كان مرتبطا بطرق مهمة بالاستعمار الأوروبي المعاصر، وان نوع المعرفة التي كان الاستشراق، كفرع بحثي يميل لإنتاجها، فقد استعملت كثيرا لإضفاء الشرعية على ممارسة السلطة الأوروبية على العالم الإسلامي وتدعيمها".<sup>3</sup>

### الدافع العلمي:

يمكن تقسيم الدافع العلمي للاستشراق إلى اتجاهين :

الأول: دافع علمي يراد به البحث في علوم الشرق الإسلامي، ودراساتها بمختلف تخصصاتها، ونقلها إلى البلدان الغربية ؛ كي تستفيد منها وتحقق نهضتها الحضارية والفكرية، التي سبقهم إليها المسلمون، لاسيما عندما فتحوا الأندلس، فهم أدركوا أنهم لن يستطيعوا التفوق على المسلمين، والتغلب عليهم، الا عن طريق دراسة علومهم، وتعلم لغتهم، والتلمذ على يد علمائهم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عمر بن إبراهيم رضوان ؛ مرجع سابق ؛ ص 35.

<sup>2</sup> محمد عبد الله الشراقوي ؛ مرجع سابق ؛ ص 71.

<sup>3</sup> زكاري لكمان ؛ تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط ؛ دار الشروق القاهرة ؛ مصر ؛ 2007 ؛ ص 159.

<sup>4</sup> إسماعيل علي محمد ؛ الاستشراق بين الحقيقة والتضليل - مدخل علمي لدراسة الاستشراق - ؛ الكلمة للنشر والتوزيع ؛ د.ب.ن ؛ د.ت.ن؛

ولهذا فإننا نلاحظ في بدايات الاستشراق اهتماما واضحا من طرف المستشرقين، ومن نماذج المؤلفات التي نشروها نذكر: صورة الأرض لمحمد بن جابر البتاني، نشره "لولوفيل"، كشف الممالك والأوزان في الإسلام، نشره "دي ساسي"، كشف المسالك والممالك لعبد الله القرطبي، نشره "دوسلان" سنة 1879، البيان لابن عذارى نشره "ليفي بروفنسال"، طبقة الأطباء لابن أصيبعة ترجمة د. لكر.<sup>1</sup>

**الثاني:** دافع علمي محض، الغرض منه حب الاطلاع على حضارات الأمم، وثقافتها، ولغاتها، وأديانها، فجاءت بحوث هؤلاء أقرب الى الموضوعية والصواب نوعا ما، وان لم تسلم من الأخطاء في بعض الأحيان، ومن الأمثلة على هذه الفئة من المستشرقين، الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) صاحب كتب "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة"، والذي أكد فيه مطابقة القرآن لأحداث الحقائق العلمية التي اكتشفها العلماء بوسائلهم، ومنهم كذلك المستشرق المجري (عبد الكريم جرمانوس 1885-1979م)، الذي أشهر إسلامه في الهند سنة 1930، وألف أكثر من 150 كتابا عن الإسلام،<sup>2</sup> والمستشرق (طوماس ارنولد) الذي أنصف المسلمين في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" وبرهن على مدى تسامحهم مع مخالفيهم في الدين،<sup>3</sup> والمستشرق (ليو بولد قايس) الذي أنجز عدة بحوث حول الإسلام، قاده إلى اعتناقه، وتغيير اسمه إلى "محمد أسد"، ومن مؤلفاته: "الإسلام على مفترق الطرق"<sup>4</sup>

غير أن ما تجدر الإشارة إليه، أن الدافع العلمي المحض، هو دافع محدود، ولا يكاد يشغل حيزا في الدراسات والبحوث الاستشراقية، نظرا إلى ان أتباعه يدفعون ثمنا إما معنويا بتعرضهم للتهميش، أو ماديا من منع مؤلفاتهم من الصدور<sup>5</sup>، بالمقابل نجد أن التوجه العام للاستشراق كان مغرضا، وأن معظم دراساته لم تكن بريئة، وغالبا ما كانت تنساق وراء تحقيق أهداف تبشيرية واستعمارية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عبد المتعال الجبري؛ مرجع سابق؛ ص ص 21، 17.

<sup>2</sup> عبد الرحمان حينكة الميداني، مرجع سابق، ص ص . 131 - 134.

<sup>3</sup> عبد الرحمان عميرة . مرجع سابق، ص ص . 98 - 99.

<sup>4</sup> محمد حسن زمامي، مرجع سابق، ص . 247.

<sup>5</sup> اسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص ص . 52 - 53.

<sup>6</sup> محمد حسن زمامي، مرجع سابق، ص . 230.

## الدافع الاقتصادي :

يعتبر هذا الهدف من الدوافع التي كان لها دور كبير في تنشيط حركة الاستشراق لأنه عندما بدأت النهضة العلمية والثورة الصناعية في أوروبا، ظهرت الحاجة إلى المواد الأولية لصناعاتهم، والأسواق التجارية لتصدير منتجاتهم، ولهذا كانت الضرورة تقتضي التعرف على تلك البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية، ودراسة جغرافيتها وإمكانياتها الزراعية والصناعية، فالتجته الأنظار إلى البلدان الشرقية عامة، وإلى العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة؛ لاستغلال خيراتها ونهب ثرواتها، خاصة بعد السيطرة الاستعمارية على هاته البلدان.<sup>1</sup>

## وسائل الاستشراق:

اعتمد المستشرقون لتحقيق أغراضهم على جملة من الوسائل نذكر منها :

**إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات:** من الأمور التي اهتم بها المستشرقون لنشر أفكارهم، وبلوغ أهدافهم، إنشاء الجمعيات الاستشراقية، وإصدار المجلات والدوريات منها: جمعية المستشرقين التي أنشأها الفرنسيون سنة 1787م؛ لنشر المخطوطات الشرقية، مثل مروج الذهب للمسعودي، ورحلة ابن بطوطة وجغرافية الإدريسي،<sup>2</sup> وألحقوها سنة 1820م بالجمعية الآسيوية الفرنسية، وأصدرت هاتان الجمعيتان المجلة الآسيوية،<sup>3</sup> وفي عام 1895م ظهرت في باريس مجلة الإسلام، والتي خلفتها في سنة 1906م مجلة العالم الإسلامي، التي تصدر عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، ثم تغير اسمها إلى مجلة الدراسات الإسلامية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> صلاح الدين حسين خضير، " الاستشراق وشبهة الدافع الاقتصادي للأراضي المفتوحة نقد وتحليل "، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية،

مج 3، ع 10، د.ب.ن، 2011م، ص . 401.

<sup>2</sup> عبد العالي محمدم الجبري، مرجع سابق، ص . 49.

<sup>3</sup> مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص . 34.

<sup>4</sup> محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 43.

وفي إنجلترا تأسست جمعية الدراسات الشرقية سنة 1823، والتي صدرت عنها مجلة الجمعية الآسيوية الملكية<sup>1</sup>، كذلك من المجلات التي كانت تصدر في بريطانيا مجلة العالم الإسلامي عام 1911 برئاسة صموئيل زويمر، وفي ألمانيا أنشئت جمعية الدراسات الشرقية عام 1845، كما أصدرت مجلة الإسلام الألمانية سنة 1910، وفي لندن اعتبرت مجلة جمعية بحوث الاستشراق التي تأسست في مطلع القرن 19م، من أهم مجلات الاستشراق في الغرب،<sup>2</sup> وللاشارة فان المستشرق (هامر برجشتال) كان قد اصدر أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا، صدرت في فيينا من عام 1809 إلى عام 1818، عُرِفَت بمجلة ينابيع الشرق، وفي بطرسبورغ بروسيا ظهرت مجلة العالم الإسلام عام 1912، ولكنها لم تدم طويلا.<sup>3</sup>

وفي عام 1842م أنشأت أمريكا جمعية ومجلة عرفت باسم الجمعية الشرقية الأمريكية، ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر مجلة جمعية الدراسات الشرقية، التي كانت تصدر في مدينة جامبير (Gambier)، وكذلك مجلة الشرق الأوسط، ومجلة شؤون الشرق الأوسط، وهي ذات طابع سياسي<sup>4</sup>. وفي الهند أنشأت الجمعية الآسيوية في بتافيا، عاصمة جاوى عام 1781، ثم الجمعية الآسيوية البنغالية، التي أنشأت في كلكتا عام 1784 من طرف السير (وليام جونسي)، وكان جل أعضائها من الانجليز، وقد نشرت هذه الجمعية أبحاثها بين عامين (1788-1836م) في عشرين مجلدا.<sup>5</sup>

**تأليف الكتب وإصدار الموسوعات:** كان للمستشرقين نشاط كبير في تأليف الكتب، والبحوث في شتى المواضيع، سواء عن الإسلام والسيرة النبوية، او عن التاريخ والأدب، وقد كانت هذه الكتابات تتسم بالعلمية أحيانا، وبالتعصب والذاتية في أحيان كثيرة،<sup>6</sup> وقد قُدر عدد ما ألفوه عن الشرق منذ

<sup>1</sup> عمر بن إبراهيم رضوان، مرجع سابق، ص . 54.

<sup>2</sup> محمد حسن زمامي، مرجع سابق، ص ص . 320.338.

<sup>3</sup> محمود حمدي زقزوق، ملرجع سابق، ص . 43.

<sup>4</sup> مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص ص . 37-38.

<sup>5</sup> عبد المتعال محمد الجبري، مرجع سابق، ص . 49.

<sup>6</sup> محمد قدور تاج، مرجع سابق، ص . 44.

مطلع القرن 19م حتى منتصف القرن 20م، حوالي 60,000 كتاب، ومن هاته المؤلفات نذكر: تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني (كارل بروكلمان 1956م)، وقام بنقله إلى العربية عبد الحليم النجار،<sup>1</sup> ومذاهب التفسير الإسلامي لمؤلفه (جولدتسيهر)،<sup>2</sup> إلى جانب جهودهم الحثيثة في إصدار المعاجم، والموسوعات الضخمة، وكان أول قاموس أنجز هو قاموس لاتيني عربي في القرن 12م<sup>3</sup> كذلك المعجم اللاتيني العربي الذي ألفه (جورج فيلهلم فرايتاج 1861م)، ومعجم اللغة العربية القديم لمؤلفه (اوجست فيشر 1949م)،<sup>4</sup> ومعجم (فينشك الروسي 1902-1939م)، والذي استغرق إعداده 15 سنة، وتوفي ولم يكمله،<sup>5</sup> والمعجم المفهرس للقرآن الكريم الذي وضعه (فلوجل الألماني)،<sup>6</sup> وأما بالنسبة للموسوعات، فقد ألف المستشرقون موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، والتي تسمى بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية، أو الأدبية، أو الثقافية، والتي صدرت بين 1913-1938م في طبعاتها الأولى بثلاث لغات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية،<sup>7</sup> وقد اعتبرها البعض أخطر ما قام به المستشرقون، لأنها ملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به<sup>8</sup>

**تحقيق الكتب ووضع الفهارس:** قام المستشرقون بتحقيق الكثير من كتب التراث والمخطوطات وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والإعلام في آخر الكتب، ومن أمثلة ذلك ما قام به ارنست كوهن في عام 1920م بوضعه فهرسا للكتب الإسلامية في أربعة مجلدات، كذلك فهرسة مؤلفات الإمام الغزالي، الذي أنجزه الألماني نولدكه في سنة 1820م.<sup>9</sup>

<sup>1</sup> محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ص 67-69.

<sup>2</sup> عمر بن ابراهيم رضوان، مرجع سابق، ص 98.

<sup>3</sup> محمد قدور تاج، مرجع سابق، ص 44.

<sup>4</sup> محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 72.

<sup>5</sup> عمر بن ابراهيم رضوان، مرجع سابق، ص 52.

<sup>6</sup> محمد حسن زمني، مرجع سابق، ص 326.

<sup>7</sup> محمد قدور تاج، مرجع سابق، ص 44.

<sup>8</sup> مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 36.

<sup>9</sup> محمد حسن زمني، مرجع سابق، ص 331.

إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات: وكان ذلك سواء في الدول الغربية أو الشرقية، فبالنسبة للغرب أنشأ البابا سلفستر الثاني مدرستين لتدريس اللغة العربية والحضارات الشرقية، وكانتا في روما، وراميس، ومدرسة ثالثة هي مدرسة شارتر، وقد كان غرضها تبشيرية، ومدرسة أكسفورد في إنجلترا، ومدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس سنة 1795، أما في البلاد العربية فنجد: مدارس دي لي سال، وتراسانتا في الأردن، ومدرسة سان فنستا دي بول في القاهرة، ومدرسة الأرض المقدسة في حلب وغيرها كثير.<sup>1</sup>

تشديد المعاهد: كمعهد الدراسات الشرقية في لندن سنة 1917، ومعهد بريل في مدينة ليون بهولندا، أما في المنطقة العربية نجد معهد جوته الألماني في القاهرة، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، دمشق، طهران، تونس.<sup>2</sup>

انشاء الجامعات: كالجامعة الأمريكية في بيروت ومصر وتركيا،<sup>3</sup> والجامعة الفرنسية في لاهور، وجامعة القديس بولس في لبنان (الجامعة اليسوعية)،<sup>4</sup> هذا إضافة إلى كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الغربية، ككرسي الدراسات الشرقية بجامعة سانت اندريز سنة 1968، وكرسي الدراسات بجامعة كمبريدج.<sup>5</sup>

عقد المؤتمرات الاستشراقية: لقد اتخذ المستشرقون من المؤتمرات الاستشراقية أداة لعرض أفكارهم، ونشر آرائهم، ووضع الاستراتيجيات اللازمة لتنفيذ خططهم، ومن جهة أخرى لزيادة فرص التنسيق بينهم،<sup>6</sup> حتى لا تبدد جهودهم في أعمال مكررة، وقد بدأت هذه المؤتمرات في باريس عام 1873،<sup>7</sup> وعُدَّ قد أكثر من 30 مؤتمر حتى عام 1980، ولا تزال هذه المؤتمرات تعقد بشكل منتظم حتى الآن.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> عمر بن ابراهيم الرضوان، مرجع سابق، ص ص 57-58.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 58.

<sup>3</sup> عبد الرحمان حينكة الميداني، مرجع سابق، ص 135.

<sup>4</sup> محمد حسن زمني، مرجع سابق، ص 363.

<sup>5</sup> عمر بن ابراهيم الرضوان، مرجع سابق، ص 59.

<sup>6</sup> سعد آل حميد، مرجع سابق، ص 14.

<sup>7</sup> محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 44.

<sup>8</sup> محمد حسن زمني، مرجع سابق، ص 347.

حركة الترجمة: لم يكتفي المستشرقون بالتأليف، والتحقيق، والنشر، ووضع الفهارس، بل تعدوا إلى ترجمة العديد من الكتب، والمخطوطات العربية والإسلامية إلى لغاتهم المختلفة،<sup>1</sup> من ذلك نجد أول ترجمة للقرآن الكريم كانت عام 1143 م / 538 هـ (لبطرس المحترم).<sup>2</sup>

الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم العربي: كاشتراك المستشرق الألماني (جوزيف شاخت) 1906-1969 في المجمع العلمي العربي في دمشق، والمستشرق الهولندي (فستك 1881-1939)، الذي أصبح أحد أعضاء المجمع اللغوي المصري، كذلك المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون وغير هؤلاء كثير<sup>3</sup>، حيث يعتقدون أن التمثيل في هذه المجامع العلمية وسيلة لتحقيق أغراضهم، سواء الاستعمارية أو التبشيرية، تحت غطاء البحث العلمي.<sup>4</sup>

وعلى الرغم من كل ذلك لا بد أن نعترف بأن المستشرقين بذلوا جهودا مضيئة في دراسة الدين الإسلامي، واللغة العربية، ومختلف الحضارات الشرقية، حيث أن الاستشراق أفاد الثقافة العربية فوائدها عديدة، نذكر منها: نشر الثقافة العربية في أوروبا، وترجمة كثير من كتب التراث العربي إلى اللغات الأخرى، وكذا تصحيح فكرة الشعوب الأوروبية عن العرب والإسلام، وكذلك نشر كثير من كتب التراث نشرًا علميًا، أضف إلى ذلك كتابة العديد من المؤلفات النفيسة عن الحضارة العربية والإسلامية، ويمكن الاستفادة من بعض العلماء المستشرقين في كثير من الميادين الثقافية في البلاد العربية.<sup>5</sup>

غير أنه من جهة أخرى لا يمكننا إغفال دور الاستشراق والمستشرقين في تمهيد الطريق سواء لاستعمار البلدان العربية والإسلامية، أو لتنصيرها من خلال دراساتهم المتعددة.

<sup>1</sup> صالح بوسليم، مرجع سابق، ص. 241.

<sup>2</sup> المحسن بن علي صالح السويسي، مرجع سابق، ص. 14.

<sup>3</sup> عمر بن ابراهيم رضوان، مرجع سابق، ص. 61.

<sup>4</sup> سعد آل حميد، مرجع سابق، ص. 14.

<sup>5</sup> صالح بوسليم، مرجع سابق، ص. 242.



## المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق الفرنسي ونشأته

### 1.1. بداياته وأهم أعماله

بدأ الاحتكاك العربي الإسلامي بفرنسا في النصف الأول من القرن 8م، عندما بدأ النشاط العربي العسكري بالتوغل في أوروبا انطلاقاً من الأندلس، وكانت أبرز مظاهر الاحتكاك، معركة بلاط الشهداء 732، والتي كانت حداً فاصلاً للتقدم شمالاً نحو أوروبا<sup>1</sup>، وقد دشن أحد تلك اللقاءات، أولى النتائج الاستشراقية الفرنسية، والمتمثلة في أنشودة "رولاند"، والتي تحكي قصة إبادة مؤخرة الجيش الفرنسي الذي يقوده رولاند ابن أخ الامبراطور "شارلومان" على أيدي المسلمين في معركة "رونسيفو" عام 778، وقد دار موضوع الملحمة الشعرية حول صراع البطل المسيحي مع الأعداء.<sup>2</sup>

ثم تحولت الصدامات الى صلات ودية وتبادل هدايا في عهد الخليفة هارون الرشيد في زمن الخلافة العباسية بينه وبين الإمبراطور شارلومان، كما لعبت المراكز العلمية التي أنشأها المسلمون في الأندلس دوراً فعالاً في اجتذاب العلماء، ورجال الدين، كان في مقدمتهم الفرنسي جريدي اوراليك.<sup>3</sup>

وبأمر من البابا سلفستر الثاني أنشئت مدرستان لتعليم اللغة العربية، الأولى في روما مقر البابوية والثانية في راميس بفرنسا، ولذلك تعد المدرسة الفرنسية الرائدة في مجال الاستشراق.

و ظل الفرنسيون يغترفون من الثقافة الإسلامية المكتوبة للغة العربية لينتفعوا بما كان عند العرب، فنقلوا من تراث الأمم إلى لغتهم، وبمرور الزمن ازدادت ترجمة ونقل الكتب العربية في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة إلى اللغة اللاتينية،<sup>4</sup> أما الاهتمام الكبير لفرنسا بالعالم العربي والإسلامي وبعلمه،

<sup>1</sup> سلمى حسين علوان الموسوي، "التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي حتى القرن العشرين"، مجلة كلية الجامعة الإسلامية، كلية الآداب النجف الاشرف العراق، د.ط، د.س.ش، ص. 92.

<sup>2</sup> احمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، دراسات ادبية، 1979م، ص. 7.

<sup>3</sup> جواد كاظم نصر الله وكريم الكعبي، "الاستشراق الفرنسي والبعثات اليسوعية، لقاء الاستشراق والتبشير"، مجلة دراسات استشراقية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ع4، العراق، 2015، ص. 97.

<sup>4</sup> سلمى حسين علوان الموسوي، مرجع سابق، ص. 194.

فكان في مرحلة الحروب الصليبية les croisades، ولا ننسى الدور الفعال الذي لعبته فرنسا في هذه الحروب، والتي كانت تنطلق من مدينة كليرمون (Clermont) بفرنسا سنة 1095م.<sup>1</sup>

يقول السباعي أنه لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان كذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية الى لغاتهم، وتعلموا على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات،<sup>2</sup> ويتفق المؤرخون على أن ظاهرة الاستشراق الحقيقية بدأت علي أيديهم، ومن أوائل الرهبان الذين قاموا بهذه المهمة، هو الراهب الفرنسي جرير اوراليك والذي عين بابا لكنيسة روما سنة 999م، وبطرس المحترم (1092-1156)، وجيراردي كريمون (1114-1187)، وبعد عودتهم الى بلادهم قاموا بنشر ثقافة العرب ومؤلفاتهم وأشهر علمائهم<sup>3</sup>. هؤلاء الرهبان الثلاثة تعدهم كتب التاريخ أوائل مفكري أوروبا الذين مارسوا ظاهرة الاستشراق، وعليه فان الفكر الاستشراقي في بداية نشوئه قام على أكتاف رجال الدين النصارى، وفي رعاية الكنيسة.<sup>4</sup>

يذكر المستشرق "يوهان فوك": « أن بداية الاستشراق الفرنسي تعود إلى مؤتمر فينا سنة 1311م، والذي عمد فيه البابا لويس في نهاية عمره الى اقرار قانون يقضي على الجامعات الأوروبية الخمس: باريس، أكسفورد، بولونيا، وجامعة الإدارة المركزية للبابا، بأن يضطلع الأساتذة فيها تعليم الطلاب اللغات الشرقية: اللغة العربية، العبرية، اليونانية والكلدانية وغيرها ».<sup>5</sup>

أما الاستشراق الفرنسي ببعديه السياسي والاستعماري فيعود إلى عهد الملك فرنسوا الأول 1494-1547م، الذي يعد أول سياسي يفكر في أهمية تعليم اللغات الشرقية وخاصة العربية منها، اذ تمكنت دولته من الحصول على امتيازات سياسية ودينية في بعض مناطق الإمبراطورية العثمانية سنة

<sup>1</sup> احمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 19.

<sup>2</sup> اسماعيل محمد علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص 14

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 14

<sup>4</sup> محمد شمس الدين الحكيم بن عبد الصمد، مرجع سابق، ص ص 59-60.

<sup>5</sup> يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن 20م، نقله الى الألمانية عمر لطفي العالم، دار

المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط 2، 2001، ص 32.

1536م<sup>1</sup>. وأنشأ الملك سنة 1530 الثانوية الملكية الكوليج دو فرانس Collège de France وهي أول مؤسسة أوروبية فكرت في تدريس اللسان العربي، وكانت أول مشعل مزق ما بقي من ظلمات القرون الوسطى، ولم تقتصر هذه المؤسسة على تدريس اللغات فقط، بل عكفت على جميع المعارف كالرياضيات والفلسفة والطب والجغرافيا،<sup>2</sup> وشغل بوستيل Guillaume Postel (1581-1510) كرسي اللغة العربية سنة 1539، وهو العالم المستنير الذي مثل عنصر النهضة خير تمثيل، وأهم من هذا كله أنه دَرَّب تلاميذ من أمثال سكاليجر، الذي كانت مكانته في مجال الاستشراق لا يستهان بها، واستطاع بوستيل أن يجمع بنفسه وهو في الشرق مجموعة مهمة من المخطوطات، وكانت هذه المخطوطات الموجودة في المكتبة الملكية تزود الباحثين بالمادة الضرورية للدراسة الجيدة، فأصبحت الدراسات الموضوعية للشرق الاسلامي أيسر من جراء هذا التقارب، والاتصالات السياسية الوثيقة والعلاقات الاقتصادية المتزايدة، وتوسعت الدراسات لتصبح مجموعة من الدراسات الاسلامية، وبدأ الناس في أوروبا يدرسون اللغات، ويجمعون المعلومات لأغراض عقائدية محضة<sup>3</sup>، كما نشطت في هذا الوقت أيضا حركة الترجمة.

إذا كانت الدراسات العربية أو معرفة العربية في فرنسا يمكناً ترجع الى العصور الوسطى بسبب وجود الترجمة، فان الاستشراق باعتباره تخصصاً علمياً لم يتشكل الا في القرن 17، نتيجة مجهود أشرفت عليه تدريجياً الدولة الملكية، لذا نجد أوائل المستشرقين الفرنسيين في البداية تحت حماية كبار المملكة، من قبل الكاردينال مازاران Mazarin، أو نيكولا فوكي Nicola fouquet، قبل أن ينتقلوا الى حماية الملك الحصرية، فأصبحت المكتبة الملكية مركز بحوث حقيقياً، حيث تُهيئُ معاجم ودراسات في النحو، وملخصات لمخطوطات باللغات الشرقية، وهي التركية والعربية والفارسية<sup>4</sup>، وما ان انتصف القرن السابع

<sup>1</sup> حنفي هلايلي، "المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962م"، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، ع 7، الجزائر، جوان 2005، ص 149.

<sup>2</sup> الياس ابو شبكة، روابط الفكر والروح بين العربية والفرنجية، دار المكشوف، بيروت لبنان، 1943، ص ص30، 31

<sup>3</sup> شاخت جوزيف، كليفور بوزورت، تراث الاسلام، تر: محسن زهير الزمهوري وحسن مؤنس واحسان صدوقي، سلسلة كتب ثقافية تضدرها المجلس الوطني للثقافة والفنونوالاداب، دار المعرفة، الكويت، 1998، ج 1، ص 50، 52

<sup>4</sup> هنري لورانس، تاملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والالمانى وحاضره، تر: محمد صبح وعدنان حسن، مكتبة المهتدين الاسلامية، بيروت لبنان، 2006، ط 1، ص 47

عشر، حتى بدأت الأهداف السياسية تشرف على ادارة الدروس الشرقية في الكوليج دوفرانس، وكان مندوبو الملك في الشرق، يعدون العدة لهذه الدروس، فيجمعون المخطوطات والوثائق.<sup>1</sup>

ان الاستشراق في القرن 17م هو انسانية علمية، اذ نظر (المستشرقون) الى الادب الشرقي على أنه امتداد للأدب الاغريقي-الروماني، ومقاربة لا تاريخية في الاساس، وكمكتشفين حقيقيين اطلع هؤلاء المستشرقون على نحو خاص على المؤلفين المتأخرين، وأعطوا الاولوية للموسوعات الاسلامية الكبرى، التي تتيح لهم رؤية شاملة، وأفضى نصف قرن من العمل، على نشر المكتبة الشرقية Bibliothèque Oriental لبارثلمي دريلو Barthélemy d'Herbello في عام 1697، والتي استعملت لأكثر من قرنين موسوعة للإسلام<sup>2</sup>، وستسمح ترجمته انطوان غالاند Galland الذي كان من مندوبي الملك في الشرق لكتابه ألف ليلة وليلة في بداية القرن 18م، بخلق شرق خيالي واسع، سيشكل عنصرا جوهريا في الادب الغربي، وهكذا يقضي المسعى العلمي الرصين الى توسيع كبير للخيال الاوروبي<sup>3</sup>. وفي القرن 17م أيضا وهو لحظة تشكلت فيها الفروع المعرفية للاستشراق، والتي كان مشروعها انساني الجوهري: عولمة الادب بإضافة الآداب الشرقية، آداب العالم الاسلامي أولا؛ لأن الوصول اليها أيسر، ثم آداب المشارق الأبعد: الهند والصين واليابان، الى التراثات القديمة، والى الآداب الاوروبية الحديثة<sup>4</sup>

يعتبر العديد من المؤرخين أن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، وعلى غيرها من بلاد الشرق، البداية الحقيقية للاستشراق الفرنسي؛ لأن هذه الحملة كانت مرفقة بعدد كبير من المستشرقين الفرنسيين، الذين تخصصوا في فروع عديدة من المعارف، وقد بدأ هؤلاء المستشرقون نشاطهم منذ اللحظة الاولى التي وطأت أقدامهم فيها مصر، وأنتجوا إنتاجا حضاريا ضخما<sup>5</sup>، وقاموا بعمل دراسات مختلفة، نشرت هذه الأعمال في كتاب " وصف مصر "، والمقصود من طرحهم هذا هو أن القرن 18م والحملة

<sup>1</sup> الياس ابو شبكة، مرجع سابق، ص 33

<sup>2</sup> هنري لورانس، مرجع سابق، ص 48

<sup>3</sup> هنري لورانس، مرجع سابق، ص 49

<sup>4</sup> هنري لورنس جون تولان جيل فانشتاين، اوروبا والعالم الاسلامي تاريخ بلا اساطير، تر: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة الهيئة العامة

لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة مصر، 2016، ص 379

<sup>5</sup> علي حسني الخربوطلي المستشرقون والتاريخ الاسلامي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988 ص 26

الفرنسية على مصر، هي بداية الاستشراق العدواني،<sup>1</sup> فبعد هذه الثورة مباشرة نشأت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية التي أسستها حكومة المؤتمر الثورية (الكونفاسيون)، وإيعاز من لويس لانكليز Langles، وقد أصّر هذا الأخير بصورة خاصة على الفائدة العلمية، ولكنه أكد أيضا ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الادب والعلم<sup>2</sup>. وكانت اللغات التي تدرس بها هي العربية الفصحى والعامية ولغات أخرى، واستضيفت هذه المدرسة في عمارة المكتبة الوطنية بباريس، ومن المفارقات أن يكون الرائد الكبير في هذا المجال، المستشرق الفرنسي سلفستر دو ساسي، وهو الملكي النزعة Ligitimist، والجانسيني المذهب Jansenist، الوضعي التفكير Positivist، المتمسك بقيم الماضي، وأصبح بذلك أستاذ جميع المستشرقين الاوروبيين، وأصبحت باريس الكعبة التي يؤمها جميع الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق،<sup>3</sup> فتأسيس مدرسة اللغات الشرقية في باريس، والتي قامت في أوج حماسة فرنسا الثورية، كانت في عهده النموذج العلمي والعلماني لمؤسسة الاستشراق،<sup>4</sup> وبذلك يعتبر القرن 18م الانطلاقة الحقيقية للدراسات الشرقية،<sup>5</sup> والواقع أيضا أن القرن 18م كان ينظر فيه الى الشرق الاسلامي نظرة أخوية متفهمة<sup>6</sup>.

استطاع المستشرقون وضع الفكر العربي الإسلامي تحت المجهر لقولته من جديد، وتكييفه وفقا للأهداف الاستشراقية المسبقة بفضل هذه المؤسسة، كما امتد نشاطهم ليشمل مجال المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، سواء في داخل أوروبا أو داخل الوطن العربي الإسلامي، فعمدوا إلى تأليف الكتب وإصدار الموسوعات العلمية، كما اعتمدوا على إصدار الدوريات العلمية اعتمادا كبيرا،

<sup>1</sup> عبد المتعال محمد الجبري، مرجع سابق، ص 182.

<sup>2</sup> شاخت جوزيف، كليفور بوزورت، مرجع سابق، ص 61

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 62

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 63

<sup>5</sup> روبر منتران، "الاستشراق الفرنسي تطوره آفاقه"، تر: يوسف حيي، سلسلة كتب الثقافة المقارنة الاستشراق، ع 2، العراق، 1987، ص 34.

<sup>6</sup> شاخت جوزيف، كليفور بوزورت، مرجع سابق، ص 57

ومن أبرز المجلات التي أصدرها "المجلة الآسيوية" و"مجلة الدراسات الشرقية" و"مجلة شؤون الشرق الأوسط" و"مجلة العالم الإسلامي".<sup>1</sup>

ولقد أشرف على الحركة الاستشراقية في فرنسا بين 1822-1872 جيل من المستشرقين منهم علماء كبار لامعين، ومنهم أواسط، ومنهم موضوعيين، ومنهم مادحون ومنهم سطحيون... أنتجوا خطابا، ورسوموا صورة للشرق لا تنطبق بالضرورة على ذاته الحقيقية، كما تركوا إنتاجا غزيرا من الرسائل العلمية.<sup>2</sup>

وإذا تجاوزنا مرحلة القرن 19م استقبلنا القرن 20م بتطور هام، يُعلق عليه المستشرق الفرنسي روبرت منتران بقوله: بولادة القرن العشرين ظهر تحول في الاستشراق الفرنسي، فقد سمح إنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس بتجديد المواد المتفرعة والمتخصصة، لاسيما على صعيد الدراسات الشرقية، فقد كانت الدروس المعطاة في هذه المدرسة على شكل مناقشات بحوث موجهة عادة إلى مستمعين متقدمين، فنمت بذلك الدراسات الاستشراقية بفضل هذه المدرسة.<sup>3</sup>

هذا فضلا عن المكتبات الضخمة التي ضمت نوادر المخطوطات النفيسة وأمهات المصادر العربية، كما كان لإنشاء المكتبة والكلية الملكية في باريس نقطة مميزة لانطلاق الاستشراق الفرنسي، خاصة مع ظهور شخصية المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي 1758-1838، الذي يعد عهده بداية حقيقية لظهور الدراسات العلمية المنظمة في مجال الحركة الاستشراقية، والتي كانت مدينة له ولمدرسته، التي انتمى إليها كبار الرواد المستشرقين، ولنزعتها التي جعلت الاستشراق يتحرر من المرجعية الدينية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عدنان محمد وزان، "الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر"، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1984، ص. 15.

<sup>2</sup> محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص. 18.

<sup>3</sup> روبرت منتران، مرجع سابق، ص. 35.

<sup>4</sup> سهام ربيع عبد الله، الاستشراق، دار نهضة للنشر والتوزيع، مصر 2007، ص. 22.

ثم اتسعت مجالات الاستشراق وأخذت تشهد انعقاد المؤتمرات الدولية، وقد احتضنت فرنسا أولها عام 1873، وصارت باريس بذلك عاصمة الاستشراق، وأُخضع الاستشراق للإمبريالية والعرفية الماركسية وغيره، غير أنه أصبح يمتلك منطلقات للبحث، وجمعيات علمية، ومؤسسات خاصة نمت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية عبر عدد من دول الغرب؛ مما أتاح مجالا واسعا لنشر الدراسات الأكاديمية.<sup>1</sup>

و يُعتبر هذا الميدان (عقد المؤتمرات) من أبرز الميادين التي يعتمد عليها المستشرقون في الوصول إلى أغراضهم لأنه الميدان الذي يستطيعون منه توجيه الباحثين وإخضاعهم للمنهج الاستشراقي، سواء كانوا شرقيين من طالبي الشهادات العليا من العرب أو من المسلمين المقيمين هناك. ومن النصف الثاني من القرن 20م، حصلت عوامل مؤثرة استطاعت أن تجعل من الاستشراق يدخل في أزمة بأفكاره وأحكامه المسبقة، والتي لا أساس لها من العلم، ومن بين هذه العوامل: الحربان العالميتان الأولى والثانية، والتي أضعفت ثقة الإنسان الغربي بتفوقه الحضاري والعقلي وجعلته يحس بنسيبة موقعه وقيمه.<sup>2</sup> خاصة مع تطور العلوم الإنسانية من علم اجتماع واقتصاد ولسانيات، ومنذ 1942م وأواخر الحرب العالمية الثانية والى يومنا هذا نرى آثارا رائعة للمستشرقين الفرنسيين، تدل على منهجية متقدمة وتعمق والمأم، وعلى نوع من أنواع التخصص في الدراسات العربية، فنجد بعضهم يتخصص بالأدب الجغرافي العربي، وبعضهم بالأدب التاريخي، وآخر بأديب معين أو شاعر أو فترة من الفترات أو فرع من العلوم الإنسانية.<sup>3</sup>

## 2.2. المدرسة الاستشراقية الفرنسية

تعد المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أبرز المدارس الاستشراقية، أغناها فكرا، وأخصبها إنتاجا وأكثرها وضوحا، ويعود ذلك للعلاقات التي تربط فرنسا بالعالم العربي الإسلامي قديما وحديثا، بإقامة علاقات سياسية واقتصادية، بدأت مع علاقة فرنسا بالدولة العباسية أيام شرملة، الى غاية الفترة الحديثة لاحتلال الدول العربية.

<sup>1</sup> ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص. 74.

<sup>2</sup> سلمى حسين علوان الموسوي، مرجع سابق، ص. 202.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص. 203.

هذا التاريخ السياسي المتواصل جعل فرنسا من أوائل الدول الأوروبية التي عُنيت بالدراسات العربية والإسلامية للاستفادة منها، وترجمة آثارها، وإنشاء كراسي علمية لتدريسها منذ القرن الثاني ميلادي، بإفادة طلابها لمدارس الأندلس لدراسة الفلسفة والحكمة والطب.<sup>1</sup>

ويوجد في المكتبة الوطنية بباريس أكثر من 6000 مخطوط عربي، ونوادير من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرايط، وصادت في فرنسا مجلّات اهتمت بالتراث العربي والتعريف به وبذلك استطاع الأدب العربي أن يؤثر في الأدب الفرنسي، فتأثر بعض المفكرين الفرنسيين بما اطلعوا عليه من تراث العرب وفلسفتهم، من أمثال ابن رشد وابن خلدون، وكذلك النزعات الصوفية.<sup>2</sup>

وأنشأ الفرنسيون الكثير من مراكز الدراسات والبحوث والأقسام العلمية في الجامعات منها جامعة السربون في باريس، وجامعة ليون، وجامعة مرسيليا وغيرها، ومن المراكز نجد معهد الدراسات للمجتمعات المتوسطة، ومركز دراسات وبحوث العالم العربي والإسلامي.<sup>3</sup>

ويكفي أن نعلم أنه عندما بدأ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية في فرنسا في القرن 18، كانت العربية هي أولى اللغات التي كُتبت بها سنة 1795 مع التركية والفارسية... وكانت هذه المدرسة ترمي إلى تعليم القناصل ورجال السياسة والسلك الدبلوماسي اللغة العربية وبعض الآداب الشرقية، ثم توسعت بعد ذلك في دروسها فما ان أهّل عام 1832، حتى خصصت أساتذة لتدريس اللغات السودانية والهندية واليابانية والسامية وغيرها من لغات الشرق.<sup>4</sup> ويعتبر المستشرق روبير منتران العقد الأخير من القرن 18م، الانطلاقة الحقيقية للدراسات الشرقية بفرنسا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه مدارسه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، المملكة المغربية، 2012، ص. 22.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص. 23.

<sup>3</sup> نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص. 138.

<sup>4</sup> احمد نصري، مرجع سابق ن ص. 26.

<sup>5</sup> روبير منتران، مرجع سابق، ص. 33.



تمتاز المدرسة الاستشراقية الفرنسية بمجموعة من المظاهر نذكر منها<sup>1</sup>: إنشاءها لمجموعة من المعاهد في البلاد الإسلامية، مثل المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، 1880 ومعهد الدراسات العليا في تونس 1945، ومعهد الدراسات المغربية بالرباط 1931، والمعهد الفرنسي في دمشق 1930، والمعهد الفرنسي الإيراني في طهران 1948،<sup>2</sup> ويتبع السفارات الفرنسية في أنحاء العالم مراكز ثقافية، تقدم دورات في اللغة الفرنسية والحضارة الفرنسية، كما تقدم معلومات عن فرنسا.<sup>3</sup>

أما عن خصائص هذه المدرسة فهي تمتاز بمجموعة من الخصائص<sup>4</sup>:

- مناهضة الإسلام موجودة في معظم أنشطة المستشرقين والعلماء المتخصصين في الدراسات الإسلامية في فرنسا، وقد صار ذلك جزءاً لا يتجزأ من صفتهم.
- ان الاستشراق الفرنسي كان معلماً ورائداً ونموذجاً يُقتدى به، ومثال على ذلك مدرسة الاستشراق الروسي، اذ استطاع المستشرق دي ساسي تأسيس المدرسة التهذيبية العليا في جامعة بطرسبورغ، والتي تصدرت الاستشراق في روسيا، وتخرج على يد هذا المستشرق تلاميذ بارزين.
- تقوم فرنسا بدور فعال ونشط في الاستشراق والدراسات الإسلامية، ومثال ذلك قيام منظمة اليونيسكو بتأسيس دار الحكمة في باريس، لدعم دوائر المعارف في العالم الإسلامي .
- ولتحقيق وسائلهم وأغراضهم يستخدم الكثير من المستشرقين الفرنسيين مجموعة من الأساليب<sup>5</sup>:
- توجيه موقف المؤرخين والباحثين من المستشرقين في التاريخ الإسلامي لتشويهه والإساءة إلى أهله ودينهم وبطولاتهم.

<sup>1</sup> محمد قدور تاج، مرجع سابق، ص ص 101-102.

<sup>2</sup> نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص 138.

<sup>3</sup> محمد قدور تاج، مرجع سابق، ص 101.

<sup>4</sup> محمد حسن زمني، مرجع سابق، ص ص 299-300.

<sup>5</sup> علي توفيق الحمد، نحن والمستشرقون، مجلة النجاح للابحاث كلية الاداب، جامعة اليرموك، الاردن، المجلد 15، 2001، ص 8.

■ توجيه البحوث نحو اللغة العربية :نحوها، وصرفها، ودلالاتها، ومعجمها، ومحاولة درسها بمنهجهم وأساليبهم في وصف اللغة، وعلى نمط تحليل لغاتهم، ليسهل على الراغبين منهم تعلمها بالسرعة الممكنة، وليسهل عليهم الاطلاع على التراث الاسلامي العربي .

### 3.2 نماذج لاهم اعماله:

شملت الحركة الاستشراقية الفرنسية جميع ميادين المعرفة، وتنوعت أعمالهم في مختلف التخصصات كالتاريخ والآثار والجغرافيا واللغة وآدابها والفنون والأديان والفلسفة، وحتى العادات والتقاليد وليس بالمكان سرد جميع أعمال المستشرقين الفرنسيين في بحثنا هذا، ولكن سنكتفي بذكر نماذج من بعض الأعمال وفي تخصصات متنوعة.

من المجالات التي اهتم بها المستشرقون الفرنسيون وألّفوا فيها الكثير من الكتب هي اللغة العربية وفقها ونحوها وصرفها وآدابها، وبرزوا في هذا المضمار بروزا واضحا، فمثلا المستشرق بوستيل "Bostel" ألّف سنة 1539م كتاب "قواعد اللغة العربية"، كما أصدر كتاب "عادات وشرعية المسلمين" وكتاب "وصف القاهرة"، بالإضافة الى حصوله على الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية إبان جولاته في الشرق ثم باعها لمكتبة هايدلبرج.<sup>1</sup>

في أواخر القرن 17م وأوائل القرن 18م، قام أنطوان غالان "Antione Gallan" بترجمة قصص ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية بين سنوات 1704-1708، وكانت لها تأثير واسع في الأوساط الأدبية وفي نفوس المثقفين، ومارست على الفرنسيين إغراء كبير، وكانت تكشف لهم عن بلدان الشرق والحياة الجميلة المتميزة فيها.<sup>2</sup>

وقد ألهمت هذه القصص خيال الفرنسيين خاصة، والغربيين عامة، وغرست عند كثير منهم حب الاطلاع والتشوق إلى زيارة الشرق وأهله ليرى بأعينهم ما قرأوه في هذا الكتاب.

<sup>1</sup> ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي بالظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الاسلامي، 2002، ج1، ص 109.

<sup>2</sup> محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص 116.

لكن أهم جهود المستشرقين في نشر التراث اللغوي العربي كانت في القرن 19م وأوائل القرن 20م، ويكفي أن نشير الى تحقيق المستشرق الفرنسي ديرونبيرغ "H. Derenbourg" 1811-1895 لكتاب سيويه في مجلدين كبيرين نشرهما في باريس.<sup>1</sup>

من الاهتمامات أيضا وان لم نقل أنه هو الاهتمام الأول عند المستشرقين الفرنسيين، هو ما يتعلق بالتصوف الإسلامي خاصة مع القرن 19، وفيه تم طبع العديد من الأعمال التاريخية عن تاريخ التصوف الإسلامي وهو الأمر الذي مكّن علماء الغرب تدريجيا من الحصول على تصور أفضل عن بدايات التصوف الإسلامي، ولقد أسهمت مدرسة الاستشراق الفرنسي في ذلك، وظهرت أعمال المستشرقين منها كتاب سيرويا H.Serouya " الصوفية والمسيحية واليهودية"، وما كتبه المستشرق "آرنو R.Arnaud"، اذ نشر "الكلام على الصوفية للابياري متنا وترجمة"<sup>2</sup>، وجهود المستشرق ليون غوتيه، الذي نشر قصة حي بني يقظان لابن طفيل متنا وترجمة بالفرنسية سنة 1900<sup>3</sup>، ومؤلفات المستشرق الفرنسي "بول مارتي P.marty"، والذي كتب عن "الزوايا المغربية" في ثلاث أجزاء سنة 1925م.

ولعل أهم ما شهدته مدرسة الاستشراق الفرنسي من جهود في التصوف الإسلامي، هو ما عرف عن المستشرق الفرنسي "جينون R.Gueno" 1951، اذ عُنِي بالدراسات الصوفية الإسلامية، وأيضا المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون L.Massignon، والذي يعدُّ رائد الدراسات الصوفية بإعداده أطروحة دكتوراه بعنوان "الأمّ الحلاج"، وخصص جميع أبحاثه عن أصل نشوء التصوف<sup>4</sup>.

هذا الاهتمام الكبير بالتصوف يقول عنه محمد السيد الجنيد: لا شك أن الدافع من وراء تحقيق المستشرقين لكتب المتصوفة والفرق الإسلامية الصغيرة، هو الوقوف على نظريات شاذة

<sup>1</sup> إسماعيل احمد عمارة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، ط2، عمان الأردن، 1996، ص. 14.

<sup>2</sup> نجيب العقيلي ن مرجع سابق، ص. 239.

<sup>3</sup> عبد الرحمان البدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط3، بيروت لبنان، 1993، ص. 118.

<sup>4</sup> زهير يوسف عليوي الحيدري، "جهود المستشرقين في دراسة التصوف الإسلامي"، مجلة اوروك للأبحاث الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة المشي، مج3، ع2، العراق، 2010، ص. 52.

واختلافات قديمة وأراء غلو غير معقولة لفرق إسلامية، ونشرها بين المجتمعات الإسلامية لينشغل المسلمون بتلك الخلافات، ونقد البحث فيها.<sup>1</sup>

في مجال المخطوطات أخرج المستشرقان الفرنسيان بلاشير (R.Blachere) وسوفاجيه (J.Sauvaget) كتابا بالفرنسية تحت عنوان "قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها" سنة 1945، لكنه لا يشمل إلا على قواعد مختصرة تنقصها أمثلة توضحها من المخطوطات القديمة، واعتنى بقواعد ترجمة الكتب العربية إلى الفرنسية.<sup>2</sup>

واستمر سعي المستشرقين نحو المخطوطات العربية وبحثهم عنها، ومدرستهم غنية بدارسي المخطوطات الكبار، أمثال كلود كاهن (CL. Cahen) وسلفستر دي ساسي، ورجيس بلاشير وسوفاجيه وغيرهم.<sup>3</sup>

كما اهتم المستشرقون بترجمة القرآن الكريم، حيث ظهرت أول ترجمة سنة 1647 على يد دي ريبور، وتلتها بعد 136 سنة ترجمة سافاري سنة 1783م، وترجمة كازيميرسكي سنة 1840... وفي السنة النبوية نجد كتاب كل من بلاشير "معضلة محمد"، وكتاب "محمد" لمكسيم رودنسون سنة 1961م.<sup>4</sup>

وفي الحديث النبوي الشريف قام وليم مارسلي بترجمة كتاب "جامع الأحاديث" للبخاري في 4 أجزاء، ساعده في الجزأين الأولين المستشرقان هوداس وسويلا.<sup>5</sup>

ونشر المستشرق كاترمير (Quatremere) أحد تلامذة دي ساسي لمقدمة نقدية دقيقة "مقدمة ابن خلدون" في ثلاث أجزاء، وكتابا آخر بعنوان "اللغة العربية وآدابها وجغرافيتها"، ونشر البارون دوسلان ديوان امرؤ القيس، وترجمة كتاب الإيمان لابن خلكان، وكتاب تقويم البلدان لأبي الفداء.<sup>6</sup> وترجمة

<sup>1</sup> محمد حسن زمني، "ادوار الاستشراق"، دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ع2، 2014، العراق، ص.183.

<sup>2</sup> محمد حمدي بكري، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، دار الميرخ للنشر، ط2، الرياض، 1982، ص.12.

<sup>3</sup> عمر بن عراج، مرجع سابق، ص.50.

<sup>4</sup> احمد نصري، مرجع سابق، ص.33.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص.34.

<sup>6</sup> ساسي سال الحاج، مرجع سابق، ص.110.

"ليون برشي (1889-1955 I.Bercher) لرسالة ابي زيد القيرواني، وطوق الحمامة لابن حزم إلى اللغة الفرنسية، وكذلك ترجمة الطبيب فاتي (Fattier) 1613-1667 لتاريخ ابن المكي، وكتاب علم المنطق والأمراض العقلية لابن سينا<sup>1</sup>. وترجم سوفاجيه للكثير من الكتاب العرب القدماء، مثل كتب الجاحظ، وابن قتيبة البلاذري، وابن خلدون والطبري والمسعودي.<sup>2</sup>

ولتسهيل دراسة اللهجات العربية العامية للفرنسيين، وضع بعض المستعربين معاجم عربية فرنسية لبعض اللهجات العربية، كمعجم مارسيل الذي سماه "كنز المصاحبة"، ونشره سنة 1837م ومعجم اللهجات الشامية، الذي وضعه بارتيليمي ونشره سنة 1903م.<sup>3</sup>

كما حقق كوسان دو برسفال "المعجم العربي الفرنسي"، ووضع شربونوا معجما فرنسيا-عربيا في مجلدين، نشره سنة 1876م بباريس، وصدر لماشويل في الجزائر معجم عربي فرنسي في 1877 و1881 و1917، ووضع بوسيه (Beaussier)، القاموس العلمي العربي-الفرنسي، والذي خرج في الجزائر سنة 1887م بعد وفاته، وكان ذا أهمية كبيرة في ميدانه.<sup>4</sup>

وفي مجال العلوم التطبيقية برز اسم "جاك كليمونت مولي (J.K.MOLET)، والذي ترجم كتاب "الفلاحة" لابن العوام في مجلدين عام 1864-1867م.<sup>5</sup>

وألف المستشرقان الفرنسيان شارل كور لانجلوا وشارل سنيوس "المدخل إلى الدراسات التاريخية"، والذي قال عنه مترجمه عبد الرحمان بدوي: يعد خير كتاب فرنسي في النقد التاريخي ولقد طبع مرارا

<sup>1</sup> نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص ص 172-173.

<sup>2</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص 250.

<sup>3</sup> محمود المقداد، مرجع سابق، ص 105.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 122.

<sup>5</sup> يوهان فوك، مرجع سابق ن ص 261.

عديدة، وبالرغم من أن الطبعة الأولى ظهرت سنة 1898م، فلا يزال حتى اليوم أفضل كتاب فرنسي في هذا الباب <sup>1</sup>.

كما لا ننسى مساهمة المستشرق الفرنسي شامبليون 1790-1832، والذي فك رموز الكتابة الهيروغليفية "المصرية القديمة"، ومكّن العلماء جميعاً من معرفة كنوز الثقافة القديمة في مصر، وأخرج كذلك المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (189-1931م) كتاب "الحضارة العربية" باللغة الفرنسية مع صور هي آية في الجمال، وفي الدلالة على قيمة الحضارة العربية في العالم <sup>2</sup>.

وفي الأخير نلخص بقول عمر فروخ: إن اهتمامهم جعلهم ينقلون عددا كبيرا من الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية الأخرى، وقلما نجد كتاباً من كتب التراث العربي، لم يُنقل إلى لغة أوروبية، فالقرآن الكريم والحديث الشريف وأمّهات كتب الفقه، وكثير من الشعر القديم وكتب الإجماع والفلسفة وغيرها، تكفل بها هؤلاء المستشرقون ونقلوها وأحسنوا في الكثير وأسأؤوا في القليل الذي لم يقصدوه، على حسب قوله <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> النقد التاريخي، المدخل إلى الدراسات التاريخية لانجلوا وسينوبوس و"نقد النص، بول ماس و"التاريخ العام" امانويل كانط، تر: عن الفرنسية والألمانية عبد الرحمان بدوي، مكتبة الإسكندرية وكالة المطبوعات، ط4، الكويت، 1981، ص. 09.

<sup>2</sup> عمر فروخ، المستشرقون مالهم وما عليهم، مرجع سابق، ص ص. 60، 65.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص. 95.

## 4.2 اهم رواده

### دي ساسي (1758-1838م) "S.DE.Sasy"

مستشرق فرنسي ولد سنة 1758م، فقد أباه وليس له من العمر إلا سنوات سبع، خلفا له اخوين كان هو واسطة عقدهما<sup>1</sup>، تلقى تعليما دقيقا على يد معلم خاص، وخاصة في اللاتينية واليونانية، وكان في مقابل منزل والديه في دير سانت جرمان الأستاذ مورنة دوم جورج فرنسوا برثوا، والذي شجع فيه حب الدراسات العربية، فتعلم بعد ذلك العربية والعبرية ودرس القوانين.<sup>2</sup>

في سنة 1778م عينه الملك واحدا من 8 أعضاء في جمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس، فوضع بحثين في تاريخ قدماء العرب وأصل آدابه، وحقق 4 كتب، منها كتاب فتح اليمن<sup>3</sup>. وفي سنة 1781 انظم إلى إدارة المسكوكات، وبدأ أعماله الشرقية مثل نشر كتاب " ايشهورن Eichhorn"، رسائل السامريين إلى سكاليجيا"، ثم كتابه الضخم في 5 أجزاء سنة 1793 "Mémoire sur diverses antiquités de la perse"<sup>4</sup>، ولما بلغ 32 سنة من عمره كان في طليعة المستشرقين العالميين، ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب سنة 1785م فاختاره الملك حافظا للنقود ومفوضا في أمرها.<sup>5</sup>

وفي 30 مارس 1795م قررت الجمعية الثورية التي تدعى "Convention national" إنشاء مدرسة عامة لتدريس اللغات الشرقية الحية، لما لها من فائدة للسياسة والتجارة بين على إثرها مدرسا للغة العربية وآدابها، والإسلام وعقائده ومذاهبه وتاريخه إلى غاية 1806م ليعين في كرسي الفارسية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> يحي مراد، معجم اسماء المستشرقين، ب.د.ن، ب.ب.ن، ب.س.ن، ص.536.

<sup>2</sup> يوهان فوك، مرجع سابق، ص.248.

<sup>3</sup> نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص.179.

<sup>4</sup> يوهان فوك، مرجع سابق، ص.249.

<sup>5</sup> نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص.179.

<sup>6</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص.335.

فهو بذلك رجل متفتح وليس منغلقا على نفسه في مجاله الدراسي فقط، ففي سنة 1808م، عين نائبا في المجلس التشريعي، وفي 1814م أعطي لقب البارون، وعين على التوالي رئيسا لجامعة باريس، وعضوا في لجنة التعليم لعام 1815م، ثم عضوا مؤسسا في الجمعية الآسيوية ومديرا لها سنة 1821م، ثم مديرا للغات الشرقية سنة 1824م، خلفا ليلانجلي.<sup>1</sup>

له مجموعة من الأعمال نذكر منها: مقامات الحريري 1812م، الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار لمؤلفه موفق الدين عبد اللطيف البغدادي 1810م، كلية ودمنة 1816م، بند نامة 1819م، ترجمة فصول كتاب " روضة الصفاء " تأليف ميرخاوند بن برهان الدين خاوند شاه. وقد تخرج على يديه الكثير من المستشرقين أمثال روس وفليشر وديتاسي وآخرون...<sup>2</sup> . و لمع من كتاب سلطان المغرب إلى ملك فرنسا وترجمة البردة للبوصيري 1806م، وأصل الأدب الجاهلي عند العرب 1808م، وألفية بن مالك بشرح وتعليق 1833م، والمكتبة الشرقية في 3 مجلدات.<sup>3</sup>

ترجمته وآثاره في منشورات مجمع الكتاب والآداب في باريس 1838م، وفهرس مكتبته في المجلة الآسيوية 1842م، وسيرته في منشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة: الجزء الاول بقلم جورج سالمون 1905م، ودي ساسي بقلم كازانوفافا 1923م.<sup>4</sup>

يقول أبو القاسم سعد الله عن دي ساسي ومدرسته للغات الشرقية: كان زعيم هذه المدرسة بل زعيم الاستشراق الفرنسي في ذلك الوقت، والذي يعتبره البعض هو أبو الاستشراق ومنشئ علم الاستشراق في أوروبا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Alain Messaoudi , Les arabisants et la France colonial , ENS , éd lyon , 2015 , p .366.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص ص .339-338.

<sup>3</sup> يحي مراد، مرجع سابق، ص .539.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص .538.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998، ج6، ص.9.



لويس ماسينيون (Louis Massignon 1962-1883)

ولد في فوجان على المارن، إحدى ضواحي باريس، لأب فنان كان يوقع تماثيله باسم بيير روس، وبفضله تعرف على هويسمان والأب دي فوكو.<sup>1</sup>

وفي سن مبكرة من دراسته الثانوية، أسس هو ومجموعة من أصدقائه الطلبة مجلة أطلقوا عليها اسم "نحلة فرنسا"، وعند إكماله الثانوية نال شهادة البكالوريوس في الآداب والفلسفة سنة 1900م، كما نال نفس الشهادة "البكالوريوس" في الرياضيات<sup>2</sup> من ثانوية شربان (1893-1896م)، وبعد رحلات إلى ألمانيا وإيطاليا استطاع الحصول على شهادة الليسانس في الآداب من جامعة السوربون.<sup>3</sup>

قام بأول زيارة للجزائر سنة 1901م، وتحصل على شهادة في الدراسات العليا في التاريخ وهي دراسة عن ليون الإفريقي (حسان الوزان المغربي)، تحت إشراف الأستاذ اوجوستين برنارد، وتحصل كذلك على شهادة في اللغة العربية من المدرسة الوطنية للغات الشرقية سنة 1906م، كما كان حاضرا في مؤتمر المشرقين المنعقد في الجزائر سنة 1905م.<sup>4</sup>

أُحرق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وعُني بالآثار الإسلامية وقصد بغداد سنة 1907م وفيها اكتشف قصر بني لحم المسمى بالسدير في الاخضر، ثم عاد الى القاهرة عام 1909، واستمع إلى دروس الأزهر بالزبي الأزهرى، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذا لتاريخ الفلسفة 1912-1913م، وألقى بالعربية سلسلة من أربعين درسا عن تاريخ العقائد الفلسفة العربية.<sup>5</sup>

كتب عن رحلته الأولى لبغداد كتابا ضخما في مجلدين بعنوان "بعثة أثرية في العراق" ودراسات أخرى عن بغداد والعراق، وكتب في 1910م عدة مقالات منها :

<sup>1</sup> نجيب العقيلي، ج.1. مرجع سابق، ص. 187.

<sup>2</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص. 529-530.

<sup>3</sup> Alain Masaoudi, op cit ; p.268.

<sup>4</sup> Ibid, p. 268-269.

<sup>5</sup> نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص. 288.

هجرات الموتى في بغداد، ودراسات عن مخطوطات في مكتبات بغداد... وكلها تقريبا نشرت في مجلة العالم الإسلامي "R.M.M" (مجلة العالم الاسلامي) المجلدات السادس والسابع والثامن سنة 1908م<sup>1</sup>

تحصل على الدكتوراه برسالة عن ألام الحلاج من جامعة السوربون 1922م، وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي 1919م، ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محلها 1927م، وتقويم العالم الإسلامي التابع لها<sup>2</sup>، أما عنايته بالحلاج فلم تنقطع لحظة واحدة، فنشر في سنة 1931م ديوان الحلاج في 157 صفحة، ولوحتين بالمجلة الآسيوية 1931م، وأخرج هو وباول كراوس كتاب "أخبار الحلاج"، وكتب دراسة عن "إنسانية أخبار الحلاج" 1946م، وبجنا عن حياة الحلاج نشرت بعد وفاته في السنة نفسها.<sup>3</sup>

تميزت شخصيته بالسياسة، فهو مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا، وبالجامعة حيث حاضر في تاريخ الفلسفة، وتدرسه في الكوليج دو فرونس، وبالجمعية فهو عضو في الجمعية الآسيوية والجمع العلمي الغربي في دمشق 1920م، والجمع اللغوي المصري منذ إنشائه 1933م، وبالعسكرية فهو خدم بالجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى.<sup>4</sup>

ومثل منصبه في وزارة المستعمرات الفرنسية كمستشار تزودج فيه اهتماماته الدراسية والسياسية الى سمته الغالبة في الاتجاه التنصيري الصوفي، لتكُون منه الفرنسي المخلص لدولته والكاثوليكي الواهب نفسه لها .

أثاره تربوا على 650 عملا بين مصنف ومحقق و مترجم، وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة منها: جغرافية المغرب، والطبوغرافية التاريخية لبغداد في مجلدين، وتاريخ المصطلحات

<sup>1</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص. 531.

<sup>2</sup> يحي مراد، مرجع سابق، ص. 1013.

<sup>3</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص. 533.

<sup>4</sup> نذير حمدان، مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، 1998، ص. 194.

الفلسفية بالعربية، والكنيسة الكاثوليكية والإسلام، والإسلام والاتحاد السوفيتي وغيرهم من الأعمال الكثيرة.<sup>1</sup>

ريجيس بلاشير: (R.Blachère 1973-1900)

ينحدر من عائلة بروستانتية، انتقل مع والده أثناء عمله في المغرب في سن 15 سنة، تلميذ في ثانوية كازابلانكا، حصل على شهادة في اللغة العربية واللهجات البربرية من المدرسة العليا بالرباط 1916-1918م، ثم انتقل إلى الجزائر وحصل فيها على شهادة الليسانس سنة 1922م.<sup>2</sup>

حاز على رسالة الدكتوراه في الأدب العربي عام 1936م من جامعة باريس لرسالتين: الأولى لكتاب طبقات عن شاعر عربي من القرن 4 هجري "الطيب المتني"، والثانية ترجمة فرنسية لكتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي مع تعليقات وفيرة ومفيدة.<sup>3</sup>

عُين أستاذا في جامعة السوربون 1938م، أُنْتُدِبَ مديرا لمدرسة الدراسات العليا العلمية 1942م ومشرفا على مجلة المعرفة التي ظهرت في باريس باللغتين العربية والفرنسية<sup>4</sup>، كما عُيِّنَ أستاذا للغة العربية الفصحى في المدرسة الوطنية للغات الشرقية، واستمر في هذا المنصب الى غاية 1950م حيث شغل كرسي اللغات والأدب الفرنسيين في السوربون الى حين تقاعده سنة 1970م ... توفي سنة 1973م.<sup>5</sup>

من آثاره دراسات رصينة عن العرب في أشهر المجلات الاستشراقية، كمجلة الدراسات الإسلامية، وهيسبيريس، وحوليات الدراسات الشرقية<sup>6</sup>، وكتابه "معضلة محمد" Le problème de mahomet سنة 1935م، وهو كتاب صغير صنفه بمناسبة انشغاله بترجمة القرآن ولخص فيه أبحاث

<sup>1</sup> يحي مراد، مرجع سابق، ص. 1014.

<sup>2</sup> Alain Masaoudi , op cit , p.58.

<sup>3</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص. 127.

<sup>4</sup> نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص. 316.

<sup>5</sup> عبد الرحمان البدوي، مرجع سابق، ص. 127.

<sup>6</sup> نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص. 316.

المستشرقين الذين كتبوا عن الرسول صلّ الله عليه وسلم، وكتاب قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها بوجهة نظر الاستغراب الفرنسي الذي ألفه هو وسوفاجيه<sup>1</sup>، وله الكثير من الأعمال حول الثقافة العربية كما ترجم كذلك العديد من الكتب.

وفي ختام هذا الفصل توصلنا الى جملة من الاستنتاجات نوجزها في الآتي :

أن الاستشراق هو اتجاه فكري غربي يهتم بدراسة الشرق عامة في عاداته وتقاليده ودياناته وتاريخه وشعوبه ولغاته، والاسلام بوجه خاص، لأغراض ودوافع معينة، مع العلم أن الاستشراق في بداية ظهوره كان مقتصرًا على دراسة الإسلام، ثم اتسعت دائرته لتشمل دراسة الشرق كله من مختلف نواحيه.

أن المستشرق هو عالم أو باحث غربي يختص بدراسة لغات الشرق لكي يتمكن من خلالها من معرفة عادات وحضارات ومعتقدات أهلها، لغايات متعددة قد تكون علمية وقد تكون استعمارية او تبشيرية

أن الشرق في مفهوم الاستشراق كان يقصد به الشرق الإسلامي، ثم اتسعت حدوده ليشمل الشرق الأقصى كالصين واليابان.

أما بالنسبة لنشأة الاستشراق، فيمكن القول بأن هناك عوامل عديدة تدخلت في هذه النشأة نذكر :

ظهور الإسلام، دخول المسلمين إلى الأندلس، ثم الحروب الصليبية، وما ولّدت من عداً و رغبة في الانتقام من المسلمين بشتى الطرق.

للإشارة فان الاستشراق في بداياته لم يكن استشراقاً رسمياً أو منظماً بوسائل ومؤسسات، وإنما ظهر بشكل انفرادي وتدرجي على يد رهبان فرنسيين، كالراهب جريردي اوراليك، وبطرس المجل، وهو ما يقودنا أيضا إلى القول بأن الاستشراق بدأ في فرنسا، وانطلق من بيئة دينية، وفي عصر أُصْطْبِغ

<sup>1</sup> نذير حمدان ' مرجع سابق، ص .157.

بالصبغة المسيحية الكنسية، ثم أصبحت له دوافع أخرى مع ظهور الحركة الاستعمارية في النصف الثاني من القرن 18م، كالدافع الاستعماري والسياسي والاقتصادي والعلمي وان كان نادرا.

لتحقيق هاته الدوافع كان لابد من الاستعانة بوسائل تساعد المستشرقين في مهامهم، فظهرت الجمعيات والمجلات الاستشرافية، وأُصدِرَت المعاجم والموسوعات، وأنشئت المدارس والمعاهد والجامعات وعقدت المؤتمرات.

أما فيما يخص المدرسة الاستشرافية الفرنسية، فيمكن القول بأنها ظهرت للوجود منذ القرون الوسطى وذلك على اعتبار الصلات التي كانت بين فرنسا والعالم العربي الإسلامي، أما الاستشراق بمفهومه العلمي الأكاديمي، فيرجع إلى حملة نابليون على مصر 1798م، وإلى مدرسة اللغات الشرقية بزعامة المستشرق الفرنسي دي ساسي، الذي يعود له الفضل في تأسيس الاستشراق في فرنسا، وعلى يديه تخرج كبار المستشرقين الفرنسيين من أمثال ماسينيون، وبلاشير، ورينان...والذين كان لهم دور في استعمار العالم العربي والإسلامي ومن بينها الجزائر وهو ما سنتطرق إليه في الفصل الذي يليه.

الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلته ووسائله

المبحث الأول: أهداف الاستشراق الفرنسي في الجزائر

1. الهدف الديني

2. الهدف الاستعماري

3. الهدف العلمي

المبحث الثاني: مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر

1. المرحلة الأولى: 1830-1879

2. المرحلة الثانية: 1879-1930

3. المرحلة الثالثة: 1930-1962

المبحث الثالث: وسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر

1. اللجان العلمية :

1.1. لجنة اكتشاف الجزائر العلمي 1837

2.1. لجنة ترجمة الكتب العربية 1894 ،

3.1. لجنة الاحتفال المئوي بالاحتلال 1930

2. الجمعيات والمجلات

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

---

كان الاستشراق من أهم الوسائل التي اعتمدها الاحتلال الأجنبي منذ دخوله الى للوطن العربي والإسلامي، لأنه أدرك بأن السياسة العسكرية وحدها لا تكف، ولم تعد سياسة ناجعة تمكن من بلوغ أهدافه ومراميه، دون الاعتماد على سلاح العلم أيضا، وهو ما قامت به فرنسا في الجزائر، فمن أجل تحقيق مشاريعها الاستعمارية وتشجيع الاستيطان، لجأت إلى الاستعانة بالمستشرقين الفرنسيين لتوفير معرفة وفهم أكبر للمجتمع الجزائري، ولم تتوقف عند هذا الحد، بل نجدها سارعت إلى توفير الآليات والوسائل الكفيلة لنجاح مهمتهم؛ بهدف توظيف كل ما يتوصلون اليه من نتائج في عملية تثبيت الوجود الاستعماري في الجزائر، وإرساء قواعده على أسس متينة، فكان الاحتلال الفرنسي بحق هو الدافع القوي لحركة الاستشراق الفرنسي في الجزائر، والتي كان لها أهدافها، مراحلها ووسائلها، وهو ما سأطرق إليه ونعالجه في هذا الفصل.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

المبحث الأول: أهدافه الاستشراق الفرنسي في الجزائر

### 1. الهدف الديني :

لقد سعى الغرب منذ القديم إلى التقرب من الشرق، والتعرف على خصائصه الجغرافية وموارده الطبيعية، وإلى التعرف على عقائده وسياسته، أما بدافع وتشجيع من حكوماتهم، أو بدافع وتشجيع من المؤسسات العلمية والثقافية والتبشيرية؛ بهدف تحقيق نفس المهام والأهداف.

بدأت الدوافع الأولى للاستشراق كمحاولة لاستكشاف الآخر، وهو تطلع طبيعي وفطري، فكل شيء يبحث عن الآخر، وكل ضفة يدفعها الفضول لمعرفة الضفة المقابلة لها، لأنها الآخر، والآخر في جميع الظروف هو الخصم والمنافس والنقيض.<sup>1</sup>

وفي هذا السياق بدأ التخطيط لاحتلال الجزائر منذ بداية القرن 16م، في مخابر التنصير والاستشراق، فدافع الاحتلال كان دينيا، وهذا ما أعلن عنه المنصر الفرنسي فرديناند الكاثوليكي (Ferdinand le catholique 1452-1516)، حيث عبر عن نيته لغزو الساحل المغربي الإسلامي، وهذا من أجل إقامة أسقفية بمدينة بجاية، وكنيسة بمدينة وهران<sup>2</sup>، وفي سبيل ذلك أعدت فرنسا جيشا من المبشرين والمستشرقين للعمل في إفريقيا، ولقد نشأ في أول أمره على أكتاف المبشرين، ثم اتصل بالاستعمار، وتعتبر الحملة الفرنسية على الجزائر حملة صليبية، حيث كان شعارها إضاءة أرض الجزائر بالإنجيل لينبعث منها إلى أرجاء إفريقيا.<sup>3</sup>

والدارس لتاريخ إحتلال الجزائر يجد تحالفا قويا قد حصل بين ساسة فرنسا ومستشرقيه ومبشريها، فالكل يعمل من أجل مصلحة فرنسا العليا، وخير مثال على ذلك، هو اصطحاب الجنرال دوبورمون

<sup>1</sup> محمد فاروق النبهان، مرجع سابق، ص 13.

<sup>2</sup> زلافي ابراهيم، "رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر" التنصير أنموذجا"، مجلة إشكالات، معهد الآداب واللغات المركز الجامعي تلمسان، 8ع، الجزائر، ديسمبر 2015، ص 314.

<sup>3</sup> احמידة عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2009، ص 103.



## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

قائد الحملة الفرنسية على الجزائر 16 قسيسا معه أثناء الحملة.<sup>1</sup>

إن الاستشراق هو بمثابة غرف العمليات والمخابر، التي ترسم الخطط، وتوفر السموم، وتصدر الأوامر، أما التنفيذ فهو مهمة التنصير، الذي يقوم بزرع السموم في المجتمعات عبر منابر التعليم وغيرها من المؤسسات، ولذلك كان المستشرقون هم الطلائع الأولى للمنصرين، وكان الاستشراق في بدايته مقتصرًا على فئة الرهبان والقساوسة ورجال الكنيسة.<sup>2</sup>

وبمجرد نجاح الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر، شرعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في التخطيط للقضاء على الدين الإسلامي، وإحلال الديانة المسيحية محلها، والملاحظ أن هذا العمل كان يتم وفق خطة مدروسة بإحكام، ولم يكن أبدا عملا عشوائيا، فقد درست الديانة الإسلامية بشكل جيد مما جعلها تتركز بشكل كبير على الدين بتوظيف الحركة الإستشراقية في هذا المجال.<sup>3</sup>

وكان الهدف من هذه الدراسة، هو التعرف على حقيقة الدين الإسلامي ومدى ارتباط الجزائريين به، ومن ثمّ يسهل التعرف على مواطن القوة لمحاربة المسلمين بمواطن الضعف، وبالتالي التسلل إلى جسم العالم الإسلامي. ولقد أوكد للمستشرقين دور إفراغ الجزائريين من معتقداتهم، حتى تنهار الروح المعنوية الدينية والوطنية، ومنه انهميار المقاومة الجزائرية، التي ارتكزت دوما على هذه الروح، ولقد أّسى المستشرقون هذا الدور بامتياز.<sup>4</sup>

ويظهر الدافع الديني جليا، خاصة عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19م، الذين كانوا يشعرون أنّ واجبهم هو القضاء على بربرية هذه الشعوب وإسلامها، وإحلال المسيحية مكانها، حتى يتم تمدينها

<sup>1</sup> شاوش حباسي، "من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1962م"، مجلة الدراسات التاريخية، قسم التاريخ جامعة الجزائر، ع10، 1997، ص78.

<sup>2</sup> زلافي ابراهيم، مرجع سابق، ص. 309.

<sup>3</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 22.

<sup>4</sup> احميدة عميراي، تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004، ص. 12.

\* للاطلاع أكثر على موقف المسؤولين الفرنسيين انظر، عبد الجليل التميمي، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م، مجلة التاريخية المغربية، العدد1، تونس، 1974، ص، ص. 12، 24.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

فحولوا الجوامع إلى كنائس، وألغوا شرعية الأعياد الدينية الإسلامية، وأفسحوا المجال للمبشرين في إرجاع الشعب الجزائري إلى حظيرة الدين المسيحي، وفاء للماضي، وخدمة للإنسانية.

ولتحقيق ذلك انتهجت السلطات الفرنسية سياسة الفرنسة، وذلك محاولة منها لإضعاف اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، والتراث الإسلامي، وعملت على نشر لغة المستعمر ودينه وتاريخه، وتغذية اللغات أو اللهجات المحلية، والعمل على نشرها<sup>1</sup>، فتركت المجال للمغامرين الذين اتخذوا من المدارس التي أسسوها مراكزاً للتبشير، فكان رد فعل الناس أن قاطعوا هذه المدارس، ومن هذه المقاطعة جاءت مقولة "مقاطعة الجزائريين للمدرسة الفرنسية"، التي مازال يرددونها كل من يكتب عن التعليم حتى اليوم.<sup>2</sup>

ولم تكتف بذلك فقط، فقد أقدمت الإدارة الاستعمارية في الجزائر، على استصدار فتوى من كبار علماء المسلمين في جامع الأزهر والقيروان والحرم المكي، تُحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين وذلك لإضعاف المقاومة وتشثيت جمعها.<sup>3</sup>

رأينا في السابق أن التخطيط لاحتلال الجزائر بدأ في مخابر التنصير والاستشراق، فبعد الاحتلال مباشرة استقرت أولى المؤسسات التنصيرية منها: اللازاريسست (Lazaristes) باسطاوالي على الساحل الغربي للجزائر العاصمة، ثم إنشاء أسقفية في سنة 1838م، عُيِّن على رأسها المستشرق ديوش (Dupuch)، كما دخلت جمعيات رهبانية كنيسة الجزائر، منها جمعية أخوات القديس فانسون دي بول (Sœur de saint vaincent de paul)، وجمعيات نساء الرحمة (Les femmes de la charité). وفي سنة 1868م أنشأ لافيغري جمعية رهبانية هي منصري إفريقيا،<sup>4</sup> وذلك بهدف إحياء الكنيسة الكاثوليكية التي مضى عليها 12 قرناً<sup>5</sup>. كما كان لأسماء أخرى دور هام في الحملة

<sup>1</sup> أمحيدة عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص. 105.

<sup>2</sup> جمال قنان، التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية سلطته واستغلاله، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، 2-3 جويلية 2007، الجزائر، ص. 65.

<sup>3</sup> إبراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 213، 218.

<sup>4</sup> الحاج محمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م (مزاب والاهقار نموذجاً)، مذكرة مقدمة ليل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012، ص. 47.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 7.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

التبشيرية، أمثال جيرونيما وسان سيبريان، الذين انتشروا في أقاصي الجبال والصحراء، حاملين معهم الصليب إلى سكانها، ملفوفا في قوارير الأدوية ولفائف الكتب والأغذية والملابس، تحت حماية ورعاية الدولة الفرنسية وجيشها وقوانينها الاستثنائية القاسية ضد الجزائريين.<sup>1</sup>

حرص رئيس الكنيسة الكاثوليكية لافييجري، على ترسيخ أقدام الاحتلال، وإنهاء كل أشكال المقاومة، فأسس طائفة رهبانية في 1866م، متخصصة في العمل في المحيط الشعبي الجزائري "مبشري إفريقيا"<sup>2</sup>. ويقول المستشرق والمبشر الفرنسي شارل دو فوكوا (Cahrls de foucaud 1916-1858) والذي يعتبر من أبرز المبشرين الفرنسيين الذين وصلوا إلى أعماق الصحراء الجزائرية، وتعرفوا على سكان شمال إفريقيا: أن سكان إمبراطوريتنا الإفريقية على أنواع مختلفة، فمنهم البربر، وهم أقرب الناس إلينا، ومنهم العرب، وهم أقل استعدادا للتقدم<sup>3</sup>، ولقد لخص مهمته في أمرين أساسيين، الأول: وهو العمل على نشر النفوذ الفرنسي في الحقار، والثاني: وهو إدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم، وأشار بذلك في نص صريح: الأمر الأول هو إقامة النظام الفرنسي والحضارة الغربية في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقي، والأمر الثاني هو التبشير، فكان هدفه في ذلك هدف لافييجري.<sup>4</sup>

وكمثال آخر نذكر المرشد الديني فرنسوا بورغاد (F.Bourgad)، والذي حدد هدفه الجوهري المتمثل في الفرنسية والتغريب والتنصير؛ فالمدرسة عنده وسيلة لتحقيق أهدافه يقول: إن التعليم والدين يبدآن مبكرا في نفوس الأطفال، وإن العقيدة تُغرس في نفس الطفل منذ الصغر، في البيت أولا، ثم في المدرسة ثانيا، فعلينا أن نبدأ من حيث بدأ الإسلام<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص. 8.

<sup>2</sup> جمال قنان، التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية سلطته واستغلاله، مرجع سابق، ص. 52.

<sup>3</sup> بلقاسم الحناشي، الحركة التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن 19م منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان تونس، 1989، ص. 88.

<sup>4</sup> أبو عمران الشيخ، "شارل دي فوكوا في تمارست 1905-1916م"، مجلة الثقافة الجزائرية، ع70، الجزائر، جوان 1983، ص ص. 80-

.81

<sup>5</sup> أمحيدة اعميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص. 108.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

و قد صلت حركة التنصير أواخر القرن 19م إلى مناطق الصحراء مثل مدينة ورقلة والاغواط، إلا أن مجهودات المبشرين في هذه المناطق كانت فاشلة، خاصة في مدينتي غرداية وقريفيل (Gueriville) (أولاد سيدي الشيخ) نظرا لتمسك السكان الشديد بدينهم الإسلامي.<sup>1</sup>

عرفت الفترة التاريخية (1830-1916م) شخصيات دينية مسيحية كبيرة، اضطلعت بدور بارز وخطير في تدعيم الحركة التنصيرية، وخدمة الاحتلال الفرنسي أمثال: إيميلي دوفيار، الأسقف ديوش، وفرنسوا بورغاد، والكاردينال لافيحري، والأب شارل دو فوكو، مستعملين بذلك جميع الوسائل التي تمكنهم من تحقيق مشروعهم والوصول إلى غاياتهم، وذلك عن طريق التعليم والتطبيب، وإحياء النزعة العرقية بالدعوة إلى البربرية، وإنشاء الجمعيات التنصيرية،<sup>2</sup> وخير مثال على ذلك المقال الذي نشره المستشرق والمنصّر هانوتو سنة 1944م، والذي يكشف فيه بوضوح سياسة فرنسا في إضعاف عقيدة المسلمين، وذلك عن طريق شرح قيم الإسلام شرحا يُضعف في المسلم تمسكه به، ويزرع فيه الشك في عقيدته وتراثه، ويشعره بالدونية والانحطاط، كي لا يخضع كليا للثقافة الغربية.<sup>3</sup> ولتأكيد أهمية الدافع الديني للاستشراق الفرنسي في الجزائر نستشهد بمجموعة من أقوال الباحثين، سواء المسلمين منهم أو الغربيين :

يعترف يوهان فوك بالدافع الديني التبشيري بصراحة بقوله: إن الاستشراق لم يكن عملا علميا محضاً؛ بل إن المراد منه هو الرد على الإسلام والتبشير بالنصرانية بين المسلمين، بتراجم عربية للإنجيل.<sup>4</sup>

يقول المستشرق الألماني المعاصر استفان فيلد (Stephan Wild): والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يُسمون أنفسهم مستشرقين، سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه، في سبيل مكافحة

<sup>1</sup> عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص.71.

<sup>2</sup> أحميدة عميراي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص. 108، 106.

<sup>3</sup> إبراهيم زلافي، مرجع سابق، ص. 317.

<sup>4</sup> يوسف موسى عبد الله وآخرون، "الهدف الديني للاستشراق من دراسة التراث الإسلامي من وجهة نظر محمد البهي ومحمد ياسين عربي"،

المجلة الدولية للفكر الإسلامي، ع 1، لندن - بريطانيا، جوان 2012، ص. 94، 95.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بدّ أن يعترف به المستشرقون المخدّعون لرسالتهم بكل صراحة.<sup>1</sup>

واستخلص مصطفى السباعي في لقاءه بعدد من المستشرقين في الجامعات الأوروبية مجموعة من النتائج من بينها: أنّ الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب، ويلقى منهما كل التأييد.<sup>2</sup> وقد أكد حقيقة الهدف الديني قائلاً: لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث والتعرف على الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين، وهو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان واستمر كذلك حتى عصرنا الحالي، وهؤلاء كان يهتموناً يطعنوا في الإسلام ويُشوّهوا محاسنه ويُحرفوا حقائقه.<sup>3</sup>

وحول علاقة المستشرقين بالاستعمار، يذكر مالك بن نبي أنّ المستشرق الفرنسي ماسينيون قد تفرغ آخر حياته للتبشير، وهدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول البلاد الإسلامية، وهيئة العملاء والكتاب.<sup>4</sup>

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن الدافع الديني كان عاملاً قوياً في قيام الاستشراق ونشاطه، فهذا ادوارد سعيد يؤكد على أهميته في ظهور حركة الاستشراق بقوله: ومن هنا يستطيع كل باحث في التاريخ أن يثبت بما لا يدع مجالاً للشك، أنّ الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحلها التاريخية، ولم يستطع أن يتخلص منه بصورة نهائية.<sup>5</sup>

### 2. الهدف الاستعماري :

الهدف الاستعماري هو الأوضح في عملية الاستشراق، فعندما امتدت مطامع الغرب في الشرق كان الاستشراق هو جهاز المعلومات القادر على أن يمد الأجهزة التنفيذية بمخططات جغرافية

<sup>1</sup> محمد عبد الله الشراوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار السير، مصر، 2016، ص 110.

<sup>2</sup> عبد الرحمان حسن حبنكة، مرجع سابق، ص 154-155.

<sup>3</sup> مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 20.

<sup>4</sup> مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1986، ص 212.

<sup>5</sup> يوسف موسى على وآخرون، مرجع سابق، ص 94.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

واجتماعية وسكانية وثقافية، ويبين بكل دقة مكونات كل منطقة في العالم، وخصائصها ومواطن القوة والضعف فيها.<sup>1</sup>

ارتبط الاستشراق الفرنسي ارتباطا عضويا بالحركة الاستعمارية الفرنسية، بحيث راهنت الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية على مستشرقها ودورهم بقدر ما راهنت على جيوشها، فهما وليدا سياسة واحدة<sup>2</sup>، فأتت الحملة الفرنسية على الجزائر، قدم مجموعة من المستشرقين الفرنسيين خدمات جليلة للإدارة الاستعمارية، وذلك بترجمة أعمال زملائهم السابقين عن الجزائر من الأمريكيين والأوروبيين مثل: مؤلفات الدكتور شو، والقنصل شيلر، والأديب باقي؛ وذلك لتوظيفها في الاحتلال، ومن هنا تظهر العلاقة جلية بين الاحتلال والاستشراق<sup>3</sup>، فبذل المستشرقون في ذلك كل مجهوداتهم الفكرية، وقدموا للإدارة الاستعمارية كل ما تحتاجه في سبيل التغلغل في أوساط المجتمع الجزائري، والتحكم فيه والسيطرة عليه<sup>4</sup>، فحرصت السلطات على تجنيدهم وتوظيفهم في المناصب الإدارية الحساسة؛ للاستفادة من خبراتهم واستغلالها في بسط نفوذها الاستعماري، ويؤكد هذا الطرح المستشرق الفرنسي جاك بيرك (1910-1995م) بقوله: الاستشراق هو الجناح الفكري للتوسع السياسي، وغياب أحدهما عن الآخر هو بداية تصدع في جدارهما، وهو ضعف لهما ومؤشر لبداية زوالهما<sup>5</sup>.

إذا كان بعض المستشرقين في فرنسا نفسها لهم نظرة واسعة على المجتمعات الإسلامية، فإن المستشرقين الفرنسيين في الجزائر كانوا مرتبطين كما ذكرنا بالإدارة الاستعمارية ارتباطا سياسيا، وكانوا مدعومين من قبل لجنة إفريقية الفرنسية التي كان مقرها في باريس، ومن قبل زعماء الكولون أمثال: يوجين ايتيان، ومن الجامعات الفرنسية ومن اللوبي الاستعماري عموما<sup>6</sup>؛ وعليه لعب الاستشراق الفرنسي

<sup>1</sup> فاروق النبهان، مرجع سابق، ص 15.

<sup>2</sup> احمد مسعود سيد علي، "الاستشراق الانثروبولوجي الفرنسي في الجزائر وارتباطه بالتنصير"، مجلة قضايا تاريخية، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ع2، بوزريعة الجزائر، 2016، ص 106.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، ج 6، المرجع السابق، ص 9.

<sup>4</sup> محمد الخالدي، "المستشرقون وأثرهم الفكري والفني في الجزائر"، مجلة الأثر، كلية اللغات والآداب جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ع 13، الجزائر، 2012، ص 272.

<sup>5</sup> احمد سيد علي، مرجع سابق، ص 108.

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 14.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

دورا كبيرا في استعمار الجزائر، اذ ينكشف لنا في اتجاهين: فني رومانسي، وفكري دراسي مؤازرين للعسكر وفلوله الغازية للجزائر.<sup>1</sup>

من المؤسسات التي لعبت دورا مهما عندئذ: مدرسة اللغات الشرقية، والتي أصبحت الرائد الأساسي لدعم الحركة الاستعمارية ومكاتبها العربية، بإمدادها بالترجمين والمستشارين والمعلمين للجند والمستوطنين، وبالمعارف التي يصل إليها هؤلاء الخبراء المستشرقين،<sup>2</sup> فالبيان الذي وزع على الجزائريين عشية الاحتلال، ترجمه مؤسس هذه المدرسة المستشرق دو ساسي، وبعد الاحتلال مباشرة وجه تلاميذه من المستشرقين النابحين للاهتمام بالدراسات العربية في الجزائر، وكان على رأسهم لويس برينيه،<sup>3</sup> الذي كان عليه أن يقوم بالدور الذي أوكل له بدقة ونشاط، لأنه بذلك يحقق أهداف الإدارة الاستعمارية،<sup>4</sup> فتوجهت تلك الزمرة إلى الدراسة والبحث في لهجات الجزائريين، وتعليم الجند والقادة السياسيين والإداريين تلك اللهجات على اختلافها، ليتسنى التعامل مع الأهالي بيسر وسهولة.<sup>5</sup>

لقد أعطى الاحتلال الفرنسي للجزائر دفعا قويا لحركة الاستشراق الفرنسي بمحتواه الاستعماري، اذ وقعت جُل المخطوطات والوثائق الجزائرية وآثارها المختلفة بين أيدي مستشرقها، الذين شرعوا في تحليلها ودراستها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، بهدف توظيف ما يتوصلون إليه من نتائج في عملية تثبيت الوجود الاستعماري<sup>6</sup>، ولم تكتف بتثبيت إدارة الاحتلال في الجزائر فقط، بل سعت إلى أكثر من ذلك وهو ترسيخ فكرة الاورو مركزية، وبما أن الاستشراق هو وليد المركزية الأوروبية، فانه اعتمد على خطاب المتفوق لتسهيل إدارة الأهالي المسلمين من طرف الحكومات الاستعمارية، وبحسب عبد الله العروي، فان الاستشراق جاء ليُشَوِّهَ صورة الإسلام والروح العربية، ولتبرير سيطرة السياسة الأوروبية بطريقة غير

<sup>1</sup> آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، طبعة وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2007، ص. 124.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص. 134.

<sup>3</sup> محمد جعيجع، مرجع سابق، ص. 30.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1996، ج 4، ص، ص 28،31.

<sup>5</sup> محمد جعيجع، مرجع سابق، ص. 30.

<sup>6</sup> إبراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 134.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

مباشرة<sup>1</sup>، فتحوّلت الحركة الاستشراقية في الجزائر إلى مؤسسة استعمارية، تريد ترسيخ فكرة الأورو مركزية في أوساط شريحة فاعلة من المثقفين والمفكرين العرب، والدليل على ذلك كتاباتهم التي تصبُّ جميعها في إطار خدمة الوجود الفرنسي في الجزائر.<sup>2</sup>

هذا الوجود الاستعماري الذي كان يتميز عن غيره بأنه استعمار استيطاني، خاصة في شمال إفريقيا، وعلى وجه الخصوص الجزائر، قد عمل على تكريس السياسة الاستيطانية ثقافياً، عن طريق الاستشراق ومنظومته<sup>3</sup>، فالمستشرقون يلبسون أردية العلم، وان بدا عملهم أكاديمياً، فالكثير منهم لهم صلات لا تخفى مع الاستعمار.<sup>4</sup>

لقد جعل الاستعمار من الاستشراق حقيقة واقعية، ولقد كانت أرضية مسار المستشرقين هي نفسها أرضية مسار جيوش الاحتلال والغزو، وأصبح المستشرقون مستشارين لهؤلاء، وأساتذة في اللغة العربية، كما أصبحوا فيما بعد مستشارين لضباط الشؤون العسكرية، ومراقبين مدنيين، كما أصبحوا يقضون أو يبدوون على الأقل فترات خدماتهم التعليمية في الجزائر<sup>5</sup>. وكانوا مدعومين من السلطة الحاكمة، فهي لا تسهل لهم فقط السفر، وإقامة المشاريع، بل كانت تُمدُّهم بالمال، وتغض الطرف عن رسائلهم غير القانونية وغير الأخلاقية أيضاً، وتحميهم حتى لا يتعرضوا للاعتداء والاهانة،<sup>6</sup> ومن أجل ذلك كان الوفاق بين الاستشراق والاستعمار تاماً، يساعد أحدهما الآخر مساعدة فعّالة.<sup>7</sup>

ومما سبق يمكننا القول أنّ المستشرقين قدموا خدمات كبيرة للقوى الأوروبية المحتلة، سواء كان ذلك في الجزائر أو في غيرها من البلدان الأخرى، وسمحوا لأنفسهم بأن يسخرُوا المعرفة لتخدم السلطة، وبحسب المستشرق زكاري لوكمان الذي يوضح حقيقة الاستشراق الاستعماري قائلاً: **الاستشراق**

<sup>1</sup> محمد الزين، "جهود المستشرقين الفرنسيين في خدمة تراث الغرب الإسلامي - ليفي بروفنسال أنموذجاً -"، مجلة آفاق العلوم، جامعة زيان بن عاشور الحلقة، ع7، الجزائر، مارس 2017، ص. 113.

<sup>2</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية 1830-1962، مرجع سابق، ص. 156.

<sup>3</sup> الطيب بن إبراهيم، مرجع سابق، ص. 103.

<sup>4</sup> محمد العربي معيرش، مرجع سابق، ص. 147.

<sup>5</sup> دانيال ريغ، مرجع سابق، ص. 218.

<sup>6</sup> مراد وزناجي، مفهوم التاريخ عند أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، 2015، ص. 91.

<sup>7</sup> محمد أمين حسين عامر، "المستشرقون والقرآن الكريم"، دار الأمل، الأردن، 2002، ص. 50.



## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

كمشروع فكري كان مرتبطا بطرق مهمة بالاستعمار، وان نوع المعرفة الذي كان الاستشراق كفرع بحثي يميل لإنتاجه، قد أستُغل كثيرا لإضفاء الشرعية على ممارسة السلطة الأوروبية على العالم الإسلامي وتدعيمها<sup>1</sup>.

### 3. الدافع العلمي :

مثل الاستشراق تيارا فكريا في الدراسات المختلفة عن بلاد الشرق، وفي البحث عن علومه وآدابه، وأخضعت الدراسات الاستشراقية لوسائل وغايات وأهداف ودوافع سياسية، استعمارية، دينية وعلمية، وبناءً عليه تقتضي الضرورة المنهجية تصنيفا عادلا وموضوعيا، بالإشارة الى وجود استشراق علمي على الرغم من مساحته الضيقة<sup>2</sup>، فبعد تشكيل المدرسة الاستشراقية الحديثة في القرن 16-17م، أخذ الغرب يضاعف من اهتماماته بالثقافة العربية والإسلامية، ويطلع الكتب، وينشئ مدارس لعلومها، ويقيم كراسي في جامعات الغرب، للاهتمام بالمصادر العربية، تحقيقا لها، وخدمة لها، وكشفا عن كنوز المعرفة في تراثها، وكان دور المستشرقين في هذه المرحلة ايجابيا.<sup>3</sup>

في القرن 19م اتسعت مجالات الاستشراق، وأخذت تشهد اهتماما واسعا وعملا منظما، توج بانعقاد المؤتمرات الدولية، وقد احتضنت فرنسا أولها، وصارت بذلك باريس عاصمة للاستشراق، ونتيجة لهذا التطور أصبح الاستشراق يملك منطلقات للبحث، وجمعيات علمية، ومؤسسات خاصة، نمت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية، مما أتاح مجالا واسعا لنشر الدراسات الأكاديمية.<sup>4</sup>

في الجزائر وجد المستشرقون الفرنسيون في رحلاتهم حقلا خصبا للاستقراء والاستقصاء بفضل التنوع البيئي والاجتماعي، لأنهم وجدوا في ثقافة الجزائر مغنا علميا، وفي جغرافيتها فضاءً سياحيا فكتبوا عن البيئات الجغرافية، واللهجات المحلية، وأصول القبائل وأنسابها، ووضعوا المناهج التربوية لبعض

<sup>1</sup> عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، مرجع سابق، ص. 35.

<sup>2</sup> سامية بن خضرة بن هنية، مرجع سابق، ص. 49.

<sup>3</sup> محمد فاروق النبهان، مرجع سابق، ص. 18.

<sup>4</sup> ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص. 74.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

المتعلمين في المدارس الفرنسية<sup>1</sup>، وألّفوا في موضوعات اللغة وقضاياها، وترجموا من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، وصنّفوا المعاجم في اللهجات، كالمعجم الذي ألفه "مارسولين بوسيه" سنة 1871م، والذي يحتوي على 746 صفحة، ووصفه وليام مارسي بقوله: يمكن اعتباره أهم عمل للمدرسة الاستعرابية الجزائرية القديمة.<sup>2</sup>

اهتم المستشرقون الفرنسيون في الجزائر أيضا بالمخطوطات، فعملوا على جمع أصنافها، وفهرستها وتحقيقها وحفظها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، ولا يمكن لأحد أن ينكر الدور الذي قاموا به في هذا الميدان<sup>3</sup>، وكذا ميدان نشر الآثار القديمة أيضا، فلقد تم تسخيرهم لإجراء أبحاث ودراسات تحليلية للتراث الجزائري، وترجمته إلى اللغة الفرنسية<sup>4</sup>، وأولوا اهتماما خاصا بالآثار الرومانية في بلادنا، إذ كان يرسلها كل الضباط العسكريون الموزعون في مختلف النواحي، وقاموا كذلك بالحفريات، وجمع التحف الأثرية. كما اهتموا بالآثار الإسلامية والكتابات العربية على الجدران، خاصة منها جدران المساجد والمدارس والأضرحة.<sup>5</sup>

لخص المستشرق الفرنسي "هنري ماسي" مجال اهتمامات المستشرقين في الجزائر بقوله: إن المجالات التي عالجها المستشرقون في الجزائر خلال رحلتهم: هي المعاجم واللسانيات والخطوط والتاريخ والدين، وتحقيق وترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والفقهية والعلمية، ثم الدراسات الاثنوغرافية والفلكلورية وأخيرا الكتب المدرسية<sup>6</sup>، وعن هذه الدراسات يقول جمال قنان: لها جانب ايجابي يتمثل في عنصرين: الأول، توسيع دائرة التوثيق ليشمل جمع

<sup>1</sup> محمد مشري، "الجزائر في كتابات المستشرقين الفرنسيين"، أعمال الملتقى الدولي "الجزائر في الكتابات المتوسطية"، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، أيام 7-8 جوان 2010، قسنطينة، جانفي 2011، ص. 174.

<sup>2</sup> دانيال ريغ، مرجع سابق، ص. 156.

<sup>3</sup> أعراب عبد الحميد، "مخطوطات شمال الصحراء والاستشراق الفرنسي في الجزائر"، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر 2، ع 1، 2004، ص. 74.

<sup>4</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 166.

<sup>5</sup> الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغبة الجزائر، ج 2، 1982، ص. 42.

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص. 61. للاطلاع أكثر على مقال المستشرق هنري ماسي، انظر: المجلة الإفريقية، العدد 74، السنة 1933، ص ص 208، 258.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

المادة حول الجزائر والمجتمع الجزائري في القرن 19م والنصف الأول من القرن 20م، والثاني، يتمثل في توسيع دائرة الاهتمام، ليشمل العصور التاريخية المختلفة، فلم تقتصر جهودها على عصر أو فترة معينة كما حدث بعد ذلك<sup>1</sup>، ويقر كذلك مالك بن نبي بموقفه من الانتاج المعرفي للمستشرقين: لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق كل التقدير، لما يتسم به في بعض الأحيان<sup>2</sup>. وفي الفترة المعاصرة أنشأت فرنسا مركز الدراسات لجمعيات البحر الأبيض المتوسط في أكس بروفانس، وهو مخبر مزود بوسائل ناجعة، نشر منذ 1967م، دليلا سنويا لبلدان شمال إفريقيا، فهو غني بالدراسات، ويقوم بنشر مطبوعات تدور حول بلدان المغرب، ولا تحمل دراساته الجوانب الاقتصادية والسياسية والعلوم الاجتماعية والجغرافيا الثقافية المعاصرة، وقد اكتسب شهرة عالمية، بحيث بات يقصده باحثون ودارسون من شتى أقطار العالم<sup>3</sup>.

نستشهد في الأخير بقول يحي مراد عن الدافع العلمي للاستشراق بقوله: أنها ذات شأن عظيم في حركة الاستشراق، لأن العالم العربي يعد كنزا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى ففيه شُيِدَت حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون، ونزلت شرائع وأديان، وقد أثارت هذه القيم علماء الغرب، فاهتموا بدراساتها واكتشاف أسرارها<sup>4</sup>. ويقول في ذات السياق الطيب بن إبراهيم: ومن الإنصاف الاعتراف بتلك الجهود الجبارة التي قام بها المستشرقون في مجال البحث والتنقيب والتصنيف والتحقيق والتأليف والترجمة والفهرسة، حيث أن الثقافة العربية الإسلامية مدينة لبعض أعمال المستشرقين، بحيث نفضوا الغبار عن تراثنا<sup>5</sup>. وان كان للاستشراق أهداف ودوافع استعمارية، وأخرى دينية، فانه من الانصاف أن نعترف له

<sup>1</sup> جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، روية الجزائر، 1994، ص. 13.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، 1969، ص. 42.

<sup>3</sup> حامد الضالمي، "كتابات المستشرقين عن نتاجهم محاولة في الأنساق العامة"، مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ع2، العراق، 2014، ص. 162.

<sup>4</sup> يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، سلسله فكر معاصر، ب.س.ن، ص. 45.

<sup>5</sup> الطيب بن إبراهيم، مرجع سابق، ص. 183.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

بالخدمات التي أسداها الى الفكر الاسلامي وللغة العربية، لما نشره من ذخائر وتراث الفكر الاسلامي العربي، وما عمل على تحقيقه وبعثه من جديد.

### المبحث الثاني: مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر

قبل أن نتطرق إلى مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر، يجب علينا التذكير بأن الاهتمام بالجزائر ظهر قبل احتلالها في 1830، خاصة من طرف الفرنسيين أنفسهم، ويظهر ذلك في كتابات "ديفونتين" و"بيسونيل" و"فانتوردي بارادي"<sup>1</sup>، أو من طرف الانجليز كذلك، الذين كانوا يتنافسون مع الفرنسيين في التوسع الاستعماري، وقد ظهر هذا الاهتمام في مؤلفات "توماس شو" (1632-1720م)<sup>2</sup>، وفي هذا الصدد أشار أبو القاسم سعد الله إلى مؤلف انجليزي قديم عن الجزائر، طُبع في لندن سنة 1731م "لجوزيف مورغان" وعنوانه: (الكامل في تاريخ الجزائر)، ويقع في مجلدين الأول في شمال إفريقيا عامة "باربارية Barbary"، والثاني في تاريخ الجزائر خاصة، وقد نشر عملا آخر عن الجزائر في لندن سنة 1680 م<sup>3</sup>، ومن بين المؤلفات الانجليزية كذلك ما قام به الانجليزي "بلوم" في كتابه الموسوم ب: (Description of the Island of Jamaica, with the state of Algiers 1678) حيث قدم وصفا لمدينة الجزائر، وكذا قائمة بالسفن الموجودة بمينائها، أو ما قام به نيكولاس نيكولاوي في كتابه: (The description if the city of algiers and how it came into the possession of Barbarossa 2vol) حيث قدم هو الآخر وصفا لمدينة الجزائر وكيفية سقوطه أسيرا لدى الجزائريين .

أو ما قدمه جاكسون في كتابه الموسوم ب: (Of the state of rhodes Island aview of the present condition of the state of barbary or an account of the climate soil produce population manufactures and maval military strength of a morocco fez Algiers tripoli and tunis) والذي يقدم صورة عامة وشاملة عن المناطق

<sup>1</sup> ابوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 9.

<sup>2</sup> مسعودة يحيواوي، "الجزائر من خلال المنظار الاستعماري"، مجلة دراسات تاريخية، قسم التاريخ بجامعة الجزائر، ع 7، الجزائر، 1993، ص.155.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج 1، ص ص، 313-314.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

المغربية من ناحية المناخ والطقس والمحاصيل والسكان والسلع<sup>1</sup>، هذا إضافة إلى ما كتبه الرحالة الألمان أثناء زيارتهم للجزائر، سعياً لاستكشاف طبيعتها الجغرافية، والاطلاع على موروثها التاريخي وحضارتها، وأشهر ما ألف في هذا المجال كتاب أبو العيد دودوا الذي كتب بعنوان "الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان سنة 1975م<sup>2</sup>، وقد بلغ الاهتمام الغربي بالجزائر حتى الأمريكيين وهذا ما نلمسه في مؤلفات " القنصل شيلر"<sup>3</sup>.

هذه الكتابات استند عليها الفرنسيون حين بلغ الخلاف بين فرنسا والجزائر أشده عام 1827م تحضيراً للحملة على الداوي حسين، فقاموا بترجمتها، وهو ما يؤكد على أن اهتمام المستشرقين بالجزائر سبق الحملة الفرنسية عليها، وهذا ان دلّ على شيء، فإنما يدل على مدى العلاقة الوطيدة والارتباط القوي بين الاستشراق والاستعمار<sup>4</sup>.

وعلى العموم يمكن تقسيم مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر إلى 03 مراحل وهي:

**المرحلة الأولى:** وتبدأ من الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م إلى غاية انشاء المدارس العليا عام 1879م.

**المرحلة الثانية:** وتبدأ من 1879م إلى مئوية احتلال الجزائر عام 1930م.

**المرحلة الثالثة:** وتبدأ من 1930م إلى غاية استقلال الجزائر عام 1962م.

### 1. المرحلة الأولى (1830-1879م) :

لقد عرفت الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي أول مدرسة تاريخية ذات طابع عسكري، وان حاول بعض المؤرخين الفرنسيين الغاء مصطلح عسكري على هذه المدرسة، الا أن الواقع كوّن هذا

<sup>1</sup> بلقاسم قرياح، "تاريخ الجزائر العثمانية في الكتابات الانجليزية"، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 1، 2013-2014، ص، ص 237، 233.

<sup>2</sup> محمد مشري، مرجع سابق، ص . 175.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص.9.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص.9-10.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

المفهوم من خلال المؤلفات التاريخية، التي تعود أساسا الى أقلام العسكريين، وأما السمة البارزة لهم، فهي اتقانهم للغة العربية، بما في ذلك اللهجات المحلية، وهذا ما سمح لهم بتدوين التاريخ الجزائري المحلي في المرحلة الاولى للاحتلال الفرنسي<sup>1</sup>

وأهم ما اتسمت به هاته المرحلة هي حركة الترجمة من اللغة العربية (العامية الدارجة/الفصحى) الى اللغة الفرنسية<sup>2</sup>، والتي جسدها في أول الأمر مترجمون عسكريون، معظمهم ذوو مستوى تعليمي محدود جدا، ونسبة كبيرة منهم ليسوا بفرنسيين<sup>3</sup>، ذلك أن قادة الحملة الفرنسية على الجزائر كانوا قد استعانوا ب 69 من الترجمة الذي كانوا في فرنسا حينئذ، سواء كانوا فرنسيين وهم قلة كما أسلفنا الذكر سابقا أو من عرب المشرق ويهوده، والذين ارتبطوا بالفرنسيين بعد حملة نابليون على مصر سنة 1798م، أمثال جورج غروي<sup>4</sup>، شارل زكار<sup>5</sup>، جوني فرعون وأبراهام دانيوس<sup>6</sup>، وعلى كاهل هؤلاء وقع في البداية عبئ تعريف الإدارة الفرنسية الاستعمارية بالجزائر ومؤسساتها وثقافتها وتاريخها ولغتها وشعبها وديانتها<sup>7</sup>، هذا عدا عن الهواة المدنيين والمستكشفين، الذين تميزت كتاباتهم بالاهتمام المباشر باحتلال الأرض، وتحقيق رفاه مجتمع المستوطنين.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> مريم صغير، تطور الدراسات التاريخية في جامعة الجزائر خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009، ع 12، ص 272

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 144.

<sup>3</sup> جمال قنان، " مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر " مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ جامعة الجزائر، ع5، الجزائر، 1988، ص 131.

<sup>4</sup> جورج غروي هو من مواليد دمشق يتكلم اللغة العربية بطلاقة رافق بورمون اثر حملته على الجزائر والذي قام بتوزيع البيان الذي أعده الفرنسيون بالعربية ووجهه الى الجزائريين وقيل ان الداي قتله. انظر: ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج6 مرجع سابق ص 145.

<sup>5</sup> حنفي هلايلي، " المترجمون في الجيش الفرنسي آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر 1830-1962، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة الغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي البابس سيدي بلعباس، ع11-12، الجزائر، مارس 2016، ص ص 176-177.

<sup>6</sup> ابراهام دانيوس (1797-1872) من مواليد الجزائر وقد تجنس بالجنسية الفرنسية قبل الاحتلال وسبق ان كتب معجما بالعربية والفرنسية وزعه المسؤولون الفرنسيون على الضباط الجيش في الجزائر ولمعرفة البلاد سمي المترجم للدليل للحملة سنة 1830م كما كان مترجم للجنة الإفريقية التي جاءت للتحقيق في الجزائر في 1833. للمزيد انظر: المرجع السابق ص 146

<sup>7</sup> جمال قنان، مرجع سابق، ص 131.

<sup>8</sup> ادموند بورك، "فرنسا وسوسولوجيا الإسلام الكلاسيكية 1798-1962"، تر: يونس لوكيلي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط المملكة المغربية، ديسمبر 2014، ص 10.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

وأول من ابتدأ عصر الترجمة هم من الرجال الذين شاركوا في الحملة الفرنسية ضد الجزائر وعلى رأسهم: كازافييريانشي (1783-1864م)<sup>1</sup>، دي ساسي، شارل زكار، الذي قام بكتابة البيان الموجه إلى الجزائريين عشية الاحتلال، والذي تم توقيعه من طرف قائد الحملة دي بورمون (1773-1864م)، وقد اعتبره جل المؤرخين على أنه أول نص هام للدراسات الاستشراقية في الجزائر وأول اتصال تم بين المحتل والأهالي باللغة العربية اللهجية<sup>2</sup>. فمن دواعي الحاجة كان لزاما على إدارة الاحتلال أن تستعين بفريق من المترجمين يتقنون اللغة العربية، على اعتبار أنهم الوساطة الفعالة، التي تُمكن من التعامل مع السكان والاتصال المباشر بهم عن طريق مخاطبتهم بلغتهم<sup>3</sup>. كما ساهموا إلى جانب مهامهم العسكرية في التأليف والنشر وترجمة النصوص وتحقيق المخطوطات وجمع الوثائق والتعليق عليها في الجمعيات العلمية.<sup>4</sup>

ومن أمثلة ما تم ترجمته من طرف المترجمين العسكريين، ما قام به البارون دوسلان (Le Baron.de slane 1801-1878) الذي ترجم القسم الثالث من كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان ابن خلدون.<sup>5</sup>

ومن هنا يمكن القول أن أولى الجهود الاستشراقية في الجزائر قد كانت على يد العسكريين من المترجمين نذكر منهم: آرنو (arnaud)، باقار (Bagard)، باروخ (Baruch)، بروسلا (Brosselard)، كلارك (Clerc)، دمون (Dumont)، فيرو (Féraud)، غوان (Guin)، هيرو (Hureaux)، اسماعيل هامت (Ismail hamet)، مارتان (Martin)، ميرسي

<sup>1</sup> حنفي هلايلي، المترجمون في الجيش الفرنسي آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر، 1830-1962 مرجع سابق، ص، ص 176، 185.

<sup>2</sup> جمال الدين بابا، "الاستشراق الفرنسي والتكلمات اللهجية الجزائرية قراءة تحليلية"، مجلة الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان، ع 13، الجزائر، 2017، ص 04.

<sup>3</sup> سهيلة دريوش، الاستشراق الفرنسي في الجزائر ما بين 1830-1930، قراءة في مقال لهنري ماسي، تر: محمد يحياتن، مجلة الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري تيزي وزو، ع 39، الجزائر، 2017، ص 170.

<sup>4</sup> حنفي هلايلي، مرجع سابق، ص 180.

<sup>5</sup> كريم بوترة، "الاستعمار وظاهرة الاستشراق في الجزائر"، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي، محمد بن شب و الاستشراق، المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014، الجزائر، 2015، ص 330.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

(Mercier)، ميير (Meyer)، بينتو (Pinto)، ريموزا (Rémosat)، روسو (Rousseau)، سينييات (Seignette)، سيكار (Sicard)، سوناك (Sonneck)، توشون (Touchon)، فينيار (Fignard)، فانسان (Vincent)، ويعد بوسي مارسولان (Baussier) على رأس القائمة<sup>1</sup>. وقد كان لهؤلاء المترجمين دوران رئيسيان، الأول في جمع المعلومات عن الجزائر والجزائريين ووضعها تحت تصرف المستعمر، والثاني تعليم بعض الجزائريين اللغة الفرنسية، ليكونوا بمثابة همزة الوصل بينهم وبين الشعب المستعمر.<sup>2</sup>

إلى جانب الترجمة اتسمت المرحلة الأولى كذلك بظهور التأليف المعجمي للدارجة الجزائرية، وذلك بهدف التواصل باللغة المنطوقة دون المكتوبة<sup>3</sup>، وكانت الجيوش الفرنسية هي أولى المستفيدين من الدراسات العربية المعجمية، وفي هذا الصدد نشير الى معجم كان قد أفادهم أيما إفادة، وضعه المستشرق جان جوزيف مارسيل بعنوان: المعجم الفرنسي العربي للهجات الدارجة الإفريقية بالجزائر وتونس والمغرب ومصر، والذي نشره في باريس سنة 1837م<sup>4</sup>، كذلك المعجم العربي الفرنسي والفرنسي العربي، الذي نشره دي بوسي<sup>5</sup> سنة 1843م والموسوم بعنوان (L'Idiome D'Alger)، ومعجم باللغة البربرية للمترجم دي لا بورت<sup>6</sup> (Delaporte) بعنوان (Vocabulaire de berbère)، والذي نشرته المجلة الأسيوية سنة 1836م<sup>7</sup>. وقد أبدى إبراهيم لونيبي ملاحظته حول اهتمام فرنسا الكبير بالمعجم قائلًا: نذكر أيضا هنا دائما في مجال الاهتمام الفرنسي باللغة العربية تلك القواميس الكثيرة التي كُتبت بعد وقوع عملية الاحتلال، بل ان بعضا منها كُتب قبل ذلك، وتم توظيفها بشكل كبير خلال

<sup>1</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص. 172.

<sup>2</sup> حنفي هلايلي، مرجع سابق، ص. 180.

<sup>3</sup> جمال الدين بابا، مرجع سابق، ص. 6.

<sup>4</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص. 169-170.

<sup>5</sup> دي بوسي 1821-1873 مستشرق فرنسي من مترجمي الحكومة بالعربية وقد قضى زمنا طويلا بالجزائر، من آثاره: ترجمة كتاب روض القرطاس المنسوب إلى أبي زرع بالغة الفرنسي، وصف وصنف المعجم العلمي العربي الفرنسي جمع فيه لهجات شمال إفريقيا للاطلاع أكثر انظر: نجيب العقيقي مرجع سابق ص. 193.

<sup>6</sup> دي لا بورت 1777-1861 من المترجمين تولى في الجزائر عدة وظائف رئيسة منها مدير الشؤون الأهلية وهو الذي نظم فرقة المترجمين في المرحلة الأولى ودرس اللغة البربرية، للاطلاع أكثر انظر: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج6 مرجع سابق ص. 150.

<sup>7</sup> جمال الدين بابا، مرجع سابق، ص. 6.



## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

الحملة<sup>1</sup>، ويبدو أن هذا الاهتمام اللامشروط بالمعاجم من قبل فرنسا، كان يهدف إلى محاولة القضاء على اللغة العربية الفصحى، لتحل محلها اللغة الدارجة أو العامية وغيرها من اللهجات البربرية الأخرى.

وقد استحدثت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في هاته المرحلة أيضا مؤسسات عديدة لخدمة مشاريعها الاستيطانية، يأتي في مقدمتها المكاتب العربية (Les bureaux arabes)، والتي كُفِّت مهمة تسييرها إلى ضباط يُتقنون اللغة العربية، لكي تكون حلقة وصل بينها وبين السكان الأصليين<sup>2</sup>، وعلى الرغم من أن هاته المكاتب تضطلع بمهام سياسية، إلا أنها كانت بشكل ملحوظ أفضل مزود بالمعلومات<sup>3</sup> فقد كانت بمثابة نوافذ استشراقية تتعرف من خلالها فرنسا على التركيب القبلي للمجتمع الجزائري، عاداته، لهجاته، طرق معيشتة وتراثه المادي واللامادي، مما مكنها من الاستيلاء على الكثير من المؤلفات والمخطوطات النادرة، مستخدمة في ذلك المستشرقين الذين حملوا تسميات عديدة منها: المترجمين، الرحالة، المستكشفين، المؤرخين، الأثريين والمرافقين العسكريين، فكان عملهم موازيا لأداء الجيش الفرنسي الغازي، على غرار ما قام به ألفريد لوشاتيليه، صاحب مجلة العالم الإسلامي، الذي كان يشرف على شؤون المكتب العربي بورقلة<sup>4</sup> وبفضل تعاون ضباط المكاتب العربية والمترجمين تمكنوا من إنجاز عدة بحوث ودراسات حول المجتمع الجزائري، فظهر كاريت الذي كتب عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات الاقتصادية بينها، وكتب بيلسي دي رينوا كتابه "أخبار الجزائر"، الذي أُخ في ل18 سنة الأولى من الاحتلال، وكتب هانوتوا عن لهجات ونظم الجزائريين، هذا إضافة إلى كتابات شارل فيرو وايستر هازي ولويس رين<sup>5</sup>.

لقد بادر كذلك ضباط المكاتب العربية الى دراسة الإسلام الشعبي، لاسيما الطرق الصوفية، منها دراسة شارلز ريتشارد حول الجذور الدينية الشعبية للمقاومة الجزائرية بعنوان "دراسة حول تمرد الظهرة

<sup>1</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 106.

<sup>2</sup> عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د.ت.ن، ص. 177.

<sup>3</sup> ادموند بورك، مرجع سابق، ص. 7.

<sup>4</sup> موسى هيصام، محمد بن ابي شنب، محمد بن ابي شنب والمحافل الاستشراقية-مؤتمر الجزائر 1905 انموذجا-، سلسلة محاضرات الملثقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق النظم بولاية المدية من 7-10 ديسمبر 2014، الجزائر، 2015، ص. 231.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص ص. 20-21.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

1845-1846م"، وكذلك دراسة فرنسوا دونيفو سنة 1845م الموسومة بعنوان "الخوانيون: الأنظمة الدينية عند مسلمي الجزائر"<sup>1</sup>، وكتابات كل من تروملي (C.Trumlet)، وبرتوزان (Berthezene)، وأوربان (I.Urbain)، وديبري (Desprez)، وفيالار (Vialar)، ودي جويبر (De Jobert)، وروبان (N.robin)، وبيير بروجر (A.Berbrugger)، ودوماس (Daumas) وغيرهم كثير، وقد جاءت كتاباتهم في شكل تقارير رسمية وروايات شفوية، ومذكرات شخصية، استنبطوها من خلال المشاهدة والملاحظة أثناء الحملات العسكرية أو بالاعتماد على ما كتبه أو أدلى به بعض الجزائريين، بقصد التعرف على واقع الجزائر.<sup>2</sup>

من بين المؤسسات التي استحدثتها فرنسا لخدمة مصالحها الاستعمارية في هاته الفترة: الجمعيات العلمية، فتأسست الجمعية الحفرية لقسنطينة في ديسمبر 1852م، والجمعية التاريخية الجزائرية بالجزائر في عام 1856م، وجمع هيبون بعنابة في سنة 1863م، وجمعية الجغرافيا والحفريات بوهران في عام 1878م<sup>3</sup>. وقامت بإنشاء المجالات، وتنصيب اللجان، وهو ما سنفصل فيه في المبحث الثالث من هذا الفصل. ومن المجالات التي اهتمت بها فرنسا في هذه الفترة أيضا: التعليم، اذ اتبعت فيه سياستين الأولى: في نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي، والثانية: في تشجيع تعليم اللغة العربية للفرنسيين، وذلك من خلال تحفيزهم برفع الأجور. كما قامت بإنشاء جوائز سنوية للذين يتعلمون اللغة العربية، منها جائزة سنة 1851م، وزيادة على ذلك فقد أعلنت وزارة الحربية عن تفضيلها عارفي اللغة العربية، واعتبرته شرطا للالتحاق بالوظائف المدنية، وكان ذلك سنة 1853م<sup>4</sup>، ولكي يتحقق هذا التعليم المزدوج كان حريا بفرنسا إيجاد مؤسسات رسمية تتولى هاته المهمة، فأنشأت حلقات أو كراسي اللغة العربية، واستهلت

<sup>1</sup> ادموند بورك، مرجع سابق، ص. 8.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسية وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2000.

ص. 10.

<sup>3</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص. 188.

<sup>4</sup> ابراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص. 89.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

نشاطها في ديسمبر 1832م، وانتهت بضمها الى مدرسة الآداب، والمدارس الشرعية الثلاث سنة 1879م<sup>1</sup> :

**الحلقة الأولى:** وكانت في العاصمة على يد المستشرق جوني فرعون، الذي قبل أن يكلفه المتصرف المدني جنتي دي بوسي بدرس اللغة العربية، كان قد نشر أول كتاب له في النحو العربي، وهو باللهجة العامية الجزائرية سنة 1832م<sup>2</sup> بعنوان " ( Grammaire élémentaire d'arabe vulgaire ou algérien a l usage des français )<sup>3</sup> . وقد حقق الكتاب نجاحا كبيرا، جعل دي بوسي يتبنى درسه في ديسمبر 1832، وهكذا كان تعليم العربية للأوروبيين في الجزائر قد بدأ على يد عربي الأصل وهو جوني فرعون، ورغم محاولات هذا الأخير تأسيس حلقة اللغة العربية في الجزائر، إلا أنها منيت بالفشل،<sup>4</sup> ولم يتحقق هذا الأمر حسب هنري ماسي إلا على يد لويس برينيه<sup>5</sup> سنة 1837م<sup>6</sup>، وقد كتب برينيه تقريرا حول درسه سنة 1838م عنوانه: "تعليم العربية في الجزائر "

يقول فيه: « يتضمن تعليم العربية في الجزائر درسين، الأول في العربية الفصحى، يدرس في الكوليج، والثاني في العربية الدارجة، موجه إلى الجمهور، ويدرس في محل خصوصي »<sup>7</sup>.

فكانت له جهود حثيثة في التدريس والتأليف والترجمة والتكوين، ويعتبر مؤسس الاستشراق الفرنسي في الجزائر، من أهم أعماله: مصنفه الموسوم (Chrestomathie arabe)، وكتاب (Anthologie arabe élémentaire)، ويعد من ركائز تعليم العربية في الجزائر، بالإضافة إلى كتابه (Leçons théorique et pratique arabe du cours public de langue arabe)

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 14.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 17.

<sup>3</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص 106.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 17-18.

<sup>5</sup> لويس برينيه 1814-1869 مستشرق فرنسي من تلاميذة سلفستر دي ساسي، عين أستاذا بكروسي اللغة العربية في الجزائر واستمر في التدريس لمدة 33 سنة إلى غاية وفاته بالنسبة لمؤلفاته كلها طبعت في الجزائر منها التعليم العربي في الجزائر سنة 1846 للمزيد انظر: نجيب العقبي، مرجع سابق ص 192.

<sup>6</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص 182.

<sup>7</sup> دانيال ريغ، مرجع سابق ص 207.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

والذي طبع عام 1855م<sup>1</sup>، كذلك كتاب مبادئ في الخط العربي نشر سنة 1842م، وكتاب مبادئ في اللغة العربية المنطوقة في الجزائر واياتها سنة 1838م، وكتاب النحو العربي لداوود الصنهاجي<sup>2</sup>، وقد استمر برينييه في نشاطه الاستشراقي الى غاية وفاته سنة 1869م، وخلفه على التوالي كل من كومباريل ريشبي، وهوداس. و قد عُرُفت حلقة العاصمة باسم كولييج الجزائر (متوسطة)، تولاهما المستشرق قرقوس في مارس 1846 بعد نجاحه في المسابقة التي نظمها برينييه.

**الحلقة الثانية:** حلقة قسنطينة تولاهما المستشرق فينيار في ماي 1846، بعد نجاحه هو الاخر في المسابقة المنظمة من طرف برينييه، ثم خلفه شيربونوا الذي كان له علاقات مع بعض الأسر القسنطينية المثقفة أمثال: أحمد العطار، المكي بوطالبي ومصطفى بن جلول، ثم خلفه على التوالي: ريشبي، مارتن موتيلانسكي وكور.

**الحلقة الثالثة:** حلقة وهران التي افتتحت في 22 ديسمبر 1846، وتولاهما المستشرق هادمار، ثم خلفه على التوالي: كومباريل، هوداس، ماشويل، ديلفان وموليراس وبيل<sup>3</sup>.

**الحلقة الرابعة:** حلقة الكولييج الامبريالي، وكانت بالعاصمة، وقد تولاهما الدكتور بيرون<sup>4</sup> سنة 1857 وكان مساعده هو شارل فيرو،<sup>5</sup> وكانت آخر حلقات اللغة العربية لمدرسة الآداب العليا، التي أنشئت سنة 1880م.

إن الدارس لمسيرة التعليم الفرنسي في الجزائر يلاحظ ذلك الكم الهائل من المستشرقين الذين سخّرتهم الإدارة الاستعمارية لتعليم اللغة العربية في الجزائر، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على

<sup>1</sup> جمال الدين بابا، مرجع سابق، ص ص 7-8.

<sup>2</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص 185.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 6، مرجع سابق ص، ص 15، 23.

<sup>4</sup> الدكتور بيرون 1805\_1876 طيب تخرج من باريس وعين مديرا لمدرسة الطب بالقاهرة ثم تنقل بين عديد من بلدان العربية، من اهم اثاره قواعد العربية، العربية العامية في الجزائر. للاطلاع انظر: نجيب العقيلي، مرجع سابق ص 195.

<sup>5</sup> شارل فيرو 1829-1888، دخل الجزائر في سنة 1845 التحق بوظيفة الترجمة بالجيش الافريقي سنة 1848 كما ترأس الجمعية التاريخية

الجزائرية من 1876-1878، من مؤلفاته، ترجمة كتاب العدواني، صحراء قسنطينة، للمزيد أكثر انظر: ابراهيم مياي "الدراسات التاريخية للمقاومة الشعبية الجزائرية، اعمال الملتقى الوطني واقع الدراسات التاريخية في الجزائر المقاومة والثورة نموذجاً، المنعقد بولاية غرداية يومي 6-

7 سبتمبر 2006، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص 123، 125. انظر الملحق رقم (1)

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

الاهتمام الذي أولته فرنسا للتعليم، ولا يمكن لفرنسا أن توفر كل هذه الإمكانيات دون أن تكون المستفيد الأكبر من ذلك<sup>1</sup>، ففرنسا تعاملت مع اللغة العربية بطريقة براغماتية نفعية إلى حد كبير، وقد اعترف المستشرق هنري ماسي نفسه بأن فرنسا كانت تنظر بوجه عام إلى دراسة اللغة العربية كوسيلة للتغلغل السياسي وليس كعنصر من الثقافة الفكرية...، وأنها أداة بسيطة تمكن من الاتصال بالأهالي ليس إلا.<sup>2</sup>

وهناك الكثير من الدلائل والبراهين التي تؤكد لنا استخدام الإدارة الاستعمارية للغة العربية كأداة لتثبيت وجودها في الجزائر، منها الرسالة التي أرسلها المتصرف المدني في الجزائر السيد بريسون (Bresson) إلى المفتش العام للتعليم، والتي دعا فيها إلى إلزامية دراسة اللغة العربية والاستفادة منها، وهذا بغرض معرفة عادات وتقاليد الأهالي وطريقة تفكيرهم، ورأى أن هذه العملية لا ينبغي أن تتوقف على فئة من المترجمين، بل يجب توسيعها إلى بعض رجال الفكر والثقافة، يأتي في مقدمتهم المستشرقين.<sup>3</sup>

ظهرت خلال هذه المرحلة المدارس الشرعية الثلاث، والتي صدر مرسوم إنشائها في 30 سبتمبر 1850 في كل من قسنطينة وتلمسان والمدينة، وكان الغرض منها هو تكوين المترشحين للوظائف المتصلة بمصالح الدين والقضاء والتعليم العام للأهالي وللمكاتب العربية، وتجدر الإشارة إلى أن مدرسة المدينة لم تدم طويلاً، إذ انتقلت بعد 05 سنوات إلى البلدة، وبعد حوالي 4 سنوات إلى العاصمة، وقد وضعت هاته المدارس تحت إشراف السلطات العسكرية،<sup>4</sup> أما المواد المدروسة فيها، فكانت في البداية التوحيد والفقهاء والنحو، ثم تمّ تعديلها بموجب مرسوم 1863، وأضيفت إليها الفرنسية، وعلم الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص. 181.

<sup>2</sup> جمال الدين بابا، مرجع سابق، ص. 4.

<sup>3</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998، ج3، ص ص. 370-371.

<sup>5</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 78.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

وخلال هذه المرحلة أيضا بدأ اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالعربية الجزائرية في مدرسة اللغات الشرقية، والدليل على ذلك ما قام به الأب بارجيس<sup>1</sup>، الذي نشر أعمال عن تلمسان، وبيهان الذي أصدر معجما بعنوان عناصر اللغة الجزائرية سنة 1851، كدليل لخدمة السياح، والذي اعتمد فيه على طريقة التعليم في المشرق.<sup>2</sup>

كتقييم للمرحلة فإنها كانت بمثابة تهيئة لأرضية الاحتلال الفرنسي، وتكريس وجوده في الجزائر وذلك من خلال إنجاز عدة مؤسسات: كالمكاتب العربية، الجمعيات، اللهجات العلمية والمدارس، إضافة إلى تركيز الجهود على الترجمة وصنع المعاجم، اللذان كانا مسخرين بالدرجة الأولى لخدمة التعليم ولاسيما تعليم اللغة العربية، التي نالت الحظ الأوفر من اهتمام المستشرقين، على اعتبار أنها الوسيلة الوحيدة للتواصل مع الجزائريين، غير أن أهم ما يمكن استنتاجه هنا، هو أن اهتمام الاستشراق الفرنسي باللغة العربية في الجزائر لم يكن بريئا، وهو ما نلمسه في تشجيع الإدارة الاستعمارية للهجات المحلية كالدارجة والعامية وتسييسها، لمنافسة اللغة العربية، والقضاء التدريجي عليها.

يمكن القول بأن هذه المرحلة كانت مرحلة استطلاعية، استكشافية، تستهدف المجتمع والإنسان الجزائري من خلال عاداته وتقاليده ولهجاته وديانته وتاريخه وحضارته، لمعرفة الطريقة أو الأسلوب المناسب الذي سيتم به تسيير المستعمرة، كما كانت هذه المرحلة عسكرية بحتة بحيث أن العديد من المستشرقين كانوا عسكريين ومترجمين في الآن نفسه، وغير مؤهلين، وهو ما أثر نوعا ما على الدراسات والأبحاث التي قاموا بإنجازها، والتي غلب عليها عنصر الهواية (ليس كل الدراسات)، وتحكم فيها كذلك المنصب الوظيفي، والإغراءات المادية، هذا وزيادة على أنها كانت موجهة لخدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالدرجة الأولى .

وعليه فإن الاستشراق الفرنسي في نهاية هذه الفترة 1830-1879م، كان يسير جنبا إلى جنب ومرتبطا منذ البداية بإدارة المحتل .

<sup>1</sup> الأب بارجيس 1810-1896 هو أستاذ العربية في مرسيليا واللاهوت والعربية في السوربون، ومن كبار الصحفيين الفرنسيين، اشتهر بالعلوم الدينية واللغوية والفنيقية وقد خلف كثيرا من البحوث الرصينة للمزيد أكثر انظر: يحي مراد، مرجع سابق ص. 131.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 13.

### 2. المرحلة الثانية (1879-1930) :

تبدأ هذه المرحلة بصدور قانون 20 ديسمبر 1879م المتعلق بالتعليم العالي بالجزائر، اذ قضى بإنشاء ثلاث مدارس للتعليم العالي: الآداب، الحقوق، العلوم، الى جانب مدرسة الطب التي كانت موجودة منذ 1857م<sup>1</sup>، وقد تكاثفت جهود هذه المدارس الأربعة وتعاونت في دفع عجلة الاستشراق وتكريسها، لخدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، كل في مجال تخصصه، وأخرجت أعمال هامة، ففي مدرسة الطب تم انجاز أبحاث ودراسات حول طب المناطق الساخنة وأمراض الشمال الإفريقي، وذلك بفضل مجهودات مجموعة من الأساتذة أمثال: (Crutillet), (Vincent) Cochey), (Trolard), وغيرهم، وتمكنت من إصدار عدة دوريات متخصصة مثل (Le Bulletin médical de l'Algérie, Alger médical)<sup>2</sup>، للإشارة فقد برز بمدرسة الطب مستشرقون اهتموا أيضا بالتراجم والنصوص العربية أمثال غبريال كولان<sup>3</sup>. وبالنسبة لمدرسة العلوم فقد أُنجزت أبحاث علمية قيمة، حول استغلال الثروات الباطنية والمنجمية، كما أُنجزت دراسات حول نباتات الشمال الإفريقية، وكذلك على الحيوانات<sup>4</sup>. أما مدرسة الحقوق فهي الأخرى قدمت خدمات جلية للإدارة الاستعمارية والاستشراق، بوقوفها على النصوص الفقهية، والقوانين الإسلامية، وترجمتها ونشرها وقد ركّز أساتذتها بالخصوص على خدمة القضاء الفرنسي مثل: زيس ومارسيل موران<sup>5</sup>، فقاموا بدراسة النظم القبائلية. وتوجهت مدرسة الآداب للعناية باللهجات البربرية واللغات الشرقية وتاريخ إفريقيا القديم والفلسفة الإسلامية، وقد زُوِّدت انطلاقا من الموسم 1905-1906م بمقعد خاص بالتاريخ والحضارة الإسلامية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> بغدادخلوفي، "التعليم العالي بالجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية"، مجلة المواقف للبحوث، الدراسات في المجتمع والتاريخ، ع10، الجزائر، 2015، ص. 168.

<sup>2</sup> العكروت خميلي، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين 1909-1956، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2008-2009، ص. 55.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 26.

<sup>4</sup> العكروت خميلي، مرجع سابق، ص. 44.

<sup>5</sup> اب القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 26.

<sup>6</sup> العكروت خميلي، مرجع سابق، ص. 41.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

وقد اعترف شارل جونار بالخدمات الجليلة التي قدمتها لهم مدرسة الآداب في عملية فرض سيطرتهم على شمال إفريقيا قائلًا: وجميع الأبحاث المناسبة لسيطرتنا في إفريقيا الشمالية الفسيحة، تنتج هناك، ففيها يجتمع وينتقى ما يأتي وما سيأتي من الأنظار العلمية والأبحاث المعرفية، على يد ضباطنا ومستطلعينا وسواحنا من جميع الجهات ... ولاشك أنها كنوز يشترك فيها الجميع، إذ أن العلم لأحد له، وليس بوقف على أحد دون أحد<sup>1</sup>.

وبعد مرور 30 سنة على تأسيس المدارس العليا، قررت السلطات الفرنسية بموجب مرسوم 30 ديسمبر 1909م تحويلها إلى كليات تحت اسم جامعة الجزائر<sup>2</sup>، ويمكن القول أن تأسيس جامعة الجزائر أعطى دفعا قويا لمدرسة الاستشراق الفرنسي، التي أنجزت أعمالا وأبحاثا ضخمة في شتى الموضوعات والميادين، سواء في التاريخ والجغرافيا أو في الآثار، وفي الشعر الشعبي، وفي مجال تحقيق المخطوطات ونشرها أو في الدين الإسلامي واللهجات البربرية، ولكن في شكل أكثر تنظيما وتخطيطا<sup>3</sup> دون أن ننسى تنسيق جهودها مع رؤساء الجمعيات والدوريات العلمية، كذلك يرجع الفضل في تقدم الدراسات الاستشراقية إلى ظهور العلوم الإنسانية، من علم اجتماع واقتصاد ولسانيات وتطورها، مما فتح المجال للمستشرقين للتخصص أكثر في دراساتهم<sup>4</sup>.

تصادف ميلاد جامعة الجزائر أيضا مع احتلال فرنسا لتونس واهتمامها بقضية المغرب الأقصى، وبذلك اتسع حيز البحث لدى مستشركي هاته الفترة، وأضحوا يتناولون في كثير من الأحيان تاريخ شمال إفريقيا بصفة عامة، ويربطون بين مصالح فرنسا في الأقطار الثلاثة<sup>5</sup>.

وفي نطاق الحديث عن المستشرقين فقد شهدت هذه المرحلة 1879-1930 ظهور مستشرقين محترفين، سواء من خريجي مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس، أو الذين تكونوا في مدرسة الآداب

<sup>1</sup> ابراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص. 155.

<sup>2</sup> بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص. 171.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص. 51.

<sup>4</sup> سلمى حسين علوان، مرجع سابق، ص. 202-203.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص. 23.



## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

بالجزائر أمثال: رينيه باسيه، الذي اختص في الدراسات اللغوية واللهجات المحلية، ودوتي، الذي اهتم بالأبحاث الاجتماعية، وستيفان غزال، الذي تخصص في تاريخ شمال إفريقيا القديم، ومارسيل إيميريت الذي اهتم بالجانب الاقتصادي والاجتماعي للأهالي<sup>1</sup>، واميل مسكراي، الذي ألف كتاب: تكون الحواضر لدى السكان المقيمين بالجزائر، والذي ظهر سنة 1886م.<sup>2</sup>

ظهر خلال هذه الفترة الاهتمام بما يسمى "الإسلام الجزائري"، وهو في نظر المستشرقين الفرنسيين قائم على الشعوذة والسحر والدجل والزردات والوعدات، فظهرت كتابات الفريد بل "الفرق الإسلامية"، ولويس رين بكتابه "مرابطون واخوان" سنة 1884م<sup>3</sup>، ودراسة أوكتاف دوبان وكوبولاني حول الدين الإسلامي بطريقة غير معمقة، وكانت بعنوان ( Confréries religieuses musulmanes Alger )، وقد صدرت سنة 1897م<sup>4</sup>، وفي المذهب نشر زيس zeys مجلدين عن الفقه الاباضي، ونشر موتيلانسكي<sup>5</sup> مدونة ابن غانم في الفقه الاباضي أيضا،<sup>6</sup> كما شهدت هذه الفترة اهتماما كبيرا بدراسة اللهجات العربية والبربرية، فانجز باسيه بحثا عن الدراسات البربرية والهوية 1897-1902م، ونشر موتيلانسكي عن لهجة مزاب وغدامس، وألف ماسكراي معجما فرنسيا تارقيا، ودراسات عن لهجة كل من ميزاب والشاوية وزواوة، وقد استفاد باسيه ومسكراي في دراستهما للهجات البربرية من خبرة علماء جزائريين أمثال: بلقاسم بن سديرة، الهاشمي بن الوئيس عمر(سعيد) بوليفة وابن أبي شنب، الذين قاموا بتأليف معاجم عربية (دارجة) فرنسية عن لهجات قبائلهم، ونظرا لأهمية اللهجات البربرية بالنسبة للمستشرقين والإدارة الاستعمارية الفرنسية على حد سواء فقد أنشئ كرسي لها في مدرسة الآداب بالجزائر<sup>7</sup>، وكانت بمدرسة اللغات الشرقية سنة 1913 غداة

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص ص، 24-25.

<sup>2</sup> ادموند بورك، مرجع سابق، ص 10.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج1، مرجع سابق، ص.52.

<sup>4</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص 354.

<sup>5</sup> موتيلانسكي: 1854-1907 مستشرق فرنسي عمل في خدمة فرنسا في الجزائر مترجما عسكريا ثم أستاذ للغة العربية في قسنطينة، كتب عن بني ميزاب والاباضية في شمال إفريقيا، من اثاره، تاريخ الائمة الرسميين بتيهرت لابن الصغير للمزيد انظر: نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص 210.

<sup>6</sup> اب القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 53.

<sup>7</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص ص، 56، 53.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

احتلال المغرب الأقصى للمرة الأولى، وتولاه أندري باسييه<sup>1</sup>، بعد أن كان التركيز فيها على دراسة اللغة العربية الفصحى، منذ عهد سلفستر دي ساسي، كما أعيد تنظيم الكوليج دي فرونس، وأسست فيه عدة كراسي للبلدان المستعمرة، وكانت المدرسة الاستشراقية الفرنسية بالجزائر، هي المنبع الذي يمد بالأساتذة أمثال: شيربونوا وهوداس، وكلاهما قضى في الجزائر مدة زمنية طويلة<sup>2</sup>.

عرفت هذه المرحلة كذلك اهتمام المستشرقين بالشعر الشعبي، فكتب جولي عن الشعر الشعبي في عدد من المناطق الصحراوية، كما اهتموا بتحقيق المخطوطات ونشرها، ففي 1911م نشر ألفريد بيل بالتعاون مع الغوثي بوعلي القسم الأول من الجزء الثاني من كتاب "بغية الرواد" لابن خلدون، وهو في تاريخ بني عبد الواد،<sup>3</sup> ومما ساعد هؤلاء المستشرقين على انجاز بحوثهم ودراساتهم تشجيع الإدارة الاستعمارية الفرنسية لهم، بتقديمها تسهيلات مادية ومعنوية معتبرة، وتوفيرها كل الشروط المساعدة للبحث<sup>4</sup>، بإنشائها عدة مصالح، كمصلحة الآثار التاريخية، التي أُسست سنة 1880م بالجزائر، والتي قامت ببعث جميلة وتيمقاد الرومانيتين<sup>5</sup>.

وفي نفس السنة أنشئت المكتبة الجامعية، وتولى إدارتها بيرسون pierson، ثم لويس باولي (1884-1925م)<sup>6</sup>، وفي باريس تأسست لجنة إفريقيا الشمالية سنة 1883م، بهدف بعث الوثائق والنقوش الأثرية<sup>7</sup>، هذا إضافة إلى الجمعيات العلمية، التي أنشئت في المرحلة الأولى، كالجمعية التاريخية الجزائرية، والجمعية الأثرية بقسنطينة وأخرى بوهران وعنابة، والمجلات كالمجلة الإفريقية، فكل هاته

<sup>1</sup> اندري باسييه: مستشرق فرنسي من المختصين بدراسات البربر في شمال إفريقيا من مؤلفاته نصوص من لغة البربر القديمة، مصنف عن البربر لغة وجغرافيا وتاريخا وعادات وعقائد، للمزيد انظر، نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص. 295.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 33.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص ص. 57، 60.

<sup>4</sup> إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص. 129.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص. 25.

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998، ج5، ص. 351.

<sup>7</sup> ابو القاسم سعد الله ن أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص. 25.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

المؤسسات قامت بدور هام في تطوير إنتاج المستشرقين الفرنسيين، وجعله أكثر تخصصاً وأغزر مادة<sup>1</sup> هذا دون ان ننسى المساعدات التي قدمها بعض علماء الجزائريين لهؤلاء كما سبق وأن أشرنا إليه.

شهدت هذه المرحلة كذلك انعقاد مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر في أفريل 1905م، والذي تمخضت عنه عدة بحوث ودراسات استشراقية، أفادت الإدارة الفرنسية أيما إفادة<sup>2</sup> - وهو ما سنعالجه في المبحث الذي يليه - كما توجت هاته الفترة بالاحتفال بمئوية الاحتلال سنة 1930م، والتي شكلت لها لجنة علمية منذ 1927، أوكدت لها مهمة كتابة بحوث ودراسات، وإنجاز نشرات، وإقامة معارض لتعريف العلماء الوافدين بإنجازات وجهود فرنسا الحضارية في الجزائر، ولعبت كلية الآداب دوراً رئيسياً في ذلك<sup>3</sup>، وقد انبثقت من هذا الجهد مجموعة من الأبحاث في شتى المجالات<sup>4</sup> رفقت بمجموعة 100 سنة، وهذا دليل على توطئ هؤلاء المستشرقين مع الإدارة الاستعمارية، وخدمتهم لمصالحها وأهدافها.

في ختام هاته المرحلة (1879-1930م) نخلص الى مجموعة من النتائج :

أنها كانت بمثابة عصر التنوير بالنسبة للاستشراق الفرنسي في الجزائر، الذي عرف قفزة نوعية خاصة بعد إنشاء جامعة الجزائر 1909، والتي كانت نواتها المدارس العليا الأربعة (الآداب - الحقوق - العلوم - الطب)، والتي ساهمت في تكوين ومن ثمة تخريج زمرة من المستشرقين المحترفين الأكاديميين، الذين حملوا لواء الكتابة عن الجزائر وشعبها، غير أن الملاحظ في هذه المرحلة أنها ركزت على دراسة كل المجالات والميادين: التاريخ، الآثار، اللهجات، الدين، الأدب، الفن... عكس سابقتها، التي اهتمت بدرجة كبيرة بالتأليف المعجمي خاصة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الاستشراق في المرحلة الأولى (1830-1879م) كان هدفه كيفية التواصل والتفاهم مع الأهالي الجزائريين، أما المرحلة الثانية (1879-1930م) كانت مرحلة استقرار الفرنسيين في الجزائر وتوطيد أركانهم اعتماداً على مقولة الجزائر فرنسية

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص. 11.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 13.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص. 61.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله ن ابحاث وارااء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص. 26.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

التي تبناها، ويبدو ذلك جليا في مؤتمر المستشرقين 14 في الجزائر، الذي جاء ليبرهن على هذا القول وعلى تطور الاستشراق الفرنسي، الذي أصبح أكثر تنظيما وتخطيطا.

وبالنسبة للدراسات التي أُجريت في هذه المرحلة وان كانت قيّمة، إلا أنها لم تكن تخلوا من التبعية للاستعمار الفرنسي، ومحاولة إضفاء الشرعية لغزوه الجزائر، وتكريس نظرتة التي ترى ماضي الجزائر مرتبطا بالعهد الروماني ثم بفترة الحكم الفرنسي .

### 3. المرحلة الثالثة (1930-1962م) :

اتسمت هذه المرحلة بالتوسع في تأسيس المعاهد المتخصصة<sup>1</sup> التابعة لجامعة الجزائر، كمعهد الأرصاء الجوية والفيزياء الفلكية سنة 1931م، ومعهد الدراسات الصحراوية سنة 1937م، ومعهد التهيئة العمرانية 1942م، ومعهد علم السلالات والأصول العرقية في سنة 1956م<sup>2</sup>، ومعهد الدراسات الشرقية، ومعهد الدراسات العربية وغيرها، وذلك بهدف خدمة مشاريع الدولة الفرنسية برؤية أوسع وأشمل من الكليات التي كانت تهتم بالتدريس أكثر من البحث<sup>3</sup>، ويبدو أن الاستشراق الفرنسي في الجزائر أثناء هاته الفترة، قد عرف تراجعا، ويعود ذلك إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) ثم الثورة الجزائرية (1954-1962م) فالجرب الباردة (1945-1989م)<sup>4</sup>.

عرفت هاته المرحلة كذلك تحويل المدارس الشرعية الثلاث إلى ثانويات مزدوجة ذات مستويين متوسط وثانوي، وكان ذلك في سنة 1944م، وفي سنة 1951م أصبحت ثانويات "فرنكو-ميزولمان" فرنسية إسلامية<sup>5</sup>. ومن أبرز مستشركي هاته الفترة :

المستشرق هنري بيريز ( H.Péres ): من مواليد 1892م، كان مدرسا في المدرسة الابتدائية العليا ببرج الحواش (الدار المربعة)، ثم عُين كأستاذ في كلية الآداب بالجزائر، وقد عُرف بعلمه الواسع في

<sup>1</sup> ابوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 14.

<sup>2</sup> بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص 172.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 100، 104.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 14.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 400.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

الأندلسيات والبلاغة العربية، من مؤلفاته: عادات ونظم واعتقادات الوطنيين في الجزائر، الجزء الأول سنة 1939م، أشعار عبد القادر، ونشرها بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيس كلية آداب الجزائر سنة 1932م، الجزائر في نظر الرحالين المسلمين سنة 1877-1878م، وقد نشرهاته الدراسة في المجلة الإفريقية، العدد 76، السنة 1935م.<sup>1</sup>

المستشرق ليفي بروفنسال (Evariste levi-provencal 1894-1956م): وهو من مواليد الجزائر العاصمة من أسرة يهودية، درس في ثانوية قسنطينة، ثم دخل جامعة الجزائر، فتعلم على يد رينيه باسيه وحيروم، وفي سنة 1935م عين أستاذا للتاريخ الإسلامي في كلية الآداب بالجزائر، وقد اشتهر بأبحاثه في تاريخ المسلمين باسبانيا<sup>2</sup>، من مؤلفاته: التكملة لتاريخ قلعة بني عباس -مجموعة جمعية الآثار بقسنطينة- سنة 1913م، كتابتان جديدتان في تيمقاد ( المجلة الإفريقية 1920)، تأملات في امبراطورية المرابطين في مطلع القرن 12، بمناسبة الاحتفال بالذكرى 50 لتأسيس كلية الآداب بالجزائر سنة 1932م.<sup>3</sup>

المستشرق كانتينو (Cantineau) 1899-1965م: ولد في ابنيال، وفي سنة 1933م عين أستاذا لفقهِ اللغات العامية واللغات السامية في كلية الآداب بالجزائر، من مؤلفاته: الجغرافيا اللغوية للعامية العربية في الجزائر، نُشرت هذه الدراسة في المجلة الإفريقية سنة 1936، العامية العربية في محافظة الجزائر وفي أراضي الجنوب، نُشرت في المجلة الإفريقية سنة 1938، لهجات شمال إفريقيا 1940، تلاوة القرآن في دمشق والجزائر، نُشرت في حوليات معهد الدراسات الشرقية سنة 1947م.<sup>4</sup>

المستشرق روبير برونشفيك (Robert Brunshvig) 1901-1980م: مستشرق فرنسي اشتهر باختصاصه في تاريخ تونس، نُصّب مدرسا في جامعة الجزائر من سنة 1932-1946، وخلال إقامته في الجزائر كان يعد رسالته التي تحصل بها على الدكتوراه، وجاءت في جزئين الأولى بعنوان: بلاد البربر

<sup>1</sup> نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص ص 305-306.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 520.

<sup>3</sup> نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص ص 267، 278.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص ص 282-283.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحل، ووسائله

الشرقية في أثناء حكم الدولة الحفصية منذ بدايتها حتى القرن 15م، وقد طُبعت سنة 1940م، والثانية بعنوان: رحلتان لم يسبق نشرهما في شمال إفريقيا الشمالية في القرن 15م، وطُبعت في 1947<sup>1</sup>، ومن آثاره: ليون الإفريقي ومصب الشلف، نُشرت في المجلة الإفريقية عام 1936، حول عقيدة المهدي بن تومرت، نُشرت في مجلة أرايكا عام 1955، مساهمة في تاريخ عقد الحماسة بشمال إفريقيا، نُشرت في المجلة الجزائرية للتشريع فبراير 1938.<sup>2</sup>

شهدت هذه المرحلة أيضا الاحتفال بمئوية تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1956 ومجلتها المجلة الإفريقي، وقد تمخضت عنها دراسات وأبحاث هامة عن تقدم الكتابة التاريخية خلال سنوات 1930-1956، منها دراسة ياكونو، والتي تطرق فيها إلى تقييم ما كُتب منذ الاحتلال، وجزءاً من مقال روجي لوتورنو عن العصور الوسطى والحديثة.<sup>3</sup>

وكتقييم لهاته المرحلة 1930-1962 يمكن القول: أنها كانت مكملة لسابقتها، وكما عرفنا بأنها اتسمت بالتوسع في إنشاء المعاهد، التي كان الهدف منها طبعا هو خدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية. كما شهد الاستشراق الفرنسي في هذه المرحلة تراجعا ملحوظا لاسيما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية والثورة الجزائرية ويرجع ذلك في نظرنا الى:

توظيف الإدارة الاستعمارية لمعظم مستشرقيه في دواليب الحرب، وإلحاقهم بوزارة المستعمرات هذا من جانب، ومن جانب آخر عدم قدرتها تمويل الأبحاث والدراسات الاستشراقية بسبب تكاليف الحرب.

نلاحظ كذلك في كل مرحلة من المراحل السابقة الدعم التام واللامشروط من طرف السلطات الاستعمارية للاستشراق، مما يبرهن على أن الاستشراق والاستعمار الفرنسي يسيران جنبا الى جنب

<sup>1</sup> عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص ص. 92-93.

<sup>2</sup> عبد الواحد جهداني، "المستشرق الفرنسي روبر برنشفيج واثاره 1901-1990"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ع 95، الإمارات العربية المتحدة، سبتمبر 2016، ص ص. 29-30.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص 26.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

لتحقيق هدف واحد ووحيد، وهو فرض السيطرة العسكرية والسياسية والثقافية والفكرية على المجتمع الجزائري.

### وسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر:

كان لزاما على الإدارة الاستعمارية الفرنسية من أجل تحقيق أهدافها في الجزائر وتوفير معرفة أشمل وأدق لكل خصوصيات المجتمع الجزائري، وكل مايتعلق به من لغة وتقاليد ودين وموروث... استحداث جملة من الوسائل والإمكانيات، تساعد المستشرقين الفرنسيين في المهمة الملقاة على عاتقهم، وتدعم جهودهم، كان من بينها: تشكيل اللجان العلمية، تأسيس الجمعيات المتخصصة، إنشاء الكليات والمعاهد، تدعيم البحوث الأكاديمية في إطار جامعة الجزائر وعقد المؤتمرات.

### 1. اللجان العلمية :

#### 1.1. لجنة اكتشاف الجزائر العلمي 1837:

من المعروف أن المعلم الأول للدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر تمثل في أعمال اللجنة الإفريقية، التي حلت بالجزائر بتاريخ 2 سبتمبر 1833م، بطلب من وزير الحربية "الماريشال سولت (Soult)، وعين على رأسها الجنرال بوني (Bonnet)، وكان الدافع من ورائها هو جمع المعلومات المختلفة عن أوضاع الجزائر في شتى المجالات، وبناء تصور حول مستقبلها، فكانت نتائجهما هي التي أوحى للإدارة الاستعمارية بإنشاء الجمعيات وكذلك اللجان العلمية بمساعدة عدد من المستشرقين<sup>1</sup>، ومن بين هاته اللجان لجنة اكتشاف الجزائر العلمي، والتي أنشئت من طرف وزارة الحربية في 14 أوت 1837، برئاسة العقيد "بوري دي سان فانسان"، الذي كان عضوا في المعهد الفرنسي<sup>2</sup>.

لقد جاءت ضرورة تشكيل هذه اللجنة بعد المحاولات العديدة الفاشلة لفرنسا للاستيلاء على بعض المناطق الجزائرية عن طريق القوة العسكرية، ولذلك رأت أنه لا بد من توظيف العلم لكي يتحقق

<sup>1</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الادارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص 157.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص ص 80-81.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

هذا الهدف، فالجيش الاستعماري بحاجة الى معرفة العدو الذي يحاربه ولهذا الغرض، وطن نفسه على معرفة المناطق التي أبدت مقاومة شديدة معرفة جمة، حينئذ أخذت الدراسات الاثنوغرافية العسكرية في التطور والتنامي وهي أمر استراتيجي<sup>1</sup>.

فاكتشاف الجزائر العلمي كان متوقفا على الاحتلال، وقد شرع فيه بواسطة العسكريين<sup>2</sup>، هذا إضافة الى عدد من المستشرقين والمترجمين والمختصين في شؤون المستعمرات، وعلماء قلموا الى الجزائر لمساعدة الإدارة الاستعمارية بخبرتهم، بغية تأكيد السيطرة على المجتمع الجزائري<sup>3</sup>، نذكر منهم: أدريان بير بروجر، كاريت، دين وفو، قويون، بيلسي ن دير ينو، وارني، توفيه<sup>4</sup>، وقد شملت اللجنة التخصصات التالية:

**العلوم الفيزيائية:** وتضم الفيزياء، الجيولوجيا، علوم النبات، الزراعة، الطب، الفيزيولوجيا والبيولوجيا.

**العلوم التاريخية:** وتضم التاريخ والآثار، والجغرافيا والاثنوغرافيا .

**الفنون الجميلة:** وتشمل الهندسة المعمارية والرسم.<sup>5</sup>

كما قام باحثون بنشر أعمال ودراسات في التاريخ المحلي، وتتضمن اللهجات والطرق والنظم وطبائع الناس والزوايا والحياة القبلية.<sup>6</sup>

وقد وصلت اللجنة بأعضائها الى الجزائر في خريف 1839، ولكنها لم تباشر عملها الا في ربيع سنة 1840، نظرا لسوء الأحوال الجوية، والمعلوم كذلك أن سنة 1839، شهدت استئناف الحرب بين الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي بقيادة المارشال "فاليه"، بعد نقض معاهدة التافنة من طرف

<sup>1</sup> فليب لوكا، جون كلود فاتان، جزائر الاثنوبولوجيين -نقد السوسيوولوجيا الكولونiale -، تر: محمد يحياتن، بشير بولفراق، وردة لبنان، منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال، د.ب.ن.، 2002، ص. 7.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص. 9.

<sup>3</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية 1832-1962، مرجع سابق، ص. 151.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 81.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص. 83.

<sup>6</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون فب خدمة الإدارة الاستعمارية 1832-1962، مرجع سابق، ص. 150.



## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

الفرنسيين، مما أثر على بداية أشغال اللجنة، كما أثر على حرية حركتها في المناطق المحتلة، ونظرا لهاته الظروف أعطى للجنة مدة عامين ونصف لإنجاز أبحاثها، ولذلك كان عليها أن تقدم ما توصلت اليه سنة 1842م<sup>1</sup>، ومن بين الأعمال والدراسات التي قامت بها اللجنة :

ترجمة "البارون دوسلان" لكتاب ابن خلدون بطلب من وزير الحرية<sup>2</sup>.

ترجمة "بيلسي ديرينو" التاريخ القيرواني عن المغرب الإسلامي من القديم الى عهد الموحدين.

دراسة "كاريت" لإقليم قسنطينة واهتمامه بآثارها.

زيارة "بيربروجر" الى شرشال وقيامه برسم الكتابات القديمة هناك ونسخ بعضها.

تكليف "اونفتتان" بتصنيف السلالات البشرية التي تسكن الجزائر .

كما قامت بدراسة الدين، العادات والتقاليد وقوانين الجزائريين<sup>3</sup>، وغيرها من الأعمال الاستشراقية التي لا تعد ولا تحصى، والتي ساهمت بقدر كبير في خدمة الإدارة الاستعمارية، لتسهيل لها كيفية تسيير شؤون المستعمرة، واحكام السيطرة عليها، وللإشارة فان أعمال هاته اللجنة نشرت في عدة مجلدات<sup>4</sup>

### 2.1. لجنة ترجمة الكتب العربية 1894:

أنشئت هذه اللجنة بمبادرة من الحاكم العام جول كامبون سنة 1894، وكان الهدف منها هو ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية، وخاصة الكتب المدرسية ذات الطابع التعليمي، وكان المشرف على هاته اللجنة هو بيرسفيل الكاتب العام للحكومة العامة، وضمت في عضويتها أساتذة فرنسيين في اللغة العربية من مدرسة الآداب، ومدراء المدارس الشرعية الثلاث، و مترجمين عسكريين، وتقرر أن تترجم

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص ص 82-83.

<sup>2</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الادارة الاستعمارية 1830-1962، مرجع سابق، ص 151.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 85.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 49.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

مجموعة من الكلاسيكيات العربية في الفلسفة والنحو والتاريخ والفقهاء منها: كتاب مسكويه، حي ابن يقظان، تاريخ المغرب لابن عذارى المراكشي وغيرها.<sup>1</sup>

وكان تحقيق ونشر بعض المؤلفات من طرف محمد بن أبي شنب، وكتابة معجم التراجم لأبي القاسم الحفناوي، ونصوص بوليفة داخلا ضمن هذا المشروع، وقد قام المترجم العسكري جاغار بترجمة عمل مؤلف غير معروف عن مورفولوجية الفعل في اللغة العربي، كما ترجم سيغار رجزا في النحو لحسن العطار المصري، أما دومنيك لوسيانى فهو من المساهمين في الترجمة من جهة، ومن المنشطين للمشروع من جهة اخرى.<sup>2</sup>

### 3.1. لجنة الاحتفال المئوي للاحتلال 1930:

منذ سنة 1925 نَصّب الحاكم العام موريس فيوليت لجنة النشر الخاصة للاحتفال المئوي، برئاسة رئيس الجامعة شارل تيار، وجاءت هذه اللجنة خلفا للجنة الاكتشاف العلمي، واستكمالا لما لم يُنجز من قبل هذه الأخيرة، ومواصلة لنفس المشروع برؤية جديدة ووسائل حديثة.<sup>3</sup>

وأما ما ميز هذه اللجنة عن سابقتها، فهو إسناد المهام لأساتذة جامعة الجزائر، الذين تولوا التأليف والبحث، وقد حُدِّد لها عمل هام وواسع، يتضمن إنشاء الإذاعة الجزائرية، وإقامة النصب التذكارية، وإنشاء قاعة للفنون الجميلة، وأخيرا نشر الأعمال والأبحاث<sup>4</sup>، كما كلفت الحكومة العامة المؤرخين بوضع دراسات تركيبية عن تاريخ الاستعمار في الجزائر، وعن جهود فرنسا الحضارية فيها، مع تحقيق شامل في ميدان الكتابة التاريخية حتى ذلك العهد وكانت نتيجتها صدور أبحاث عُرِفَت بمجموعة 100 سنة، ولقد برهن هذا التوافق بين الحكومة الفرنسية والمؤرخين الفرنسيين في جامعة الجزائر على مدى تواطؤ هؤلاء المؤرخين مع الإدارة الاستعمارية وخدمتهم لأغراضها.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص 98-99.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص. 99.

<sup>3</sup> تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 88.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص. 88.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الرافد، ج1، 2009، ص 26.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

كان الهدف من إسناد المهام لأساتذة جامعة الجزائر، هو مساعدة الخبراء العسكريين وغيرهم في حكم البلاد، والتوسع نحو إفريقيا والعالم الإسلامي، فهي بذلك تحول جامعة الجزائر الى أداة احتكار للمعرفة، واضطهاد لتاريخ الجزائر والمغرب العربي، ووسيلة للسيطرة الاستعمارية<sup>1</sup>، فخلال 10 سنوات نشرت لجنة النشر حوالي 50 كتابا، يعالج كل منها موضوعا متخصصا في مجالات شتى ومنهم من اشترك مع غيره في عمل جماعي مثل كتاب "التاريخ ومؤرخو الجزائر"، والذي يقول فيه أبو القاسم سعد الله: لم يكونوا في الواقع مؤرخين، وان كانوا باحثين بالمعنى الواسع للكلمة، اذا استثنينا بعض المؤرخين الاختصاصيين الذين تميزت كتاباتهم بالتحليل والنقد والمقارنة<sup>2</sup>.

ان الاحتفال الكبير بمئوية الاحتلال جاء بهدف تثبيت الوجود الاستعماري الدائم في الجزائر، وتأكيد أيضا أن هذا الاستعمار كان دائما ايجابيا.<sup>3</sup>

### 2. الجمعيات والمجلات:

قبل أن نتطرق الى الجمعيات والمجلات العلمية التي أنشئت في الجزائر، علينا أن نشير إلى أنه هناك جمعيات ظهرت في فرنسا، قد خصصت اهتماما كبيرا للاحتلال الفرنسي في الجزائر<sup>4</sup>، منها الجمعية الآسيوية Société asiatique.

### الجمعية الآسيوية:

يعود الفضل في إنشائها الى الكونت دولاستيري (Delasteyrie)، الذي اقترح عام 1821 على ريموزا وسان مارتان وبعض الأصدقاء ضرورة إنشائها، فشهد الفاتح من أبريل 1822 تأسيسها الفعلي برئاسة المستشرق دي ساسي، وحضي الدوق دورليون برئاستها الشرفية، فكان الهدف منها هو التعرف على الشرق وخدمة العلم<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص. 309.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدينية

ع14-15، ماي - جوان - جويلية واوت، قسنطينة-الجزائر، 1973، ص. 19.

Rey Goldzeiger , les problèmes algériens du second empire vue par les historiens français ,, revue d histoire "3 moderne et contemporaine 1954", armond colin, tome XXI , janvier mars 1974 , p.119.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6 مرجع سابق، ص. 90.

<sup>5</sup> محمد العربي معريش، مرجع سابق، ص ص. 68،71.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

أصدرت الجمعية مجلة تمكنها من الاتصال بالمحيط العالمي، وعن طريقها يتم الاتصال بها أيضا، عُرِفَت بالمجلة الآسيوية *journal asiatique*، أما عنوانها الكامل فهو "مجموع أبحاث وخراسات وحواجز تتعلق بالتاريخ والفلسفة والعلوم والآداب ولغات شعوب الشرق"، وكانت مجلة نصف سنوية<sup>1</sup>، مختصة في تتبع الآثار العربية والمطبوعات ذات الأهمية العلمية، غطت بنشاطها كل فروع الاستشراق الفرنسي وغيره، مع نشر تعريفات بالكتب الجديدة بشكل دوري، إضافة إلى ترجمة النصوص ونشرها.

كان لها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر حراك لا نضير له في نشر التراث الجزائري والتعريف به، كالمقالة التي نشرتها عن المخطوطات العربية في مكتبات الجزائر، وهي عبارة عن تقرير مفصل للمخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية الجزائرية، مع ملخصات عن المحتويات أعدّه المستشرق البارون دوسلان، وأرسله إلى وزير التربية الفرنسية بتاريخ 31 جويلية 1843<sup>2</sup>، وقد شارك في المجلة الآسيوية عدد من المستشرقين الفرنسيين الناشطين في الجزائر مثل بنجامين فانسان وشيربونو.<sup>3</sup>

### الجمعية الشرقية:

تأسست في باريس سنة 1841، وأصدرت مجلة الشرق، وقد جاء في قانونها الأساسي أنها تهدف إلى الاهتمام بكل ما يخص حاضر ومستقبل البلدان الشرقية، وتقول الفقرة القانونية صراحة: " يجب أن نبذل جهدنا للهيمنة عليها (أي بلدان الشرق) لصالح الحضارة- وكذلك الجزائر- هذه الأرض الإفريقية الواسعة التي كانت من قبل متوحشة (باربار Barabare) ومتمردة، وهاهي اليوم تفتخر بقوانيننا وفنوننا وعاداتنا وصناعاتنا وهي تحت الخطى نحو التقدم".<sup>4</sup>

اعتمدت وزارة الداخلية الفرنسية الجمعية الشرقية، التي جُددت في 15 ماي 1856، والذي يعود إلى مجلتها يجد ذلك الاهتمام الكبير بالجزائر، الممثل في العديد من المقالات والأخبار والتعليق، ولا

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص. 77.

<sup>2</sup> احمد مسعود سيد علي، مرجع سابق، ص. 112.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 90.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص. 90-91.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحل، ووسائله

عجب أن نجد هاته المجلة قد غيرت اسمها إلى مجلة الشرق والجزائر لمدة من الزمن، وربما أضافت إلى ذلك مصطلح والمستعمرات أيضا وكان من كتّاب مجلة الشرق في الجزائر المستشرق الفرنسي فرتان وغيره.<sup>1</sup>

### الجمعية الجغرافية **Société géographique**:

تأسست في باريس، واهتمت منذ نشأتها بالجزائر والمغرب العربي، وهي التي نشر فيها المستشرق دافيزك ترجمته لرحلة لغواطي، مع بعض الإضافات والتعليق .

### الجمعيات الفرنسية التي ظهرت في الجزائر:<sup>2</sup>

جدول يمثل أهم الجمعيات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر

اسم الجمعية	المكان	السنة
الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة <b>Société Archéologique de Constantine</b>	قسنطينة	3 ديسمبر 1852
الجمعية التاريخية الجزائرية ( <b>société historique algérienne</b> )	الجزائر العاصمة	7 افريل 1856
أكاديمية هيون ( <b>Académie d' Hippone</b> )	عنابة	1860
الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران ( <b>Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran</b> )	وهران	19 جوان 1878

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 91.

<sup>2</sup> توجد جمعيات اخرى هامة في الجزائر مثل الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة، وجمعية أكاديمية هيون(عنابة)، والجمعية الأثرية لمدينة وهران، والتي ركزت على المجال الأثري بالدرجة الاولى، والتي سنتناولها بالتفصيل في الفصل الرابع

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

20 فيفري 1896	الجزائر العاصمة	الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال افريقيا ( Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord

### الجمعية التاريخية الجزائرية: société historique algérienne :

تأسست الجمعية التاريخية الجزائرية يوم 7 افريل 1856 في الجزائر العاصمة،<sup>1</sup> وذلك بمبادرة من الجنرال الفرنسي في الجزائر "راندون" 1852-1858،<sup>2</sup> الذي أصبح رئيسا شرفيا للجمعية،<sup>3</sup> وأول مكتب لها كان يتألف من: بيربروجر رئيسا فعليا، وعضوية كل من: دوسلان ودونوفو وكلاهما عسكريان، والمستشرق "برنيه" كاتب عام وأستاذ للغة العربية،<sup>4</sup> ثم انظم اليها فيما بعد الجغرافي مكارتي والمتصرف المدني رولان دي بوسي، والعقيد هانوتو وبارجيس، والجنرال دوماس،<sup>5</sup> وكان مقرها في بداية الأمر في المكتبة الوطنية الجزائرية، ثم تحول إلى كلية الآداب بالجزائر<sup>6</sup>

أما فيما يخص أهدافها، فقد عبر عنها ببروجر، وعن الطابع التاريخي لاختيار اسم المجلة الافريقية (la Revue Africaine) تيمنا بافريقيا الرومانية، التي اعتقد الفرنسيون أنهم بصدد احياؤها،<sup>7</sup> فكتب يقول: ان المجلة الافريقية يجب أن تهتم خاصة بالمادة غير منشورة وبالأعمال المفيدة والايجابية، والوثائق الاصلية، وبكل ما يمكن أن يلقي الضوء على التاريخ المحلي في مختلف عصوره، وعليه حُدّد مجال نشاطها في حقول المعرفة، وتمثلت في دراسة ومعرفة كل

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص. 94.

<sup>2</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الادارة الاستعمارية، مرجع سابق، ص. 151.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص. 94.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص. 16.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج6، مرجع سابق، ص. 95.

<sup>6</sup> عبد القادر نايلي، " التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية -المجلة الإفريقية أنموذجا- "، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان بن عاشور

الجلفة، ع3، الجزائر، 2011، ص. 55.

<sup>7</sup> محمد البشير شيتي، علم الآثار تاريخه مناهجه مفرداته، دار الهدى عين مليلة، الجزائ، 2013، ص 58

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أهدافه، مراحلها، ووسائله

الأحداث المتعلقة بتاريخ إفريقيا، ولاسيما ما يخص الجزائر، منذ العهد الليبي إلى نهاية العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، فهي تهتم بالتاريخ والجغرافيا واللغات والفنون والعلوم الشمال افريقية،<sup>1</sup> تاركة أمر العناية بالآثار لجمعية قسنطينة، وللهيئات المختصة بشؤون الآثار وما يتعلق بها<sup>2</sup>.

ظهر أول عدد لها في أكتوبر 1856، واستمرت إلى غاية مارس 1962، وتوقفت عن الصدور خلال الحرب العالمية الأولى لظروف أمنية<sup>3</sup>. والدارس لمختلف أعداد المجلة يجدها ثرية بالدراسات التاريخية والأثرية والانثروبولوجية والاجتماعية وتراجم للشخصيات الجزائرية عبر مختلف العصور التاريخية.<sup>4</sup> جاء قرار إنشائها بحسب رئيسها بير بروجر<sup>5</sup> بعد ما فشلت تجارب الدوريات والصحف التي أصدرت مع بداية الاحتلال، في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي فيقول: لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيما محكما يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي، وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء المجلة الإفريقية.<sup>6</sup>

كانت أهداف المجلة المعلنة أن تصبح مكتبة تاريخية افريقية، تكمل ما يقوم به علماء أوروبا من دراسات وبحوث حول التاريخ إفريقيا والمستعمرات، أما أهدافها الخفية، والتي لم يفصح عنها، فهي كتابة تاريخ الجزائر من منظور استعماري، من خلال التركيز على الآثار والمعالم الرومانية، وتشويه كل ما هو إسلامي، فأسمى الرسول صلى الله عليه وسلم في كتاباتهم النبي المزعوم<sup>7</sup>.

Vol <sup>1</sup> Berbrugger , statuts de la société historique algérienne ,revue africaine , imp: Adolph Jourdan, Alger 09 , N 49 , Alger , p.43.

<sup>2</sup> محمد البشير شنيطي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 57

<sup>3</sup> عبد القادر نايلي، مرجع سابق، ص 55.

<sup>4</sup> حنفي هلايلي، المستشرقون في خدمة الإدارة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 152.

<sup>5</sup> بير برجر 1801-1869 يعهد من ابرز الباحثين الفرنسيين في علم التاريخ والآثار اهتم منذ قدومه للجزائر سنة 1834 لجمع المخطوطات الجزائرية القديمة ن تم تكليفه من طرف الحاكم العام للجزائر كلوزيل سنة 1835 بإنشاء المكتبة العامة الجزائرية في نفس السنة، عين مديرا عاما على جريدة الممرن الجزائري *moniteur algérien* للمزيد انظر ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص ص 136.137.

<sup>6</sup> محمد صاحبي، "المجلة الإفريقية -دراسة إحصائية بيبليوغرافية للمخطوطات العربية " *مجلة الحوار المتوسطي*، جامعة الجيلالي البابس

سيدي بلعباس، ع5، الجزائر، مارس 2013، ص 108.

<sup>7</sup> المرجع السابق، ص 110.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

كتب دي غرامون (D.Grammont) سنة 1881 قوله: ان الاهداف المقصودة تلك قد تم الوصول اليها وتحقيقها، فقد تم جمع الوثائق المبعثرة والغير معروفة من جميع المناطق، والمتحف اليوم أيضا غني بالتماثيل والآثار التي حُفظت من التدمير والاتلاف، فقد تم جمع المئات من النقوش في جميع المناطق وتم أيضا ترجمة النصوص من مختلف اللغات، كذلك العادات والتقاليد والقوانين واللغة وأصل الشعوب كانت مواضيع لدراسات جادة ومثيرة للاهتمام<sup>1</sup>.

تميزت عهودها بميزات رؤسائها وميولهم، فجعلها "دي غرامون" ميدانا لدراسة تاريخ الجزائر لاهتمامه بهذا الموضوع، وجعلها "فانيان"، الذي كان أستاذا لكرسي الأدب العربي، تهتم بالأدب الترجمة والتاريخ العربي، وجعلها "وايل" و"جزال" تهتم بالدراسات الأثرية، وجعلها "دوتي" تهتم بالجانب الاجتماعي كالعادات والدين والمرأة في الجزائر، وذلك لتأثره بالنظرية الدوركايمية<sup>2</sup>.

بعد مرور مائة سنة على انشائها صرح الفريد بوز (A.Bose) ممثل أكاديمية العلوم الاخلاقية والسياسية بباريس عن الاهداف التي حققتها الجمعية ومجلتها، وعن الدور الكبير الذي قام به مؤرخوها بقوله: ان المؤرخين الذين ساروا في أعقاب الجنود الفاتحين، يذكروننا بأن الشعب الذي يستعيد التنقيب عن الماضي هو شعب يعرف كيف يبني...، خلال قرن من الزمن تفحصتم تاريخ هذه الأرض التي كانت مرومنة مثل بلاد الغال، ومثلها كانت مسيحية أيضا، وفتح الاسلام لشمال افريقيا مرق وحدة البحر الابيض المتوسط التي أقامتها روما، ان اعمالكم يجب أن تساعد هذه الوحدة على استعادة وعيها بتنوعها التاريخي، وعلق محمد البشير شنيقي على هذا التصريح بقوله: هذا النص يعبر بوضوح عما نسميه أدلجة التاريخ من طرف المدرسة الفرنسية<sup>3</sup>.

كما قامت الجمعية في نفس السنة بتقديم عدة دراسات متخصصة في التاريخ للفترة الممتدة ما بين 1930-1956، حيث نشرت المجلة الافريقية، وهي لسان حال الجمعية عدة دراسات علمية قيمة

<sup>1</sup> H.D.De Grammont, Table général 1856-1881 , R.A, imp: Adolph Jourdan, Alger, 1885, p 4

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ÷ مرجع سابق، ص ص 95-96.

<sup>3</sup> محمد البشير شنيقي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 59



## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

منها دراسة قام بها المستشرق اكسافي ياكونو، عبارة عن دراسة تقييمية نقدية شاملة لكل ما كُتب عن الجزائر منذ بداية الاحتلال، بالاضافة الى الدراسة التي أنجزها المؤرخ والباحث روجي لوتورنو حول فترة التاريخ الوسيط والتاريخ الحديث والمعاصر<sup>1</sup>.

في الاخير لا يفوتنا التذكير ببعض الشخصيات الجزائرية التي ساهمت سواء بعضويتها أو بأقلامها في المجلة، هذه الاخيرة ظلت حكرا على العنصر البشري الفرنسي، الا ما قلّ وندر من الجزائريين الذين تسللوا الى صفحاتها<sup>2</sup> كحسن بن بريهمات، الذي انظم الى المجلة بعد وفاة رئيسها سنة 1869، وكان مديرا للمدرسة العربية في الجزائر العاصمة، ورئيسا لمجلس القضاء الإسلامي، ومحمد بن شنب والسعيد بوليفة ومولود معمري، الذين ساهموا في الكتابة فيها بمواضيع متعددة<sup>3</sup>.

هذا التفرد الفرنسي بالعمل التاريخي المتعلق بالجزائر، لا يبرره سوى أحد أمرين أو كلاهما، إما ابتعاد المؤرخين الجزائريين عن المشاركة في صياغة تاريخ أراضه فرنسا وسيلة لتبرير استعمارها للجزائر، وإما انغلاق الجمعية التاريخية على نفسها، بغلق الابواب في وجه الاقلام الجزائرية، كي لا تتخذ منها منبرا لكتابة تاريخ لا يرغب فيه الفرنسيون<sup>4</sup>.

### الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال افريقيا ( Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord ) :

تأسست الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر يوم 20 فيفري 1896، برئاسة العقيد "بولينيكا" وعضوية كل من روني باسي، ماسبلي، غيرو باولي، بيري، دوجاردان، عبد الرزاق لشرف، وقد تداول على رئاستها كل من دي فاريجي (Variguy)، ثم الاميرال سرفان (Servan)، ثم ميسبلي (Mesplé)، ونظرا لاهتمام الجمعية بشمال إفريقيا ككل، فقد أضافت إليها كلمة شمال إفريقيا

<sup>1</sup> مريم صغير، مرجع سابق، ص 279

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 59

<sup>3</sup> عبد القادر نايلي، مرجع سابق، ص ص 57. 58.

<sup>4</sup> محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 59

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

وأصبحت تعرف (بالجمعية الجغرافية للجزائر وشمال إفريقيا)،<sup>1</sup> كما أصدرت مجلة ضمت بحوثا ودراسات متعددة عن الصحراء وإفريقيا والجزائر، وكتب فيها العسكريون بالدرجة الأولى<sup>2</sup>، ومن أعمالها:

دراسة "هوكي" Huguet " حول بلاد مزاب، دراسة ريفيير حول العصور الوسطى للسيد كودراي، استغلال الحلفاء بالجزائر بقلم راوئي، الصناعة الرعوية بالجزائر لفلامون، دراسة بوسي حول العابرين للصحراء، والرائد لاكبير حول رحلة الى تيديكالت وتوات، ودراسة مارمي حول تيمقاد، الدراسة الجيولوجية لجونتي حول حوض التافنة، ودراسة تراي حول حقول بتترول النيترات بقورارة، دراسة جولي حول سهل بني سليمان وانحراف المياه والرياح.<sup>3</sup>

الجدير بالذكر أن هناك جمعيات علمية أقل شهرة، وقد أصدرت أيضا مجلات تضم بحوث أعضائها منها: الجمعية الأثرية والسياحية لسوق اهراس، الجمعية الأثرية لمنطقة سطيف، جمعية أصدقاء تلمسان القديمة بقيادة المستشرق الفريد بل، جمعية التاريخ الطبيعي للقطر الجزائري 1909م.<sup>4</sup>

غير أنه بعد تزايد عدد الجمعيات وانتشارها، ظهرت مبادرة من طرف جورج هاردي لإنشاء اتحادية لهذه الجمعيات سميت (بفيدرالية الجمعيات العلمية لشمال إفريقيا)، من أجل تكثيف جهودها وتبادل الخبرات فيما بينها، لخدمة أهداف ومصالح الاستعمار الفرنسي في منطقة المغرب العربي، وقد بدأت هاته الفيدرالية نشاطها الجماعي في الجزائر سنة 1935، ثم عقدت دوراتها الأخرى سنويا في كل من تلمسان وتونس والرباط وقسنطينة.<sup>5</sup>

في الختام يمكن القول: أن المتتبع لمسيرة هاته الجمعيات والمجلات، يجد أن معظم رؤسائها ومحريها مستشرقون فرنسيون هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجدها تدور حول كل ما هو حفريات وآثار وتاريخ وجغرافيا،<sup>6</sup> ولعل هذا يرجع الى رغبة فرنسا الملحة في بناء عالم ثقافي حضاري يغوص بجدوره في الماضي،

<sup>1</sup> Jugue , op.cit , p .p478 ,480.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص.97.

<sup>3</sup> Jugue , op.cit ,p.p .478,481.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص.97 .

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص.98.

<sup>6</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص.188.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

المرتبط بفلك الحضارة الرومانية التي كانت ترى فيها المرحلة الأكثر ازدهارا وتطورا، وأن الوجود الفرنسي في المنطقة ماهو الا امتداد لها،<sup>1</sup> وبأن الجزائر ليس لها انتماء حضاري الا لروما الأصل، وكل هذا من أجل إضفاء شرعية الاحتلال الفرنسي في المنطقة، وعن الجهود التي يقوم بها هؤلاء المستشرقون ومن أجل المهمة التي أوكلت لهم، يبرز كريستين لوريير (Christine Lauriers) تلك الوظيفة قائلا: ان الباحثين الانثروبولوجيين يصرحون ان القيام بدراسات حول الشعوب المستعمرة، وتحضير تقارير لمصلحة فرنسا، ولاسيما فيما يخص نظرية العرق، وتفوق العنصر الفرنسي على سائر الشعوب الإفريقية، يعد واجبا روحيا اتجاء فرنسا،<sup>2</sup> وبالتالي فان هاته الجمعيات والمجلات ورغم ما قدمته من بحوث ودراسات، لا يمكن لأحد أن ينكر المادة العلمية التي تحتويها حول ماضي الجزائر، الا ان معظمها موجه لخدمة فرنسا.

وختاما لهذا الفصل توصلت الى مجموعة من النتائج:

أن الدراسات الاستشراقية عن الجزائر كانت قد سبقت الاحتلال، سواء أكانت هذه الدراسات من طرف الفرنسيين أو من طرف الانجليز أو الرحالة الألمان، وحتى القناصل الأمريكيين، وهذا يدل على مدى التكامل الوظيفي بين الاستشراق والاستعمار.

تنوعت أغراض الاستشراق الفرنسي في الجزائر بين أغراض دينية واستعمارية، وفي أحيان قليلة علمية، وان كانت توظف هي الأخرى في إطار خدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، غير أن الدافع البارز هو الدافع الاستعماري، فالاستعمار الفرنسي ما كان له أن ينجح لولا الاستشراق الذي زوده بدراسات وبتفاصيل حول المجتمعات المراد احتلالها.

مر الاستشراق الفرنسي في الجزائر بثلاث مراحل: حيث اتسمت المرحلة الأولى منه 1830-1879 بكونها كانت مرحلة استكشافية استطلاعية، تستهدف التعرف على المجتمع الجزائري، سكانه ولهجاته وديانته وثقافته وحضارته وتقاليده، لمعرفة الطريقة الملائمة والأسلوب المناسب الذي يمكنها من بسط

<sup>1</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص 355-356.

<sup>2</sup> سهيلة دريوش، مرجع سابق، ص 188.

## الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلها، ووسائله

السيطرة عليه، كما حمل لواء الكتابة عن المجتمع الجزائري في هاته المرحلة مترجمون عسكريون، يمكن القول عنهم بأنهم كانوا غير مؤهلين، فاتصفت كتاباتهم بسيادة عنصر الهواية، وتحكم المنصب الوظيفي فيها، هذا زيادة على أنها كانت موجهة لخدمة الإدارة الفرنسية بالدرجة الأولى .

اما المرحلة الثانية (1879-1930) فقد كانت بمثابة عصر التنوير بالنسبة للاستشراق الفرنسي في الجزائر، الذي عرف قفزة نوعية، لاسيما بعد إنشاء المدارس العليا الأربعة، التي مهدت لتأسيس جامعة الجزائر 1909، والتي ساهمت بدورها في تكوين عدد كبير من المستشرقين الأكاديميين، الذين تميزت كتاباتهم بالتخصص، خاصة بعد ظهور العلوم الإنسانية والاجتماعية، فنجد بعضهم تخصص بالتاريخ والبعض الآخر بالآثار واللهجات والدين والفن والأدب، غير أن الملاحظ على كتابات هاته المرحلة، أنها لم تكن تخلو من التبعية للاستعمار الفرنسي وإدارته، ومحاولة إضفاء الشرعية لغزوه الجزائر .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة 1930-1962 فقد كانت مكتملة لسابقتها غير أنها تميزت بالتوسع في إنشاء المعاهد، وذلك بهدف خدمة مشاريع الدولة الفرنسية ومخططاتها، وقد عرف الاستشراق الفرنسي خلال هاته المرحلة تراجعاً بسبب الحرب العالمية الثانية، والسبب الآخر هو نمو حركات التحرر في البلدان المستعمرة، ونجاحاتها لاندلاع الثورة الجزائرية، ومن ثمة الحرب الباردة.

سخرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية من أجل تحقيق أهدافها وغاياتها في الجزائر، وتوفير معرفة أشمل لكل خصوصيات المجتمع الجزائري، جملة من الوسائل والإمكانات، ساعدت المستشرقين ودعمت جهودهم كان في مقدمتها :

تشكيل اللجان العلمية كلجنة اكتشاف الجزائر العلمي سنة 1837، ولجنة ترجمة الكتب العربية سنة 1894، ولجنة الاحتفال المئوي بالاحتلال سنة 1930 .

تأسيس الجمعيات والمجلات المتخصصة، غير أن المثير للانتباه، أن جل رؤساء هذه الجمعيات ومحري مجلاتها مستشرقون فرنسيون، كما أن مواضيعها حول الآثار والحفريات والتاريخ والجغرافيا، وذلك لتدعيم الطرح القائل بأن فرنسا وريثة روما على الأراضي الإفريقية، وبالتالي فان هذه الجمعيات والمجلات وان

## **الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر، اهدافه، مراحلہ، ووسائله**

---

كانت تتسم بالعلمية، فان بعض دراساتها تفتقر إلى الموضوعية، وغالبا ما كانت تسيير في فلك خدمة الأغراض والمصالح الاستعمارية الفرنسية.

الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

المبحث الاول: تطور مؤسسات التعليم العالي في الجزائر.

1. المدارس العليا (الكليات) :

1.1. كلية الطب

2.1. كلية العلوم

3.1. كلية الحقوق

4.1. كلية الآداب

2. العمل العلمي لكلية الآداب بالجزائر:

1.1. العمل الاثري

2.2. في الترجمة

3.2. اللهجات البربرية

3. عقد المؤتمرات (مؤتمر المستشرقين المنعقد بالجزائر افريل 1905).

4. بعض المواضيع التي تم تداولها في المؤتمر :

1.4. التاريخ والجغرافيا

2.4. التراث والادب

3.4. الفلسفة

5. أهم الملاحظات حول المؤتمر .

6. جامعة الجزائر

7. المعاهد :

1.7. معهد الدراسات الشرقية (Institut d'études Oriental d'Alger)

2.7. معهد الأبحاث الصحراوية (Institut du recherche saharienne)

المبحث الثاني: اللغة العربية في اهتمامات المدرسة الاستشراقية الفرنسية

1. المعاجم

2. المستشرقون الفرنسيون واللغة العربية من خلال كراسي التعليم

3. اللغة العربية العامية

4. مدرسة تلمسان

5. اللغة العربية من خلال الدراسات الاكاديمية الفرنسية

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

مع ثمانينيات القرن التاسع عشر، دخلت المدرسة الاستشراقية الفرنسية مرحلة جديدة من ناحية المضمون، ونوعية المؤرخين الذين تصدوا للكتابة التاريخية، وظهر جيل جديد من المؤرخين وعلماء الاثار أكاديميين، وفرت لهم السلطات الاستعمارية جميع الظروف للقيام بمهامهم العلمية، ولإنجاز بحوثهم ودراساتهم، وكان ظهور المدارس العليا سنة 1879 -والتي أصبحت كليات فيما بعد- ثم تأسيس الجامعة (1909)، والمعاهد الاستشراقية فيما بعد، بمثابة مرحلة جديدة، وانطلاقة أعطت دفعا قويا لمجال الدراسات الادبية، والتاريخية، والأثرية وتنوعها، إذ أصبحت أكثر نضجا عكس سابقتها، وأصبحت جامعة الجزائر بمثابة المخبر الحقيقي للدراسات الاستشراقية، والحاضنة لمختلف التخصصات العلمية.

فدورها المهم (الجامعة) في الدراسات الاستشراقية الفرنسية، يدفعنا الى طرح بعض الاشكالات، والمتعلقة اساسا بمسار هذه المؤسسة في الجزائر، وعلاقة المستشرقين بها :

كيف ومتى بدأ اهتمام السلطات الاستعمارية بنظام التعليم العالي؟ وما هي النواة الاولى المشكلة له؟ ما هي أهم المؤتمرات التي عقدها هؤلاء المستشرقون في الجزائر؟ كيف تعامل المستشرقون الفرنسيون مع اللغة العربية ولهجاتها؟ ما هي اهم الدراسات الاكاديمية التي انجزت في هذا المجال؟ كيف كانت رؤيتهم للازدواجية اللغوية في الجزائر؟ ما هي اهم المدارس التي اشتغل بها المستشرقون الفرنسيون في الجزائر؟

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

المبحث الاول: تطور مؤسسات التعليم العالي في الجزائر.

### 1. المدارس العليا (الكليات):

مع مرور السنين واتساع رقعة المستعمرة لتشمل كل اقليم الجزائر، مع ما صاحب ذلك من استعمار استيطاني لجالية فرنسية معتبرة، حريصة على التمتع بكل ما يتمتع به الفرنسيون المقيمون في فرنسا من مرافق، بما في ذلك بطبيعة الحال مرفق التعليم، وحتى لا يضطر أبناء المعمرين الذين انخوا دراستهم الثانوية في الجزائر للهجرة الى فرنسا، لمتابعة تعليمهم الجامعي هناك، استجابة لذلك، فقد أقيمت سنة 1879 لصالح الاقلية الاوروبية المستوطنة في الجزائر، مدارس تحضيرية للتعليم العالي، والتي كانت بمثابة التمهيد لاقامة تعليم جامعي بأتم معنى الكلمة في الجزائر،<sup>1</sup> وعليه استحدثت الادارة الفرنسية أربع كليات وهي كالآتي :

### 1.1. كلية الطب:

بمجرد الاحتلال العسكري للمساحات الاولى من الاقليم الجزائري، وبالنظر للمتطلبات الصحية والعلاجية لمرضى وجرحى جيوش الاحتلال، وأمام سوء الأحوال الصحية للجزائريين، ورفضهم العلاج في المصحات والمستشفيات الفرنسية في الجزائر، وعزوفهم عن التلقيح ضد الأوبئة والأمراض الخطيرة، ولتفادي تسرب العدوى في صفوف المعمرين، لجأت السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى إجراء آخر والمتمثل في فتح مدرسة للطب،<sup>2</sup> ويرجع الفضل في إنشائها الى المارشال "راندون"، الذي طالب بها وتحقق طلبه بإنشاء مدرسة للطب بعاصمة المستعمرة، حيث توفر هذه المؤسسة للشبان الأوروبيين

<sup>1</sup> عبد القادر فخّار، الطابع التمييزي لمرفق التعليم ابان الاحتلال الفرنسي، اطروحة دكتوراه دولة فرع القانون العام، كلية الحقوق بن عكنون،

جامعة الجزائر 1، 2011-2012، ص 257

<sup>2</sup> يمينة مجاهد، "مدرسة الطب ودور المساعدين الطبيين في ضل الاستعمار الفرنسي في الجزائر"، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي جامعة وهران، ع 26-27، الجزائر جويلية ديسمبر 2015، ص 294.



## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

إمكانية البدء بعين المكان في الدراسات الطبية الأولية، كما تسمح في نفس الوقت، بتكوين الشبان الأهالي في استعمالات الطب وفي الجراحة العامة.<sup>1</sup>

لم يتجسد هذا المشروع على أرض الواقع إلا بعد صدور مرسوم 4 أوت 1857، الذي قضى بإنشاء مدرسة تحضيرية في الطب والصيدلة، خاصة بعد التقدم المسجل في التعليم الابتدائي والثانوي (بالنسبة للفرنسيين).<sup>2</sup>

بدأت هذه المدرسة مهامها بـ 8 أساتذة دائمين و 4 أساتذة مؤقتين، كما استفادت من كل المزايا الممنوحة للمدارس التحضيرية للطب الموجودة في فرنسا، وتحت وصاية كلية الطب لمدينة مونبيلي الفرنسية، التي تمنح الشهادات النهائية،<sup>3</sup> ولقد أوكلت مهمة إدارة هذه المدرسة التحضيرية إلى الطبيب الفرنسي "برثيون"، كما تعاقب على إدارتها أساتذة أطباء أكفاء، لهم إسهامات وأعمال قيمة حول تشخيص الأمراض ومسبباتها وسبل الوقاية والعلاج منها.<sup>4</sup>

أمام الأوضاع التي كانت تمر بها هذه المدرسة، جاء مرسوم 10 أوت 1877 من أجل تحسينها، إذ ارتفع عدد الأساتذة إلى 11 أستاذاً، مع تحسين كذلك في مرتباتهم الشهرية، ثم جاء بعده قانون 20 ديسمبر 1879، والذي اهتم في مادته الثالثة بمدرسة الطب، بحيث أصبحت منذ 1 نوفمبر 1889 مدرسة عليا كاملة الصلاحيات، بعد ما كانت مجرد مدرسة تحضيرية، وأصبح لديها أربع تخصصات تعليمية، ثم ثمانية إلى أن وصل عدد التخصصات بها ستة عشر تخصصاً: الفيزياء، المواد الطبية، التشريح، علم الأمراض، وعلم الأنسجة (الاناتومي الباثولوجيكية، الهيستولوجي، ثم أمراض البلاد الحارة)،<sup>5</sup> ولقد

<sup>1</sup> عبد الحميد زوزون نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، موفر للنشر - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة الجزائرية، 2009، ص 223.

<sup>2</sup> بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص 167.

<sup>3</sup> خميلي العكروت، التعليم العالي في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي 1879-1962، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، قسم التاريخ، 2016-2017، ص 92.

<sup>4</sup> بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص 167.

\* بموجب هذا القانون أنشئت مدرسة الطب وثلاث مدارس أخرى "الآداب والحقوق ومدرسة العلوم

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 307.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

بقي الطب والأطباء مرتبطين بفرنسا، حتى بعد تأسيسها وظلت المدرسة تحضيرية فقط إلى غاية 1889 كما سبق وأن ذكرنا .

ارتفع مستواها فيما بعد إلى درجة التكوين الكامل، ومع ذلك بقي الامتحان النهائي في المستويات الثالثة والرابعة ومناقشة الدكتوراه لا يكون الا في باريس، وبقي التحاق الجزائري بها قليلا جدا<sup>1</sup>، فمنذ نشأتها سنة 1857 الى غاية 1905، لم يسجل بها سوى 35 طالبا جزائريا، 3 منهم في الصيدلة، وتحصل 12 منهم على دبلوم ضباط في الصحة، و6 على الدكتوراه، أما الباقون فلم يواصلوا تعليمهم<sup>2</sup>، وفي إحصاء عام لموسم 1929-1930، كان عدد الطلبة في كلية الطب 324، منهم 7 جزائريين فقط، وفي كلية الصيدلة 211، منهم 6 جزائريين فقط من مجموع الطلبة<sup>3</sup>.

تطورت مدرسة الطب منذ إنشائها تطورا كبيرا فتوجهت الى العناية بطب المناطق الساخنة، وأمراض شمال إفريقيا، وتمكنت من إصدار أعمال هامة في مجموعة من الدوريات المتخصصة منها: (Alger Médical , La Gazette Médical, Le Bulletin Médical de l' Algérie<sup>4</sup> كما تعاقب على هذه المدرسة منذ نشأتها أطباء نذكر: برتراد 1858-1862، بوتان 1863-1868، وتولي 1868-1870، وتوكي 1870-1895، وأصبح طبيب العيون بروش مديرا للمدرسة 1895-1904، ليخلفه كارتلي 1904-1909، فأصبحت أكثر تنظيما وتم تحويلها إلى كلية متخصصة للطب والصيدلة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998، ج 7، ص.275.  
<sup>2</sup> Louis Paouli "l'Enseignement Supérieure a Alger", la Revue Africaine , N49 , 1905 , p.414.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص. 277.

<sup>4</sup> خميلي العكروت، مرجع سابق، ص. 68.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص. 93.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

ظهر في مدرسة الطب مستشرقون اهتموا أيضا بالتراجم والنصوص العربية أمثال غابريال كولان<sup>1</sup> وأدت هذه المدرسة خدمات هامة في ضوء الحضارة العربية الإسلامية في الجزائر، وبالوسائل العلمية الفرنسية، وقد بقيت محتكرة من قبل الفرنسيين، فلم يدخلها من الجزائريين الا النادر.<sup>2</sup>

### 2.1. كلية العلوم :

أنشئت هي الأخرى بموجب قانون 20 ديسمبر 1879، وكان برنامج مدرسة العلوم في الجزائر هو برنامج الكلية المماثلة في فرنسا، والفرق بينهما أن الكلية في الجزائر لا تمنح شهادة الليسانس، وعلى الطالب أن يحصل عليها في فرنسا،<sup>3</sup> كما أنها تقدم تعليما عاليا في دورات عامة وتُعَدُّ شهادات علمية مختلفة، كشهادة الدراسات الزراعية وغيرها.<sup>4</sup>

كانت مدرسة العلوم تدرس مواد متعددة منها: الكيمياء وعلم الحيوانات، والجيولوجيا وعلم النباتات وعلم المعادن، وتمنح هذه المدرسة، دبلوم الدراسات الفيزيائية، ودبلوم الدراسات الكيميائية، ودبلوم العلوم الطبيعية بعد إجراء الامتحانات النهائية دائما بفرنسا كما ذكرنا.<sup>5</sup>

تطورت هذه المدرسة وفتحت لها تخصصات أخرى، كالميكانيك التطبيقية والكهرباء، كما شهدت تطورا في عدد الطلبة، اذ ارتفع عددهم من 11 طالبا في سنة 1879 إلى 134 طالبا في سنة 1904، وكانت تستقبل حتى طلبة الطب الذين يدرسون بها المواد الطبيعية، الفيزيائية والكيميائية<sup>6</sup>، فكان من اهتماماتها أيضا العناية بالزراعة والبيئة الصحراوية واستخدام الكهرباء .

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 26.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 306.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص 292.

<sup>4</sup> Louis paoli, op cit, p.423.

<sup>5</sup> بغداد خلوفي: مرجع سابق، ص 171.

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص 293.

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

حصلت الكلية على صلاحيات هامة وفق قانون 30 ديسمبر 1909<sup>1</sup>، إذ تعتبر الأحداث بين الكليات الفرنسية الأخرى، فكانت تخدم الإدارة الاستعمارية، والأشغال العامة، والأبحاث الزراعية، ومصالح الغابات<sup>2</sup>، وظلت نشاطاتها على ارتباط مباشر بالاقتصاد الكولونيالي ذي الطابع الاستغلالي<sup>3</sup>.

### 3.1. كلية الحقوق:

تأسست هذه الكلية كسابقتها من الكليات الأخرى بموجب القانون السابق، وافتتحت أبوابها سنة 1880 ب 64 طالبا، وكانت بدايتها متواضعة، حسب تقرير عميد الكلية الأستاذ "بيلا" M. Belin، وفي السنة الموالية عرفت الكلية 17 طالبا، وفي سنة 1883 أرسلت الكلية 12 طالبا من أصل 99 طالبا الى فرنسا لاجتياز الاختبارات، بغرض الحصول على شهادة ليسانس في الحقوق<sup>4</sup>.

كان نظام التدريس في كلية الحقوق مطابقا لذلك المعمول في الميتروبول، مع اجتياز امتحان نهائي يتضمن مادتان، هما الحقوق الإسلامية والتشريع الجزائري، وجزء شفهي يتضمن 5 أسئلة مركزة حول التاريخ والجغرافيا الجزائرية واللغة العربية<sup>5</sup>، كما تمنح دكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية، وشهادة في تشريع القانون الجزائري، لكن هذه الديبلومات لا تعادل تلك الموجودة في الكليات الفرنسية بحسب الدكتور موريس بولار<sup>6</sup>، كما لا تضمن الا بعض التخصصات للقضاة ورجال القانون، ولكن تمنح وظائف إدارية لتعليم عرف الأهالي والقانون الإسلامي لكل المترشحين<sup>7</sup>.

شهدت هي الأخرى تطورا في أعداد الطلبة أكثر من مدرسة الطب، رغم أن هذه الأخيرة كانت قد ظهرت قبلها ب 20 عاما، إذ انتقل تعداد الطلبة لها من 20 طالبا عند افتتاحها، إلى 328

<sup>1</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص. 114.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص. 293.

<sup>3</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص. 116.

<sup>4</sup> Jean Méliá: *L'épopée intellectuelle de l'Algérie histoire de université d'Alger*, la maison des livre, Alger, 1950, pp. 115, 117.

<sup>5</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص. 65.

<sup>6</sup> Mauris Poulard, op.cit, p.158.

<sup>7</sup> Ibid, p.157.

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

سنة 1904<sup>1</sup>، وكان من أعمالها إصدار قانون الجزائر 1896 برعاية العميد روبرت استبلون، وأسماء أخرى كان لها دور كبير في كل ما يتعلق بالمسائل القانونية والاقتصادية والاجتماعية، التي تهم الجزائر أمثال شاربونتيي (Charpentier) وThomas) ودين (Dain) وزييس (Zeys) وموران، وكانت لهم أيضا مشاركات في لجان مختلفة،<sup>2</sup> وإصدار دورية *Juris Prudence Algérienne*.<sup>3</sup>

قدمت كلية الحقوق خدمة كبيرة للإدارة والاستشراق وذلك بالوقوف على النصوص الفقهية، والتشريعات الإسلامية، وكان أساتذتها يتعاونون مع زملائهم الآخرين في الترجمة والنشر، وكانوا يخدمون بالخصوص جانب القضاء الفرنسي، الذي استولى بالتدرج على صلاحيات القضاء الإسلامي، ومن أشهرهم "زييس ومارسيل موران،<sup>4</sup> وأصبحت تزود كلية الحقوق بباريس ببعض الأساتذة المتخصصين في بعض المجالات الاستعمارية، وكذلك تزود مدرسة الحقوق الكولونيالية منذ 1923.<sup>5</sup>

عملت كلية الحقوق على تحقيق الغاية الأساسية من وجودها، وهي إنتاج الكفاءات والآليات القانونية والاقتصادية، لتحقيق الإدماج القضائي التام للجزائريين في المنظومة القضائية الفرنسية، والمنظومة الإدارية المحلية وهذه الغاية لم تتحقق إلا نسبيا إلى غاية الاستقلال.<sup>6</sup>

### 4.1. كلية الآداب:

تأسست هذه المدرسة كذلك بموجب قانون 20 ديسمبر 1879، والذي ضم 9 مواد، وبحسب المادة الثانية منه، فإن المواد التي تدرس بكلية الآداب هي على التوالي: الأدب الفرنسي، أدب شعوب البحر المتوسط، اللغة العربية واللهجات الجزائرية، وتاريخ فرنسا والجزائر، وعلم الجغرافيا والآثار.<sup>7</sup> وعن هذا التنوع يصرح عميدها المستشرق اميل مسكراي في 14 ديسمبر 1881 قائلا: يا له من تنوع في

<sup>1</sup> بغداد خلوفي: مرجع سابق، ص. 170.

<sup>2</sup> *Université d'Alger, Cinquantenaire 1909-1959, imp: Mohamed Rasim, Alger p 37*

<sup>3</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص. 69.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 26.

<sup>5</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق ن ص. 109.

<sup>6</sup> المرجع السابق: ص. 113.

<sup>7</sup> *Université d'Alger, op cit, p 28*

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

الدروس التي تلقى في المحاضرات والدورات: الأدب الفرنسي، والأدب العربي والبربري، الفلسفة واللغات، وتاريخ إفريقيا، فللوهلة الأولى تحس نفسك أنك في جامعة السوربون، أو الكوليج دو فرونس<sup>1</sup>.

تولاها منذ البداية مستشرقون بارعون، تخرجوا من مدرسة اللغات الشرقية، وجعلوا همهم خدمة الإدارة الاستعمارية بالكشف عن اللغة العربية وآدابها وتراثها الحضاري<sup>2</sup>، فمدرسة الآداب وجزء من مدرسة الحقوق، أصبحت تشكل خلية كبيرة لنشاط المستشرقين الفرنسيين.

أول عميد للمدرسة هو المستشرق الفرنسي "إيميل مسكراي"، والذي تذكر المصادر أنه كان من الممهدين لاحتلال مزاب بعد زيارتها، ذلك أن مترجميه يذكرون أنه سنة 1882 قام بزيارة للمنطقة تمهيدا لاحتلالها، ويقولون كذلك أنه خدم الجزائر "الفرنسية" بكل قواه في تعليمه وفي كتاباته

يذكر المستشرق برنار بأن دور مسكراي في ذلك، لا يقل عن دور الضباط والإداريين والمخلصين لفرنسا،<sup>3</sup> (ويعقب أبو القاسم سعد الله على كلام برنار قائلا: كان برنار صادقا في قوله ويصدق وصفه أيضا على كل مستشرق فرنسي).

كان الرجل الذي ترأس مدرسة الآداب عندما أصبحت كلية منذ 1882، وإلى وفاته سنة 1924 هو المستشرق الفرنسي روني باصي، الذي قضى حوالي 40 سنة في كلية الآداب، وسخر نفسه في خدمة الاستشراق الفرنسي، والإدارة الاستعمارية بكل حرص، فمن حيث التوجه كان مستشراقا محترفا، أما سياسيا فقد كان تمتنعا بخدمة العلم لسياسة الإدارة الفرنسية، فكانت الحكومة العامة والدوائر

<sup>1</sup>Université d'Alger, op cit, p 37

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الرائد، الجزائر، 2009، ج5، ص. 200.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 36.

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

الكولونيالية تسانده بالمال للقيام بأبحاثه الخاصة، وأبحاث تلاميذه وبعثاتهم ورحلاتهم،<sup>1</sup> ويعتبر هو المؤسس لما يعرف "مدرسة الجزائر" في الاستشراق الفرنسي.<sup>2</sup>

ضمت المدرسة قسما صغيرا للدراسات الاستشراقية، وكرسيا للغة العربية، وآخر للأدب الغربي، تولى المستشرق الفرنسي (هوداس) كرسي اللغة العربية بمساعدة (بلقاسم بن سديرة)، أحد الجزائريين الذين تكونوا في مدرسة الاستشراق، بالإضافة الى ذلك تولى روني باصي تدريس مادة اللغة العربية<sup>3</sup>، ثم خلفه زميله ادموند فانيان في تدريس الأدب العربي، وبقي الرجلان باصي وفانيان حوالي 40 سنة في خدمة الاستشراق.<sup>4</sup>

توجهت مدرسة الآداب نحو العناية بمسائل الآداب واللغات الشرقية، واللهجات البربرية، والتاريخ القديم لإفريقيا، وكذا التاريخ والفلسفة الإسلامية،<sup>5</sup> كما يدرس فيها أيضا الفلسفة والتاريخ والآداب الفرنسية، والأجنبية واللغات والآداب القديمة، والجغرافيا واللغة العربية والفارسية،<sup>6</sup> فهي مدرسة تمارس كل الأنشطة المتعلقة بالاستشراق.<sup>7</sup>

تمنح المدرسة شهادة ليسانس في الآداب، بعد إجراء الامتحانات النهائية بفرنسا، كما تمنح شهادات وديبلوم في اللهجات البربرية،<sup>8</sup> وزودت انطلاقا من موسم 1905-1906 بمقعد خاص بالتاريخ والحضارة الإسلامية، وبذلك فتحت أبوابها أمام الاستشراق، وأصبحت مركزا هاما لها،<sup>9</sup> أما

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص. 29.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، مرجع سابق، ص. 200.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الرائد، الجزائر، 2009، ج4، ص. 40.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 27.

<sup>5</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص. 66.

<sup>6</sup> بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص. 169.

<sup>7</sup> Mauris poulard, L'enseignement par les indigènes en Algérie, imprimerie administrative, bibliothèque universitaire Gojoso, Alger, 1910, p.159.

<sup>8</sup> Ibid, p.159.

<sup>9</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص. 66.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الإحصائيات حول عدد الطلبة، فمنذ 1895 إلى 1904 ازداد عدد الطلبة من 141 طالب في البداية إلى 394 طالب.<sup>1</sup>

مدرسة الآداب هي مدرسة الاستشراق الفرنسي في الجزائر،<sup>2</sup> وفي تصريح لجونار الحاكم العام للجزائر حول أهمية مدرسة الآداب، والتي قدمت لهم خدمات جليلة في عملية فرض سيطرتهم على شمال إفريقيا بقوله: فهي مجمع للفكر الفرنسي، ومركز نشاط لجميع الأبحاث المتعلقة بإفريقيا الشمالية، والتي يقوم بها المتخصصون تنتج هنا، ففيها يجتمع وينتقى ما يأتي وما سيأتي من البحر الابيض المتوسط الى غاية السنغال والتشاد<sup>3</sup> يقول المستشرق ادموند دوتي عن دور هذه المدرسة: ان الاستشراق هو بالطبع الحقل الرئيسي للدراسات في مدرستنا (كلية الآداب)، ومن داخل الاستشراق تأتي اللغة العربية والمسائل الافريقية والإسلامية،<sup>4</sup> فهي مدرسة فكرية أثرت في الأدب والفن واللغة والتاريخ والعلاقات بين الجزائريين والفرنسيين، ويؤكد ذلك المستشرق الألماني يوهان فوك بقوله: كان تأسيس كلية الآداب في الجزائر، أمرا ذا أهمية عظيمة للدراسات العربية في فرنسا<sup>5</sup>

وفوق كل ذلك أطلقت الاستشراق الفرنسي ليدعم الجهود الاستعمارية في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وإفريقيا بل حتى في الوطن العربي،<sup>6</sup> فكانت محاولاتهم تَصُبُّ في مجرى شرعنة الاستعمار، ومحاولة إلغاء الماضي العربي الإسلامي للجزائر، وقد آزرهم في هذا الاتجاه علماء اللغة واللسانيات، ففككوا اللغة العربية إلى أقسام، وجعلوا منها لغة عربية فصحي، ولغة عربية دارجة، ولهجات عربية محلية.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> خلوفي بغداد: مرجع سابق، ص 169.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 26.

<sup>3</sup> Jean Melia , op cit ,p 164

<sup>4</sup> E.Doutté, L'œuvre scientifique de l'école des lettres d'Alger, Revue Africaine, pub: par la société historique algérienne, Adolph Jourdan, Alger, 1905, vol 49, 1<sup>er</sup> trimestre, N<sup>o</sup> 256, p 440

<sup>5</sup> يوهان فوك: مرجع سابق، ص 398.

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 7.

<sup>7</sup> خميلي العكروت: مرجع سابق، ص 67.



### 2. العمل العلمي لكلية الآداب بالجزائر:

حث المدير المكلف بالتعليم العالي السيد (A Dumont) في تعليماته التي أسداها لمساعديه، على وجوب التركيز على مدرسة الجزائر كمهمة دائمة ومستمرة، فمن ضمن الاعمال التي نشرتها كلية الآداب والتي بينت فيها دورها في التعريف بشمال إفريقيا، وخاصة ظاهرة الاستشراق، والمتعلقة خصوصا بالمجال الافريقي<sup>1</sup>، وهي عبارة أيضا عن كتب استكشف فيها الخبراء شمال افريقيا، ويجدر بنا التذكير بسلسلة الدراسات التي قام بها (Edouard Cat) بعنوان " الجزائر الجديدة "، والتي مزج فيها بين المقالات التاريخية والاقتصادية، كما أجرى أبحاثه في إسبانيا، ليبحت عن وثائقيات التاريخ الاستعماري.

و نذكر أيضا جهود المستشرقان دي لابلونشار(De la Blanchère) واغزال (Gsell)، اللذان زارا واستكشفا جميع مناطق افريقيا الشمالية تقريبا (نوميديا وموريتانيا)، والمستشرقان هوداس (Houdas) وباصي (Basset) واللذان وازنا في أبحاثهما بين الجزائر وتونس، فأنجزا مهمات مرجعية وأثرية متكاملة، خاصة تلك التي قام بيها باصي في كل من صحراء السنغال، والمغرب، وتونس، ليبحت في أمر الفلكلور، واللسانيات البربرية، أما المستشرق غوتي(E.F Gautier)، فكانت الصحراء المكان المفضل لإجراء أبحاثه، وبالتحديد في طريق تومبوكتو (Tombouctou)<sup>2</sup>

### 1.2. العمل الأثري:

من البارزين الذين ساعدوا على تحديد آثار ومخلفات الفترة الإستعمارية في إفريقيا خلال العصر القديم، وإعادة بناء جغرافيا الجزائر نذكر: اقزال الذي كان حاذقا وفطنا، فقد ألقى درسا كاملا متكاملا من كل النواحي حول الزراعة القديمة، مستندا على معطيات عمليات التنقيب الحديثة فقط، ومسكراي ودي لابلونشار، وهما من أوائل المؤسسين لمدرسة الجزائر، حيث ينسب لمسكراي عمل أثري خاص به، نُشر في كل من المجلة الافريقية (la revue Africaine) وفي (le Bulletin de

<sup>1</sup> E.Doutté, Op cit, p 438

<sup>2</sup> Ibid, p 439

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

(Correspondance Africaine)، أما دي لابلونشار فكان له عمل وحيد بعنوان دراسات في جزء من موريتانيا القيصرية<sup>1</sup>.

الا أن الفضل الأكبر في التعريف بالجزائر، وانجاز المهمات الاثرية يعود الى وايل (Waille)، واغزال، حيث حمل وايل على عاتقه مهمة دراسة مدينة شرشال، أين استغل مجموعة المعلومات، ووظفها في أطروحته حول هذه المدينة، مكتشفا كل عام أشياء جديدة ومهمة، وكرس اغزال هو الآخر أطروحته من أجل دراسة مدينة تيبازة، وفي دراسات أخرى استكشف مناطق مختلفة من الجزائر، كنوميديا وخاصة منطقة الاوراس، فنجد عمله قد تم تداوله في عدة مواضع مثل: المجلة الافريقية، تقرير لجنة الاعمال التاريخية، الجمعية الأثرية بقسنطينة. وفي عمله المعنون " الاثار القديمة في الجزائر"، يقدم لنا تاريخ الفن القديم، وفي عمل اخر بعنوان " الجزائر في العصر القديم"، ركز على كتابة نتائج أبحاثه ودراساته، التي افضت في الأخير الى ظهور أكبر عمل يحمل اسمه وهو " تاريخ الجزائر في القديم". ويعتبر الاثنان من أهم الركائز الأساسية المؤسسة لمعظم متاحف الجزائر، فمتحف شرشال ينسب الى وايل، ومتحف الجزائر العاصمة ينسب الى اغزال<sup>2</sup>.

أما بالنسبة للآثار الإسلامية في شمال إفريقيا، فهي لم تظهر إلا مؤخرًا، فحمل Houdas مسؤولية إدارة دراسات النقوشات الإسلامية، وأين بدأ ايضا مرسيني Mercier وكولان Colin المسيرة معًا، وليتمها جورج مارسني (G.Marcais) فيما بعد.

<sup>1</sup> E.Doutté, Op cit, p 439

<sup>2</sup> Ibid, p 340

### 2.2. في الترجمة :

ركزت مدرسة الجزائر كثيرا على الاستشراق، وأول ما تواجهه دراسة أدب حضارة ما، هو مهمة ترتيب المصادر المكتوبة، وهذا ما قام به (R.Basset)، فعرض قوائم للمصادر في عديد المكتبات الجزائرية والمغربية مع إضافة التعقيبات، وأيضا (Fagnon)، الذي رتب المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الوطنية بالجزائر<sup>1</sup>.

وبعد اكمال المهمة الأولى، مهمة الأبحاث، تأتي مرحلة نشر وترجمة المصادر المتعلقة بشمال إفريقيا، وبالخصوص الترجمة الخاصة بأهم مؤرخي المغرب والسودان، وأول الأعمال التي قام بها المستشرقون في هذا الميدان، عمل (M.Fagnon)، الذي ترجم تاريخ الموحدون ( Des Elmhades) لمؤلفه للمراكشي، وتاريخ الحفصيين لزركاشي، وبيان ابن الادري لابن الاثير ( Ibn El Atîr)، نضيف لها ماترجمه ( M.Bel ) ليحي ابن خلدون.

ولا ننسى أن أعمال الترجمة، قد تبعثها طبعات النقد، وقد انطلقت من الترجمة النقدية التي قام بها بيل، وتلك التي قام بها روني باسي لنص القرطاس (Le Kertas)، ورغم قدم المصادر إلا أن مدرسة الجزائر بدأت العمل التاريخي انطلاقا من عدة أعمال مبدئيا وهي كالتالي: "وثائق حول مقر العاصمة" لروني باسي، "حملة شارلكان Charles-Quint في إفريقيا" لكات (M.Cat)، وبنوغانية للمستشرق ألفرد بيل (A.Bel)، والحملة الصليبية ل(Ximénies) في إفريقيا" لبوم (M.Blum)<sup>2</sup>.

### 3.2. اللهجات البربرية :

برز روني باسي في مجال الأدب العربي بعمله حول الفلكلور والأدب الشعبي، إضافة الى نشره الكثير من المقالات والدروس والمحاضرات حول الشعر الجاهلي، وأولها كان درسا بعنوان " الشعر العربي

<sup>1</sup> E.Doutté, Op cit, p 340

<sup>2</sup> Ibid, p 441

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الجاهلي" . وبفضل مجهودات أعضاء مدرسة الجزائر، أصبحت هذه الأخيرة الفضاء الوحيد لتعليم البربرية (الأمازيغية)، على يد كل من روني باسي وسكراي، هذا الأخير الذي بدأ في دراسة لهجة التوارق، انطلاقا من المخزون الثقافي لروني باسي، مؤسس دروس اللغة البربرية ولهجاتها المختلفة، حيث لخص قواعد النطق لجل هذه اللهجات: الريف، مزاب بني منصر، وورقلة،<sup>1</sup>.

أما المستشرق موتيلانسكي (Motylinski) فدرس لهجة سكان جبل نفوسة وغدامس (Ghadamès) في منشورين غنيين بالمعلومات الاجتماعية، وأنجز مرسبي (Mercier) عملا كاملا حول الشاوية في الاوراس، وديستان (M.Destaing) كتابا حول لهجة بني سنوس، ودرس الجزائري سعيد بوليفة (Boulifa) اللهجات البربرية في الأطلس المغربي، وترجم موليراس (Mouliéras) كتاب صفقات سي جحا باللهجة القبائلية، وفي الميدان العلمي نجد البارز دائما روتي باسي الذي نشر مذكرات، عندما كان في مهمة علمية الى مدينة تيطوان (Tétouan) لإكتشاف الجنوب المغربي، ولهجة تارودانت وأخيرا لهجات الريف<sup>2</sup>.

### 3. عقد المؤتمرات (مؤتمر المستشرقين المنعقد بالجزائر افريل 1905) :

في ظل المؤتمرات المتتالية للمستشرقين منذ 1883، حذا أساتذة المدرسة العليا للآداب والمدارس بالجزائر حذو زملائهم بالمدرس الخاصة للغات الشرقية الحديثة بباريس، فقاموا بنشر عدد معتبر من المذكرات العلمية أهمها: "مجموعة المذكرات والنصوص"، ثم الإعلان عن ذلك بمناسبة المؤتمر الرابع عشر المنعقد بالجزائر العاصمة شهر أفريل من عام 1883، وهو ما أضفى بريقا لجامعة الجزائر، وميزها آنذاك بإدارة روتي باسي عميد كلية الآداب بالجزائر، والذي استطاع خلال 20 يوم، وبفضل حماسه أن يشكل مجموعة من المساعدين الشباب، منهم الأساتذة، ومنهم المسؤولون الإداريون، الذين ساهموا في المؤتمر من

<sup>1</sup> E.Doutté, Op cit, p 444

<sup>2</sup> Ibid, P 445

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

خلال مداخلاتهم في تطوير الدراسات العربية العامة والبربرية بشكل واضح، فكانت مهمته الأساسية هي "الإكتشاف العلمي لشمال إفريقيا"<sup>1</sup>

وقد عبر عنها قائلا: بأنها ليست دراسة للتاريخ فقط إنما دراسة للحياة، للمعتقدات، للغة وحتى أساطير وخرافات السكان،<sup>2</sup> هذه المهمة تشبه تلك التي فكرت بها المدرسة العليا للآداب آملة أن تحققها بدعم من الحكومة العامة، فانعقاد المؤتمر في الجزائر لم يكن وليد الصدفة بل يرجع إلى المؤتمر المنعقد بهامبورغ عام 1902، وفيها قدم أساتذة جامعة الجزائر فكرة انعقاد الدورة الـ14 للمؤتمر في الجزائر والموافقة لعيد الفصح سنة 1905.<sup>3</sup>

انعقد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين في مدينة الجزائر العاصمة، بعد أن تقرر ذلك في نهاية المؤتمر الثالث عشر للمستشرقين كما رأينا<sup>4</sup>، وتكمن أهميته في أنه أول مؤتمر عُقد خارج أوروبا في دولة عربية وفي القارة الإفريقية، وفيه حاول الفرنسيون إضفاء الطابع الفرنسي على الجزائر، ودعم الطرح الداعي بأنها امتداد طبيعي لها في ما وراء البحار<sup>5</sup>، وفي إطار العمليات التحضيرية للمؤتمر، قام شارل جونار، الوالي العام الفرنسي في الجزائر (1903-1913) بتأليف لجنة في مدرسة الآداب بالعاصمة<sup>6</sup>، تتكون من:

رئيس المؤتمر: المستشرق الفرنسي روني باسيي (R.basset\*)، مدير المدرسة العليا للآداب بالجزائر.

<sup>1</sup> I.Goldziher, l'école Supérieure des Lettres et les Médersas d'Alger Au XIVE Congres des Orientalistes, Revue de l'Histoire des Religions, pub: Association de la Revue de l'Histoire des Religions, 1905, Vol 52, p 219

<sup>2</sup> Voir le préface de René Bassé: Recueil de Mémoires et de Textes publier en l'Honneur de XVIe Congrès des Orientalistes par les Professeurs de l'écoles Supérieure des Lettres et des Médersas, imprimerie Pierre Fantana, Alger, 1905

<sup>3</sup> I.Goldziher, Op cit, 220

<sup>4</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 148.

<sup>5</sup> الطيب بن ابراهيم، مرجع سابق، ص ص. 103-104.

<sup>6</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 148.

\* روني باسيي 1855-1924 مستشرق فرنسي، تولى كرسي العربية بمدرسة الآداب بالجزائر عام 1885، وقد كان في طليعة محرري المجلة الإفريقية ونشرة المراسلات الإفريقية، ونشرة الآثار الإفريقية، ولما تحولت مدرسة الآداب إلى كلية انتخب عميدا لها من أثاره: دراسات في اللهجات البربرية، موجز للغة قبيلة الزواوي البربرية، وثائق عربية في حصار الجزائر... للمزيد انظر: نجيب العقيقي، مرجع سابق ص ص. 223-224.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

نوابه: المستشرق ماسبي ( Maspé )، أستاذ بمدرسة الآداب، لوسيانى ( Luciani )، مستشار حكومي، بوقندورة، مفتي الجزائر.

السكرتير العام: المستشرق ادموند دوتي (Edmond Douité)، ويساعده شامبيج ( Chambige ) ايفر (Yver)، مارسى ( Marcais )، دومونين (Demonbin)، شارشلي (Cherchelly) وموتيلانسكى (Motylinski).

محاسب المؤتمر: دافيد (David)، سكرتير الوالى العام<sup>1</sup>، بمساعدة كل من: دولفان-ستيفان اغزال - والكومندان لاکروا وقاي، محمد بن شنب، عبد الحليم بن سماية المدرسان بمدرسة الآداب أعضاء.

وقد حددت اللجنة أن ينعقد المؤتمر في الفترة ما بين 19 الى 20 افريل 1905، كما حددت المحاور التي سيتم التطرق إليها خلال المؤتمر<sup>2</sup>، وجاءت في شكل مجموعات على شاكلة لجان، وركزت اهتمامها على الدراسات اللغوية عموما والاسلامية منها بصفة خاصة.

### المجموعة الأولى: الهند وايران Inde et Iran: première section

تقديم الأستاذ لويس دولافاليوسين Luis de la vallée pousin من جامعة الهند.<sup>3</sup>

### المجموعة الثانية: اللغات السامية section la langue sémitiques

تقديم: سيدور ليفي (Isidore Lévy) أستاذ محاضر بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا.<sup>4</sup>

### المجموعة الثالثة: اللغات الاسلامية section la langues musulmanes

تقديم: محمد بن شنب (mohammed ben chaneb) أستاذ بمدرسة الجزائر.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المحسن بن علي بن صالح سويسي، مرجع سابق، ص ص 296-297.

<sup>2</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص ص 149، 157.

<sup>3</sup> Le XIV<sup>e</sup> congrès international des orientalistes , revue africaine , volume 49 , publiée par la société historique algérienne , N<sup>o</sup> 256 , 1<sup>er</sup> trimestre , Alger , 1905 , pp.303,308.

<sup>4</sup> Le XIV<sup>e</sup> congrès international des orientalistes , op cite , pp.311,316.

<sup>5</sup> Ibid , pp.317,329.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

المجموعة الرابعة: مصر- اللغات الإفريقية-مدغشقر -langue africaine-egypt. section  
Madagascar

تقديم: ليفيبر (Lefébure) أستاذ بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر<sup>1</sup>.

المجموعة الخامسة: الشرق الأقصى section Extrême-Orient

تقديم: أ.د شافاناس (Ed.Chavannes) عضو جامعي وأستاذ بالكوليج دو فرونس<sup>2</sup>.

المجموعة السادسة: اليونان والشرق section Grèce et Orient

تقديم: ال.فاسليف (AL.vasiliev) أستاذ بجامعة جوزيف دوربال<sup>3</sup> (Juriev dorpal)

المجموعة السابعة: الآثار الإفريقية والفن الإسلامي section archéologie africaine et  
Art musulman

تقديم: ويليام مارسلي (William Marçais) مدير مدرسة الجزائر<sup>4</sup>.

وقد تم افتتاح أعمال المؤتمر الذي حضره حوالي 500 شخص<sup>5</sup> في حدود الساعة التاسعة والنصف صباحا يوم 19 أبريل 1905، من طرف الحاكم العام شارل جونار، والذي ألقى خطابا يتبين من مضمونه مدى قوة العلاقة بين الاستشراق الفرنسي والاستعمار، ومدى عظمة الخدمة التي قدمها له، اذ قام بفتح المجال للهيمنة على شعوب الشرق من خلال الدراسات، والأبحاث التي أنتجها المستشرقون في مختلف الميادين يقول: نعم العلم الشرقي، بصرنا بالأخلاق والعادات والقوانين الشرعية عند الأمم الإسلامية، فأعاننا على حل المشكلات العويصة، التي منشأها اختلاف الجنس والدين<sup>6</sup> «.

<sup>1</sup> Ibid , pp.330,333.

<sup>2</sup> Ibid , pp.334,336.

<sup>3</sup> Le XIVE congres international des orientalistes, Op cit, pp.337,339.

<sup>4</sup> Ibid , pp.340,343.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 31.

<sup>6</sup> ابراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص ص. 150،155.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

كما تمنى أن يستفيد من خبرة المستشرقين وأفكارهم، لكي يتمكن من تسيير شؤون الجزائر بيسر فيقول: أنا مدعو هنا للتحكيم والتعديل في الخلاف بين المصالح والآراء، فلي ميل شديد أن نستفيد من أنظاركم قوة جديدة وسلطة زائدة(كذا)، أتمكن بها من سلوك أحسن سبيل في مشروع التمدن والتقدم... فبفضلكم واعتنائكم، يمكن لي محاولة استخلاص ضابط الاتحاد الذي عليه مدار حكومة هذه البلاد <sup>1</sup>.

4. بعض المواضيع التي تم تداولها في المؤتمر:

### 1.4. التاريخ والجغرافيا :

يعتبر المؤرخ الفرنسي ستيفان اغزال صاحب دراسات معمقة، كانت محل أنظار مؤرخي العصر القديم، منها دراسته حول " إمتداد السيطرة القرطاجية في إفريقيا"، وفي التاريخ القديم أيضا حاول السيد (M.A.Fournier) استخراج العلاقات القائمة مع الملك النوميدي يوغرطة، إنطلاقا من تحليله الدقيق ل " شخصية Micipsa من خلال المؤرخ Salluste"، أما اوغيسط برنار (Augustin Bernard) فتناول في مذكرته في الفصل المهم " عواصم البربر" جغرافيا الانسان، وجمع فيها بين الظروف الجغرافية لشمال إفريقيا والشؤون الخاصة بالحياة الاجتماعية والسياسية<sup>2</sup>.

نشر غوتي (E.F Gautier) مقالا حول " الواحات الصحراوية"، هذا الأخير عبارة عن دراسة جغرافية غنية بمختلف المعلومات عن الاوروغرافيا والهيدروغرافيا وجيولوجيا هذه الواحات، منوها أنها لا تزال قيد الدراسة من ناحية الانثروبولوجيا اللغوية لتصبح أكثر شهرة، وتحدث فيه عن لهجات سكانها فقال: ان العبيد الزنوج يملكون لغة خاصة بهم وهي (le Kouria)، مزيج من جميع اللغات

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص. 156.

<sup>2</sup> I.Goldziher, Op cit, p 220



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

السودانية مثل الهوسا (haoussa) (bornouan)، (peulth)، (mandé)، (wolof)، ولهجات أخرى لافريقيا جنوب الصحراء<sup>1</sup>.

غير أنه وللتفصيل أكثر عن هذه الواحات، وجب التطرق لعدة عناصر مهمة مثل: توزع وتوقع الأعراق والأجناس، وتاريخ سكانها الحاليين، وقد وضحها (Basset René) في تأليف له بعنوان (Nédromah Et Les Traras)، فحسب البحوث التي أجراها، إستنتج أن لليهود دور كبير في ازدهار الحضارة في هذه المناطق قبل عام 1492م، والدليل على ذلك غنى عاداتهم وتقاليدهم بالذكريات التاريخية والطبوغرافية، كما إفترض أنه فيما بعد سيتمكن من إكتشاف العديد من النقوشات المأتمية لعام 1329م، الموجودة بواحة (Bouda)، فتاريخ تأسيس الكثير منها يعود الى أسلاف اليهود على سبيل المثال: واحة (Tamentit)، وقد ساعد المترجم العسكري فاتان (Vattin) غوتي في اخراج عمل في نفس الموضوع، حيث قدم له الكثير من المعلومات حول التقاليد المحلية لماضي اليهود في المنطقة، وذلك من خلال المخطوطات التي تحصل عليها، كمخطوط البسيط<sup>2</sup> لصاحبه السيد محمد الطيب<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> G.Demombynes, Recueil de Mémoires et de Textes publier en l'Honneur de XVIe Congrès des Orientalistes par les Professeurs de l'écoles Supérieure des Lettres et des Médersas, revue africaine, publiée par la société historique algérienne, Adolph Jourdan, Alger, 1905, vol 49, 1<sup>er</sup> trimestre, N° 256, p 349

<sup>2</sup> المخطوط للشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة، إذ يعد من المخطوطات القيمة النادرة التي تناولت جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني لقصر تمنطيط، كما بينت صفحات المخطوط معلومات قيمة عن تاريخ تمنطيط واستقرار القبائل فيها وتعمير المكان وكيف شيدت القصور وتطورت في فترة تاريخية مهمة من تاريخ منطقة توات، ومما زاد من أهمية هذا المخطوط هو تأليفه في تمنطيط التي كانت في ما مضى عاصمة منطقة توات كلها، والتي شهدت ازدهارا في مختلف المجالات بفضل موقعه الاستراتيجي الذي يتوسط طريق القصور بين مدن الشمال والجنوب، كما أنها تعتبر من اقدم القصور التي انشأت في المنطقة، ولذلك لقيت اهتمام الجغرافيين والمؤرخين منذ فترة قديمة وعلى رأسهم العلامة عبد الرحمان ابن خلدون الذي بين أهميتها التاريخية والعمرانية في الصحراء فيقول: "وأخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط، وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالي إليه، فالمخطوط بسيط في حجمه ومضمونه فعدد صفحاته لا تتجاوز العشر، ولكن مضمونه متنوع وفيه أحداث وأوصاف كثيرة عن اقليم توات ومدينة تمنطيط خاصة وأهميتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، كما انه غني بالمعلومات عن تاريخ قصور تمنطيط، فهو من المؤلفات النادرة التي تزخر بالمعلومات التاريخية وجوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية والعمرانية عن قصور الصحراء، ينظر: محمد بن سويس، قراءة في جوانب من العمران القديم لقصر تامنطيط من خلال مخطوط القول البسيط للشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة،

مجلة رفوف، تصدر عن مخبر المخطوطات الجزائرية في افريقيا، جامعة ادرا، الجزائر، ديسمبر 2016، ع 10، ص ص 51-52

I.Goldziher, op cite, pp 221-222<sup>3</sup>

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

أما بالنسبة للمستشرق (G.Yver)، فقد ألف عملا بعنوان "لجنة إفريقيا"، أين تناول تاريخ الجزائر الحديث عموما، وحدثنا ايضا عن النقاشات البرلمانية التي عملت خاصة على إنجاز مهمة احتلال الجزائر في (7 جويلية- 12 ديسمبر 1830)<sup>1</sup>.

### 2.4. التراث والادب :

المستشرق (René Basset) وكتاب سلوة الأنفاس:

من أجل توضيح الأهمية التي توليها مدرسة الاداب للدراسات المغاربية، نشر بحثا (روني باصي) حول كتاب سلوة الأنفاس،<sup>2</sup> معتمدا على التحليل المرجعي البيبليوغرافي لعمل يحتوي على 03 مجلدات لمؤلفه (Shérif Mohammed b.Dscha'far b.Idris El Kattani) محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني<sup>3</sup>، مطبوعة في مدينة فاس المغربية، هذا التحليل وصف به حياة الصالحين والعلماء المدفونين بمقابر فاس، ويتحدث عن نظرية تسلسل الصالحين في الإسلام من خلال كتاب "سلوة الأنفاس" (Solwat al-anfâs)، وهو أفضل كتاب في المغرب، من أجل المعرفة الجيدة للحياة الدينية والثقافية.

<sup>1</sup>Ibid, p 222

<sup>2</sup> G.Demombynes, Op cite , p 348

<sup>3</sup> سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس تاليف شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، فكتابه هذا كتاب تاريخ لرجال فاس، ولأهم معالمها المتعلقة بتلك الرجال، وكتاب دعوة الى الله، وتوعية بمختلف شرائح المجتمع، فهو كتاب تراجم وآثار، ودعوة الى الله ووعي اجتماعي، ولقد لقيت سلوة الانفاس صدى واسعا في المغرب والمشرق واوروا، واعتنى بها الباحثون دراسة ونقدا وتذييلا واستدراكا، ويعود اهتمامهم بسلوة الانفاس لعدة اسباب نذكر: تعدد اكبر موسوعة لتراجم اعلام فاس من حوالي الفين ترجمة، مقدمة السلوة والتي جاءت على خلاف كتب التواريخ من حيث التصدير، فيذكر البناء والتأسيس والعادات، فالوؤلف صدرها بذكر القبور وزيارتها، وجميع ما يتعلق بذلك، والاولياء الصالحين ومناقبتهم في الحياة وبعد الممات، وقد اعتمدت هذه المقدمة عند العديد من المؤرخين والفقهاء والكتّاب في تلك المجالات، اضف الى ذلك اعتناء المؤلف بذكر مآثر فاس ومقاماتها ومزاراتها وجميع ما يتعلق بذلك، الدقة في نقل الاخبار وتحرر الولادات والوفيات، ومجال الدفن، ينظر ابي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتّاني، دار الثقافة، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2004، ج1، ص ص-5

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

ويجوز روني باسي بجمعته على 140 عنوان، كل عنوان يشير الى التاريخ الأدبي بدقة متناهية ومفهومة، هذه العناوين بالنسبة لكل من اطلع على كتبه القديمة والسابقة، يجد فيها كل المعلومات عن التاريخ الادبي لشمال إفريقيا خاصة كتابه " الأبحاث المرجعية حول سلوة الأنفاس".<sup>1</sup>

المستشرق ادموند دوتي (E.Doutté) وكتابه الخطبة الهزلية لمهرجان الطلبة بالمغرب:

هذا العمل ذكر أحداثا جديدة قيمة، من خلال أبحاثه الميدانية على تراب شمال إفريقيا، و التي أنعشت معارفنا حول الإسلام، وبما أن عنوان الكتاب يتضمن المغرب، فقد نقل لنا حدثا خاصا هناك، وبالتفصيل الممل ألا وهو إقامة الطلبة لحلقة هزلية في فصل الربيع من كل عام، والتي تدوم 03 أسابيع بمدينة فاس بالمغرب، ويشارك في هذا الحدث الخاص كل من السلطان وحكومته، ويعينون سلطانا يتأسس الطلبة في المسجد، وآخر يدعى الخطيب، يسخر من خطبة الجمعة بخطبة يمجد فيها الحقيرين وشاربي الخمر.<sup>2</sup>

المستشرق موتيلانسكي وعمله أخبار الائمة الرستميين في تيهرت لابن الصغير:

يجلج المستشرق غولد سيهر مقال المستشرق موتيلانسكي قائلا: في هذا المقال نجد الكاتب يتحدث عن كل ما يحويه مجال النظرية الإسلامية<sup>3</sup>، يخبرنا (Motylinski) أن الإباضية جزء من طائفة الخوارج، الذين ينحدرون من أقدم أزمنة فترات الإسلام، كما كتب أيضا أن مذهب الإباضية بقوانينه الصارمة لا يختلف مع غيره من المذاهب الاخرى عندما يتعلق الأمر بمنافعه المادية، وما يستفيدة من المؤسسات التجارية، وبعتمادهم على سياستهم الخاصة ومبادئهم، نجحوا في تشكيل أدب لاهوتي، في زمن كان فيه علم اللاهوت حديث الساعة، وبالتالي محتقرا لأي صياغة أو ابتكار.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>I.Goldziher, Op cite, p222

<sup>2</sup>Ibid, p 223

<sup>3</sup>I.Goldziher, Op cit, p 229

<sup>4</sup>Ibid, p 230

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

بعدها لم يذكر نجاح هذا الأدب اللاهوتي الا وذكر معه اسم (Motylinski)، فهو من فوّ به عندما كان أقل شهرة، وهو من درسه وحلله أحسن تحليل في ظل الحديث عن علوم الإسلام، ومن خلال المقال الذي كتبه نجد أيضا ملخصا شاملا لمذهب الإباضية<sup>1</sup>، مترجما للغة العربية يعود للقرن التاسع IX<sup>e</sup> الهجري، ويعتبر أساسا بالنسبة لخارج شمال إفريقيا في مزاب (Mzab) وفي جربة (Dscherba) بتونس.

وبما أننا نتحدث عن الإباضية، فيمكننا الإشارة الى أن النزعة الإباضية تتفق مع نظيرتها الشيعية بخصوص إخفاء متببعيهم لأديانهم وارتباطهم، لأن الارثوذكسية-يقصد مذهب السنة- تدينهم بالهرطقة وتضع حياتهم في خطر<sup>2</sup>

وفي مؤلف اخر لموتيلانسكي بعنوان " إقرار بالإيمان"، يتناول فيه مواصفات هذا الموقف قائلا بأنها تتصف بالسر والكتمان، وإذا تطلب الأمر، وجب على الفرد الدفاع عن إيمانه أو التضحية بنفسه كواحد من بين أربعة مظاهر للفعل الديني ( مسالك الدين)، لكن تظهر وجهة نظره مخالفة لنافع بن الازرق ( Nâfi B.Azrak )، أحد قدماء الخوارج حيث يدين ويحرم فعل من يستر المذهب الذي يتبعه سواء قولاً أو فعلاً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>لم يكن موتيلانسكي الوحيد الذي درس تاريخ مذهب الاباضية وائمتهم، فايميل مسكراي قبله عشر على كتاب او مخطوط السير واخبار الائمة لمؤلفه ابي زكريا يحي بن ابي بكر الورجلاني، والذي يذكر المستشرق غوتي انه ترجمته كانت سنة 1878 لكنه لم ينشر النص الاصل، ولم يعثر عليه بين مخطوطات مسكراي بعد موته، وقد وعدنا الاستاذ زموغروفسكي بنشرها في المستقبل، ولعله من المستهجن حقا ان نطلع على مخطوطة عربية بنصها الفرنسي فقط، ولو اخذنا الامر على عاتقه لاستطعنا ان نعر عند مسكراي على تعليقات وحواشي توضح تاريخ الرستميين، وتاريخ ابي زكريا ليس بالوثيقة التاريخية، وانما هو مجموعة من المتفرقات التي تروي ماضي الرستميين من وجهة نظر المثقفين من اهل الزراب، وهذا لا يفقد تاريخ ابي زكريا قيمته، ولكن ينبغي ان نقرأه بكثير من التمعن، يقول ابي زكريا: ان الجماهير الشعبية الموالية للرستميين لم تكن تحسن سوى البريرة، ولم تكن قادرة على متابعة الجدال الديني للعربية، وكانت على استعداد لقبول جميع القضايا اللاهوتية اذا ما اتفقت ومصالحها واهوائها، ينظر: غوتي، ماضي شمال افريقيا، مرجع سابق، ص 225, 231، (الملحق رقم 3)

<sup>2</sup> I.Goldziher, Op cite, p 231

<sup>3</sup> Ibid, p 232

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

المستشرق الفريد بيل وملاحظات حول المدخل المعنون بالدرر السنية:

أنجز ألفريد بيل عملا بعنوان " بعض طقوس المسلمين المغاربة من أجل الحصول على المطر في وقت الجفاف"، ( Quelque Rite pour Obtenir la Pluie en Temps de Sécheresse Chez les Musulmans Maghrébines)، وحاول فيها وصف طقوس الاستمطار ذات الصبغة الشعبية في الغرب الجزائري بداية القرن العشرين، مثل طقس أغنجة، وطقوس تقديم الاضاحي والوجبات الجماعية، وزيارة أضرحة الاولياء، وما يردد من أقوال وأهازيج خلال تأدية تلك الطقوس، وذلك استنادا إلى ملاحظة ميدانية مباشرة، واستناد إلى أقوال بعض السكان المحليين<sup>1</sup>.

ويتحدث فيه عن الممارسات الدينية للإسلام الذي حفظ حرية وحق المعتقد، وأجاز إقامة صلاة الاستسقاء في حالة الجفاف، فكتب قائلا ايضا: ان صلاة الإستسقاء هي تضرع وتوسل لمغفرة خطايا وذنوب المؤمنين المتسببة في الغضب الإلهي، وفي رواية مماثلة قال أن الغضب الإلهي، يكون أيضا بسبب خطايا أناس آخرين غير المؤمنين<sup>2</sup>، كما كتب أيضا حول الممارسات الشعبية لبني شقران وغيرهم من القبائل البربرية في بحثه (La Djazya).

انتقد بيل المذهب الإسلامي بكل إيجابية (حسب نظرة صاحب المقال)<sup>3</sup>، وأضاف معطيات تنص على الاختلافات القائمة بين المذاهب السنية حول موضوع صلاة الاستسقاء، وكيف انقسمت إلى قسمين: مدرسة أبو حنيفة ( الحنفية) التي تسمح بحضور اليهود والمسيح في مثل هذه الطقوس، أما المدرسة الشافعية: فمبدؤها مشابه لمدرسة أبو حنيفة لكن شريطة أن يختلطوا بالمؤمنين<sup>4</sup>، ومن جهة أخرى اشترط بعض الفقهاء شيئا آخر وهو منع اليهود والمسيحيين من إقامة الصلاة وحدهم في غياب المسلمين.

<sup>1</sup> سليمان دحماني، المستشرق الفرنسي الفرد بل مؤرخا واثروبولوجيا للدين الاسلامي، مجلة اثروبولوجيا الاديان، يصدرها مخبر اثروبولوجيا

الاديان ومقارنتها دراسة سوسيو اثروبولوجيا، جامعة تلمسان، الجزائر، 2021، مج 17، ع 2، ص 485

<sup>2</sup>I.Goldziher, op cit, p226

<sup>3</sup>Ibid, p 227

<sup>4</sup>Ibid, p 228

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستثنائي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

لكن ما يهدف الفرد بيل من خلال عمله هذا، هو تحديد التقاربات الانثوغرافية بين صلاة سكان شمال إفريقيا، وشعائرهم التي تظهر عند المسيحيين في أوروبا، نذكر منها على سبيل المثال: تقديم قربان (ثور أسود...)، المحاكاة الساخرة،... وغيرها من الأفعال، التي اعتبرها بيل تشبه مزيف، وتقليد لبعض الشعوب. وفي الأخير يُخلص المستشرق غولد سيهر قائلاً: إن مذكرة ألفرد بيل مهمة للغاية بالنسبة لنا من أجل إثراء رصيدنا المعرفي حول الديانة السائدة بين شعوب شمال إفريقيا<sup>1</sup>.

محمد بن شنب: <sup>2</sup>

العالم الجزائري ابن مدينة المدية، تناول في عمله، سلسلة الرجال الذين رووا صحيح البخاري وأوصلوه إلى سكان مدينة الجزائر،<sup>3</sup> وكان يرمي من خلال مداخلته إلى معرفة كيف ظهر كتاب صحيح البخاري في بخارة ثم انتقل ووصل إلى سكان مدينة الجزائر، فقد ذكر أربعة أسانيد مختلفة، تشترك مع بعضها في بعض الطبقات، وعرف بكثير ممن ذكروا فيها، واكتفى بذكر أسماء البعض الآخر، واستهل البحث بتعريف الإسناد والسند والفرق بين المصطلحين، وأطال في ذكر أقوال العلماء في ذلك<sup>4</sup>.

سعيد بوليفة (Said Boulifa):

الذي قدم رسالته المثيرة للإهتمام حول القانون المحلي لقبائل آيت إيراثن في منطقة عدني، والتي تضم تكملة مفيدة لأعمال (Letourneaux) و (M.Hanoteau)، التي تدرس القانون العرفي للقبائل البربرية، الذي لا يمت بصلة لقوانين الإسلام أبداً، وفي بعض الأحيان يعارضه تماماً، فهذا القانون المحلي هدفه وشرطه الأساسي والوحيد هو حسن المعاشرة وآداب السلوك، خاصة في التعامل مع النساء،

<sup>1</sup> Ibid, p 229

<sup>2</sup> محمد بن شنب 1869-1929، واحد من كبار علماء الجزائر ومفكرها، تميز باطلاعه الواسع على العديد من اللغات والثقافات، وهو يتجاوز في إنتاجه المعرفي الغزير الذي يفوق 50 كتاباً في فنون متعددة تراوحت بين التأليف والتحقيق، تولى التدريس في مدرسة الآداب كأستاذ احتياطي، حصل سنة 1922 على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي. للمزيد انظر: سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب، الاستشراق المنعقد بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014، الجزائر، 2015، ص ص 207، 208. وأيضاً ديباجة الملتقى.

<sup>3</sup> I.Goldziher, op cit, p223

<sup>4</sup> مصطفى حميداتوا، الرجال الذين رووا صحيح البخاري وبلغوه لاهل مدينة الجزائر للاستاذ محمد بن شنب، مجلة المنهل، تصدر عن مخبر اسهامات علماء الجزائر في اثناء العلوم الاسلامية، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، جوان 2019، مج 5، ع 1، ص 100،

ينظر كذلك، I.Goldziher, cite, p223

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

فمخالفته تفرض عقوبات وغرامات باهضة، هذا من جهة كمثال أول، والمثال الثاني هو صوم رمضان الذي يترتب عن مخالفته علنا الرجم، وأما المثال الثالث فهو معاقبة السارق نفس العقوبة، لكن هذا يتعارض مع قانون العقوبات المنصوص عليه في القرآن<sup>1</sup>.

سي الشايب بن علي :

ألقي قصيدة شعرية في مدح مؤتمر المستشرقين الرابع عشر<sup>2</sup>، وهي قصيدة لوالده القاضي شعيب التلمساني، وقد أرسل بها إلى مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد بالجزائر في إبريل 1905 تحت إشراف شارل جونار، وفي القصيدة إشادة فخمة بالعلم وجونار وعلماء المسلمين الغابرين. وكان القاضي شعيب قد حضر مؤتمرا استشراقيا سابقا في استكهولم سنة 1898 مندوبا عن فرنسا، ولكنه لم يحضر شخصيا سنة 1905، وإنما أرسل القصيدة إلى المؤتمر فألقاها ابنه نيابة عنه، وقد وجدنا مسودتها في أحد المخطوطات التي آلت إلى الشيخ عبد الحي الكتاني، وهي في أربع صفحات، وعليها تصحيحات كثيرة، مما جعلها صعبة القراءة، ولها عدة مطالع : العلم قد سطعت له أنوار، والعلم قد طلعت عليه أقمار<sup>3</sup>.

### 3.4. الفلسفة

سمحت لنا الدراسة التي قام بها ممثل الدراسات الفلسفية بجامعة الجزائر (Léon Gautier) في " مجموعة المذكرات والنصوص " حول " اتفاق الدين مع فلسفة ابن رشد "، بالانتقال بمعارفنا من الدراسات اللغوية الى دراسات التاريخ الإسلامية . ابن رشد كان أول من أصر على ضرورة الموافقة على الطرق المعتمدة في برهان الأصل غير المسلم، وأول من كان ضد " المتكلمين " الذين حاولوا التوفيق بين العقيدة والفلسفة<sup>4</sup>، ودراسة ليون غوتيبي هي ترجمة فرنسية لكتاب "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" لابن رشد، دون النص العربي مع بعض التعليقات والمقارنة بين مخطوط الاسكوريال

<sup>1</sup> I.Goldziher, op cit, p 235

<sup>2</sup> موسى هيصام، مرجع سابق، ص. 234.

<sup>3</sup> ابو الفاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8، ص 245

<sup>4</sup> I.Goldziher, op cite, p 224

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

(Escorial)، وكان عنوان مداخلته (Accord de la Religion et la Philosophie)، أي التوفيق بين الشريعة والفلسفة<sup>1</sup>.

### 4.4. اللغة:

مذكرة وليام مارسسي (W.Marcais) بعنوان: بعض الملاحظات عن القاموس التطبيقي عربي - فرنسي للمستشرق بوسسي (Beaussier)، وهي مذكرة تحدث فيها عن اللهجات العربية في المغرب انطلاقا من قاموس بوسسي بتاريخ 1871، والذي أعيد طبعه عام 1887 بدون أي تغييرات تذكر، وهي سابقة لوليام مارسسي فقد أبرز كفاءة في كتابه المسمى " اللهجة المستعملة في تلمسان".<sup>2</sup>

قدم السيد ديستانغ (Desting) أيضا دراسة قصة بعنوان: ابن وابنة الملك بلهجة البربرية لبني سنوس والتي اعتبرها وسيطا بين لهجات الشمال المنتشرة ولهجات الجنوب الضعيفة، كما أحصى الكلمات الضائعة هناك والتي تشكل أصل هذه اللهجة، لتصبح فيما بعد دراسة قائمة بذاتها، كما قدمت دراسة أخرى بعنوان "اللهجة الشاوية في الاوراس".<sup>3</sup>

تعمق المؤتمر أكثر من غيره من المؤتمرات السابقة واللاحقة في الدراسات العربية والإسلامية والإفريقية، وتنوعت البحوث التي صدرت عنه، وكانت في غاية الثراء، منها بحوث عن اللغة العربية، الآداب العربية، معاجم اللسانيات والديانات، الانثروبولوجيا، فلكلور الشرق، التاريخ، الفلسفة، النقوش، الآثار، الفنون وتحقيق النصوص التراثية والترجمة<sup>4</sup>.

وللإشارة فان كل أعمال هذا المؤتمر جُمعت في ثلاثة مجلدات ضخمة تحت عنوان " Actes du XIV congres Internationale des Orientalistes Alger 1905 " وقد نُشرت في باريس سنة 1907، وإلى جانب هاته المجلدات هناك مجلدات أخرى، جُمعت فيها بعض أعمال المؤتمر الأول

<sup>1</sup> انور احمد الزناتي، ليون غوتي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020، ص 48

<sup>2</sup> I.Goldziher, op cite, p 224

<sup>3</sup>G.Demombynes, op cit, p 350

<sup>4</sup> انور احمد الزناتي، مرجع سابق، ص 48



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

تحت عنوان (Recueil de Mémoires de Textes)، والثاني بعنوان (Mémoires Orientaux).<sup>1</sup>

### 5. أهم الملاحظات حول المؤتمر :

رغم أن المؤتمر عقد في الجزائر الا أن القائمين عليه مستشرقون مستعمرون، وعلى الرغم من أن عدد المشاركين فيه من الجزائر حوالي 185 مشارك وقرابة 50 منهم من أصل جزائري، الا أنه لم يكن لهم دور فعال في المؤتمر<sup>2</sup>، باستثناء "محمد بن شنب" الذي أنجز بحثا مطولا بلغ عدد صفحاته 400 صفحة، ترجم فيه ما يربوا عن 360 عالما من الأعلام التي وردت في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي، ثم ختمه بمراجع بيبليوغرافية واكبت الجانب الأكاديمي الذي انتهجته المدرسة الاستشراقية في أبحاثها العلمية<sup>3</sup>، أما "سي الشايب" بن علي، الذي كان قاضيا على تلمسان، فلا يمكن أن نعد مشاركته في المؤتمر ذات أهمية، على اعتبار أنه تقدم بمجرد قصيدة مطولة لمدح المؤتمر والحاكم العام للجزائر جونار يقول فيه :

جونار ذاك الشهم من به ارتفعت جزائر وسما لها المقدار

أما الباقي فقد كان حضورهم صوريا وشكليا ولغاية سياسية بحتة؛ بغرض بيان ديمقراطية الفرنسيين وتبرير حاجتهم تعليم أهل البلد وتثقيفهم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص ص 157-158.

<sup>2</sup> المحسن بن علي بن صالح سويبي، مرجع سابق، ص ص 296.301.

<sup>3</sup> موسى هيصام، مرجع سابق، ص 233.

<sup>4</sup> المحسن بن علي بن صالح سويبي، مرجع سابق ص ص 269.302.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

في الأخير يمكننا القول: أن مؤتمر المستشرقين 14 المنعقد بالجزائر في 19 افريل، 1905 يُعد حلقة أخرى من حلقات التكامل والتعاون الاستراتيجي، القائم بين الاستشراق والاستعمار الفرنسيين، فلو لم تكن الجزائر مستعمرة من نوع خاص لما كان انعقاد مثل هذا المؤتمر<sup>1</sup>، والدليل على ذلك أن مصر التي كانت هي الأخرى تحت نير الاستعمار البريطاني، طلبت مرات عديدة احتضان المؤتمر، لكن طلبها لم يلب<sup>2</sup>. فالجزائر هي البلد الأول والأخير الذي انعقد فيها مثل هذا المؤتمر من بين الدول العربية والإسلامية .

ان الاستعمار هو الذي خطط لهذا المؤتمر وتكفل بنفقاته، وعمل على إنجاحه باختيار مواضيعه وفضوله ومقرريه ومنشطيه الذين كانوا من كبار مستشركي فرنسا<sup>3</sup>، وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي رينيه باسيه، لتحقيق مآرب وغايات، يأتي في مقدمتها إضفاء طابع الجزائر الفرنسية، التي كان قد مضى على احتلالها حينذاك أكثر من سبعة عقود<sup>4</sup>.

### 6. جامعة الجزائر:

بعد مرور 30 سنة على إنشاء المدارس العليا للتعليم العالي بالجزائر، قررت السلطات الفرنسية تحويل هذه المدارس إلى كليات تحت اسم جامعة الجزائر، وذلك بموجب قانون 30 ديسمبر 1909.<sup>5</sup>

تعاونت المدارس العليا " التي أصبحت فيما بعد كليات " على دفع الاستشراق في خدمة الإدارة الاستعمارية<sup>6</sup>، كما عُرِفَ أيضا بأنها مركز لتدريس العلوم الاستعمارية.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> الطيب بن ابراهيم، مرجع سابق، ص ص. 103-104.

<sup>2</sup> المحسن بن علي بن صال سويس، مرجع سابق، ص. 301.

<sup>3</sup> الطيب بن ابراهيم، مرجع سابق، ص. 104.

<sup>4</sup> احمد مسعود سيد علي، مرجع سابق، ص. 106.

<sup>5</sup> بغداد خلوفي: مرجع سابق، ص. 171.

<sup>6</sup> بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص. 171.

<sup>7</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 26.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

ويعتبر تأسيسها حدثا بارزا في مجال تطوير التعليم العالي والبحث العلمي، حيث جاء ليعطي للمدرسة التاريخية المتخصصة، بُعدها الاكاديمي، وما ميزها هو اعتمادها على مؤرخين متخصصين، والتي واكبها انتشار واسع للفكر الاستعماري، الذي ربط الجزائر في كل شئى بفرنسا، كما أن هذا الفكر وجد مرحلة الحكم المدني أرضا خصبة، ساعدته على زيادة انتشاره داخل الجزائر المحتلة وخارجها<sup>1</sup>.

كانت جامعة الجزائر تستقبل مجموعة من الأساتذة اللامعين<sup>2</sup> من أمثال: ستيفان اغزال، وروني ماونير وجيروم كاركوينو، ولويس جيريست، وهي المؤسسة الوحيدة التي عانت مقارنة بالمؤسسات الميتروبولية الأخرى، والتي بقيت تقريبا محجوزة بالكامل للمستوطنين، ولم يدخلها من الجزائريين الا العدد اليسير مقارنة بغيرهم، فمثلا استقبلت سنة 1914 م 30 طالبا من الجزائريين فقط، و 47 طالب عام 1920 م، و 100 طالب أواخر الثلاثينات، أي أقل من 5 % من إجمالي التسجيلات<sup>3</sup>، وفي هذا الصدد يضع لنا المستشرق الفرنسي (Ch. Traillart) احصائية كاملة لعدد الطلبة، منذ انشاء الكليات الاربعة من سنة 1879 الى غاية سنة 1930 :

في كلية الطب<sup>4</sup>:

السنوات	عدد الطلبة	السنوات	عدد الطلبة
1879	42	1914	195
1889	100	1920	395
1894	202	1925	377
1898	186	1929	584
1910	178		

<sup>1</sup> مريم صغير، مرجع سابق، ص 274

<sup>2</sup> انظر الملحق رقم 4

<sup>3</sup> Pierre Singeravélou , "L'enseignement supérieur colonial "3 , revue histoire de l'éducation 1942 , N122 , avril-juin , France , 2009 , p.82.

<sup>4</sup> Charles Traillart, L'Université d'Alger, in livre de Histoire et l'Historien de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1930, p 367

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

في كلية الحقوق<sup>1</sup>:

السنوات	عدد الطلبة	السنوات	عدد الطلبة
1879	80	1914	432
1889	156	1920	614
1894	242	1925	807
1898	250	1929	828
1910	281		

في كلية العلوم<sup>2</sup>:

السنوات	عدد الطلبة	السنوات	عدد الطلبة
1879	11	1914	128
1889	32	1920	189
1894	33	1925	184
1898	67	1929	212
1910	88		

في كلية الاداب<sup>3</sup>:

السنوات	عدد الطلبة
1910	204
1914	182

<sup>1</sup> Charles Traillart, Op cit, p 367

<sup>2</sup> Ibid, p 368

<sup>3</sup> Ibid p 368

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

266	1920
224	1925
282	1929

كان الهدف من تأسيس جامعة الجزائر هو خدمة الادارة الاستعمارية، وإحكام السيطرة الفكرية على الجزائر، وهذا الدور الحقيقي قامت به على يد مجموعة من الأساتذة، الذين اشتهروا في مجالات تخصصهم، فهي مؤسسة علمية فرنسية في قلب الجزائر، وقلب المغرب العربي وإفريقيا.<sup>1</sup>

تطورت بسرعة حتى أصبح الفرنسيون يسمونها "السوربون الإفريقية" وكانوا يعتبرونها الجامعة الفرنسية الثالثة؛ لارتفاع مستواها التعليمي يقول عنها غوستاف مرسيني: ان جامعة الجزائر قد قامت بدور مشع لتنفيذ فرنسا الأم<sup>2</sup>، وأصبحت بذلك مثل نظيراتها الجامعات الفرنسية من حيث البرامج والتخصصات والشهادات الممنوحة، مع بعض الخصوصية بالنسبة لبعض التخصصات ذات الصلة بالجزائر والمجتمع الجزائري كتخصصات التشريعات والحقوق الإسلامية وغيرها من التخصصات.<sup>3</sup>

ان جامعة الجزائر من هذا المنظور هي جامعة استعمارية، وتعتبر أيضا مركزا للدراسات الاستشراقية، وكذلك مركزا أساسيا لرعاية الإيديولوجية الاستعمارية .

يعلق أبو القاسم سعد الله عليها بقوله: انها في الحقيقة جامعة فرنسية روحا ومحتوى وأساتذة وهدفا، وليس لها من الجزائر إلا الاسم.<sup>4</sup>

يبقى أكبر عمل قامت به جامعة الجزائر لخدمة أهداف فرنسا، هو إنشاء المعاهد المتخصصة والاشراف عليها ومدّها بالدراسات والمعلومات وسنذكر نموذجين من هذه المعاهد.

<sup>1</sup> Pierre Singeravélou, Op cit , p .82.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص .309.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص .100.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص .304.

1.7. معهد الدراسات الشرقية: (Institut d'études Oriental d'Alger):

تأسس معهد الدراسات الشرقية في سنة 1934، وجاء في ميثاق تأسيسه أن الهدف منه ليس تنظيم تعليم خاص، ولكن الهدف منه هو تشكيل فرق بحثية ولجنة للنشر، ويهتم بالتاريخ والحضارة ولغات العالم الإسلامي، كما كان اهتمامه الخاص بالدين الإسلامي في شمال إفريقيا،<sup>1</sup> ونظرا لأهميته أوكلت مهمة تسييره لمستشرقين بارزين هما: جورج مارسلي ومن بعده هنري بيريز<sup>2</sup>

تأسس تحت إشراف المستشرق الفرنسي جورج مارسلي، وأعضاء المعهد كانوا من المستشرقين المعروفين والعاملين في كلية الآداب من أمثال بوسكيه، هنري بيريز، وليفي بروفنسال، والفريد بل، ومارياس كنار، وكانتينو، وروبير برونشفيك، واندرى باصيه، وليون غوتيه<sup>3</sup>.

وكان لمؤسسه ج. مارسلي رؤية واضحة لوظيفة هذا المعهد منذ تأسيسه، فهو في نظره مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، وكأي من تلك المؤسسات فإنه يضطلع بمهمتين، مهمة تعليمية وأخرى بحثية، فالأولى امتداد للتعليم، ويتمثل في تزويد الطلبة برصيد من المعارف في المجال الذي يشعر بأنه الأقدر،<sup>4</sup> وأما المهمة البحثية فتتخذ في بلد كالجزائر أهمية ظاهرة، كما يقول مؤسسه: يحمل القائمين عليه مسؤولية عاجلة بالغة الخطورة، وتمثل في إعداد الخريجين لدراسة عالم كل ما فيه حاجة للاستكشاف، وان موقع استاذ في كليات جامعة الجزائر ليس الكرسي الذي يشرف عليه بقدر ماهو المدينة التي يعيش فيها، مما يجعل مهمته دائمة مستمرة.

ويواصل ج. مارسلي بسط رؤيته لوظيفة معهد الدراسات الشرقية ويقول: ان في مجتمع شمال افريقيا المسلم بمعتقداته وماضيه وحياته المادية وتقاليده وآدابه وفنونه ولهجاته موضوعات متنوعة

<sup>1</sup> Mélia , op.cit , p.204.

<sup>2</sup> مريم صغير، مرجع سابق، ص 278

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ن ج6، مرجع سابق، ص 101.

<sup>4</sup> محمد لطفي الزليطي، جورج مارسلي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020، ص 23

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

وغنية جدا تستحق الدرس، وان ما صدر من كتب ومقالات، تناولت ذلك المجتمع بالدرس، لكفيل أن تزودنا به رفوف أي من المكتبات المعبرة، وهي من تأليف اساتذة بارزين يعملون في كليات الآداب والقانون لدينا<sup>1</sup>.

يرى ج. مارسي أيضا ان مجال اهتمام الباحث في معهد الدراسات الشرقية بالجزائر، تتصل ببيئة اسهم الاسلام الذي جاء من المشرق في إسباغ مسحة شرقية عليها، سواء من حيث اللغة والحضارة او المؤسسات القانونية، او نمط الحياة، مما يجعل جامعة الجزائر المركز الامثل لتقدم العلوم الاسلامية وعلوم الثقافة العربية، ويحتم ج. مارسي تقديمه للمعهد وسياسته البحثية قائلا ان كل نشاطات المعهد والاعمال التي يصدرها تشهد بان جامعة الجزائر تعمل قدر المستطاع على الحفاظ على سمعة فرنسا الفكرية في هذه البقعة من شمال افريقيا، وتسعى بوجه خاص الى ان لا تبقى اي صغيرة ولا كبيرة عن الاسلام خفية على فرنسا<sup>2</sup>.

يحتوي هذا المعهد على 4 أقسام وهي<sup>3</sup>: قسم التاريخ والآثار، وتعنى بما قبل تاريخ الصحراء، والحضارة الإسلامية في اسبانيا، والمغرب وتونس ومصر والنقوش الأثرية، وقسم اللغويات ويُعنى باللغات السامية، ولهجات شمال إفريقيا عربية كانت أم بربرية، وقسم الأدب والفلسفة ويُعنى بدراسة مخطوطات العالم الإسلامي، وقسم خاص بالعلوم الاجتماعية والقانون، ويُعنى بالاثنوغرافية البربرية والمعاهد الإسلامية وعادات وسكان شمال إفريقيا.

عرف المعهد حيوية كبيرة فهو لا يتوقف عن انعقاد الدورات والنشاطات، وقام بإنشاء مجموعة مهمة "Biblioteca Arabica"، كانت لها قيمة بين المستشرقين في العالم، وأصبحت الجزائر بذلك المركز الفرنسي الأكثر نشاطا في الدراسات الاستشراقية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 24

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص ص 25-26

<sup>3</sup> Mélia, op.cit., 205. jean

<sup>4</sup> خميلي العكروت، مرجع سابق، ص 133.

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

معظم أعمال هذا المعهد كانت تصدر في المجلة الإفريقية وفي دوريات "حوليات" المعهد، ظهر منها عدة مجلدات، وإلى جانبها نشر أعمالا منفصلة عن المشرق العربي والإسلام في اندونيسيا والأدب العربي المعاصر، والحياة اليومية في تونس، واللهجات العامية أو المكتوبة في الأندلس، وكذلك نشر أعمالا عن لهجة الدروز، وعن التصوف الإسلامي، وتأسيس مدينة فاس.<sup>1</sup>

### 2.7. معهد الأبحاث الصحراوية: (Institut du recherche saharienne):

نظرا للمكانة التي احتلتها منطقة الصحراء من حيث الأهمية الاقتصادية والجيو-سياسية بالنسبة لفرنسا، وسعيها منها لجعل الصحراء الجزائرية بوابة للقارة الإفريقية،<sup>2</sup> أنشئ هذا المعهد بموجب قانون 10 جويلية 1937، وذلك استجابة لرغبة أكاديمية العلوم الاستعمارية لدراسة الصحراء، وربطها بمحيط إفريقيا جنوب الصحراء، وتعود فكرة إنشائه إلى توصية لجنة "Algérie-Afrique occidentale français"، والتي طلبت من عميد كلية ريكوم ماندي بإنشاء معهد للبحوث الصحراوية، ولقد رحبت الجامعة على الفور بهذا المشروع.<sup>3</sup>

يتكون طاقم عمل المعهد من 50 عضوا دائما من جامعة الجزائر، ومن مختلف التخصصات<sup>4</sup>، أطباء مستشرقون، ضباط ومستكشفون وعلماء في الجيولوجيا.<sup>5</sup>

حددت المادة 4 من قانون 10 جويلية مهمة هذا المعهد، والمتمثلة في توثيق واستغلال ونشر الوثائق حول الصحراء، وتنظيمها وجردها عن طريق تقنيات التوثيق، وتم إنشاء مكتبة متخصصة في الصحراء تنشر كل المستجدات حول الصحراء، منها تغطية جوية للصحراء الجزائرية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>2</sup> مريم صغير، مرجع سابق، ص. 297

<sup>3</sup> Mélia jean , op.cit , p.206.

<sup>4</sup> I Mélia jean , op.cit , p.206

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>6</sup> Mélia jean , op.cit , p.206.



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

نظّم المعهد عدة رحلات استكشافية مثل مهمة في فزان 1944-1945، وضمت 12 عالم، انتهت بإصدار مذكرات حول الصحراء، ومهمة تاسيلي ناجر 1945، انتهت باكتشافات هامة. أما النشريات الصادرة عن المعهد فنجد الحوليات الصحراوية وهي أعمال بدون اسم، ضمت ملاحظات وتقارير ومقالات من "17 جزء"، وايضا المذكرات الخاصة<sup>1</sup>، ومن المساهمين في هذا المعهد نجد المستشرقين مثل: ويليام مارسى، وريبوا، وليشييه، وكابوري وريغاس<sup>2</sup>.

وهناك مجموعة من المعاهد التي انشئت في فترة الاستعمار الفرنسي، وكانت تابعة مباشرة لجامعة الجزائر، ولكنها متحررة في نشاطها العلمي<sup>3</sup> نذكر منها :

معهد الأرصاد الجوية والفيزياء الفلكية 1931

معهد التهيئة العمرانية 1942

معهد التربية البدنية والرياضية 1944

معهد الدراسات السياسية 1949

معهد الدراسات النووية، ومعهد الدراسات الفلسفية، ومعهد السلالات والأصول العرقية 1956

معهد التحضير للأعمال 1975

### المبحث الثاني: اللغة العربية في اهتمامات المدرسة الاستشراقية الفرنسية :

بدأت فرنسا بعد الاحتلال مباشرة في توفير كل السبل والوسائل من أجل تحقيق مشروعها الاستعماري، وهذا من خلال حصر الإمكانيات البشرية والعلمية لدراسة المنطقة، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنها، من المذكرات والتقارير والبعثات العلمية، وحتى من خلال الحملات العسكرية،

<sup>1</sup> خميلي العكروت، مرجع سابق، ص. 123.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص. 101.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

مركزة على التركيبة البشرية للجزائر، والماضي التاريخي للمنطقة، وكذلك دراسات تخص الدين واللغة، وقد تم فعلا انجاز عدد كبير من الدراسات كانت جلها تسير في فلك خدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وارتأينا في هذا الفصل، التطرق إلى نماذج من هذه الدراسات وتقييمها، لتبيين الغرض منها بوضوح .

كانت اللغة العربية هي الوسيلة الضرورية لمعرفة الجزائر واهلها<sup>1</sup>، ولأهميتها وانتشارها الواسع في أوساط الأهالي<sup>2</sup>، فعملت الإدارة الاستعمارية كل ما في وسعها من اجل تعلمها وتعليمها من اجل التقرب الى الاهالي الجزائريين، وفي هذا الصدد يعترف أحد المستشرقين الفرنسيين والخبير في شؤون الاستعمار بقوله: لقد كان على السادة الجدد (الفرنسيين) ان يستعملوا اللغة العربية في الإدارة وفهم السكان، ودراستها بطريقة جادة يمكن أن تقدم للفرنسيين فوائد كثيرة، وذلك بإقامة علاقات عديدة مع الأهالي والتعرف أكثر على الشعب، ويضيف: أن دراسة أدب الجزائريين سيؤدي إلى معرفة عقريتهم، وأصالة فكرهم، وشعرهم المؤثر، ومعرفة كتبهم في العلوم والتاريخ والفقه والدين، ومن ثمة معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم<sup>3</sup>.

ويذهب في نفس الطرح المستشرق الفرنسي كور(Cour) بقوله: ان اللغة العربية يمكن أن تقدم لفرنسا فوائد؛ لأنها كانت لغة الحديث منذ القرون الاولى... ان العربية لن تمكن الفرنسيين من فهم الذين يحكمونهم فحسب، بل ستجعلهم يتذوقون-الاهالي- طعم الحضارة الفرنسية<sup>4</sup>.

يستشف من خلال تصريحات هؤلاء المستشرقون الفرنسيون انا للغة العربية اهمية كبيرة في تلك الفترة باعتبارها الوسيلة الوحيدة للتقرب من الاهالي الجزائريين وفهم طريقة تفكيرهم، وعليه نطرح مجموعة من الاشكالات والتي سنحاول الاجابة عليها:

- كيف كان اهتمام المدرسة الاستشراقية الفرنسية باللغة العربية ؟ وماهي أهم إنجازات المدرسة الاستشراقية الفرنسية في المعاجم؟

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1996، ج4، ص.24.

<sup>2</sup> اثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني بیدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر، 1954 الجزائر، 2007، ص. 135.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، ابحاث واره في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص.25.

<sup>4</sup> A. Cour, Note sur les chaire de la langue arabe d'alger de Constantine et d'oran 1832-1879 , revue africaine , N 318 , Alger, 1924, p21

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

-ماهي أهم الكراسي التي تولاهما المستشرقون الفرنسيون لتعليم اللغة العربية في الجزائر؟

كيف تعامل المستشرقون الفرنسيون مع اللغة العربية الدارجة في الجزائر؟

ماهي اهم الدراسات الاكاديمية التي عنيت باللغة العربية ولهجاتها؟

### اهتمام المدرسة الاستشراقية الفرنسية باللغة العربية:

اهتمت المدرسة الاستشراقية الفرنسية بالدراسات اللغوية والأدبية، وما ميز الميدان الاستشراقي في فترة الاحتلال، أنه لم يزعج عن التأليف المدرسي الموجه للمعمرين، وكانت اللغة العربية سواء الفصحى أو العامية بالنسبة لهم، لغة وظيفية، وأداة لمعرفة أفكار وتاريخ الجزائريين، ووسيلة للاتصال بالأهالي، فقام على اثر ذلك مجموعة من المستشرقين بدراسات للغة العربية، ووضع مخطط لقواعدها، لصالح الجنود والمدنيين الراغبين في تعلمها بسرعة، دون الحاجة الى معرفة مسبقة بها، وظهرت على اثر ذلك مجموعة من النصوص والمعاجم (lexicographie) والكتب الناشئة، التي تعرض أساسيات اللغة العربية،<sup>1</sup> والملاحظ تركيز المستشرقين على الكتب المدرسية ذات الصبغة العلمية، وكتب النحو، دون التركيز على دراسة اللهجات المحلية دراسة منهجية، وهذا راجع الى أن اللغة العربية في نظرهم ماهي إلا أداة بسيطة تسهل لهم الاتصال بالأهالي ليس إلا<sup>2</sup>.

و لم تكتفي الادارة الاستعمارية بذلك، فقامت بتشجيع الأوروبيين على دروس اللغة العربية، وقررت تقديم جائزة مالية مقدارها 150 فرنك فرنسي في نهاية كل سنة دراسية للمتفوقين، والهدف من هذا الاهتمام باللغة العربية ليس لخدمتها وتطويرها، ولكن لاستخدامها كوسيلة بارزة في توطيد تواجدها وتوسيع نفوذها، واستخدامها كأداة للتواصل والتفاهم، وليست وسيلة للتثقيف والتكوين.<sup>3</sup>

وأرسلت التلاميذ الأكفاء والمتفوقين منهم إلى بعض المدارس العليا بفرنسا، وذلك باقتراح من بعض المستشرقين بهدف غسل أمخاخهم وتحويلهم إلى آلات لخدمة المصالح الفرنسية في الجزائر، بعد أن يتشبعوا باللغة الفرنسية وثقافتها، ولم يكن هدفها في ذلك هدفا علميا بل كان هدفا سياسيا محضا،

<sup>1</sup> Sylvette Larzul, Grammatization et lexicographie de l'arabe algérien au XIX<sup>e</sup> siècle, revue Synergies Monde arabe n° 7 – 2010 CHSIM-EHESS, p92

<sup>2</sup> Henri Massé, Les études arabe en algerie 1830-1930, revue africaine, Jourdan libraire, Alger N 74, 1933, P226

<sup>3</sup> ابراهيم لونيبي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، دار هومة الجزائر، 2013، ص. 100.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

فمقصدها من ذلك كله هو تثبيت أفكارها الاستعمارية في عقول الجزائريين، وجعلهم على استعداد تام لتقبل الهيمنة الفرنسية والاحتواء الحضاري<sup>1</sup>، وكان للمستشرقين الدور الكبير في هذا المجال.

### 1. المعاجم :

اهتم المستشرقون في المراحل الاولى بعرفة السكان المحليين، والاتصال بهم عن طريق العامية في بداية الامر، وفي هذا الصدد يذكر عثمان العكاك، في كتابه البربر قوله: لما غزا الفرنسيون إفريقيا الشمالية، حاولوا أن يتخذوا من اللغة البربرية نحوا وآدبا لمنافسة العربية، فألفوا كتب النحو في مختلف اللهجات، وصنعوا المعاجم البربرية الفرنسية، ووضعوا معاجم النوادر والقصص، ونقلوا الحرف العربي، الذي كان ومازال يكتب به البربر الى الحرف اللاتيني، كل ذلك ليهربوا بالبربر عن العرب<sup>2</sup>. وعليه لفت واقع الجزائر اللغوي نظر المعجميين، وبخاصة الفرنسيين منهم تبعا لما حفل به من ثراء لهجي، وما عَجَّ به من تنوع كلامي محكي، اذ من منطقة لأخرى تبدل النبر والتنغيم، وتباين صيغة التعبير، فينتقى من الالفاظ ما ينتقى حتى تغدوا الألفاظ المنتقاة حكرا على منطقة دون سواها، هذا ما أدى بالمعجميين الفرنسيين الى التوقف عند الانجاز الكلامي، فافردوا في قواميسهم قطاعات بما يتداول على ألسنة المتكلمين، ولم يكتفوا بإدراج المستوى المحكي الجزائري بتنوعاته وتفرعاته بين طيات المصنفات المعجمية فحسب، وانما درسوا أيضا وتدارسوا الخصائص الصوتية والتركييبية والدلالية لمحكيات مناطق جزائرية شتى<sup>3</sup>.

فانتجوا مجموعة من الكتب المدرسية التي إلتفتت الى المحكيات الجزائرية، وهي عبارة عن معاجم وقواميس ثنائية اللغة، عربية-فرنسية، من خلال اعمال ميدانية تم جمعها من أفواه السكان، وهي عبارة أيضا عن مجموعة من القواعد، والتمارين لتعلم اللغة العربية<sup>4</sup>

والتي تعتبر أيضا سجلا هاما لقطاعات من التقارير، والسياقات، والألفاظ المستقاة من اللهجات، فهي تعكس جوانبا اجتماعية وتراثية ولسانية، اضافة الى تسجيلها لنواتج الاتصال بين لغة

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص 128، 122.

<sup>2</sup> عثمان العكاك، البربر، اعده للنشر مؤسسة تامنغاست، د س ن، ص 80

<sup>3</sup> محمد بسناسي، التعبير اللهجي الجزائري وتوظيفه في القواميس الثنائية، مجلة الكلم، تصدر عن مخبر اللهجات ومعالجة الكلام، جامعة وهران

<sup>1</sup> احمد بن بلة، الجزائر، جانفي 2016، ع1، ص 27

<sup>4</sup> Sylvette Larzul, op cit, p94

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الجزائريين والفرنسيين، اذ من فرط الاحتكاك اليومي المباشر، تبني الفرنسيون ألفاظا جزائرية في لغتهم، وبالمقابل اقترض الجزائريون بدورهم من الفرنسية ألفاظا، ونطقوا ما أخذوه عن الفرنسية على طرائقهم<sup>1</sup>، ومن أمثلة هذه القواميس والمعاجم نذكر:

معجم بعنوان (Petit dictionnaire Arabe-Français et Français-Arabe) لمؤلفه المستشرق (Roland De Bussy) رولاند دوباسي سنة 1836، والملاحظ على هذا القاموس، هو لجوء رولاند الى كتابة الكلمات العربية بأحرف لاتينية، ونفس الشيء مع المستشرق شيربونو في بحثه المعنون (Observation sur le Dialecte Arabe de l'Algérie)، وفيه عمل على كتابة الكلمات العامية بالأحرف اللاتينية<sup>2</sup>، وهي محاولة منهم لإحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي، يعلق المستشرق شارل بيلا على هذا المنهج بقوله<sup>3</sup>: ان مثل هذا المشروع مكتوب عليه بالفشل، لأن العربية غير التركية، وأيقنت أن الحرف العربي سيدوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها<sup>4</sup>.

معجم اخر للمستشرق شيربونو أيضا بعنوان (Principes de la Langue Arabe ouvrage élémentaire)، ومعجم (djaroumia, Grammaire Arabe élémentaire de Mohamed ben Davoud Elsanhadji) ترجمة المستشرق الفرنسي لويس برونيي سنة 1846<sup>5</sup>، و آخر بعنوان (cours de la Langue Arabe) لنفس المستشرق سنة 1855<sup>6</sup>، ومعجم بعنوان (la Langue Arabe prononciation des Idioms de l'Algérie ou cours élémentaire de lecture arabe) للفرنسي دو بران (B.de

<sup>1</sup> محمد بسناسي، مرجع سابق، ص 38

<sup>2</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص ص . 106، 109.

<sup>3</sup> في نفس الطرح يذكر ان المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ألقى محاضرة في باريس، جمع فيها الشباب العربي سنة 1929 ومما جاء فيها على لسانه انه لا حياة للغة العربية الا ان كتبت بحروف لاتينية، رغم ان الحروف اللاتينية عاجزة عن استيفاء حروف الهجاء العربية، وفي هذا الصدد يرد على هذه المزاعم المستشرق الايطالي "ناليو رجم عدائه للاسلام اذ يقول في اعترافه: ان الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية، ولو اردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا ايجاد حروف جديدة، نظيفها الى الابجدية اللاتينية الحالية، لكي تعبر عن الاصوات العربية التي تمثلها حروف: ج-ح-خ-ش-ط-ظ-ص-ض-ع-غ-و-لاحتجنا كذلك الى التمييز الحروف المتحركة الممدودة وبين الحروف المقصورة. بنظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، اجنحة المكر الثلاث وخوفها التبشير الاستشراق الاستعمار، دار القلم، دمشق سوريا، ط8، 2000، ص380

<sup>4</sup> بوزيدي ساسي هادف، الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة دراسة سوسيو-لسانية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات،

جامعة 8ماي 1945، قائمة الجزائر، ص 109. المقالة متوفرة في مجلة نقد وتنوير، 15-ماي-2015

<sup>5</sup> B.de Slane, catalogue de la bibliothèque orientale, Ernest le roux, paris, 1878 , p 34

<sup>6</sup> Caussim de Perceval, catalogue des livres et manuscrits arabes , Adolphe Labitte, 1871 , P 6-7

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

(Braine)<sup>1</sup>، ومؤلف بعنوان قواعد اللغة العربية الجزائرية، للمستشرق الكسندر بالمار (Alexander Bellemare) سنة 1854<sup>2</sup>، وله معجم آخر بعنوان قواعد اللغة العربية اللهجة الجزائرية (Grammaire arabe Idiom d'Algérie) سنة 1860، ومؤلف للمستشرق اوكتاف هوداس (O.Houdas) بعنوان دروس في اللغة العربية (Cours élémentaire de la langue arabe) سنة 1875-1876<sup>3</sup>.

وقد عددهم المستشرق الفرنسي كليمان هوار في مقال له نُشر في المجلة الاسيوية<sup>4</sup> أمثال (Bellemare), (Armez), (Bled de braine), (J.K.Delaporte), (Roland De Bussy), (Demitry), (E.Bertherand), (J.Humbert), (Touchon), (E.Gourlier), (Neuphal), (Marion), (Delval), (E.Galland), (Paulmier), (H.De Vajours), (Vernier), (L'abbé), (J.Glaire), (M.Machuel).

يقتى أحسن انجاز قام به المستشرقون الفرنسيون وبشهادتهم هم، هو معجم المستشرق مارسلان بوسبي (Marcelin Beaussier)، سنة 1887 بعنوان: معجم عملي عربي فرنسي<sup>5</sup> (Dictionnaire Pratique Arab-Français)، وترجع جودة عمل بوسبي الى معرفته بلغة مناطق الجزائر المختلفة، ووعيه بالتطور التاريخي للغة، فقد جمع فيه أكثر من 30 ألف كلمة، يعلق عليه المستشرق وليام مارسلي في ملاحظاته: يمكن اعتباره أهم عمل للمدرسة الاستعرابية الفرنسية في الجزائر القديمة، يبرز هذا العمل الكبير بروعة من بحيرة المناهج العلمية والمفردات والنماذج الكتابية، التي اغرقت بصورة مغيظة، ولسنوات طويلة مجال الاستشراق الفرنسي، انه يستحق من كل النواحي المديح الذي كاله له رينهارت دوزي في يوم ما<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عند اطلاعنا على الكثير من هذه المعاجم والقواميس، وجدنا ان المستشرقين يبدؤون دراستهم بوضع قواعد اللغة العربية من ترجمة الحروف الى الافعال وتصريفاتها، وفي الفصول الاخرى منهم من يضع مجموعة من الرسائل المكتوبة بالعربية والعامية، ويقومون بترجمتها ومنهم من يورد بعض الامثال الشعبية ويقوم بشرحها الى اللغة الفرنسية، ومثال على ذلك دراسة de braine والذي ختم دراسته بادراج ثلاث قصص شعبية قام بترجمتها ك قصة النمس والدجاجة وقصة الولد الذي رمى نفسه في الواد وهو لا يحسن السباحة وقصة النملة والحمامة راجع B.de braine, prononciation des Idiomes de l'Algerie ou cours élémentaire de lecture arabe, librairie de Lhachette et Cir, paris, 1848, p 71,91

<sup>2</sup> Voir: Alexander Bellmare, Grammaire arabe (Idiom Algerie), imprimerie abadie, constantine algerie, paris, 1854

<sup>3</sup> B.De slane, op cite, p 36

<sup>4</sup> Clément Huart, le livre du centenaire 1822-1922 Société Asiatique, librairie Orientaliste, paul Geuthner, paris, 1922, p 162

<sup>5</sup> معجم عملي عربي فرنسي يضم جميع المفردات المستعملة في العربية التي يتحدث بها اهل الجزائر وتونس وفي اسلوب الرسائل والمسرحيات الحديثة والعقود القضائية انظر: : Beaussier mercelin, dictionnaire pratique arabe-français, adolphe jourdan, alger, 1887

<sup>6</sup> Sylvette Larzul, op cite, p95 . voir aussi: William Marçais Quelques observations sur le dictionnaire pratique Arabe-Français de Beaussier alger, 1905

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

ويعلق محمد بسناسي على معجم بوسبي بقوله: لقد عول فيه صاحبه بشكل ملفت على الاستقصاء المباشر، ملتقيا المادة اللسانية من ناطقها الاصليين، وما زاد من أهميته هو المراجعات والاضافات والتنقيحات التي زيّدتها محمد بن شنب على نص المدونة<sup>1</sup>.

قام محمد بن شنب وألبير لونت (Albert Lentin) فيما بعد بإكماله، وصدر ملحق ألبير سنة 1959، المنظومة الى قاموس المستشرق (Beaussier)، ولقد اشتغل محمد بسناسي من جامعة ليون الفرنسية على هذا المصنف والذي يقع في امتداد 312 صفحة، وفي تقديمه للمصنف ييوح ألبير بأن ما جمعه، هو أيضا من مادة تنحدر أساسا من الشرق الجزائري، أين قضى طفولته غير بعيد عن مدينة سطيف، وأين امتحن التدريس في مدينة سكيكدة وقسنطينة، ويضيف: ان العديد من المفردات زودني بها تلاميذتي المسلمون، ومواد أخرى جمعتها بإقامتي في كل من مدينة وهران والعاصمة وتونس<sup>2</sup>.

يقول المستشرق الفرنسي روني باسي عن الكم الهائل من المعاجم، التي أنجزتها المدرسة الاستشراقية الفرنسية في الجزائر: ظهرت منذ الاحتلال أكوام من المعاجم والقواميس وكتب المحادثة، ومجموعة الرسائل لتعليم اللغة الدارجة، انها مكتبة كاملة<sup>3</sup>.

### 2. المستشرقون الفرنسيون واللغة العربية من خلال كراسي التعليم:

أولى المستشرقون أهمية لتعليم اللغة العربية، من خلال إعداد المناهج، خاصة لتعليم القراءة وتيسيرها للفرنسيين<sup>4</sup>، وبذلك صنفوها ثلاثة أصناف: العربية الكلاسيكية (هكذا يسمونها)، وهي لغة الأدب القديم، بما فيه القرآن والحديث الشريف وأمّهات كتب التراث، والصنف الثاني، هي العربية الدارجة، وهي التي دأبوا على دراستها منذ بداية الاحتلال وظلوا لا يعترفون إلا بها في الجزائر، أما

<sup>1</sup> محمد بسناسي، مرجع سابق، ص 30

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 32

<sup>3</sup> René Bassé, *Mélange rapport sur l'activité scientifique de la France en algerie et dans l'afrique du nord depuis 1830, journal asiatique, enziem serie, Tome XV, imprimerie ernest laroux, paris, 1920, p 93*

<sup>4</sup> محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي رسالة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ جامعة الجزائر 2006-2007، ص ص 237، 239.



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الصنف الثالث، أطلقوا عليه العربية العصرية، وهي لغة الجرائد والكتب المطبوعة حديثا، والتي كانت متداولة في المشرق العربي.<sup>1</sup>

أول من قام بتدريس اللغة العربية لضباط الجيش الفرنسي والأوروبيين في الجزائر هو القس زكار، ثم خلفه المستشرق جوني فرعون، والذي دام في منصبه من 1832-1836<sup>2</sup>، ثم خلفه المستشرق الفرنسي لويس برينييه<sup>3</sup> بتزكية من كبير المستشرقين الفرنسيين دي ساسي<sup>4</sup>، وهو الذي يعترف في أول درس له، بأن اللغة العربية غنية بالتعبير المتنوعة جدا في أشكالها، والأنيقة للغاية في أسلوبها<sup>5</sup>.

أمام حاجة الإدارة الاستعمارية لموظفين فرنسيين يتكلمون اللغة العربية قامت سنة 1846 بإنشاء ثلاث كراسي للتعليم، متعلقة كلها باللغة العربية، (والتي يعود تنظيمها الى 30 أكتوبر 1850)، الأولى إحداث كرسي للغة العامية في كوليج الجزائر، تولاهما المستشرق قرقوس (Gorgues)، والثانية إحداث كرسي للعربية العامية في كل من وهران، والتي تولاهما المستشرق هدمار (hadmard)، وقسنطينة تولاهما المستشرق فيفار<sup>6</sup>، والذي لم يعمر طويلا في هذا المنصب، ليخلفه المستشرق شيربونو خريج مدرسة اللغات الشرقية<sup>7</sup>. واختلف تدريس اللغة العربية في الكراسي الثلاث حسب كل منطقة وترك المجال متاحا لكل أستاذ في طريقة التدريس، حسب تقديره والهامة الشخصي<sup>8</sup>، ففي الجزائر ووهران

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 44.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1996، ج5 ص ص 195-196.

<sup>3</sup> الف المستشرق الفرنسي لويس برينييه كتاب في اللغة العربية والذي طبع عام 1855 م، بعنوان "الدروس العملية والنظرية للغة العربية theorique et

pratique arabe du cours public de langue arabe" والذي ضل لفترة طويلة مقررا ي المدارس حتى بعد وفاته. وعد هذا الكتاب مرحلة هامة في البحث اللغوي بالجزائر، وقد عد ايضا سيد الاستشراق الفرنسي في الجزائر لاكثر من ثلاثين سنة، وله الفضل في تخرج معظم طباط المكاتب العربية ومترجمي الادارة والقضاء، وهو كمعلم لم يقدم للدراسات الاسلامية ولا ترجمة النصوص الا ما يتصل منها بمهمة التعليم، ينظر ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998، ج5، ص 305.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 25.

<sup>5</sup> A. Cour , Op cit, p28

<sup>6</sup> A. Cour , Op cit, p 39

<sup>7</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ص 34.

<sup>8</sup> افتتح المستشرق الفرنسي شيربونوا Cherbonneau سنة 1847 بقسنطينة دورة في تدريس وتعليم اللغة العربية هذه الدورة كانت مخصصة لفئة صغيرة ومتعلمة لم يتعدده الحضور من 15 فرد بداها بتعليم القراءة والكتابة وكان يعرض قواعد النحو العربي طبقا للدراسات الفرنسية الكلاسيكية ثم انتقلا الى شرح بعض المؤلفات التي يكون اسلوبها قصصي ويشبه الى حد كبير اللغة المستخدمة في الحياة اليومية بهدف تقريبها وتسهيل تعلمها وبفضل حنكته استطاع Cherbonneau استقطاب واجتذاب العديد من سكان الاهالي الى تعلم درس اللغة الفرنسية وفي نفس السنة افتتح المستشرق الفرنسي Hadamard دورة لتعلم اللغة الفرنسية وكان يحضر درسه ما يقارب الخمسين تلميذا



## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستثنائي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

قُدِّرت بثلاث حصص في كل أسبوع، على أن لا تتجاوز الحصة الواحدة ساعة من الزمن، وفي قسنطينة تدرس فيها ستة ساعات من الزمن في الأسبوع<sup>1</sup>.

الملاحظ من إنشاء الإدارة الاستعمارية لهاته الكراسي وتركيزها على تدريس اللغة العامية، وتعيين مستشرقين على رأسها، هو أنها فهمت بأن حاجتها الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تنجز إلا باستعمال هذه اللغة، فكانت هذه الكراسي موجهة لفئة الأوروبيين، والهدف منها هو تسهيل عملية الاتصال التي ستم بين الإدارة والأهالي<sup>2</sup>، وجعلهم يحتلطون بالأهالي، ويعرفون أفكارهم وحاجاتهم<sup>3</sup>.

ثم قاموا بمحاولتين: الأولى إهمال تدريس اللغة العربية في المدارس القديمة، وذلك بقطع مصادر الوقف عنها، والثانية هي الاكتفاء بتدريس اللغة العربية الدارجة لضباط الجيش والراغبين في العمل الإداري من الفرنسيين<sup>4</sup>، وفي الوقت الذي كانت الإدارة الاستعمارية تعلم اللغة العربية لبعض موظفيها، كانت في المقابل تحارب هذه اللغة في أوساط الجزائريين، على أساس أن بقاء هذه اللغة في أوساطهم سيشكل العقبة الكبرى في طريق فرض سيطرتها التامة والنهائية على الجزائر<sup>5</sup>.

ان المستشرق ومن ورائه المستعمر استهدف اللغة العربية الفصحى بخطة مفادها<sup>6</sup>:

جعل التعليم بلغة الغالب المستعمر -اللغة الفرنسية- إجباريا في مختلف مراحل التعليم ولجميع المواد التعليمية.

إهمال اللغة العربية التي هي اللغة الأساسية للبلاد إهمالا كبيرا، والتنفير منها بإثارة عبارات الاستهزاء منها ومن قواعدها.

---

أغلبهم من أبناء الوحدات العسكرية المتمركزة هناك بالإضافة الى ذلك كانت له دورة خاصة للسكان الاهالي والتي يخضرها ايضا المفتي والامام

وابناء الشيوخ وابناء امناء المكاتب العربية A. Cour , Op cit, p 40-41

<sup>1</sup> A. Cour , Op cit, p 40

<sup>2</sup> إبراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ص. 38.

<sup>4</sup> سعيد بوخاوش، "من مظاهر السياسة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي"، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة 2، الجزائر، سبتمبر 2013، ص. 22.

<sup>5</sup> إبراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>6</sup> عبد الرحمن حسن حينكة الميداني، اجنحة المكر الثلاث وخوفها التبشير الاستشراق الاستعمار، دار القلم، دمشق سوريا، ط8، 2000، ص

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

جعل لغة المستعمر هي اللغة الرسمية لدوائر الدولة المغلوبة ولدواوينها، وحصر الوظائف والأعمال للذين يتقنون لغة المستعمر.

اندجحت كراسي العربية العامية السالفة الذكر، فتحول كرسي وهران إلى مدرسة تلمسان (العربية-الفرنسية)، التي كانت تحت إشراف المستشرق ألفريد بيل<sup>1</sup>، وظهر في هذه المرحلة كتاب للمستشرق ماشويل "كتاب في قواعد اللغة العامية"، وذلك بهدف إيصال العامية للأوروبيين<sup>2</sup>

وتحول كرسي قسنطينة إلى المدرسة (العربية-الفرنسية)، تحت إشراف المستشرق موتيلانسكي<sup>3</sup>، الذي تذكر المصادر على أنه كان من المخلصين لقضية بلاده وللحركة الاستشراقية الفرنسية، وهو أيضا صاحب مهمة سياسية وعلمية<sup>4</sup>، أما كرسي العاصمة فقد تولته مدرسة الآداب (كلية الآداب العليا) وكذلك المدرسة الثعالبية العربية الفرنسية، تحت إشراف المستشرق ادموند دستان<sup>5</sup>.

ان اختيار كل من الجزائر وقسنطينة وتلمسان لكي تكون كمقرات للمدارس الثلاث، لم يتم بصورة تحكيمية أو اعتباطية، بل كان بهدف جلب الانتلجنسيا التقليدية المقيمة في العاصمة الثقافية، لكل اقليم من الأقاليم الثلاث، والمتمثلة في: الجزائر بالنسبة لاقليم الوسط، وقسنطينة بالنسبة لاقليم الشرق، وتلمسان بالنسبة لاقليم الغرب، ولذلك وبالنظر الى أن المدن الثلاث المذكورة، كانت قبل الاحتلال الاستعماري مراكز نشاط ثقافي وعلمي معتبر، فمن الطبيعي أن ترشح لاحتضان مقرات للمدارس الثلاث<sup>6</sup>.

في سنة 1876 أضيفت إلى مواد الدراسة في هذه المدارس الثلاث اللغة الفرنسية والجغرافيا وتاريخ فرنسا والقانون الفرنسي، وأصبحت تدعى (الفرنكو-ميزيلمان) أو الفرنسية العربية، باعتبار موادها المختلطة، ومنذ ذلك الحين (1876)، أصبح على كل الجزائريين أن يتعلموا اللغة الفرنسية إذا

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 41.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998 ج6، ص 44.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 41.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ن ج6، مرجع سابق، ص ص 39-40.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 41.

<sup>6</sup> عبد القادر فخار، مرجع سابق، ص 232

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستثنائي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

أرادوا الوظيفة وليس العكس<sup>1</sup>، أما وظيفتها فكانت إحصاء الأهالي التابعين لسياستها، ومن يقوم بالخدمات التي يحتاجها الجهاز الاستعماري<sup>2</sup>.

وفي الوقت الذي أنشئت فيه هذه الكراسي، كانت الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وبمباركة هؤلاء المستشرقين، تستولي على مؤسسات التعليم العربي في الجزائر وتحولها عن أغراضها، وتصادر جميع أوقافها، وترمي بالأطفال الجزائريين في حضن الجهل<sup>3</sup>.

في لائحة صدرت عن الحكومة العامة في 7 مارس 1877 تم تعيين مدراء فرنسيين على رأس كل مدرسة من المدارس الثلاث، وعهد لهم التعليم الديني، وذلك من أجل ضمان ولاء خوّجي هذه المدارس بالدرجة الأولى للإدارة الفرنسية<sup>4</sup>.

### 3. اللغة العربية العامية<sup>5</sup> :

سخرت الإدارة الاستعمارية في بداية الاحتلال الفرنسي، فرقا من المترجمين والعسكريين والمدنيين الذين رافقوا حملة الغزو، ولتبنى العامية، أوفدت عددا من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية والمتخصصين في اللغة العربية، للقيام بتلك المهمة<sup>6</sup>، ويعرفهم دانيال ريغ بأنهم: مستشرقون تلقوا تكويننا جيدا في اللسانيات العامة...، يهتمون عموما العربية الحديثة، والتي مازالت تسمى في الوقت الحالي فصحي باعتبارها أدبية، وبالتالي فهي في حكم المصطنعة، واللغة الطبيعية والحقيقة الوحيدة والرسمية في نظرهم، هي اللغة المنطوقة والمسماة عادة باللهجية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، مرجع سابق، ص. 199.

<sup>2</sup> عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962، الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين، الجزائر، 1994، ص. 24.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص. 43.

<sup>4</sup> Louis Rinn, Note sur l'Instruction Publique Musulmane en Algérie, imp :De l'Association Ouvrière P.Fantana et Compagnie, Paris, Février 1882, p 27-28

<sup>5</sup> يذكر محمد شفيق حديثه عن كيفية نشوء العامية قائلا: كان من الطبيعي ان يتم بين الامازيغية والعربية تداخل وتمازج على المستويات اللسانية الاربعة: المستوى المعجمي (Lexical) والمستوى النحوي الصرفي (Morphologique et Grammaticale) والمستوى التركيبي (Syntaxique) والمستوى

الفونولوجي (Phonologique) نظرا لطول مدة الاحتكاك والتفاعل، لقد اقتبست الامازيغية من العربية اقتباسا مباشرا طوال قرون العايش معها، وصيدا معجميا صارت تتراوح نسبته في المعجم الامازيغي حسب اللهجات، بين 5% و 38%. اما نتيجة تأثير الامازيغية، فتتجلى في نشأة لغة مغربية وسط هي العامية، لغة سلاها بربري، ولحمتها عربي أكثر منه بربري، اما مخارج الحروف فيها والحرس والنبرة فهي مشتركة، وقد تختلف باختلاف المناطق الجغرافية، وباختلاف الاصول الاثنية والمستويات الثقافية، ينظر :محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بين الامازيغية والعربية، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية سلسلة المعاجم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص

<sup>6</sup> Henri Massé, op cit, P 208

<sup>7</sup> دانيال ريغ، مرجع سابق، ص 49-50

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

أول من شجع العربية العامية في الجزائر هو المستشرق الفرنسي لويس برينيه، وذلك بهدف ضرب اللغة العربية الفصحى، فكان أول عمل قام به، هو بدء الدروس العامية من أجل تعريف الأوروبيين المستوطنين بمبادئ اللغة واللهجة العامية، لإدراك وفهم حياة المجتمع الجزائري، هذا من جهة، كما أصّر على الفرنسيين كلهم على تعلم اللغة العربية، لفهم ومعرفة الشعوب الأخرى (غير الجزائريين)، لأنها بحسبه ليست وسيلة اتصال مع الأهالي فقط، وإنما مع المجتمعات الإسلامية الأخرى<sup>1</sup>. ومنذ أن سيطر الاستعمار الفرنسي على الوضع في الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فرضوا أيضا شروطهم بالاستمرار في تدريس اللغة العربية والعلوم الانسانية، فقد شجعوا اللهجات العربية والبربرية والدارجة (العامية) لإماتة الفصحى<sup>2</sup>.

شجعت الأقلام الاستشراقية اللهجة العامية في الجزائر، لتكون منافسة للفصحى وحاجبة لها، لأن الفصحى وسيلة فعالة للغوص في التراث والارتباط بالقرآن الكريم، فالعربية الفصيحة وحدها قادرة على التصدي العلمي والمنهجي لكل المحاولات والمخططات الاستعمارية<sup>3</sup>، وقامت أيضا بحصرها -أي الفصحى - في نطاق ضيق جدا، ولم تسمح الا بالعامية، لكونها غير قادرة على السمو بالفكر وتنقيته<sup>4</sup>.

اجتهد الكثير من المستشرقين في التأليف في العامية وتدريسها، فمنذ 1880<sup>5</sup>، تولى هوداس تعليم اللغة العربية للفرنسيين في وهران، وبعده المستشرق ماشويل، وشاركه المستشرق شيربونو في قسنطينة، وصدرت عنهم مجموعة من الكتب التعليمية بالعربية الدارجة<sup>6</sup>.

أصبحت المدارس تحت سيطرة هؤلاء المستشرقين من أمثال: ديجا (G.Dugat)<sup>7</sup>، وفاسيت الذي عين مديرا لمدرسة عربية -فرنسية بقسنطينة، ومن خلال منصبه عمل على نشر الثقافة الفرنسية عن

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 49.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998 ج3، ص 20.

<sup>3</sup> محمد بن حمو، الدراسات الاستشراقية في الجزائر اداة للغزو، مجلة اشكالات، تصدر عن المركز الجامعي نامغست، الجزائر، 2013، ع2،

ص 205

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 207

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 56.

<sup>6</sup> سعيد بوخاوش، مرجع سابق، ص 23.

<sup>7</sup> مستشرق فرنسي، ولد في اورانج وتخرج في اللغات الشرقية على يد رينو ورسفال في مدرسة اللغات الشرقية، وعين استاذا للعربية فيها وايضا

عضوا في الجمعية الاسيوية، واوفدته حكومته الى الجزائر، وقد عُني بالتاريخ العام لا سيما جغرافية بلاد الاسلام، وخلف فيها بحوثا ومقالات كثيرة ومن اثاره: النوق العصافير في المجلة الاسيوية باريس 1848 و1849 و1853، وتبنيه الغافل وذكرى العاقل للامير عبد القادر الجزائري متنا وترجمة 1850، وترجمة الشعر العامي 1850، وقصيدة احمد فارس الشدياق في باي تونس 1851، وتعاون مع دروزي وكريل ورايت في

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

طريق اللغة الدارجة، وكذلك لويس جاك بريني، والذي استطاع تخريج الكثير من المترجمين، الذين لعبوا دورا فاعلا في فترة الاستعمار<sup>1</sup>، وهكذا ظلت العربية تدرس من خلال لهجاتها، فلم يكتفوا بلهجة واحدة بل درسوا لهجات الكثير من المدن الجزائرية، وكانت عبارة (لوبارلي أراب ) بمعنى ( Le parler arabe أي الدارجة أو العامية على كل قلم استشراقي<sup>2</sup>.

كانت اللهجة العامية تدرس باللغة الفرنسية، وهي الطريقة التي اتبعتها أساتذة الكراسي المذكورة سلفا، وقد أجاب أحد هؤلاء الاساتذة، وهو ماشويل، الذي تولى تدريس العامية الجزائرية قائلا: لو لم يكن في الجزائر، ولو لم يكن لنا حاجة ملحة بالاتصال بالاهالي عن طريق اللسان، لكننا من الذين يؤيدون البدء بدراسة الفصحى، التي هي واحدة، وهي نفسها بالضبط في كل البلدان التي فيها القرآن هو القانون الديني، ويضيف بأن هدفه هو جعل الاوروبي يعرف الدارجة العربية كما يعرفها الانسان الاهلي الذي لم يدخل المدرسة ابدا، مضيفا أيضا أن الاوروبي سيتفوق بعد ذلك على الاهلي في معرفة الكتابة بالدارجة والكتابة عموما كما يتفوق عليه بالذكاء<sup>3</sup>، ويقول في موضع آخر: ليس علينا نحن المنتصرين أن نتعلم اللغة العربية، بل الواجب على الاهالي أن يدرسوا لغتنا<sup>4</sup>.

هذا لا يعني اطلاقا بأن المستشرقين الفرنسيين لم يدرسوا اللغة العربية الفصحى، واهتموا فقط باللغة العربية الدارجة، فكثير منهم درس اللغة العربية الفصحى، من أمثال السابق ذكرهم: هوداس وشيربونو، وكذلك دوسلان وبرنيه وكور، وقد استعانوا في دراساتهم بمجموعة من الجزائريين، والذين رغم مساهمتهم الا أنه لا يتم ذكرهم في تلك الاعمال<sup>5</sup>، ومنهم من وظّف معرفته الجيدة باللغة العربية مثل

---

نشر الجزائريين الاولين من نفع الطيب للمقري بمقدمة فرنسية ضافية في ترجمة المؤلف وقيمة كتابه (ليدن العدد 61 سنة 1858)، وتاريخ مستشرفي اوروا من القرن الثاني عشر الى القرن التاسع عشر ميلادي بمقدمة تاريخية عن الدراسات الشرقية في جزاين (باريس العدد

70 سنة 1868) ينظر: يحي مراد معجم اسماء المستشرقين مرجع سابق ص 557

<sup>1</sup> أثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص 136.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 56.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، ابحاث واره في تاريخ الجزائر، مرجع سابق ج4 ص 38

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 42

<sup>5</sup> Sulvette larzul, op cite, p 92

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

المستشرق بواسوني في تكوين علاقات جيدة مع طائفة من المثقفين الجزائريين، وتوظيفهم في تقديم خدمات علمية وثقافية للإدارة الاستعمارية.<sup>1</sup>

### 4. مدرسة تلمسان:

رأينا في السابق تاريخ انشاء المدارس الشرعية، وكيف أصبحت هذه المدارس تحت إشراف كبار المستشرقين الفرنسيين، وخاصة مدرسة تلمسان، التي تعاقب عليها الكثير منهم، وهذا ما سنقوم بدراسته في هذا الفصل وسنركز على اهم المستشرقين البارزين الذي تعاقبوا عليها مع من خلال هذه المدرسة.

مدرسة تلمسان وهي محافظة تابعة لمقاطعة وهران، والتي تعتبر من المدارس المهمة التي اشتغل فيها المستشرقون الفرنسيون،<sup>2</sup> وهي من أبرز مراكز الاستشراق الفرنسي، والتي تضم نخبة لامعة من الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وقد أصبحت مدينة تلمسان بفضلهم، جسرا ثقافيا يربط بين تيارات فكرية وإيديولوجية متعددة، واجتمعت في المدرسة ثلة من المستشرقين.<sup>3</sup>

عاشت المدرسة عهد الاندماج والاستشراق النشط منذ 1879، فقد تولاهما أولا المستشرق الفرنسي لويس ماشويل سنوات قليلة، ولكنه لم يعمر كثيرا بها لينتقل سنة 1881 الى تونس متوليا بها شؤون التعليم فيها، ثم خلفه على المدرسة المستشرق ديلفان، وهو الذي انتقل بدوره الى مدرسة الجزائر (الثعالبية)، ثم خلفه المستشرق موليراس،<sup>4</sup> ولكنه لم يعمر هو الآخر كثيرا فيها كسابقه، ليخلفه المستشرق موريس غودفروي (Maurise Gaudfroy) (1862-1957)، ثم خلفه على التوالي المستشرق وليام مارسلي ثم ألفرد بيل،<sup>5</sup> هذا الاخير طال عهده فيها، وهو من احد ابرز تلامذة المستشرق الكبير روني باصي، وهكذا تجاوزت اصدااء الاستشراق من غرب البلاد الى شرقها.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> حنفي هلايلي، "إقليم قسنطينة في كتابات الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية في ضوء المجلة الإفريقية"، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية جامعة وهران 1، ع18، الجزائر، أوت 2015، ص. 143.

<sup>2</sup> Collette Zytneiki et Habib Kazdagh, le Tourisme dans l'Empire Française Politique, Pratique et Imaginaire 19-20<sup>e</sup> siècle, un article de la domination colonial ?PUB :SFHOM, paris, 2009, p 1

<sup>3</sup> فاطمة البكوش، وليام مارسلي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020، ص 19

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص 28  
op cite, p 1<sup>5</sup> Collette Zytneiki et Habib Kazdagh,

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص 28

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

و عرفت المدرسة الى جانب هؤلاء المدراء أعلاما من المستشرقين الفرنسيين، والذين كانوا يدرسون بها من أمثال: المؤرخ الفرنسي أوغيسط كور (August Cour)، وعالم الاثنوغرافيا ادموند دوتي (Edmond Doutté)، والمتخصص في اللغات البربرية ادموند ديستان (Edmond Destaing).

جاءت إصلاحات 1895 لتُمكن التلاميذ المتفوقين من خريجها، الالتحاق بالقسم العالي لمدرسة الجزائر، لمواصلة دراستهم العليا في ظرف سنتين إضافيتين، يتم خلالها تعميق معلوماتهم في الفقه الإسلامي والتفسير والعلوم الدينية والآداب العربية والفرنسية وتاريخ الحضارة والقانون الفرنسي والتشريع الجزائري<sup>1</sup>.

أهم المستشرقين الذين تعاقبوا على المدرسة.

### المستشرق موريس غودفروي Mauris Gaudefroy (1862-1957):

جاء الى الجزائر سنة 1891، وفيها التقى بالمستشرق الفرنسي روني باسي، والذي تربطه به علاقات عائلية، هذا الأخير وعلى ما يبدو أنه كان مقتنعا بأنه لا يصلح له أي ميدان سوى الاستشراق، ومن هنا كانت بدايته الاستشراقية، وما بين 1891-1895، كانت إقامته بين الجزائر وفرنسا، وفي كلية الآداب بالجزائر درس موريس اللغة العربية والبربرية على يد روني باسي، وفي باريس أيضا كان يتابع دراسته مع مجموعة من المستشرقين أمثال هوداس وباري ومينار، وفي سنة 1894 حصل على دبلوم اللغة العربية والبربرية في الجزائر، وهو لم يتجاوز سن 32 سنة لبدأ عمله الاستشراقي<sup>2</sup>.

أول منصب تقلده هو توليه الإشراف على مدرسة تلمسان، التي حاول تعلم لهجتها، وفي هذا الصدد يصرح قائلاً: ومنذ خمسين عاما لم أجد سهولة في التحدث باللهجة التلمسانية، التي كان ينبغي علي اكتسابها، غير أن خليفتي ويليام مارسلي، سيكون أداءه من بعدي مخالف لما كنت عليه<sup>3</sup>.

في سنة 1895 وهي السنة التي تقلد فيها منصبه الإداري الجديد، وهي أيضا السنة التي سيفتح بها مجاله العلمي، فنشر مجموعة من المقالات، والتي كانت لها علاقة بماضي الجزائر، كما نشر دراسات

<sup>1</sup> عبد القادر فخار، مرجع سابق، ص 443

<sup>2</sup> Georges Coedès, Notice sur la Vie et les Travaux de Mauris Gaudefroy membre de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, 1959, 103 année, N 1, p 48

<sup>3</sup> Ibid, p 48

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

تاريخية وتُرى عن مناطق شرشال وتيبازة وتلمسان، كما مثّل هو والسيد محمد بن رحال الجمعية التاريخية والاثريّة لوهراّن في مؤتمر المستشرقين، الذي أقيم في فرنسا سنة 1897<sup>1</sup>.

في سنة 1898، نشر مقالا في المجلة الآسيوية بعنوان: تاريخ بني الأحمر آخر ملوك غرناطة من مقدمة ابن خلدون، وهو بذلك يقتدي بزملائه السابقين، الذين ترجموا المقدمة أو فصولا منها، أمثال المستشرق دوسلان والمتعلقة بالمغرب، أو دوزي والمتعلقة بملوك غرناطة.

في سنة 1901 نشر مجلدا صغيرا بعنوان: مراسيم الزواج عند الأهالي الجزائريين، وتكمن قيمة مؤلفه هذا نتيجة للاستطلاعات التي أجراها في كل من منطقة تلمسان وقسنطينة والقبائل، وهي دراسة سوسولوجية<sup>2</sup>، ومن أعماله الاستشراقية الأخرى نذكر :

ترجمة كتاب مائة ليلة وليلة سنة 1911

مكة والمدينة سنة 1918

الحج الى مكة

تقاعد في سنة 1933 وعاش الى سن 94 سنة، ولم يثنه ذلك عن مواصلة أبحاثه وإنتاجه العلمي، ففي سنة 1947، قام بترجمة كتاب (la Poésie et des Poètes) لابن قتيبة، وترجمة (les Voyages d'Ibn Jobair) في ثلاث مجلدات سنة 1955، وكتاب سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يحتوي على أكثر من 1000 صفحة في سنة 1956<sup>3</sup>، وألف كتابا بمعية المستشرق الفرنسي بلاشار بعنوان: قواعد في اللغو العربية (Grammaire de l'Arabe Classique)<sup>4</sup>.

خلفه المستشرق الفرنسي وليام مارسي (سيأتي تعريفه فيما بعد) سنة 1898، وهي السنة التي تحصل فيها على الدكتوراه، حيث عكف هنالك على معرفة خصوصيات الجهة اللغوية والثقافية والاثنية

<sup>1</sup> Gérard Troupeau, Deux Cent d'Enseignement de l'Arabe à l'école des langues Orientales, Revue internationale d'Archéologie et de science sociale sur la péninsule Arabique, 1997, p 33

<sup>2</sup> Georges Coedès, Op cite, p 49

<sup>3</sup> Gérard Troupeau, Op cit, p 33

<sup>4</sup> Voir: M.Gaudefroy et R.Blachère, Grammaire de l'Arabe Classique morphologie et Syntaxe, imp: Maisonneuve Larose, paris, 1975



## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستشراقي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

التي قضى سنوات طويلة من نشاطه العلمي في دراستها، فمكّنه هذا المنصب من الاتصال بالمعلمين العرب فيها، وتعلم اللغة العربية والبربرية<sup>1</sup>

وهو الذي يصف المدرسة بقوله: هي بمثابة مركز إسلامي ودار للثقافة، ومكان للعبادة، يُفسح المجال فيها لتدريس الأدب الفرنسي، وبعض من العلوم الطبيعية جنباً إلى جنب مع العلوم الشرعية، وعلم الكلام وقواعد اللغة العربية والمعاجم، بالإضافة إلى تكوين رجال القضاء الإسلامي وأئمة المساجد<sup>2</sup>.

عُين عضواً في أكاديمية الفنون والآداب الجميلة، كتب العديد من المقالات والكتب والدراسات حول الجزائر وعن تلمسان بوجه الخصوص، جُمعت في مجلد واحد بعنوان مقالات ومحاضرات (Articles et Conférences)، وتحتوي قرناً من الأبحاث في ماضي الجزائر الإسلامية، مع تقديم لأخيه المستشرق جورج مارسلي،<sup>3</sup> تقاعد في سنة 1942 وقام بنشر ثمانية مجلدات لمؤلفه (Monumental Glossaire des Textes de Takrouna) في ما بين 1958-1960،<sup>4</sup> وفي سنة 1904 عُين ألفرد بيل مديراً جديداً عليها خلفاً لمارسلي إلى غاية 1936.

في سنة 1905 افتتح المقر الجديد للمدرسة، وهي بنىة على الطراز العربي الإسلامي، وهي تحفة عمرانية لازالت موجودة إلى يومنا الحالي، فحضر الافتتاح الحاكم العام شارل جونار، ووزير التعليم (Bienvenu)، وجمع من أعيان المدينة والطاقم الإداري، على رأسهم مدير المدرسة الجديد ألفرد بيل (Alfred Bell)، وهي التي كان قد تقرر تشييدها سنة 1903 على مساحة تقارب 900 متر<sup>5</sup>.

وعن دورها يقول المستشرق الفرنسي ألفرد بيل: ان الهدف من إنشاء هذه المدارس هو إعادة الثقة للمغلوبين (أي الجزائريين)، وجلب الطلبة الذين كانوا من قبل، يتوجهون للدراسة في الجامعات الأجنبية وخصوصاً المغرب، والمقصود منها تكوين المترشحين للوظائف المتصلة

<sup>1</sup> فاطمة البكوش، مرجع سابق، ص 19

<sup>2</sup> William Marçais, Articles et Conférences, librairie d'Amérique et D'Orient Adrien-Maisonneuve, Paris, 1961, p 13

<sup>3</sup> لعللى حفناوي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الفرنسيين، دروب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 250

<sup>4</sup> Gérard Troupeau, Op cit, p 35

<sup>5</sup> مدني حسن، التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر 1884-1914 الغرب الجزائري أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2012-2013، ص 63

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

بمصالح الدين والقضاء والتعليم العام للأهالي وللمكاتب العربية،<sup>1</sup> وكتب أيضا: يجب أن لا تستقبل هذه المدارس الا النخبة المثقفة من السكان المسلمين، ويجب تحديد، بدون تردد كل من لا تتوفر فيه شروط الأمانة والصدق والشعور الحسن إزائنا<sup>2</sup>.

### المستشرق ألفرد بيل Alfred Bell (1873-1945):

من مواليد 1873 انتقل الى الجزائر ولم يمه العقد الثاني من عمره، فعمل معيدا بإعدادية مدينة البليدة، ثم ثانوية وهران حيث بقي فيها مدة 5 سنوات، وفي نفس الوقت أخذ يتعلم اللغة العربية في نطاق الترجمة المحدث آنذاك في المدرسة العليا للآداب بالجزائر، حصل على بروفي اللغة العربية، وهو ابن 24، وفيها تعرف على المستشرقين ديستان ودوتي، وبعد سنتين تحصل على دبلوم اللغة العربية<sup>3</sup> في الترجمة، ثم دبلوم الدراسات العليا في التاريخ والجغرافيا، بعدئها هياً بـأ بحثين، التاريخي منها تحت إشراف المستشرق روني باسي،<sup>4</sup> وعنوانه: بنو غانية وصراعهم ضد امبراطورية الموحدين، والجغرافي متعلق بالبحيرات والمستنقعات والسبخات بأرض الجزائر، وقد أنجز هذين البحثين في مستوى يفوق المستوى المعتاد لدى زملائه الطلبة،<sup>5</sup> ومكافأة له على هذا التفوق، عينه المستشرق روني باسي في ثانوية بمدينة الجزائر. ترقى فيما بعد فصار أستاذا بمدرسة تلمسان، التي كان يدير شؤونها ويقيم ماسي، ثم خلفه ليصبح هو على رأسها<sup>6</sup>.

أقام في مدينة تلمسان لفترة طويلة، ولعلها أخصب فترات اقامته في الشمال الإفريقي بعد مقامه في مدينة فاس،<sup>7</sup> فكانت له مدينة تلمسان بـ مختبرا جليلا لدراسة اللغات والدين الاسلامي والعادات والثقافة الشعبية، انه مشروع ثري وخصب، استند الى مناهج معاصرة، مثل الاناسة الوصفية)

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج3، ص 370

<sup>2</sup> عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 138

<sup>3</sup> كانت مدرسة الآداب العليا هي التي تمنح شهادة تسمى (بروفي اللغة العربية) ودبلوم اللغة العربية، وهي الشهاداتتان اللتان تمنحان في الجزائر، اما شهادة الليسانس في الآداب فلا تمنح الا في فرنسا، الى ان تكونت كلية الآداب وجامعة الجزائر سنة 1909، ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 318

<sup>4</sup> محمد حجي، دراسات المستشرق الفريد بيل Alfred Bell المتعلقة بالمغرب، موضوع الندوة السادسة تحت عنوان المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، مراكش، المغرب-أفريل 1993، الهلال العربية للطباعة والنشر، 1995، ص 130

<sup>5</sup> محمد فتاح، الفرد بيل، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020، ص 26

<sup>6</sup> محمد فتاح، مرجع سابق، ص 27

<sup>7</sup> ينظر مقدمة كتابه الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987، ص 7

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

(Ethnographie)، والتي كانت آتته المفضلة في التدقيق والانتباه الى الفروق في الأشكال والأحجام والألوان والكميات والكيفيات، كما استفاد من البحوث الاسلامية الرصينة، التي تتجلى في كتب التراجم والحوليات والتدقيق في الروايات وأساليب المباحثة والمناظرة<sup>1</sup>.

لعب الفرد بيل دورا كبيرا في مسار هذه المدرسة، كما شغل في نفس الوقت وظيفة ثانية الى جانب ادارة المدرسة والتدريس بها، وهي وظيفة مفتش مدرسي المساجد، حيث كان يعين من يريد، ويعزل من يريد،<sup>2</sup> حتى أنه كان المفتش الوحيد على مختلف المساجد في ولاية وهران طيلة عشرين سنة، وعُرف عنه تعصبه الكبير وكراهيته لكل ما هو عربي<sup>3</sup>، ثم تولى زميله المستشرق جورج مارسي ادارة المدرسة بالنيابة خلفا له، وذلك لفترة وجيزة من مارس 1914 وحتى سبتمبر<sup>4</sup> 1916.

لم يهتم بالدراسات اللغوية التي كانت سائدة بين زملائه في الجزائر، وتخصص في التاريخ الديني والعلمي والفني والحضاري لبلاد المغرب الكبير، فكانت معظم كتاباته عن تلمسان والجزائر، بحكم اقامته الطويلة هناك، ومن اصداراته، كتاب ( la Religion Musulmane en Berbérie )، صدر الجزء الاول منه في باريس سنة 1938 بالفرنسية، تمت ترجمته الى اللغة العربية من طرف عبد الرحمان بدوي بعنوان: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ولم يكتب له اكمال الجزئين الاخرين الذين عزم على اصدارهما، بعد أن توفي قبل ان يتحقق له ذلك في 18 فيفري<sup>5</sup> 1945.

نشر سنة 1908 في مجلة دراسات إثنوغرافية وسوسولوجية مع أرنولد فان غينب، عضو المعهد الإثنوغرافي بباريس، مقالا بعنوان: السكان المسلمون في تلمسان، وسنة بعدها، اقترح ليكون مديرا لمدرسة الجزائر، لكنه فضل أن يبقى في تلمسان، التي شغل فيها عدة مناصب بتكليف من الحكومة الفرنسية بالجزائر.

نشر سنة 1911-1913 بالاشتراك مع كوتسي بُوالي، نص وترجمة (تاريخ بني عبد الواد وملوك تلمسان) المؤلف من قبل أخ عبد الرحمن ابن خلدون في سنة 1913، ورفقة بروسبير ريكارد أغنيا

<sup>1</sup> محمد فتاح، مرجع سابق، ص 27-28

<sup>2</sup> مدني حسن، مرجع سابق، ص 73

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 133

<sup>4</sup> محمد لطفي الزليطي، مرجع سابق، ص 20

<sup>5</sup> محمد حجي، مرجع سابق، ص 135

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الدراسات حول الصناعات المحلية بالجزائر، وأنجزوا دراسة بعنوان (عمل الغزل بتلمسان)، كما ساهم بأعمال في المجلة الأركيولوجية، التابعة لمجموعة المتحف الأركيولوجي في تلمسان.

حصل سنة 1936 على التقاعد، وأسس جمعية أصدقاء تلمسان القديمة، واستقبل كرئيس للمؤتمر الثاني لفيدرالية الجمعيات العاملة لإفريقيا الشمالية، ودافع عن مشروع بحث واسع حول الصناعات التقليدية المحلية دون أن ينجح في ذلك، وفي حياته الممتدة 72 سنة، ألف 12 مجلداً، وحوالي 60 مقالا، نشرت في المجلات العلمية الاستشراقية، ولكن أهم عمل كتبه هو الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي<sup>1</sup>.

استفادت الإدارة الاستعمارية من مدرسة تلمسان، في توسيع نفوذها في المنطقة، وكانت البحوث التي أجراها هؤلاء المستشرقون أداة لتعزيز السيطرة على البلاد، وكانت دروس العربية المغاربية التي كان يلقيها اللغويون على موظفي الإدارة الفرنسية، أداة فاعلة في تكوين الموظفين القائمين على الترجمة القانونية في الإدارة المدنية للسلطات الحاكمة<sup>2</sup>.

تحولت مدرسة تلمسان والمدارس الشرعية الأخرى الى مستوى الثانويات الفرنسية، بصدور مرسومين، الأول في 27 نوفمبر 1944، والمتضمن تحويل المدارس الثلاث الى مؤسسات للتعليم الثانوي الإسلامي، والمرسوم 10 جويلية 1951، الذي حولت بمقتضاه المؤسسات المذكورة الى ثانويات بأتم معنى الكلمة تحت اسم ثانويات التعليم الفرنسي الإسلامي<sup>3</sup>.

### 5. اللغة العربية من خلال الدراسات الاكاديمية الفرنسية :

شهدت أواخر القرن التاسع عشر، مغادرة العديد من رواد الاستشراق الفرنسي في الجزائر والمتخرجين من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، والذين كانوا يؤمنون بتجديد الحضارة العربية والاسلامية، فمنهم من أدركه الموت في تلك الفترة، كموت المستشرق قورقوس سنة 1866، وبرونبي سنة 1869، ومنهم من غادر الجزائر نحو فرنسا، كمغادرة المستشرق والطبيب بيرون (Perron) في سنة 1870، وشارل فيرو سنة 1878، وشيرينو سنة 1879، وماشويل الى تونس سنة 1883.

<sup>1</sup> مقدمة كتابه الفرق الاسلامية، مرجع سابق، ص 7

<sup>2</sup> محمد لطفي الزليطي، مرجع سابق، ص 18

<sup>3</sup> عبد القادر فخار، مرجع سابق، ص 245

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

وهذا ما فتح الطريق لجيل جديد من المستشرقين الفرنسيين الاكاديميين، والذين تدرّبوا في الجزائر واندمجوا في المجتمع الجزائري، وشغلوا وظائف ادارية، ولكن ما يميز هذا الجيل عن سابقه هو تمكنهم من اللغة العربية،<sup>1</sup> وبقائهم في اتصال وثيق مع نظراءهم في باريس، وذلك من خلال التقارير التي يرسلونها الى (L'Académie des Inscripton et Belle Lettre)، ومن خلال المجلة الاسيوية (Le Journal Asiatique)، ومجلات أخرى تعنى بالقضايا المعاصرة كمجلة الشرق (Revue de L'Orient)، وكانوا دائما ما يعبرون عن رغبتهم في العودة الى باريس لينهوا حياتهم المهنية هناك.

و كانت مدرسة اللغات الشرقية منفتحة لهم ولأعمالهم، ومثال على ذلك: المستشرق دو سلان (De Slane)، الذي كان يقدم فيها منذ سنة 1863 دورة لتعليم اللغة العربية الجزائرية، قبل أن يأخذ كرسي العمامة سنة 1871، ثم خلفه بعد ذلك المستشرق شيربونو (Cherbonneau)، ثم خلفه هو الاخر المستشرق أوكتاف هوداس (O.Houdas)، الذي كانت له مسيرة طويلة في الجزائر،<sup>2</sup> وهذا ما يبين لنا بوضوح القيمة العلمية التي كانت لدى المستشرقين الفرنسيين، الذين عملوا في الجزائر.

كانت آخر حلقات اللغة العربية هي حلقة مدرسة الآداب العليا، وهي المدرسة التي أدى فيها كل من هوداس ومسكراي وروني باسي دورا هاما، وهي مدرسة الجزائر الاستشراقية، التي كانت تقدم للإدارة الاستعمارية كل التوجيهات والتسهيلات العلمية في مختلف المجالات،<sup>3</sup> وعن دورها الريادي في الميدان الاستشراقي، وحول العمل العلمي لهذه المدرسة يصرح المستشرق الفرنسي ادموند دوتي 1867-1926 قائلا: ان الاستشراق هو بالطبع الحقل الرئيسي للدراسات في مدرستنا، ومن داخل الاستشراق تأتي اللغة العربية والمسائل الإسلامية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Alain Massaoudi, Les arabisants français et la "réforme" en Afrique du Nord. Autour de Louis Machuel (1848-1922) et de ses contemporains », in Odile Moreau (éd.), Réforme de l'État et réformismes au Maghreb (XIXe et XXe siècle), Paris/Tunis, L'Harmattan/Publications de l'IRMC, 2009, p8

<sup>2</sup> Alain Massaoudi, les études Arabes dans l'Université Françaises en Contexte Colonial 1800-1950, texte publié dans la Revue Ibla, Tunisie, N 197, janvier 2007, p 5

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 26.

<sup>4</sup> حنفي هلايلي، "المستعربون الفرنسيون في مدرسة تلمسان الرسمية"، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في

حضارة الغرب الاسلامي، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس ع8، الجزائر، ديسمبر 2017، ص. 42.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

مرت العربية الفصحى في المدارس الرسمية الثلاث، التي بدأت تعمل سنة 1850 بمراحل من حيث البرجة، مرحلة التعريب الكامل، ثم مرحلة الفرنسية الجزئية 1876، ثم مرحلة ازدواجية البرامج (العربي والفرنسي)، بعد وضعها تحت إشراف مستشرقين فرنسيين منذ تسعينات القرن الماضي (19م)<sup>1</sup>.

ولقد حاول منظرو الاستعمار الفرنسي، ان يجعلوا من اللغة العربية الفصيحة لغة مية مثلها مثل اللاتينية، فقد قالوا عنها بأنها لغة لا توجد الا في الخطب المسجدية والدروس والاذكار، وبالتالي فهي لغة طقوس حسبهم، تستعمل في الدين مثلها مثل اللاتينية، وحاولوا أيضا أن يوجدوا هوة بين اللغة الفصيحة والدارجة، حتى يسهل ابعاد الناس عن القرآن<sup>2</sup>.

بعد المراجعة الشاملة التي شهدتها فرنسا في مجال التعليم بعد 1870 جاءت هذه الفترة لتُثَمِّن الجهود الاستشراقية، والتي بلغت أوجها ما بين 1879-1930، تحت تأثير كلية الاداب والتي بدأت في تسجيل ودراسة اللهجات، و عرفت تقدما كبيرا في مجال النحو في اللغة العربية-الجزائرية- العامية، التي وضعت قطعة معرفية تتطلب ملاحظة اللغة في سياقها، وليس الاعتماد على القواميس<sup>3</sup>.

فانطلقت على اثر ذلك الدراسات الاستشراقية (النحوية)<sup>4</sup> للهجات العربية، ومن الاعمال التي نشرت في هذه الفترة، عمل المستشرق اوغيسست موليراس (Auguste Mouléras)، بعنوان ( la Nouvelle Chrestomathie Arabe)، كان الهدف منه هو تسهيل تعلم اللغة العربية المكتوبة والشفهية، وهو الذي حكم على اللغة العربية في مقدمة كتابه بأنها لغة صعبة للغاية،<sup>5</sup> والمتتبع لمساره يجده ضليعا و متمكنا في اللغة العربية وآدابها.

<sup>1</sup> سعيد بوخاوش، مرجع سابق، ص. 23.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 25 26

<sup>3</sup> Sulvette larzul, op cite, p96

<sup>4</sup> توقف رفاعة عند مصطلح ( فرماتيكي )، وعرفه بأنه: قواعد اللسان الفرنسي و فن تركيب كلماته وقراءتها، أي ( فن النحو )، لكنه قارن بين مصطلح ( فرماتيكي ) في الفرنسية، ومصطلح ( النحو ) في العربية ورأى أن مصطلح ( نحو ) العربي لا يقابل مصطلح ( فرماتيكي ) الفرنسي، لذلك اقترح أن يكون مصطلح ( علوم العربية ) ترجمة فرماتيكي )، لأنه يشمل علوماً أخرى غير النحو مثل الصرف والعروض والقوافي والبيان والخط والإنشاء والمعاني، التي تسمى عند العرب ( علوم العربية ) واقترح هو تسميتها مباحث علم العربية انظر: الطهطاوي، رفاعة، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، دراسة وتعليق، محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص 216-217

<sup>5</sup> Auguste Mouléras, manuel algérien Grammaire chrestomathie et lexique, édition Maisonneuve CH Leclerc, paris, 1888 , p 6

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

ويعطي اوغيست موليراس النصائح لزملائه المستشرقين، الذين لديهم رغبة وميل في انجاز دراسات تخص الجزائر والمغرب قائلًا: يلزم على كل أوروبي راغب في المغامرة داخل هذا البلد، التسلح بعلمين يشكلان في الحقيقة علما واحدا، يجب عليه معرفة اللغة العربية الكلاسيكية بشكل لا بأس به، ومعرفة العربية الدارجة بشكل جيد، وهذا الشرط<sup>1</sup> الوحيد ليس هو الاسهل...، ان معرفة العربية وحدها توازي معرفة أكثر من عشرين لغة، واليكم الحجج على ذلك، فدراسة الادب العربي تعتبر من الامور الصعبة، الى درجة أن الشيوخ المتفقهين في اللغة، يعترفون صراحة بعجزهم عن مسايرة العدد الكبير من الالفاظ الجديدة التي يلقونها في كل صفحة، ويضاف غياب الحركات وعلامات الوقف، وغياب الكتابة بحروف كبيرة (Majuscules)، الى الغنى المعجمي لهذه اللغة، وهو الغنى الذي لا يتجاوز كل ما يمكن للمخيلة الاكثر عطاء ان تحلم به، فنحن نصاب بالدوار أمام رقم 12 مليون و 305 الف و 412 كلمة التي يشملها القاموس العربي<sup>2</sup>.

يضيف المستشرق موليراس قائلًا: ولا تتوفر العربية الدارجة على الغنى المحير للادب، لكنها تقدم مع ذلك وفرة من المرادفات، ربما لا توجد بنفس الدرجة في أي لهجة أخرى، ومنذ حوالي ربع قرن من دراستي لها، استطعت أن أدرك بأن كل كلمة من كلمات اللغة العربية الدارجة، تتضمن في المعدل ثلاثة مرادفات، واذا اضفنا الى ذلك الجمع الغير قياسي ( Pluriel Irrégulier) الذي شكل غياب الشبه بينه وبين مفرده تقريبا، كلمات جديدة يتعين فهمها، فاننا سنحصل على ستة كلمات يجب معرفتها بالنسبة لكل كلمة مقابلة في الفرنسية مثلا، ونشير أيضا الى تليين الحنجرة للتعود على النطق الخشن الذي لا تعرف عنه لغتنا الأوروبية شيئا، لذلك كله يمكننا تصور المجهود الذي يجب بذله للتكلم بالعربية مثل العربي، وليس غريبا أن نرى القليل

<sup>1</sup> يبين موليراس هذا الشرط ويفصل فيه بقوله: فضلا عن الضرورة المطلقة للتكلم بالعربية، وهو ما يعتبر للأجنبي امرا محيرا، يجب ايضا معرفة القراءة الكريم برمنته تقريبا، وحفظه عن ظهر قلب وقراءته وفق قواعد ثابتة، مع الالتزام بالنبرة العربية الخالصة، ويجب على المرء ان يكون على دراية بالسنة النبوية واخبار الصحابة، وان يلقي في المساجد عروضاً دينية حول الالهية والانبياء وصلحاء الاسلام الذين لا يحدهم احصاء، ومعرفة عناصر من التشريع الاسلامي على الاقل، وامامة الناس في المساجد والمشاركة في الجنائز، وقراءة بعض الايات القرآنية لمعية الفقهاء الاخرين، وايضا بعض الامداح النبوية التي لها قيمتها بالبلد، ويمكن لهذه الامور ان تشغل أكثر الاوروبيين موهبة مدة 15 سنة تقريبا دون ان يضع ولو دقيقة واحدة، ينظر: اوغيست موليراس، المغرب المجهول، ترجمة وتحقيق عزالدين الحطايي، منشورات نقرانز الريف دار النجاح الجديدة، 2007، ج1، ص ص 14-15

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 15



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

من الأوروبيين فقط هم من يستطيعون التحدث بأكثر اللهجات إثارة للإحباط، وكتابتها بشكل ملائم<sup>1</sup>.

يخلص موليراس في الأخير الى المهمة الاساسية من تعلم العربية ولهجاتها قائلًا: ولأنني مقتنع بان العمل الدؤوب سينتهي بنا الى بلوغ مستوى العرب المتعلمين على الأقل، وهذا أمر جميل في حد ذاته، فإنني اسمح لنفسي بالإفصاح عن أمنية تتعلق بالدراسات العربية التي عرفت الإهمال بفرنسا والجزائر، فلتقدم الدولة من اجلها أكبر التضحيات، لاننا سنكسب عن طريقها حب العرب والمسلمين في العالم اجمع، وستتعرف على نمط تفكير المجتمع المحمدي، وعلى رغباته، لان مساعدة هذا المجتمع لنا تعتبر بالغة الاهمية، ولنطبق وصية رسول الاسلام (صلى الله عليه وسلم) الى اتباعه والتي جاء فيها (من علم لسان قوم امن مكرهم) فالتأثير الذي تمارسه المعرفة المعمقة الى حد ما بالأدب وباللغة العربية على المسلمين، يكون له فعلا وقع سحري لا يقاوم<sup>2</sup>.

ظهرت في هذه الفترة أيضا أعمال اكاديمية أخرى، كعمل المستشرق الفرنسي جايتون دلفان<sup>3</sup> (Gaétan Delphin) سنة 1891، الذي كان يشغل كرسي اللغة العربية في وهران، وهي مجموعة من النصوص لدراسة اللغة العربية تم جمعها من مدينة معسكر، ونشر في نفس الفترة ايضا مجموعة من النصوص باللغة العامية<sup>4</sup>، والتي علق عليها المستشرق وليام مارسلي، وعلّها من أفضل الكتب في العامية

<sup>1</sup> اوجست موليراس، مرجع سابق، ص 16

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص ص 16-17

<sup>3</sup> تخرج باللغات الشرقية من باريس، وانتدبته الحكومة الفرنسية مديراً المدرسة وهران في الجزائر، حيث درس العربية بلغاتها ولهجاتها، وقد توفي في الجزائر، من آثاره: قصة ما جرى لعربيين من طلاب العلم في قرية العبيد قرب وهران (1887)، ولتيسير العربية على الفرنسيين (1891)، وجامع اللطائف وكنز الخرائف) المطبعة الكاثوليكية ببيروت 1891، ونشر بمعاونة هوداس: مجموعة رسائل خطية بشروح ومعجم الجزائر 1891، وله عدة أبحاث عن الإسلام في الجزائر، منها كتاب العقيدة الصغرى المشتمل على آراء الشيخ السنوسي (1897) وبمعاونة فوربيجه: مقامات العوالي متناً وترجمة المجلة الآسيوية، 1913 وله: تاريخ الباشوات العثمانيين في الجزائر من سنة 1515 إلى سنة 1745، متناً وترجمة وتعليقاً في المجلة الآسيوية 1922، ينظر: نجيب العقيقي، معجم المستشرقين، مرجع سابق، ج 1، ص



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

في شمال افريقيا، اعتبرها وثيقة هامة، استفاد منها علماء اللغة وعلماء الاجتماع<sup>1</sup>، وسنستعرض هنا مثالا كما أورده دولفان في كتابه جامع الخرايف وكنز اللطائف، عن اختلاف النطق بين العرب في الحروف :

اختلاف النطق بين العرب في الحروف ( Morphologie ):

عرب التل وعرب الشراقة وعرب الصحراء والقبائل الكل تكلموا بالعربية لايني يبدلوا الكلام ويغيروا الحروف والكلام دائم راجع لكلام ناس التل على خاطر عرب التل هما العرب الصحاح وهذا بيان الحروف الي يبدلوهم مع بعضياتهم ت وث، د ود، ط وظ، ق وك، ك وش، غ وق، وو ا، ذ ول، ث وف، د وپ، ض ول، ن ول، مثلا يقولوا ناس التل يا قدور (ات لي) واحد (البوكيرات)، وكلام القبائل يا كدور سك لي احل البویشيرات<sup>2</sup>.

رجل سال واحد آخر قال له أعطني الثني انتاعي، جاوبه الآخر نهار الاتنين نعطي لك (الثني) انتاعك

كان واحد العربي سال قبائلي قال له ضريك فلان جاوبه القبائلي طرني حتى طرني طهري

كان صحراوي وصى خوه قال له يا فتم ما تنزل شي غُرب التل يدي ليك يا كيتك ولد غادي قلمك، يعني يا غانم ما تنزل شي قرب التل ليضح يدي لك ولد قادي غنمك يعني المال انتاعك

وعرب الشراقة يبدلوا الماء مع الفاء يقولوا فلافة وفلافين، يعني ثلاثة وثلاثين

-ات لي :هذا الفعل مختص في الامر وفي الجمع اتو لي وفي المؤنث ات لي

-البوكيرات: في التصغير وفي الأصل الباكورات والعرب يصغروا ويقولوا عود عويدات، وكرموس كرميسات، وزيتونات زويتينات، والجاجة جويجات، والفلاسل فليسيات

-الثني: هو الكبش مولى عامين

-ليضح: يعني الا يكون يثبت ماشي لام النفي يقولوا لا تخرج شيء في الليل ليضحوا يلغوك القطاع<sup>3</sup>

<sup>1</sup> اسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 49

<sup>2</sup> G.Delphin، (جمع اللطائف وكنز الخرايف) ، Recueil de Textes pour L'étude de l'Arabe Parlé، E. Leroux، paris، A. Jourdan، Alger، 1891، p 199

<sup>3</sup> G.Delphin، (جمع اللطائف وكنز الخرايف، 200، Op cit، )،

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

في دراسة أخرى للمستشرق جورج ايفر<sup>1</sup> (G.Yver) عن اللهجات الحضرية والقروية نشرها في دائرة المعارف الاسلامية، ومما جاء فيها(اللهجات القروية) ان لهجات قسنطينة تتفق وبلاد القبائل الشرقية كلها جبلية ولها شكل مثلث، رؤوسه جيغل وميلة وكلو(القل collo)، وتتميز هذه اللهجات صوتيا بما يأتي :

تبدل القاف كافا، مثل النطق بقلب كلب، والكاف تنطق حرفا لهويا مع التشديد على لهويتها :كي، او تنطق نطق الحرف الاحتكاكي: كش وتش مع حرف غير صائت هو: ي(ترازة)، مثل تشلب وشلب والمقصود كلب.

الحروف التي تنطق من بين الثنايا: ث، ذ، ظ، تختفي وتختلط بالحروف ت، ص، د ،ويصبح الحرف ت حرفا احتكاكيا هو: تس وتصبح الضاء في كثير من الأحيان طاء<sup>2</sup>، وفي القسم الثاني والمخصص للهجات الحضرية.

ويضرب لنا ايفر مثلا عن اللهجات اليهودية بقوله :يكاد يكون جميع يهود افريقيا الشمالية سكان مدن في بلاد الجزائر، واذا استثنينا جماعة البحوصة شبه البدوية في اقليم سوق اهراس، التي تشتت شملها الآن، فان اليهود يعيشون جميعا في المدن، فهم مجتمعات متميزة وغريبة في الواقع، وهي التي لديها صورة من صور العربية، مثال ذلك جماعات اليهود في وهران وتلمسان ومليانة والمدية ومدينة الجزائر وقسنطينة، فلهاجتها تختلف من مدينة الى أخرى الا انه تربط بينها خصائص مشتركة، والقاعدة الصوتية أميل الى التغيير في هذه اللهجات<sup>3</sup>.

الحروف التي تنطق من بين الثنايا ث، ذ، ظ، لا توجد وتنقلب تاء ودالا وضاء، وحرف التاء الشمسي غير المجهور يصبح (تس) الاحتكاكي في وهران وتلمسان، وهو تغيير يؤدي الى التباسه بالحرفين

<sup>1</sup> من أساتذة كلية الآداب في الجزائر من آثاره: في المجلة الأفريقية: عرض تاريخي لأفريقيا في العصرين الوسيط والمعاصر (1906)، ووثائق متعلقة بالحرب الفرنسية المغربية عام 1844 - 1910، والغزوة الهلالية(1918)، والهجرة الأجنبية إلى الجزائر، والإرلنديون في الجزائر 1919، وعبد القادر والمغرب(1919)، والموارنة والجزائر 1920، ومباحث عن تاريخ الاستعمار الخاص بشمال أفريقيا 1935، وفي غيرها: الجزائر المجلة التاريخية 1932، والمكاتب العربية حوليات الاقتصاد والاجتماع والحضارة 1955، وصنف بمعاونة البرتيني، ووليم مارسه كتاباً بعنوان: شمالي أفريقيا الفرنسي في التاريخ باريس 1927، ينظر: نجيب العقيقي، معجم المستشرقين، مرجع سابق، ج 1، ص 310

<sup>2</sup> جورج ايفر، الجزائر جناح، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري، 1998، ج 10، ص 2906

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 2909

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الاحتكاكين ش وس، وحرفي الصغير ژ(ج)، ز، والإسراف في الجهر بحرف الراء، وهو امر ملحوظ جدا في مدينة الجزائر، وحر ف العين يرد بفتحة اللسان في مدينة الجزائر، ويقصد به القاف، وينطق بالكاف في تلمسان ووهران(كما في يهودية فاس) كافا والكاف تش.

تختلف اللهجات التي تستعملها الجماعات اليهودية عن اللهجات الحضرية الإسلامية أولا في المفردات: صحيح أن المفردات معظمها عربي، الا انها تشمل عنصرا دخيلا كبيرا، فهي تستعير من الاسبانية استعارات هامة، والثاني استعارات من التركية<sup>1</sup>.

نشر المستشرق الفرنسي فيليب مارسي مقالا في دائرة المعارف الإسلامية، وعند حديثه عن عامية المغرب العربي يقول، بأن العربية انتشرت انتشارا واسعا في شمال افريقيا، لكنها لم تكن بأية حال اللغة الوحيدة، فقد ضلت البربرية رغم فقدانها بعض المواضع في حالة ازدهار، وساعدت الظروف الجغرافية من جبال، وتلال، وامتداد صحراوي شاسع على ذلك، فتغلغت العربية، لكنها لم تحقق البربرية، خاصة في المناطق الداخلية، وقد تنوعت العربية العامية في الدول المغاربية تنوعا شديدا، وصعب بعضها صعوبة غير مألوفة، حتى أنه يمكننا أن نطلق مصطلح (العربية المغاربية) عليها، تميزا لها عن العربية المشرقية<sup>2</sup>.

ان الخواص الصوتية في غالب اللهجات المغاربية تميزها عن غيرها من اللهجات بحيث يجري التركيز على اواخر الكلمات على سبيل المثال، كما يجري تقصير حروف المد، فالفعل ضرب على سبيل المثال عند النطق، تقصر الفتحة بين الضاد والراء، وتوسع بين الراء والباء(darab) يصبح (drab)، وفرح (farah) يصبح (frah)، اي تقصر الفتحة بعد الفاء، وتطول بعد الراء، أما ضربوا(darabu) فانهم عند النطق يختزلون الفتحة بعد الراء (darbu)، وللمغرب العربي قاموسه الخاص من المفردات بعضها غير شائع في المشرق، وان كان لا يمنع أنها كلمات عربية أو من أصول عربية<sup>3</sup>.

نشر المستشرق جوزيف ديسبارمي (Joseph Desparmet)<sup>4</sup>، كتابا بعنوان (Enseignement l'Arabe Dialectal d'après la Méthode Direct) سنة 1907، وكتاب اخر في اللغة العامية بعنوان: الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد، والذي وجهه خصيصا للفرنسيين، ومن خلاله يقول بصريح

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 2910

<sup>2</sup> فيليب مارسي، اللغة العربية، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للابداغ الفكري، 1998، ج 10، ص 7262

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 7262

<sup>4</sup> Sulvette larzul, op cit, p96

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

العبارة وبالعبارة العامية: راني جعلت لكم في هذا التأليف بعض منه بالعربية العامة وبعض العربية الصحيحة (يقصد العربية الفصحى) باش نسهل عليكم التعليم وترجعوا تعرفوا العربية والبربرية كداركم سواسوا بعون الله تعالى<sup>1</sup>.

وهو نفسه أيضا -ديسبارمي- يسمي اللهجة العربية في الجزائر في شبيء من السخرية، البوربري (Beurbri)، وهي العربية الفصحى بعد ان عجمت ودخلت عليها الأصوات والتأثيرات البربرية وغيرها،<sup>2</sup> كما شكك في وحدة اللغة العربية، لان العربية الفصحى في نظره أيضا لايفهمها الجميع، أما الدارجة فقال أنها مليئة باللهجات البربرية، واستشهد على ذلك بتجربة المسرح، وجاء بالأعراف المختلفة مثل (يناير - كانون) أو عرف القبائل، الذي قال عنه أنه غير سني<sup>3</sup>، وقد سخر حتى من أستاذه اوكتاف هوداس، لانه كان ينصح المعلمين الفرنسيين باستعمال الفصحى بدل الدارجة.

### المستشرق هوداس (Octave Houdas) 1916-1840

ولد سنة 1840 في لوراي ودرس في مدرسة اللغات الشرقية، فهو من المستشرقين بالمهنة، جاء الى الجزائر سنة 1863،<sup>4</sup> وهي السنة التي أسندت له فيها رئاسة كرسي اللغة العربية، وساعده في ذلك احد اهم الباحثين الجزائريين، الذين تكونوا في مدرسة الاستشراق الفرنسي وهو بلقاسم بن سديرة،<sup>5</sup> كما عمل استاذا في ليسيه الجزائر، ثم تولى حلقة اللغة العربية في وهران سنة 1869، وقد بقي هناك الى سنة 1877، عند اعادة تنظيم المدارس الثلاث، وفي هذه السنة تولى حلقة الجزائر، ولكنه لم يبق فيها الا قليلا، اذ عيّن على رأس مدرسة الاداب العليا عند انشائها سنة 1880<sup>6</sup>.

افتتح في مدرسة الآداب العليا درسه اللغة العربية والادب العربي، وبعد وفاة المستشرق شيربونو الذي كان يعمل في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس، حل هو محله، وظل يزور الجزائر، ويهتم بحياة الاستشراق فيها،<sup>7</sup> وخلال هذه الفترة (رجوعه الى فرنسا)، ألف جزءا هاما من دراساته، التي تجاوز فيها

<sup>1</sup> جوزيف ديسبارمي، الفوايد في العوايد والقواعد والعقائد، مطبعة السيد دوفان، البليدة الجزائر، 1905، ص 4

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8، ص 24

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 326

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 23

<sup>5</sup> عبد الستار الجامعي، اوكتاف هوداس، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020، ص 20

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 23

<sup>7</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 23

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الاطار اللغوي، فدرس تاريخ المغرب، وأصدر كتابا حول اثنوغرافيا الجزائر<sup>1</sup>، والكيمياء العربية، وغيرها من الأعمال الفريدة التي اعتنت بالترجمة والتحقيق، على أن هذه الانشغالات كلها، لم تمنعه من زيارة الجزائر بانتظام لمواصلة القيام بالمهمات، كمهمة مفتش في المدارس الجزائرية، وأيضا من خلال علاقاته الشخصية التي تسنى له تأسيسها مع مثقفي العالم العربي<sup>2</sup>.

كان ينشر نصوصا عربية موجهة لتلاميذه، وله دراسة رائعة بعنوان محاولة في الخط العربي (Essai sur l'écriture Maghrébine)، ونشر هذا البحث في الجامع الشرقية الجديدة في مؤتمر فيينا سبتمبر 1886، (Nouveaux Mélanges Orientaux-Congrès de Vienne).

بين هوداس الهدف الذي كان يسعى اليه في بداية دراساته قائلا: ان قصدي من تحرير هذا الموجز القصير، هو البحث عن اصل الخط العربي المستعمل حاليا في جهات المغرب، وتتبع نمو الاختلافات الرئيسية التي تولدت منه، وتصنيفها على شكل محكم<sup>3</sup>، وبقينا أن الشعوب البربرية في شمال افريقيا كانت وقت الفتح العربي قد اهلتم تماما استعمال لغتها القومية، وانها لم تتبدل - وذلك على الاقل في مستوى القاعدة العامة - لغة احدى الامم التي احتلت بلادها في عصور مختلفة.

في حديثه عن الخط العربي في الجزائر يذكر هوداس: والكتابة الجزائرية بعيدة عن التوحد في كامل البلاد الجزائرية، ومن وجهة النظر هذه فقد خضعت عمالة قسنطينة للتأثير التونسي مع الاحتفاظ في كتابتها بأكثر شبه بالقيرواني، وتقابل أسطره الغليظة، وأشكاله القصيرة، خفة كتابات غرب الجزائر وسرعتها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كتاب اثنوغرافيا الجزائر سنة 1886، Octave Houdas, Ethnographie de l'Algérie, libraire de la Société

<sup>2</sup> d'Ethnographie, paris, 1886، وكان يهدف من خلال مؤلفه هذا الى الوصول وفهم شامل للمجتمع الجزائري في تلك الحقبة التاريخية المخصصة من القرن التاسع عشر، ولذلك نجده يتنقل سعيا الى تحقيق هدفه في الكتاب من دراسة الخصائص الطبيعية للجزائر، الى تقديم افادات عن السكان الاصليين لها، ومن ذكر الصفات او الخصائص الفيزيولوجية لهم، الى تسجيل خصائصهم الفكرية، والاخلاقية، الى تعريف باهم عاداتهم وتقاليدهم، وتعود اهمية هذا الكتاب الى ان اغلب المعلومات الواردة فيه قد قام بتسجيلها، وهو على اتصال مباشر بالمكان الموصوف وبالجماعات المراد توصيفها، ينظر: عبد الستار الجامعي، مرجع سابق، ص 32

<sup>3</sup> عبد الستار الجامعي، المرجع سابق، ص 26

<sup>4</sup> اوكتاف هوداس، محاولة في الخط العربي، تعريف عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1966، ع 3، ص 175

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 213

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

وفي الجزائر العاصمة بالذات استعمل الخط الأندلسي أحيانا، كمثال لأهلها الذين ينحدر الكثير منهم من أصل أندلسي، إلا أنهم لم يُقلدوا الأندلسي تقليدا اعمى، ومثلهم الأكثر انتشارا حظّ وافر من حلة الفاسي، وفي عمالة وهران نشعر شعورا أدق بجوار المغرب الاقصى، وليس من اليسير أن نقرر ان كانت هذه الكتابة مغربية أو وهرانية.

ويذهب أهالي عمالة وهران المتعلمون كلهم تقريبا الى فاس للدراسة، ويرجعون منها بنوع الكتابة المتخذ في جامعة هذه المدينة، إلا ان السطر بصفة عامة أغلظ في تلمسان ووهران منه في المغرب<sup>1</sup>.

في مجال اللغة العربية دائما نشر هوداس كتابا بعنوان: مقطعية اللغة العربية (Syllabaire de la langue arabe سنة 1889)، وقد سعى فيه الى اعتماد الطريقة المقطعية في دراسة مكونات اللغة العربية، وهي الطريقة التي من شأنها حسب اعتقاده، أن تُسهّل للقارئ التعرف على كلمات اللغة العربية، وعلى عدد مقاطعها، وايضا على فهم النص المنطوق والمكتوب، وقسم عمله هذا الى قسمين، القسم الاول فقد حمل عنوان: قراءة نصّي باللغة العربية الفصحى، والقسم الثاني قراءة نصّي باللغة العربية العامية<sup>2</sup>.

نشر ايضا سنة 1897 كتابا بعنوان: قواعد اللغة العربية الواضحة (Précis de Grammaire Arabe)، سعى من خلال مؤلفه هذا الى تبسيط قواعد اللغة العربية للفرنسيين وتلخيصها واختصارها، لتعويد المتلقين على اداء اللغة العربية، وفق قواعدها السليمة، وهو ايضا مقسم الى قسمين او كتابين كما يسميها هو نفسه، كتاب في علم الصرف، وكتاب في علم النحو<sup>3</sup> فقد ترجم الحروف والضمائر والأعداد والشهور، وحتى ترجمة آيات القرآن الكريم مثل الآيات الأولى من سورة البقرة<sup>4</sup> وأيضا تناوله لبحور الشعر وأعطى أمثلة عن كل بحر<sup>5</sup>.

ساعدت الفترة التاريخية التي عاش فيها على مزيد من النشاط في مجال الاستشراق الفرنسي، وعاش في العهد الذهبي للمستشرقين الفرنسي في الجزائر، ذاك العهد الذي كلّل بانعقاد المؤتمر 14 عشر للمستشرقين العلميين في 1905، والذي حضره يوم ذاك حوالي 500 شخصية.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 213

<sup>2</sup> عبد الستار الجامعي، مرجع سابق، ص 34

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 36

<sup>4</sup> Octave Houdas, Précis de Grammaire Arabe, librairie Africaine et Coloniale, Paris, 1897, p 21

<sup>5</sup> Ibid, pp 249,251

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

له مجموعة كبيرة من الاعمال، ترجم تحفة الأحكام لابن عاصم، وقد اشتعل عليها قرابة العشر سنوات رفقة زميله مارتيل، وترجم نصوصا من صحيح البخاري، ونشر العديد من الأعمال التي كانت محل انتقاد من زملائه المستشرقين، لأنه كان يتعجل في النشر ولا يدقق،<sup>1</sup> وله مجموعة مكاتيب مخطوطة وترجمة سورة من القرآن، وأعان على تحقيق كتب منها: تاريخ السودان لسعدي، وتاريخ الفتاش، والخبر عن اول دولة من الأشرف العلويين، وسيرة السلطان منكبرتي، ونزهة الحادي لمحمد الصغير المراكشي.<sup>2</sup>

يعترف المستشرق الفرنسي ريني باسيه<sup>3</sup>، الذي كان مديرا لمدرسة الآداب بالجزائر لمدة طويلة، ان الاهتمام باللغات العربية بدأ حوالي 1890، وعليها كل مستشرق بتدريس لهجة أو أكثر في المدن والأرياف، فكان المستشرق يذهب لزيارة المكان ويتصل بأهلها، وربما يستعين بالتلاميذ الجزائريين، ويأخذ في جمع المادة والمقارنة، ثم يكتب دراسة أو كتابا لنشره متسلسلا في المجلات ثم في المطابع، فصدرت دراسات عن اللهجات الآتية: دراسة عن اشرف سيق ووهران وأولاد ابراهيم بسعيدة وتلمسان والجزائر وقسنطينة، ودراسة لهجة مدينة طنجة ولهجة الحسنية بموريطانيا ولهجة الجبال.<sup>4</sup>

وهذا لايعني أن دراسة اللهجات لم تبدأ الا في سنة 1890، ولكنه يعني أن الخطة قد وضعت عندئذ لتطوير الدراسات وتوسيعها للوصول الى غرض اجتماعي وسياسي، وحصر اللهجات ومعرفة

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 24

<sup>2</sup> خير الدين الزركلي مرجع سابق ج 2 ص 32

<sup>3</sup> روني باسي مستشرق فرنسي، ولد في نيوفيل LUNEVILLE، وهو من اعضاء المجمع العلمي العربي، تعلم في نانسي ثم في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وعين مدرسا للغربية في مدرسة الجزائر العليا سنة 1882، ثم تولى ادارتها، واخيرا عضوا في كثير من المجمع العلمية، ترأس مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1905، ونشر باللغة العربية تحفة الزمان لعرب فقيه في فتوح الحبشة مع ترجمة بالفرنسية، والخزرجية في العروض، وتاريخ بلاد ندرومة وقرارة بعد خروج الموحدون منها، وله بالفرنسية مقالات في المجلات الاستشراقية، فرنسا والجزائر، وفصول دائرة المعارف الاسلامية وتصانيف، توفي بالجزائر ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، دار القلم للملايين، 2002، ط 15، ج 3، ص 39، وهو من المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا باستكشاف بعض المكتبات الجزائرية خاصة في منطقة الصحراء، ففي شهر مارس 1885 كُف من طرف الحاكم العام للجزائر بدراسة اللهجات الامازيغية في واد مزاب ووادي ريب، وفي ورقة تحصل بواسطة احد الطلبة على نسخة لقاموس الامازيغية الى جانب مجموعة من النصوص، وقد سمحت له زيارة مكتبات هذه المنطقة (ورقلة) بانجاز قائمة في حوالي 300 او 400 مجلد منها: تراجم شيوخ سدرانة وعدة نسخ لانتشار الإسلام في إفريقيا في القرن 7م، وقد علق روني باسيه على مخطوطات ورقلة بأنها كانت في وضعية متردية إلى درجة انه ليس من السهل الاستفادة منها، ينظر: عبد الحميد أعراب، "مخطوطات شمال الصحراء والاستشراق الفرنسي في الجزائر"، المجلة المغاربية للمخطوطات، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر 2، 1ع، الجزائر، 2004، ص 70

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8، ص، ص 19.



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الاصول اللغوية والعرقية للسكان، ومدى تأثير لهجة ما على ما جاورها، وكيف تنقلت القبائل عبر العصور واستوطنت جهات عديدة رغم أنها قد تكون من أصل واحد<sup>1</sup>.

من أهم الأعمال التي قام بها المستشرق روني باسي، في الجانب اللغوي ويكفي الإحالة إلى أعماله (الميلونج)، والذي يحمل اسمه، لنعرف كم كتب عن اللغتين العربية والبربرية وادابها، كما قام ببحثين مختلفين عن الدراسات البربرية والهوسية في مناسبتين مختلفتين، الأولى قدمها في مؤتمر المستشرقين الأول في هامبورغ 1897-، 1956 وهو منشور في باريس 1902 (الدراسات البربرية والهوسية)، والثاني في مؤتمر كوبنهاجن في 1908، وهما بحثان طويلان واغلبهما في الدراسات البربرية، يقول عنه أبو القاسم وعن أعماله: انه مؤسس مدرسة الاستشراق الفرنسي في الجزائر<sup>2</sup>.

من المستشرقين الفرنسيين الذين برزوا في هذا الميدان المستشرق الفرنسي وليام مارسي (William Marçais) 1874-1956،<sup>3</sup> ففي اهتمامه باللغة العربية بحث مارسي فيما يميزها ويجعلها مغربية بالبحث والتنقيب، مركزا على جذورها واصواتها وحروفها، ولم يهمل ما يميز لهجاتها المختلفة، متسائلا عن اشكالية العربية: مالذي نأخذه بعين الاعتبار؟ هل اللغة الفصحى أم العامية التي تمثل قسما كبيرا من اللهجات؟ فالازدواجية اللغوية كما بينها مارسي نوعان مختلفان من العربية، المنطوق الشفوي العامي المهيمن في التواصل اليومي والتعبير التخاطبي من جهة، والمكتوب الرسمي الفصيح، وهو ما عبر عنه

<sup>1</sup> سعيد بوخاوش، مرجع سابق، ص 23

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، ص 200.

\*الازدواجية اللغوية بمعنى ان هناك لغتان، اللغة العربية الفصحى وهي مكتوبة فقط، واللغة العربية العامية، وهي التي يتحدث يتواصل الناس بها في الجزائر، وفي ذلك محاولة استبدال العامية بالفصحى، كما يمكن تعريفها ب: هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة الحديث، ويعرفها المستشرق الفرنسي فانسان موتي بقوله: الازدواجية اللغوية وهو ان توجد لغة فصحى ادبية وعلمية ولغة عامية تستعمل خاصة في الحديث، وهذه الازدواجية اللغوية هي التي شغلت بال الكتاب والمفكرين. ينظر: فانسان موتي، اللغة العربية الحديثة، تلخيص جمال الدين البغدادى، محلة اللسان العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط المغرب الأقصى، يونيو 1964، ع 1، ص 68

<sup>3</sup> وليام مارسي 1872-1975 وليد مدينة Rennes بفرنسا درس اللغات الشرقية في الجزائر عين مديرا في مدرسة تلمسان سنة 1898، اين احتك بعلماء المدينة، ترجم عدة كتب عربية الى اللغة الفرنسية ككتاب صحيح البخاري، اهتم باللغة العامية والآثار التلمسانية، نادى بسياسة خاصة للمسلمين واحترام عاداتهم -تقاليدهم -لغاتهم لكن مع بقائهم رعيا فرنسيين لان فرنسا حملت لهم التقدم للمزيد انظر:

Abderrahmane Bouchène et d'autre , histoire de l'Algérie coloniale 1830-1962 , édition la découverte , paris , 2012 , , pp.283-284.



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

بمصطلح (La Diglossie Arabe) (الازدواجية اللغوية)<sup>1</sup>، وهو الذي يعتبر أول من استعمل هذا المصطلح الازدواجية اللغوية لوصف الوضع اللغوي في الجزائر .

وكان المقال الذي استعمل فيه هذا المصطلح صريحا في وصف هذه الازدواجية بقوله: **المسؤول الاول** عن ازمة اللغة العربية في الجزائر هي العربية، ويضيف: **مايجعل من اللغة العربية وحشا هو** ازدواجية اللسان<sup>2</sup> ويضيف: **ان اللغة العربية لغة ليس لها مستقبل حقيقي، مشاركا بذلك زميله** المستشرق روني باسي في نفس الطرح<sup>3</sup>.

لم يكن هدف وليام مارسي في تلك الظروف علميا، بل كان يهدف إلى التدليل على ان ذلك الإنسان السامي يعاني من ازدواجية لغوية لا علاج لها<sup>4</sup>، لان سياسة الاستعمار الثقافية كانت مركزة على خنق اللغة العربية الفصحى وتطويقها في دور ديني ضيق، وبغزل اللغة الدارجة عنها، بحيث ينقطع التفاعل الحيوي بين قائمتي اللغة العربية الفصحى والدارجة، وهو أمر كان للقضاء على هذه اللغة في الأمد الطويل.

وبدافع من وليام مارسي أصبح درس العربية الدارجة منذ 1916 درس لهجات حقيقي<sup>5</sup>، وعن هذه النوايا المبيتة من قبل المستشرقين يقول أبو القاسم سعد الله قوله: **ولاعجب ان يدعي دعاة القضاء على الفصحى من قبل المستشرقين، فصل الفصحى عن عاميتها، بل تشجيع العامية في البلد الواحد، لتصبح عاميات تمهيدا لاحتلال اللغة الدخيلة مكانها، حيث تصبح اللغة الدخيلة أداة للتواصل بدلها، بالدعوة لحماية الفصحى، يجب ان تشمل أيضا حماية العامية، لان العامية هي**

<sup>1</sup> فاطمة الكوش، وليام مارسي، المركز الثقافي للبلاد، الدار البيضاء المغرب الاقصى، 2020، ص 25

La France contemporaine, Alain Messaoudi, l'enseignement de la langue arabe entre l'Algérie française et 65 CHSIM/EHESS, 2006, p 12-13 op cite, p 11<sup>3</sup> Alain Messaoudi,

<sup>4</sup> جمال كولغلي، حول تاريخ اللغة العربية(مقابلة اجرتها سلام دياب ) المدرسة العليا لتكوين المتعلمين بليون 14-11-2007، الرابط:

[http://cle.ens-lyon.fr/fichiers/entretien\\_avec\\_dj\\_1213272450319.pdf?lang=fr](http://cle.ens-lyon.fr/fichiers/entretien_avec_dj_1213272450319.pdf?lang=fr)، تاريخ المشاهدة

2021 07 03، الساعة 12:18.

<sup>5</sup> ريف دانيال، مرجع سابق، ص 241.

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

الخط المتقدم للدفاع عن الفصحى، فاذا سقطت في وجه العولمة اللغوية فان الدفاع عن الفصحى سيضعف كثيرا،<sup>1</sup> ويضيف: فالعامية هي اثناء للفصحى، لانها في الاساس منها .

رأينا كيف أن وليم مارسى انشغل باللغة العربية في منطوقها وفي مكتوبها، فاعتنى بها بحثا ودرسا، بحث الانثروبولوجي ودراسة اللساني، الى درجة انه فُتِنَ وأعجب بها عكس ما صرح به في مواضع كثيرة، الى درجة انه بالغ في إطرائها، ووصفها تارة بالعود والموسيقى كقوله: اذا نقرت على احد اوتاره رنت لديك جميع الاوتار وخفقت، وتارة اخرى يشبهها بالكائن الحي<sup>2</sup> .

ولم يكن مارسى وحده من تحدث باسهاب عن مميزات اللغة العربية وعن جمالها، فالمستشرق الفرنسي ليون غوتيي<sup>3</sup> (Léon Gauthier) يقول عنها: بلغت اللغة العربية من الكثرة والغنى مبلغا يشير الدهشة والعجب، وذلك بفضل مقدرة العرب في استعمال حروف الزيادة التي تضاف الى الحروف الاصلية في أولها أو حشوها أو آخرها، فتكون كلمات جديدة من المادة نفسها، وكذلك بإضافة بعض حروف الزيادة الى مصدر الفعل، تعمل قواعد التصريف العربية على اشتقاق عدد لا يكاد يصلق من الابنية أو الصيغ الكاملة والمختلفة، والتي تغاير معنى الفعل الاصيلي<sup>4</sup>

كما ناقش غوتيي ايضا أمورا دقيقة لا يتعرض لها الا المتمكن من نواصي اللغة العربية فيقول: التضاد واضح جدا بين الحروف الساكنة الجافة جدا، مثل الحاء والخاء والعين والغين والقاف، أو المفخمة مثل الصاد والطاء، وبين الحروف الساكنة اللينة جدا، والتي تنطق من بين الاسنان،

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، خطر الدخيل على الفصحى والعامية معا، مقال نشر في كتاب مجمع اللغة العربية " اللهجات العربية الفصحى والعامية"، القاهرة مصر، 2006، ص 543

<sup>2</sup> فاطمة البكوش، مرجع سابق، ص 42

<sup>3</sup> مستشرق فرنسي، تخرج بالفلسفة من جامعة باريس وعين استاذا للفلسفة الاسلامية في الجزائر ومن اثاره: نشر رواية حي بن يقظان لابن طفيل متنا وترجمة فرنسية وطبعت مرات عديدة فطبعت في الجزائر سنة 1900 وبيروت 1936 وباريس 1937، وترجم كشف المناهج لابن رشد في باريس سنة 1905، وترجمة ابن الطفيل ومؤلفاته في باريس 1909، وترجم الفرق بين الدين والفلسفة لابن رشد في كتبه: فصل المقال والتهافت وفصل الخطاب وهي الرسالة التي نال بها الدكتوراه في باريس 1909 ونشر الدررة الفاخرة للغزالي وصنف كتابا بعنوان المدخل الى دراسة الفلسفة الاسلامية والتفكير السامي والاري والفلسفة الاغريقية والدين الاسلامي في باريس 1923، وله عدة مقالات: دراسة الفلسفة الاسلامية في المجلة الاسيوية 1901، ومحاولة فلاسفة العرب اصلاح الفلك لبطليموس في القرن الثامن عشر ميلادي في 1909، والحلاج في مجلة تاريخ الاديان العدد 9 سنة 1925، وحجة حمار بوريدان والفلاسفة العرب، وعلم الكلام عند المسلمين والنصارى في مجلة تاريخ الاديان العدد 2 سنة 1928 والدراسات الاسلامية والنصرانية في نفس المجلة سنة 1929، وفجر المدرسة العليا للاداب، 50 سنة على كلية الاداب في الجزائر 1932، ينظر يحي مراد معجم اسماء المستشرقين مرجع سابق ص 431

<sup>4</sup> انور محمود زناتي، ليون غوتيي، المركز الثقافي للبلاد الدار البيضاء المغرب الاقصى، 2020 ص 43

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

وبقارب في مخارجها اصوات النساء مثل التاء والذال، وكثيرا ما يتلوا حرف شديد القوة حرفا آخر شديد اللين في كلمة واحدة، ويحدث ان تجتمع معا حروف ساكنة مثل الضاد والطاء وهي خفيفة ومفخمة في آن واحد، وهكذا اجتمع الاضداد في مقطع واحد<sup>1</sup>.

شهدت هذه الفترة كذلك جيلا من المستشرقين المحترفين، الذين تكونوا في مدرسة الآداب (كلية الآداب) بالجزائر، وعرفت ظهور دراسات كثيرة شملت اللسانيات والتاريخ الديني والتحقيقات وترجمات النصوص والاثنوغرافيا والفلكلور والكتب المدرسية والمعاجم.<sup>2</sup>

ولم تصبح اللغة العربية اولوية كما كانت في السابق باستثناء البعض من المستشرقين، والذين كانوا على رأس مديرية الشؤون الاهلية كالمستشرق دومنيك لوسيانى (D.Luciani) وجان ميرانت (J.mirante) واغيست بيرك<sup>3</sup> (E.Berque).

اكّد كذلك هذا التراجع للغة العربية المستشرق الفرنسي جوزيف ديسبارمي<sup>4</sup> وذكر بأن اللغة العربية الفصحى قد عرفت سقوطا تدريجيا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم تسارع سقوطها خلال النصف الاول من القرن العشرين، وبالمقابل يعترف ديسبارمي الذي كان معاصرا للاحداث في تلك الفترة بان الجزائر تشهد منذ سنة (1931) ثورة لغوية، وهي ظاهرة تحتاج الى تفسير، وان المثقفين بالعربية اصبحوا يرفضون الدارجة، والفلكلور، والشعر الملحون باعتباره كلام العوام<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 44

<sup>2</sup> جمال الدين بابا، مرجع سابق، ص 8.

<sup>3</sup> Alain Massoudi, langue de la cité ou langue de l'héritage ? l'enseignement de la langue arabe entre Algérie française et France contemporaine, CHSIM/EHESS, 2006, p 11

<sup>4</sup> من مواليد 1863 بفرنسا وتوفي ايضا فيها سنة 1942، وبين 1890-1940 أمضى معظم حياته في الجزائر، درس اللاتينية ثم العربية في مدارس ثانوية مختلفة (البلدة والجزائر) كما عاش وقتا في سكيكدة وتلمسان تخصص في دراسة وتدريس اللهجة العربية، له اعمال كثيرة ومتنوعة وسلسلة من المقالات التي ركبها ونشرها في الجمعية الجغرافيا لمدينة الجزائر، ومجلة افريقيا الفرنسية l'Afrique Française، وهي على التوالي: سبع مقالات عن الشعر الشعبي، وعشر مقالات عن الحركة الاصلاحية، وما يهمننا من دراسة هذا المستشرق بحسب فاني كولونا هو المقالات المتعلقة بالشعر الشعبي، فهي مقطوعات شفوية، وسلسلة غير متجانسة تماما، تصب جميعها في خانة الغزو الفرنسي، وتؤدي كلها نفس الوظيفة، والتي يقول هو بنفسه عنها بمثابة مواسة للشعب المهزوم، وتضيف فاني كولونا تعليقا على اعماله بقولها: فاعماله سياسية أكثر منها

علمية، والذي يظهر بشكل جلي في سلسلته الثانية، بحيث يعبر عن همجية وكرهيته للادباء وعلماء الحركة الاصلاحية Voir: Fanny Collona, Question à Propos de la Littérature Oral Comme Savoir, In Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, 1976, N22, p 19

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص23

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

وهناك سبب آخر لتراجع اللغة العربية الفصحى يورده ديسبارمي بقوله: لم يبقى للغة العربية الفصحى الا مجال اللغات الميتة، وهي النصوص الفقهية والقضائية والصلوات بعد ان حوصرت على كل الجبهات، الجبهة الفرنسية، الجبهة البوربرية(الدارجة)، وجبهة اللغات البربرية،<sup>1</sup> ويروي ديسبارمي أنه أراد أن يختبر غيرة أحد الجزائريين المتعلمين بالعربية، فقال له: ان الفرنسيين قد تخلّوا عن اللاتينية، فردّ عليه ذلك الطالب قائلا: أن الفرنسيين لم يكونوا يقاومون احتلالا اجنبيا، ثم حاجج ديسبارمي طالبا اخر في استحالة نشر اللغة العربية(التي يسميها هو لغة قريش تبعيدا لها عن الجزائريين)، فأخبره الطالب أن معجزة الاستقلال تتحقق عن طريق الدين الحق والعقيدة الوطنية، فاستنتج ديسبارمي من هذا الرأي انه يمثل خلاصة الوضع اللغوي وطموحاته في الجزائر، وهو ما يسميه برد الفعل اللغوي<sup>2</sup>

اشار المستشرق الفرنسي وليام مارسي الى هذه النقطة بقوله: لا يمكننا ان نقول ان اللغة العربية المكتوبة قد اختفت في الجزائر، ولا انها على وشك الاختفاء لكن يمكننا ان نقول انه يبدو ان لا شيء يزيد اليوم من اهميتها، انها في حالة تراجع رهيب لان الدور الذي تلعبه اليوم في الحياة العامة والخاصة دور متواضع<sup>3</sup>.

ويعطي اغيسط بيرك دليلا آخر لما آلت اليه اللغة العربية بقوله: كانت دروس اللغة العربية تمثل بالنسبة للطلبة أفضل المناسبات للتهريج، لانها لم تكن تحظى بأي اعتبار يذكر، لقد كان الطلبة يقومون اثناء حصصها بحل واجباتهم في مادة الرياضيات، او يخوضون في المعارك البحرية ولم يكن الاساتذة يستكرون ذلك، كان ذلك يحزّ في نفوسنا عندما يكون الاساتذة جزائريون، وكنا بسبب ذلك نمقتهم أكثر مما يمقتهم رفاقنا الفرنسيون<sup>4</sup>.

من المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا باللغة العربية المستشرق لويس ماسينيون، الذي عيّن في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فتعيينه في هذا المجمع كان اولا بهدف تمثيل الاستشراق الفرنسي، ومن جهة اخرى راجع الى تكوينه العلمي ومنزلته السياسية، ولقد ظل متعلقا بتعلم اللغة العربية الفصحى والعامية بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية، والتي نال منها شهادة في اللغة العربية والعامية سنة 1906.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 24

<sup>2</sup> المرجع سابق، ص 29

<sup>3</sup> William Marçais, Article et Conférences, publication de l'institut d'étude orientales, faculté des lettres d'Alger XXI, Librairie D'amérique et d'orient Andrien-Maisonneuve, Paris, 1961, p 90

<sup>4</sup> غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكفونية 1880-1962، ترجمة حاج مسعود واخرين، دار القصة للنشر الجزائر، ص 465

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

تتنسب دراساته اللغوية الى استنباط منهج وصفي وتحليلي للتدين الاسلامي، باعتبار اللغة العربية لغة الاسلام الدينية الشاهدة بوجود الله، ويبدو أن هذا الاتجاه المتصوف كان يقربه من الازهرين اعضاء المجمع، وان كان اختلف عنهم في مقارنته للغة وتخريج مشاكلها،<sup>1</sup> وكان يعمل جاهدا بالمجمع لوضع طريقة عمل مجدية، وتعلقت مهمته خاصة، بوضع معاجم عربية مختصة وعلمية، حتى تتمكن اللغة العربية من التعبير عن العلوم العصرية، لانه كان يؤمن ان ذلك هو غاية المجمع الاساسية.

وفي يوم سافر فيه الى القاهرة لحضور اجتماع مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو الاجتماع الذي ادعى فيه قائلا: ان اللغة العربية ليست غريبة عنا-الفرنسيين- بل هي جزء من تراثنا القومي،<sup>2</sup> فرد عليه الامام عبد الحميد ابن باديس منتقدا في مقال له نشر في جريدة البصائر،<sup>3</sup> ولأهميته سنذكره كاملا.

يقول الامام: الاستاذ من كبار المستشرقين، وذو سمعة واسعة في الشرق العربي، وله تلاميذة كثيرون بمصر وغيرها، ومن اشهرهم الدكتور طه حسين، وزكي مبارك، وهو عضو في المجمع الملكي للغة العربية بمصر،<sup>4</sup> ويعد في حكومته المعتمد الاول لوزارة الخارجية والمستعمرات، يعلم هذا الاستاذ أن اللغة العربية تعتبر عند حكومته أجنبية في أرض الجزائر العربية، وهي لغة ستة ملايين من الوطنيين، ويعلم ما يلاقه التعليم الحر من اضطهاد شديد، ويعلم قصة دار الحديث في تلمسان التي مازالت مغلقة الى الان ويعلم غير هذا...

لو اراد الاستاذ خدمة العربية، وفي ذلك خدمة أمته، وحكومته؛ لقدّم تقريرا رسميا دعا فيه حكومته الى اعتبار اللغة العربية لغة رسمية، والى حرية تعليمها، وفتح مدارسها، وفتح المجال لأبنائها؛ ليشتدوا ما شاءوا من الكليات لها، مثل ما شيدت ايطاليا ببجاية وسطيف.<sup>5</sup>

ونحن نفهم أن العربية ليست غريبة عن قومه، وعن لغته، فقد كانت الوسطة الامينة في نقل علوم العرب، ومن قبل العرب الى الفرنسيين ولغاتهم...، ولكننا لا نفهم كيف كانت اللغة العربية جزءا من

<sup>1</sup> محمد رشاد الحمزاوي، اعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومعجما، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، ص ص 95-96

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص 28.

<sup>3</sup> ينظر: البصائر العدد 149، 20 جانفي 1939

<sup>4</sup> اثار الامام عبد الحميد ابن باديس، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 280

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 281

## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

تراثهم القومي، الى أن يقول، فان اللغة العربية هي الطابع الصحيح للقومية التي تعرب عن وحدة الشعور والتفكير...، فاللغة العربية انما هي من تراث القومية العربية فقط، كما ان اللغة الفرنسية انما هي من تراث القومية الفرنسية فقط<sup>1</sup>.

وفي شهادة للبشير الابراهيمي في حق المستشرق ماسينيون يقول: مستشرق حكومي، من الذين يجعلون الاستشراق ذريعة لاستهواء الشرقيين المفتونين بالغرب، الخاضعة عقولهم وافكارهم لعقوله وافكاره، وانا اسمي ثلة من هؤلاء المستشرقين حكوميين، تسمية صادقة اصدر فيها عن رؤية، وثبتت، فما هم الا أذئاب لحكوماتهم، وما هم الا موظفون او مستشارون حكوميون، وماهم الا تراجمة للحكومات الاستعمارية، وأدلاء يترجمون لها معاني الشرق، ويدلونّها على المداخل الى نفوس ابنائهم، والى استغلال اوطانهم، وما هم الا آلات في ايدي وزارات الخارجية تستعملها لابطال حق الشرق، واحقاق باطله، ولبقاء الامم الضعيفة في الاستعباد<sup>2</sup>.

فالاستشراق في هؤلاء عند الحكومات الاستعمارية معناه معرفة مداخل اوطان الشرق، ودخائل ابناء الشرق، وابتكار الوسائل لاستعمار العقول اولا والاطان ثانيا، فهم رواد عقليون قبل القواد العسكريين، ولذلك نرى هؤلاء المستشرقين الحكوميين، يبنون امرهم في الشهرة بين الشرقيين على الابحاث العلمية الخالصة، ويغطون ضراوة الحجاج بطراوة الحلاج، فاذا طارت الشهرة في الافاق، ووقع على الثقة بهم الاصفاق، اصبحوا سهاما نافذة لدولهم في جنب الشرق، وأدلاء بارعين على عورات الشرق، ومن هذه الطائفة صاحب فكرة فرانس اسلام(يقصد ماسينيون)<sup>3</sup>.

كان طبيعيا إن تكون العاصمة هي القلب النابض لحركة الاستشراق الفرنسي لعدة أسباب، منها وجود المدارس العليا الأربع فيها، ووجود مدرسة خامسة (المدرسة الشرعية)، يشرف عليها كذلك مستشرقون<sup>4</sup>، فأهمية مدرسة الآداب لم تكن محليا فقط بل حتى إقليميا، وعن الخدمات التي قدمها هؤلاء المستشرقين الفرنسيين يقول المستشرق الألماني دانيال ريغ: ان الخدمات والآثار الكبيرة لهؤلاء

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 281

<sup>2</sup> اثار الامام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم احمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1997، ج3، ص 351

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 351

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 28.

## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستثنائي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

المستشرقين هي خدمات واثار نموذجية، لأنها تمثل ذلك الخط الخاص والتميز لدى المستعربين، والمتمثل في إمكانية التطبيق العملي لقسم كبير من نشاطهم في إطار الاستعمار.<sup>1</sup>

إن المدرسة في الجزائر ومن وراءها المستشرقون اهتمت بكل شيء في الجزائر إلا العنصر البشري ويؤكد هذا المعنى المستشرق الفرنسي وليام مارسي بقوله: إن المدرسة في الجزائر تتوجه إلى سكان فرنسيين سياسياً، ولكنهم أجنب واقعيًا، يجب أن تعمل هذه المدرسة على تكوين رعايا وليس مواطنين<sup>2</sup>، ويضيف جورج هاردي أحد الفرنسيين يقول: إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا، وجعلهم أكثر ولاء وإخلاصاً في خدماتهم لمشاريعنا، هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدينا، فالمقصود باختصار، هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما نريد<sup>3</sup>.

وخلاصة لما سبق نستنتج مجموعة من النقاط والمتعلقة بالجانب الأدبي واللغوي والتي تناولها المستشرقون الفرنسيون والإدارة الاستعمارية في الجزائر:

واجه المجتمع الجزائري غداة الاحتلال، تحدياً عسكرياً وتحدياً ثقافياً فيما بعد، واستهدف الاستعمار الفرنسي ضرب العناصر الأساسية المحددة لثقافة الشعب الجزائري، وعلى رأسها الإسلام واللغة العربية المرتبطة به، فبتحطيمها تتحطم كل البنية الثقافية الشاملة الناتجة عنهما<sup>4</sup>، فكانت الخطوات التطبيقية الأولى للإدارة الاستعمارية هو الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية في الجزائر، والتي كانت تمول الخدمات الدينية والثقافية والتعليمية والاجتماعية للجزائريين، فكانت هذه الخطوات بمثابة عملية لتدمير والقضاء على اللغة العربية وللثقافة الإسلامية عموماً.<sup>5</sup>

حاربت الإدارة الاستعمارية اللغة العربية عن طريق القضاء على مراكز الثقافة التقليدية والتي كانت قائمة كالمدراس والزوايا والجموع، وذلك إدراكاً منها للدور الذي كانت تؤديه هذه المراكز في الحفاظ على اللغة

<sup>1</sup> ريف دانيال، مرجع سابق، ص. 223.

<sup>2</sup> إبراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 130.

<sup>3</sup> بلال دربال، "وظائف اللغة إبان فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر"، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 14-15،

الجزائر، جوان 2014، ص. 429.

<sup>4</sup> رابح لونيبي، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط 2، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 87.

<sup>5</sup> الطيب بن إبراهيم، مرجع سابق، ص. 149.



## الفصل الثالث: البحث الأكاديمي الاستثنائي الفرنسي في إطار جامعة الجزائر

العربية، فمنعت تعليمها، وأقصتها من الإدارة، وأحلت اللغة الفرنسية محلها، وحاولت إظهارها في صورة بدائية لا تصلح لان تكون لغة علم وحضارة، وكان الهدف من ذلك كله هو القضاء عليها لأنها تشد الجزائريين إلى دينهم وتربطهم بتراثهم الإسلامي الأصيل<sup>1</sup>، فهي لغة الإسلام وهي كذلك مظهر تعبيرى عن الانتماء الدينى أكثر منه انتماء قوميا او جغرافيا<sup>2</sup>، لذا جاء الاهتمام بها من طرف الإدارة الاستعمارية ومستشرقىها منذ الأيام الأولى لهم في الجزائر، وكان القصد من هذا الاهتمام هو فهم الدين الإسلامى وكذلك فهم علاقة الفرد الجزائرى بهذا الدين.<sup>3</sup>

وصف المستشرقون اللغة العربية بالجمود، وبأنها لغة بدوية لا تصلح للتعبير عن المصطلح العلمى الحديث، وأنها السبب فى التخلف العلمى للعرب فى العصر الحالى، كما أنها السبب فى التخلف الحضارى، لأنها غير قادرة على استيعاب ألفاظ الحضارة الحديثة، ويقابل هذا الذم فى اللغة العربية الفصحى، الثناء على اللغة العامية، وعلى اللهجات المختلفة، ووصفها جميعا بالمرونة والسهولة والقدرة على التعبير عن المطالب الحديثة، ومدحوها كوسيلة تثقيف للجماهير<sup>4</sup>.

توصلنا فى ختام هذا الفصل إلى جملة من النتائج نوجزها فى الآتى :

من بين الوسائل التى استحدثتها الإدارة الفرنسية لخدمة مشروعها الاستعماري، إنشائها المدارس العليا الأربعة (الطب الآداب العلوم الحقوق)، والتي كانت المركز الأساسى لعمل المستشرقين، والتي تحولت فيما بعد الى جامعة الجزائر، التى كانت أداة لاحتكار المعرفة، ووسيلة للسيطرة الاستعمارية فى الجزائر وحتى خارجها، فكانت بذلك مركزا للدراسات الاستشراقية بامتياز، ويبقى أكبر عمل قامت به لخدمة مصالحها، هو إنشاء المعاهد المتخصصة، والإشراف عليها هى كذلك من قبل المستشرقين فى مقدمتها معهد الأبحاث الصحراوية، والذي بفضل استطاعت فرنسا، ان تصل إلى أقاصى الصحراء، وكذلك معهد الدراسات الشرقية وغيرها من المعاهد الأخرى.

<sup>1</sup> سعيد بورنان، رواد الكفاح السياسى والإصلاحى 1900-1954، ط3، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو الجزائر، 2015، ص

11.

<sup>2</sup> الطيب بن إبراهيم، مرجع سابق، ص 148.

<sup>3</sup> إبراهيم لونيى، مرجع سابق، ص 135.

<sup>4</sup> عبد الصبور شاهين، فى علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، 1984، ص 268 269



## الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر

إضافة إلى الوسائل السابقة، كان احتضان الجزائر لمؤتمر المستشرقين 14 سنة 1905، بمثابة حلقة أخرى من حلقات التكامل والتعاون الاستراتيجي بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي، بحيث خطط له وتكفل بنفقاته، وعمل على إنجاحه باختيار مواضيعه وفصوله ومقرره ومنشطيه، الذين كانوا من كبار مستشرفي فرنسا لتحقيق غايات، منها إضفاء الطابع الفرنسي على الجزائر والتي مضى على احتلالها 75 سنة، فكان انعقاده بمثابة إيصال رسالة بأن الجزائر جزء من فرنسا، وتعبير آخر الجزائر الفرنسية، وعليه يمكن القول بأن البحث الاستشراقي، سواء في إطار اللجان أو الجمعيات أو المجالات أو المدارس أو المعاهد أو الكليات أو المؤتمرات، قد سار جنباً إلى جنب ومنذ البداية مع إدارة الاحتلال.

تعاملت فرنسا مع اللغة العربية بطريقة نفعية إلى درجة تشجيع موظفيها على تعلمها، ليتمكنوا من تنفيذ مخططاتهم، وإلى جانب اهتمام الإدارة الاستعمارية بتدريس اللغة الفرنسية للأهالي، كانت في الوقت نفسه تدرس اللغة العربية للفرنسيين، من أجل التعرف على مختلف عادات وتقاليد الشعب الجزائري.

شجعت الإدارة الاستعمارية اللغة الدارجة، حتى لا يجد المعمرون ورجال الجيش أنفسهم محاطين بأناس يتحدثون بلهجة لا يفهمونها، وظل اهتمامهم بها ادراكاً منهم بأنها الوسيلة الأنجع للقضاء على العربية الفصحى.

لم يكن انشغال المستشرقون الفرنسيون بدراسة اللهجات العربية محض اهتمام علمي، بقدر ما كان يدخل ضمن سعي الإدارة الاستعمارية، لتحقيق أهدافها الميدانية.

كان إسناد الإدارة الاستعمارية للمستشرقين في إدارة المؤسسات التعليمية بهدف تذليل الصعاب والعقبات في تعاملها مع الأهالي، وثانياً لتلبية حاجيات المستوطنين الأوروبيين، في استغلال اليد العاملة الرخيصة، وتبديد الحواجز النفسية بينهم وبين الأهالي.

حاربت الإدارة الاستعمارية ومستشرقوها اللغة العربية، باعتبارها الضامن الأساسي لاستمرارية هوية الأمة الجزائرية، وباعتبارها ذاكرة الأمة والقرآن الكريم، وروج المستشرقون في الجزائر لفكرة صعوبة اللغة العربية الفصحى، وسهولة اللغة الدارجة للقضاء على العربية الفصحى.

## **الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي الفرنسي في اطار جامعة الجزائر**

---

إلى جانب اهتمام الإدارة الاستعمارية بتدريس اللغة الفرنسية للأهالي، كانت في الوقت نفسه تدرس اللغة العربية للفرنسيين، من أجل التعرف على مختلف عادات وتقاليد الشعب الجزائري.

كان اهتمامها باللغة الدارجة لأنها أدركت بأنها الوسيلة الأنجع للقضاء على العربية الفصحى.

استغل المستشرقون الفرنسيون التعليم في الجزائر ومدارسه، وجعلوا من هاته المدارس مؤسسات خاصة بهم لتحقيق طموحاتهم وأهدافهم العلمية وغير العلمية.

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والآثرية الفرنسية في الجزائر

### الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والآثرية الفرنسية في الجزائر

#### 1.المبحث الاول: الدراسات التاريخية

##### 1.1. تاريخ الجزائر في القديم (الفترة الرومانية)

##### 2.1. أسباب إخفاق الرومان في نظر المستشرقين الفرنسيين

#### 2.المبحث الثاني: تاريخ الجزائر في الفترة الوسيطة

##### 1.1.2.: الفتح الإسلامي

##### 2.1.2.: الهجرات (الغزوة) الهلالية

#### 3.المبحث الثالث: تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة

##### 1.1.3.: الفترة العثمانية

##### 2.1.3.: الفترة المعاصرة

##### 3.1.3. التاريخ الجزائري من خلال الاحتفال بالمتوية 1930

##### 4.1.3. نقد الدراسات الاستشراقية التاريخية الفرنسية حول الجزائر

#### 4.المبحث الرابع: في مجــــــــال الآثــــــــار

##### 1.4.المرحلة الاولى

##### 2.4.المرحلة الثانية

##### 1.2.4.الجمعية الأثرية لقسنطينة: Société Archéologique de Constantine

##### 2.2.4.أكاديمية هيون: Académie d' Hippone

##### 3.2.4. الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران (Société de Géographie et

##### d'Archéologie d'Oran

##### 5.المرحلة الثالثة

##### 1.5.المؤتمر الخامس للآثار المنعقد في الجزائر 1930

**2.5. القسم الجزائري لجمعية: Guillaume Bude**

**3.5. الآثار الاسلاميّة**

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر

### الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر

عمل الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر سنة 1830 على محاولة طمس، وتجاهل تاريخ الشعب الجزائري، وإفراغه من محتواه الحقيقي، وحشوه بمحتوى غريب عنه، من خلال ربطه بمسار التاريخ الأوروبي، مسخرا كل ما توفر لديه من وسائل، وإمكانات، وسالك كل السبل المؤدية إلى تحقيق مراميه، ضمن مشروع استعماري لعب فيه المستشرقون الفرنسيون دورا بارزا، من خلال تكليفهم بالقيام بدراسات تاريخية وأثرية، ومن اجل التبرير لمشروعية وأحقية تواجده في الجزائر، ولكي تنسجم هذه الدراسات مع هذا التوظيف السياسي للتاريخ، تمحورت جهود هؤلاء المستشرقين حول جملة من الأفكار المسبقة، التي شكلت مسارات رئيسية في دراساتهم لتاريخ الجزائر وتأليفهم حوله، ولقد تناولت المدرسة الاستشراقية الفرنسية تاريخ الجزائر بإسهاب كبير، وقسمته الى ثلاثة مراحل تاريخية مهمة وأساسية، القديم مرحلة رومانية (époque romain)، والوسيط (la Conquête de Islam)، وأخيرا الحديث والمعاصر (Arrivé des français)، وهو ما سنحاول توضيحه والتطرق إليه في هذا الفصل من خلال هذه الاشكالات البحثية التي تدفعنا لتوجيه مجموعة من الاسئلة :

كيف كانت رؤية المستشرقين الفرنسيين لتاريخ الجزائر عبر العصور؟

وما هي الحقب التي فضلوا دراستها وبذل فيها مجهودات كبيرة؟

وماهي الغاية من التركيز على حقبة دون اخرى؟

كيف صور المستشرقون الفرنسيون الفتح الاسلامي لبلاد المغرب والهجرات الهلالية القادمة من الشرق؟

كيف تعامل المستشرقون الفرنسيون مع المخلفات الاثرية القديمة في الجزائر؟ والى اي مدى نجحوا في التعريف والتنقيب عن هذه المعالم التاريخية الاثرية واخراجها من طي النسيان؟

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

المبحث الاول: تاريخ الجزائر في القديم (الفترة الرومانية)

ضل تاريخ المغرب القديم مجهولا يلفه الغموض، الى ان ظهر الاهتمام الأوروبي بالتاريخ القديم، فوجد الفرنسيون في احتلال الجزائر المجال فسيحا، والمصادر المادية من الفترة الرومانية وفيرة، وظاهرة للعيان، وهيأت لهم النهضة العلمية في ميدان البحث التاريخي أسباب النجاح، فكان اهتمامهم متركزا على المخلفات الأثرية للفترة الرومانية والمسيحية، وكان سعيهم بناء جسر حضاري روماني-فرنسي

وبحيث أنهم يعتبرون انفسهم في وقت ما ورثة الحضارة الرومانية اللاتينية في بلاد المغرب، وان يعملوا على صيانة ذلك الميراث الحضاري، وإبرازه واستغلاله في المجال السياسي،<sup>1</sup> لذلك لم يجد هؤلاء الفرنسيين مشقة في اعادة كتابة تاريخ تلك الحقبة، وفك رموزها، ومن اشهر المؤرخين الذين عنوا بهذه الفترة، وقدموا دراسات مستفيضة حولها، ستفان اغزال (S.Gsell)، واميل فليكس غوتي (E.F.Gautier)، وغبريال كامبس (G.Camps)، وشارل اندري جوليان (CH.A.Joulien)،<sup>2</sup>

ويرجع سبب اهتمام بالفترة الرومانية لغرضين: اولا أنهم كانوا في امس الحاجة للامسك بأسباب رخاء إفريقيا خلال المرحلة الرومانية، بغية الاستفادة من تلك التجربة في المشاريع الاستعمارية خلال النصف الاول من القرن العشرين،<sup>3</sup> ومن جهة ثانية حاولت تصوير السياسة الرومانية على انها تمدينية،<sup>4</sup> ونورد هنا مثال على ذلك كتاب التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية لمؤلفه استفان اغزال

ألّف اغزال كتابه (التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية) في الفترة الممتدة من 1913\_1928، وقد قسّمه الى 8 أجزاء، تناول في الجزء الأول ظروف التطورات التاريخية خلال العهود البدائية، والتواجد الفينيقي وقيام الإمبراطورية القرطاجية، أما الجزء الثاني فقد تعرض للدولة القرطاجية، وممالكها الإفريقية، ثم انتقل في الجزء الثالث الى التاريخ العسكري لقرطاجية، حيث أّخ للحروب، وفي الجزء الرابع اهتم بالحضارة القرطاجية في

<sup>1</sup> محمد البشير شنيبي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب وسياسة الرومنة 146 ق.م. 40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط2، ص

10

<sup>2</sup> رشيد باقة، الموضوعية في الكتابة التاريخية حول الجزائر بين المدرية الكلاسيكية والمدرسة الحديثة، مجلة الآداب والحضارة الاسلامية، تصدرها

كلية الآداب والحضارة الاسلامية جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة الجزائر، 2003، ص 55

<sup>3</sup> علاوة عمارة، الهجرة الهلالية اشكالية انحطاط حضارة المغرب الاسلامي الوسيط، مجلة كلية الآداب الاسلامية، قسنطينة الجزائر، 2004، ص

39

<sup>4</sup> احميدة عميراوي، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2004، ط2، ص 11

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

جانباها الاقتصادي والديني، وخصّص الجزء الخامس للممالك المغربية القديمة، وتنظيماتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أما الجزء السادس فخصّصه للحياة المادية والثقافية والأخلاقية، ثمّ عرّج في الجزء السابع على الجمهورية الرومانية وملوك الاحتلال الروماني لبقية المقاطعات المغربية، اثر الاستيلاء على قرطاجنة سنة 146 ق.م<sup>1</sup>

ويعتبر كتابه هذا مؤلفا قيما وجامعا، يختلف عن الكتب التاريخية الأخرى، التي خصصت للحديث عن المراكز التجارية لقرطاجنة، بالإضافة لحياة الملوك وعصورهم، في الوقت الذي أغفلت فيه السكان الأصليين وحضارتهم، هذا النقص الذي استدركه اذ زال في كتابه هذا الذي وُصف بالموسوعة<sup>2</sup> فلقد أتى فيه على كل شاردة وواردة تتعلق بأخبار المغرب القديم، منذ أبكر العصور الى استكمال روما احتلالها لهذه البلاد، وهو عمل علمي رصين، يقول عنه محمد البشير شنيّتي: تُوج به حياته العلمية الحافلة بالعطاء النوعي، الذي ظل بعده رصيذا متينا يقتبس منه الدارسين ولا يستغني عنه المتخصصون<sup>3</sup>

عرّف قزال منطقة شمال إفريقيا في القديم قائلا: ان بلاد البربر جزء من الأبيض المتوسط الغربي، أكثر مما هي جزء من إفريقيا، فقد كانت لهما العلاقات الأكثر عددا، والأكثر غنا مع ايطاليا واسبانيا،<sup>4</sup> وفيما مضى كان الشمال الإفريقي ملتحما مع أوروبا، فمضيق جبل طارق يؤرخ انفتاحه لبداية عهد البلدين، كما أن تونس ربما كانت متصلة مع ايطاليا<sup>5</sup>

افتتح اقبال ايضا احد فصول كتابه السابق بتساؤل وهو كالأتي: هل تغير مناخ شمال افريقيا منذ العهود العتيقة؟ كثيرا ما القي هذا السؤال ولكن الأجوبة غير متفقة، ان شمال افريقيا أثناء قسم من

---

<sup>1</sup>عبد القادر صحراوي، تاريخ الجزائر في القديم من خلال كتابات ستيفان جزال (Stéphane Gzele)، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس - سيدي بلعباس، ع2، الجزائر، 2010، ص120

<sup>2</sup>المرجع السابق ص120

<sup>3</sup>محمد بشير شنيّتي، علم الآثار تاريخه مناهجه مفرداته، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2013، ص71

<sup>4</sup>ستيفان جزال، تاريخ شمال افريقيا القديم محمد النازي سعود، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ج1، ص48

<sup>5</sup>المرجع السابق، ج1 ص49

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

العهد الذي نكتب تاريخه، قد تمتع بازدهار زراعي كبير، لهذا يجب أن نعرف السبب الرسمي لهذا الازدهار هو أن المناخ كان أكثر موافقة للزراعة من المناخ الحالي؟ أو أنه يرجع على الخصوص لذكاء الناس ونشاطهم؟ هل يجب أن نكتفي بالتحسر على ماضٍ لن يعود؟ أو أننا على النقيض من ذلك نطلب منه فوائد تنفع في الزمن الراهن؟<sup>1</sup> فانتهي بعد دحض الحجج والأدلة المقدمة آنذاك للبرهنة على أن مناخ شمال إفريقيا، كان أكثر رطوبة في الحقبة القديمة مقارنة باليوم، للقول أن شمال إفريقيا القديم، كان خاضعا لمناخ شديد الشبه بالمناخ الحالي (مطلع القرن 20)، أن لم يكن مماثلا له، الجفاف في الصيف، والذي يمتد أحيانا طيلة السنة، والأمطار غير منتظمة التي غالبا ما تكون وابلة<sup>2</sup>

عارض شارل أندري جوليان ائزال في المظهر الجغرافي للبلاد، والمؤيدة لاستقرار مناخ شمال إفريقيا منذ 3000 سنة قائلا: ويبدو أن المظهر الجغرافي لم يتغير تغيرا محسوسا، منذ أن دخلت بلاد البربر في التاريخ... وفي الواقع لم يتغير المناخ هو أيضا وربما كان أكثر رطوبة مما عليه اليوم<sup>3</sup>

يعقب عبد الله العروي على نظرية ائزال بقوله: ان الخلفية السياسية واضحة في سؤال اغزال، والذي يقول ان علينا أن نعرف سبب الرخاء الذي عرفه شمال إفريقيا أثناء العهد الروماني، أهو الطقس الذي كان أكثر ملائمة للزراعة، أم هو نشاط وذكاء الانسان؟ هل لنا فقط أن نرثي ماضيا لن يعود أم هل نستطيع أن نستخلص منه دروسا تنفعنا في الحاضر؟ ضلت هذه الإشكالات تطرح نفسها على مؤرخي الاستعمار الفرنسي حتى قبل الحرب العالمية الثانية، وكانوا يجيبون عنها، يجب ائزال عنها بتحفظ أن الطقس لم يتغير تغيرا محسوسا، ليرد العروي عليه قائلا: وهو قول يتفق مع ميولهم السياسية حيث يتماشي مع إيمانهم بأن فرنسا وريثة رسالة روما الحضارية<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ج1، ص 57

<sup>2</sup> علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإسلامية قسنطينة، 2004، ص39

<sup>3</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء الى الفتح الاسلامي، ج1، ص27

<sup>4</sup> عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط5، دس ن، ج1، ص42



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

اصدر ائزال ايضا جملة من الأحكام، انطلاقا من أفكار مسبقة، ومن خلال هذا الكتاب يورد ان قرطاجنة هي التي حظرت السكان الأصليين، الذين لا يعدوا ان يكونوا في نظره أهالي لاستقبال القرآن باعتباره كتابا وقانونا مقدسا، في الوقت الذي نعلم فيه الفرق الزمني الكبير، الذي يفصل بين قيام الإمبراطورية القرطاجية منذ تأسيسها في 814 ق.م، والفتح الإسلامي للمنطقة في القرن 7 م، واذ يعتبر الملك ماسينيسا قائد عصاة مغامرات، أقحم نفسه في وضع ميؤوس منه،<sup>1</sup> في حين يرى غابريال كامبس ان ماسينيسا كان ملكا عظيما وسياسيا ماهرا، وكانت له رؤية واضحة لوضعه الحقيقي كملك تابع، وهو ما كان يسمى في ذلك العهد، صديق وحليف للشعب الروماني، فمثلا لما قرر ماسينيسا سنة 148 ق م، استدعاء سكييون امليان (Scipion Emilien)، للتشاور معه في تقرير امر خلافته، وذلك قبل وفاته، ولما ادرك ان الروماني سيصل متأخرا، قرر ان يترك له اتخاذ الإجراءات التي يقدر انها الأحسن، كما كتب اغزال: **لقد أنهى حياته بنوع من الاعتراف بان مقادير نوميديا تعتمد على الرومان**<sup>2</sup>

عند تطرقه(ائزال) للنظام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي للممالك المغاربية، أشار إلى القبائل والشعوب التي شكلتها، واعتبرها مجرد قبائل متناحرة، وفوضوية، ليست قادرة على تحقيق وحدتها، او التعاون فيما بينها، في حين انه مجّد الرومان، الذين حققوا حسبه الوحدة الطبيعية، والبشرية للمنطقة، مغفلا عن قصد وحدة الجزائر في القديم على يد الملك ماسينيسا<sup>3</sup>

كما اعتبر سكان المنطقة، اي الأفارقة الشماليين، قوم لا يملكون مصيرهم بأيديهم، ذلك أنهم ضيقوا الأفاق، كما ان رفضهم الخضوع لقانون موحد، منعهم من لعب دور تاريخي كبير، ومن البقاء أحرارا مدة طويلة، ومن

<sup>1</sup> عبد القادر صحراوي، مرجع سابق، ص.121.

<sup>2</sup> ج.كامبس، البربر الذاكرة والهوية، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة الدراسات المترجمة 44، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية الشعبية العظمى، 2005، ص.191

<sup>3</sup> يذكر امحمد مالكي ان الروايات التاريخية التي تخص ملوك الجزائر القدماء مثل غايا ماسينيسا ويوغرطة وبوبا الثاني وحنبل وتكفرياس، والتي ذكرها غزال وشارل اندري جوليان وغيرهم لم تكن من ابداعهم واكتشافاتهم التاريخية، بل يعود الفضل فيها الى من سبقوهم مثل سالوست، وتيت ليف وبوليبيوس، وبيان الذين وافوهم بأخبار تخص حياتهم واحوالهم وحروبهم وعلاقاتهم الجهوية والدولية، بنظر امحمد مالكي، صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، اعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي 2-3 جويلية 2006، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص، ص 171

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

ثم لا بد على الأجنب ان يفرضوا على شعب المنطقة النظام والسلم،<sup>1</sup> ووصف سكانها ايضا بالعجز والتبعية للخارج بقوله: فأهلها كانوا غير قادرين على جمع كل قواهم في كتلة واحدة، وعلى تأسيس امبراطورية وعلى خلق حضارة خاصة بهم، ولذلك تقبلوا أو تحملوا السیادات المادية والتأثيرات الاجتماعية التي تقدمت اليهم على التعاقب، بل انهم ساهموا في نشرها<sup>2</sup>

الملاحظ من هذا الطرح لقرال هو تحيزه للفكر الاستعماري، وخدمته للمصالح الفرنسية، من خلال محاولته إعطاء الدوافع، والمبررات لاحتلالها الجزائر، وذلك من خلال ربط بين الاحتلالين الروماني والفرنسي، ليصل الى نتيجة مفادها ان الوضع الطبيعي للجزائر هو وجودها في نطاق فرنسي أوروبي<sup>3</sup>

مختتما فصل كتابه السابق، باستنتاج جغرافي، شدد فيه على مدى افتقاد الشمال الأفريقي طابع التجانس في جغرافيته، ومقارنا اذا كانت المناطق التي منها تتكون فرنسا مختلفة ومتباينة جدا، فمع ذلك تتمحور حول قطب مركزي، ويقول بان فرنسا بلد التجانس والتوازن، وهو ما لا نجد في بلاد البربر، ليضيف: ولم يعرف الشمال الأفريقي في العهود القديمة مطلقا الوحدة السياسية، والإدارية، كما عرفها وادي النيل والسهول العراقية المفتوحة، كما أن سادة الشمال الأفريقي لم يتمكنوا ابدا من جعل استيلائهم مقبولا بصفة نهائية وشاملة، بل حتى الملوك الذين كانوا على رأس الممالك الكبيرة المورية والنوميديية يظهر أنهم لم يكونوا مطلقي الأيدي في حكمهم كما يدعون<sup>4</sup>

فبهذا القول يريد اقرال إثبات انه لم تتوفر أبدا لشمال افريقيا خلال العهد القديم وحدة سياسية وإدارية كاملة، على غرار وادي النيل أو سهل حضر موت<sup>5</sup> وبرهن في موضع آخر على ذلك، وبمساعدة "غوتي بالقول: ان الوضع الطبيعي للجزائر، لا يساعد على قيام كيان سياسي مستقل، او موحد، او على نمو حضارة متميزة، فالامتداد العرضي بمحاذاة البحر المتوسط، والتناظر الإقليمي الناتج على شكل التضاريس بين

<sup>1</sup> عبد القادر صحراوي، تاريخ، مرجع سابق، ص. 121.

<sup>2</sup> ستيفان غزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، مرجع سابق، ج1، ص55

<sup>3</sup> محمد الملي، مرجع سابق، ص. 63.

<sup>4</sup> ستيفان غزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، مصدر سابق، ج1، ص 44

<sup>5</sup> أمحمد مالكي، مرجع سابق، ص 171

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

جهات المغرب، وانعدام الإقليم المركزي، الذي يكون محورا جغرافيا للبلاد، كما هو الشأن في فرنسا مثلا، كلها عوامل تتناقض والوحدة الجغرافية التي يمكن ان تنشأ على أديمها امة وحضارة<sup>1</sup>

وقد حدا هذا الشكل (Gautier) الى صياغة نظريات حول ما أسموه باللجنة الجغرافية التي أصابت البلاد في نظرهم، فجعلتها قاصرة عن تحقيق الوحدة السياسية عبر تاريخها الطويل، وفي هذا يقول غوتي: ان البنية الجغرافية أثرها الفعال في تاريخ المغرب، وهي التي فرضت عليه حالة دائمة من العجز السياسي، ويضيف مؤكدا بأن المغرب لم يتمكن من الوصول الى الوحدة السياسية<sup>2</sup>

ويفسر جوليان (Julien) هذا العائق الجغرافي بأنه يتمثل في التجزؤ الجغرافي، وصعوبة المواصلات، وانعدام الأودية الواصلة بعضها الى بعض، وعدم صلاحية الأنهار، وعداء البحر، وقلة الأراضي النافعة، كما أنه لخص مسؤولية هذا الاخفاق السياسي المزعوم فيما اسماه بالصراع الدائم بين البدو والحضر، الذي لم ينته بفوز واحد على الآخر، ويضيف بان هذه الثنائية التي تعذر القضاء عليها، هي التي تعلق في الظاهر كيف ان بلاد البربر، كان لها دائما أسياد أجنب، يعلق شنييتي على مثل هذه الأقوال ب: والحقيقة ان هذا الرأي يرمي الى إقناع القارئ بفكرة القصور الذاتي لإنسان المغربي من اجل تبرير التبعية السياسية التي أوجزها غوتي في عبارة الظلام الأبدي<sup>3</sup>

### 2.1. أسباب إخفاق الرومان في نظر المستشرقين الفرنسيين

في تاريخهم للتواجد الروماني في بلاد المغرب، يلجأ جميعهم باستمرار الى الافتراضات والتخيلات، ويستترون وراء الأحكام السياسية، والأخلاقية، ليخفوا ضحالة ما لديهم من معلومات يقينية، فنجد عند الجميع عرضا سياسيا يخضع لسؤال واحد: لماذا أخفقت روما؟ فيحسب الجواب يتحدد منظوران مميّزان: من يرى أن الإخفاق كان خطأ سياسيا اختياريا ارتكبه الرومان، ينتهي الى نظر نسميها استعمارية، ومن يرى أن السبب كان اجتماعيا ناتجا عن تناقضات طبقية حتمية، لم يكن في مقدور روما أن تتغلب عليها<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد البشير شنييتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، سياسة الرومنة 146 ق.م. 40م، مرجع سابق، ص 10.

<sup>2</sup> ستيفان غزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، مرجع سابق، ص 6

<sup>3</sup> المرجع سابق ص 6

<sup>4</sup> عبد الله العروي، مرجع سابق، ص 83

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

كانت النظرة الأولى الاستعمارية هي المتغلبة لأنها معهودة، فاذا تعلق الأمر بسبب فشل الرومان، ونهاية عهدهم في بلاد المغرب، فانهم يفسرونه بأمرين: الأول نفسانية البربر، والآخر في أخطاء السياسة الرومانية،<sup>1</sup> يقول ألبرتيني في هذا السياق: ان روما لم تحتل كل من كان عليها أن تحتله، ولم تعمر البلاد بما فيه الكفاية، حيث أن أي سد أمني يشيده الانسان، لا يصمد أمام الهجمات المتكررة، ثم في مرحلة لاحقة راحوا يتساءلون: هل كان ممكنا نجاح مهمة روما؟ كتب اغزال في خاتمة تأريخه الطويل وفكرة لا تفارق مغرب القرن العشرين: ان الاحتلال العسكري غير كاف لابد من اجتذاب النفوس، فويل لولاية المغرب ان هم أهملوا هذه الحقيقة،<sup>2</sup> وان الرومان جاؤوا الى إفريقيا الشمالية بحضارة عالية، لكن لم يستطيعوا إقناع الفرد المغربي بجداهاها، وفي هذه النقطة بالتحديد نجد ان كامبس قد خالف معظم المؤرخين بشأن رؤيتهم لعلاقة الرومان بالبربر فيقول: فما كان المجتمع الروماني في هذه المنطقة بالمجتمع الاستعماري المنغلق في وجه البربر، على الرغم من كثرة الحروب التي جمعتهم بهم، بل كان مجتمعا منفتحا، قد احتضن البربر وأتاح لهم فيه سبيل الترقى الاجتماعي وحتى السياسي<sup>3</sup>

كلما تقدمنا في القرن 20م، لاحظنا ان المؤرخين الفرنسيين يؤكدون أكثر فأكثر على ان روما لم تحقق لانها ارتكبت أخطاء إدارية عارضة، بل لأسباب عميقة، تتعلق بذهنية البربر، التي تختلف اختلافا جوهريا عن الذهنية الفرنسية،<sup>4</sup> ومنهم من يرجع فشل سياسة الرومنة في شمال إفريقيا، الى عجز روما عن التوغل في المناطق الجبلية، والتي كانت عبارة عن بؤر للهمجية، كأراء المستشرق كورتوا، لكن كامبس يرجعها لأسباب وعوامل اجتماعية، وسياسية عديدة، فيقول في هذا الصدد: فما كانت إفريقيا الرومانية بالإمبراطورية الواحدة الموحدة، بل كانت مجموعة من المقاطعات المتميزة أوضاعا، والمتباينة ساكنات، والمتخالفة النوازع والمصالح ويضيف: فما انحرف في عملية الرومنة وما قبل بنزعة اللتنة غير النخبة المحظوظة من البربر الأفرقة، بينما قابلها السواد الأعظم منهم بالممانعة والرفض<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ج1ص85

<sup>2</sup> عبد الله العروي، مرجع سابق، ج1ص85

<sup>3</sup> غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2014، ص20

<sup>4</sup> عبد الله العروي، مرجع سابق، ص86

<sup>5</sup> غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، تر عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2014، ص21

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

كانت دراسات المغرب القديم الى غاية الحرب العالمية الأولى مرتبطة بالكلاسيكيات ( أي الأدبيات اليونانية والرومانية)، وكان ستيفان اغزال هو شيخ المغرب القديم في تلك الفترة، وكانت نتائج الحفريات التي تقدمت مناهجها تقدما باهرا في أوروبا، وطبقت في شمال أفريقيا، لا تستعمل الا لمراجعة، وتدقيق المعطيات الأولية، التي كانت تحتل دائما المرتبة الأولى سنة 1930<sup>1</sup> ثم دخلت دراسات المغرب القديم طورا جديدا عندما حل ليونيل بالو محل اقزال، فحصل التغيير العام، وقدمت الوثيقة الأثرية على الوثيقة الأولية، غير أن الاتجاهين كانا يخضعان معا للخلفيات الايديولوجية نفسها

وفي هذه المرحلة ظهر اهتمام بتاريخ المغرب القديم والتركيز خاصة على الفترة الرومانية خاصة التاريخ العسكري والاداري فنشر (R.Gagnant) دراسة بعنوان l'armée romaine d'Afrique et: l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs (Pallu.De.Pessert) ودراسة (Fastes des Provinces Africaines Maurétanie Proconsulaire)، ونشر مونسو بعنوان (P.Monceaux) كتابه (les écrivains païens d'origine africaines):الكتاب الوثنيون من اصل افريقي<sup>2</sup>

كما الف كرستيان كورتوا (Christian courtois) كتاب الوندال وإفريقيا، الذي تتبع فيه القبائل الجرمانية منذ خروجها من قرية وندل بالبلاد الاسكندنافية، وهيمنتها على وسط أوروبا، ودخولها غالة، وصولا الى سهول الاندلس واندالوسيا، وظروف دخولها بلاد المغرب سنة 492م، بعد ان تعرضت بلاد المغرب أواخر أيام الاحتلال الروماني لقساوة الضرائب، والاضطهادات الدينية، مما مهد للتقارب الوندالي المغربي، وهو التقارب الذي سمح للاهالي بالمشاركة في الحملات الوندالية، على جزر البليار، كورسيكا، صقلية وخاصة على روما 274م<sup>3</sup>

<sup>1</sup>عبد الله العروي، مرجع سابق، ص 41

<sup>2</sup>E. Albertini. l'Algérie antique livre d'histoire et l'historien de l'algérien, collection de centenaire de l'Algérie 1830\_1930, librairie Felix alcon. Paris,1930, p99

<sup>3</sup>محمد الهادي حارش، واقع الدراسات التاريخية والاثريّة في الجزائر مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر 2013، ع 17،

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

نجد ايضا أعمال كل من ديهل افريقيا البيزنطية، وكتابه تاريخ السيطرة البيزنطية في افريقيا (533-709)، حيث أحاط هذا الكتاب بظروف افريقيا تحت الحكم الوندالي: l'Afrique byzantine 1896، وكامبس ايضا، الذي تناول في كتابه، اصول البربر، المباني، والعادات الجنائزية وماسينيسا وبدايات التاريخ، وفي الكتاب التالي يتحدث فيه عن الافارقة سياسيا :

-G.camps .aux origines de la berbère. monument et rites funéraires- protohistorique et arts et métiers graphiques

-G.camps. aux origines de la berbère . Massinissa ou les débuts de l'histoire

واغزال مثلا الذي يملك لوحده اكثر من 200 عمل في التاريخ القديم، وغيره كثر من المستشرقين<sup>1</sup>

يقول محمد البشير شنيبي: اعتاد مؤرخو العهود القديمة لشمال إفريقيا على الاهتمام بحياة الرومان فيها، وليس التأريخ للبلاد بما فيها العنصران الروماني والمغربي، كل ونصيبه في الأحداث، ويتابع قائلاً: فنحن نلاحظ أن اغلب الموضوعات المشبعة بحثا هي تلك التي تبرز النسيج التاريخي للدولة الرومانية، وفعالية شعبها في الإطار الجغرافي الذي تستعمله حدود الإمبراطورية، وسادت قناعة لدى مؤرخي هذه الإمبراطورية في جميع مقاطعاتها، أن ما يحدد البحث فيه والتأريخ له هو الفعل الروماني لمختلف مضامينه من عمل عسكري، ليكرس الاحتلال والسيادة الرومانية في بلاد الآخرين<sup>2</sup>.

وفي الاخير وختاما لما سبق نلاحظ ان المستشرقين الفرنسيين اهتموا اكثر في دراساتهم التاريخية عن البحث في الفترة السابقة لما دخول الاسلام إلى الجزائر، خاصة فترة العهد الروماني، وذلك حتى يرسخوا في أذهان الجزائريين بأنهم قبل أن يصبحوا مسلمين كانوا مسيحيين، وهذا هو هدفهم الاساس على تلك الحقبة

<sup>1</sup>محمد الهادي حارش، مرجع السابق، صص 275-276

<sup>2</sup>محمد البشير شنيبي الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 7

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

### 2.المبحث الثاني: تاريخ الجزائر في الفترة الوسيطة

#### 1.2الفتح الإسلامي

تعد مرحلة العصر الوسيط في تاريخ المغرب، من أكثر المراحل التي وقع بشأنها تضارب في الآراء، واختلاف في وجهات النظر، بين مؤرخي الغرب الأوروبي، ومؤرخي المغرب الإسلامي، ومما زاد في اتساع دائرة الخلاف بين الفريقين، التحولات الجذرية التي غيرت مسار تاريخ شمال إفريقيا بأسرها، خلال تلك المرحلة، ترتب عنها خروج المنطقة من دائرة الحضارة الإغريقية، والرومانية، وانطوائها تحت لواء الحضارة الجديدة، هي الحضارة العربية الإسلامية<sup>1</sup>

ان كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب تقتضي الرجوع الى اعمالهم والى المصادر التي استفادوا منها ومن المؤلفات التي اهتمت بهذا الموضوع نذكر:<sup>2</sup>

Terrasse(H).histoire du maroc T1 II

Julien (Ch.A) histoire de l'Afrique du nord T.II

Gautier (E.F) ,le passé de l'Afrique du nord

Marçais(G),la berbéris musulmane et l'orient au moyen Age

Mercier(E) ,histoire de l'établissement en arabes dans l'Afrique septentrional

ولقد جاء اهتمامهم بأحداث الشمال الافريقي في الفترة الوسيطة ليبين :

1. معرفة الظروف التي أحاطت بانحزام الحضارة الغربية في هذه المنطقة وتراجعها أمام حضارة الاسلام، وذلك بهدف استخلاص الدروس التي قد تفيدهم في تثبيت أقدامهم بها وقد نجحوا في السيطرة عليها من جديد .

<sup>1</sup>رشيد باقة، مرجع سابق، ص 57

<sup>2</sup>محمد بن عميرة، حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، مج 3 ع 2، ص 69

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

2. البحث عن نقاط ضعف أو عن وقائع مشبوهة في تاريخ الفتح الإسلامي بمنطقة شمال إفريقيا، لاستغلالها للدعاية، وتشويه صورة الإسلام، بهدف تمهيد الطريق لإلحاق المنطقة من جديد بركب الحضارة الغربية، خاصة وأنها أصبحت خاضعة سياسيا، وبقي دمجها حضاريا عن طريق مسخ شخصيتها<sup>1</sup>.

يعتبر المستشرقون التوسع الإسلامي غزوا عربيا (conquête arabe)، لتنتزع الأرض الإفريقية من أصحابها بالقوة والعنف، ويستدلون على رأيهم بالمقاومة الطويلة، التي جابهت بها قبائل البربر الغزاة العرب لفترة تصل الى قرابة قرن من الزمن،<sup>2</sup> ويؤكد تلك المدة المستشرق ج.مارسي بقوله: فضم بلاد البربر والذي بدأ في 647م (27هـ)، لم يتحقق الا حوالي 710م (92هـ)، لقد لزم حوالي 53 عاما، للحصول على نتيجة غير أكيدة، لان كثيرا من الصعوبات، والمشاكل بدأت تظهر بعد ذلك، ولن تنتهي هذه الصعوبات إلا مع بداية القرن التاسع (3هـ)، بعد أكثر من 150 عاما من القتال، والصراع الخفي، لقد استرجع البربر البلاد بأكملها مرتان، الأولى في أواخر القرن 7هـ، والثانية في منتصف القرن 8هـ، وقد فرض على العرب اعادة كل شيء مرتين<sup>3</sup>

ركزت الكتابات الاستشراقية الفرنسية ايضا على الروايات الأسطورية، بتصوير القادة الفاتحين، كسفّاحين، وناهبين لخيرات المجتمعات القبلية البربرية، وركزت أيضا على الهجرة الهلالية، والتهويل من دورها في تخريب بلاد المغرب، وأول من قام بنشر هذه الأفكار العنصرية "ارنست مرسيني (Ernest Mercier) في كتابه الأول الصادر عام 1875، بعنوان "تاريخ استقرار العرب بإفريقيا الساحلية"، من خلال وثائق المؤلفين العرب وعلى الخصوص تاريخ البربر لابن خلدون<sup>4</sup>

<sup>1</sup> رشيد باقة مرجع سابق ص 58

<sup>2</sup> المرجع سابق ص 59

<sup>3</sup> جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، نشأة المعارف الاسكندرية مصر، 1991، ص 31

<sup>4</sup> علاوة عمارة، "الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر"، مجلة المواقف الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطبوليمعسكر، ع3، الجزائر، ديسمبر 2008، ص 94.



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

والذي تساءل فيه، كيف تحولت شمال إفريقيا من ارض بربرية الى ارض عربية؟ وعلى المرء ان يحدد الفترة، او الفترات التي دخل فيها العرب البلاد؟ ويتبع مسار الغزوات، وعلينا ان نشير الى المقاومة التي واجهوها من السكان الاصليين،<sup>1</sup> وبين فيه كيفية استقرار العرب في المنطقة، وكيف تحولت بلاد البربر، ودخلت في فلك الحضارة الإسلامية؟<sup>2</sup>

واما كتابه الثاني والذي طبع سنة 1888، بعنوان (تاريخ إفريقيا الساحلية من الأزمنة البعيدة الى الفتح الإسلامي)،<sup>3</sup> فقد كان ملما خاصة بتاريخ الجزائر منذ الفترة القديمة، الى غاية الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830، كما حاول تأكيد بعض الفرضيات، التي تروج بان أصول البربر هندو-اوروبية، وأشار إلى الفترة الرومانية التي من خلالها عرفت المنطقة ازدهار بفضل سياسية أباطرتها، الذين حاولوا تنظيم، ودمج هذه المنطقة، واحتوائها ضمن حضارتهم، كما حاولت دمج الإنسان البربري، من خلال منحه حق المواطنة لجعله عنصرا فعالا داخل المجتمع الروماني.<sup>4</sup>

يطلق المستشرق الفرنسي غوتي على الفترة الوسيطة لبلاد المغرب (شمال إفريقيا) مصطلح العصور المظلمة، وهي بالنسبة له، هي الهوة الفاصلة بين نهاية الإمبراطورية الرومانية، والعصور الحديثة، فيقول: ففي هذه الفترة نرى المغرب يغرد خارج سربه، وكأنه فوق كرة أرضية أخرى ارض المسلمين،<sup>5</sup> ويضيف: انه تاريخ خاو جاف، بل أقول صحراء قاحلة، لا يُعرف أولها من آخرها،<sup>6</sup> ويسترسل في حديثه عن انهيار المسيحية، وقيام الإسلام، وكيفية تقبل البربر لهذا الدين رغم أنهم شعب قوي مهاب الجانب، كثير العدد، شأن شأن الشعوب الأخرى، كالعرب، والفرس، والإغريق، والرومان، وكيف احمي اسمهم من البلاد البربرية بدخول الإسلام، ليقول في الاخير بانّ هذه هي المعضلة الرئيسة في مجمل تاريخ المغرب<sup>7</sup>

<sup>1</sup>Ernest Mercier, Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique Septentrional, Constantine, libraire juillet-saint-Alger, 1875, p3

<sup>2</sup>كريم بوترة، مرجع سابق، ص. 352.

<sup>3</sup>علاوة عمارة، مرجع سابق، ص. 94.

<sup>4</sup>كريم بوترة، مرجع سابق، ص. 353.

<sup>5</sup>أميل فليكس غوتي، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسني، الناشر الفرغاني، طرابلس ليبيا، 1970، ص 75

<sup>6</sup>المرجع السابق، ص 77-78

<sup>7</sup>المرجع السابق، ص 174

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

اما تفسيره للفظه " القرون المظلمة " لأنها كانت قرونا مجهولة، لم يهتم فيها المسلمون بالتاريخ، فهم في نظره همجيون لم يظهروا واجب الاطلاع العلمي، إلا في أيام الدولة العباسية، عندما اضمحل نجم العنصر العربي، وحل محله العنصر الفارسي الممثل للمدنية والحضارة،<sup>1</sup> وقد وافقه في هذا الادعاء ستيفان اغزال حيث قال عن العهد الإسلامي من الفتح العربي الى غاية 1500م: ان الباحث يدخل في "ظلام دامس" لعدم وجود الوثائق الصحيحة والمعاصرة،<sup>2</sup> يعلق هنري لورنس عن هذه النظريات بقوله: فهذه هي نظرة اغلب المستشرقين الفرنسيين للعصر الاسلامي، والذين كانوا معادين للعصر الوسيط، وليست نظرة غوتي وحده<sup>3</sup>

كتب غوتي عن نتائج الفتح العربي قائلا: ان نتائج الفتح العربي بعد مرور 12 قرنا، تبث على الدهشة، لان المغرب استعرب على نطاق واسع، كما تغلغل الإسلام في أحشائه، وشمل مجموع أجزائه، وقلما أحرزت الفتوحات في تاريخ المعمور مثل هذا النجاح، ويضيف متاسفا عن التوافق الذي حصل بين البربر والعرب بقوله: اننا نلاحظ على مجموع تاريخ المغرب تجاذبا بين الرحل البربر والعرب، ذلك ان تشابه مناهج الحياة والعواطف الجوهرية أقوى من اختلاف اللغات<sup>4</sup>

استمرت كتابات هؤلاء المستشرقين الفرنسيين المعادية للعرب في بداية القرن العشرين، فمثلا تطرق الجنرال "دوبالي" في كتابه "قلعة بني حماد عاصمة بربرية لإفريقيا الشمالية في القرن 11" إلى الهجرة الهلالية وحمّلها مسؤولية أفول وزوال حضارة القلعة الحمادية.<sup>5</sup>

اما بالنسبة للمستشرق جورج مارسي (G.marçais) المتخصص في التاريخ الاسلامي، فقد الف عددا كبيرا من الكتب، والمقالات، بلغ مالا يقل عن 30 كتابا وأكثر من 150 بحثا، ومقالات منشورا في عدد من الدوريات العلمية المرموقة، وتجسدت أبحاثه التاريخية في عمليتين مهمين: اولهما رسالته التي أعدها سنة

<sup>1</sup> ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص. 163.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق ن ص. 27.

<sup>3</sup> هنري لورنس، تاملات في الشرق تقاليد الاستشراق الفرنسي والالمانى وحاضره، مرجع سابق، ص 13

<sup>4</sup> عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، د س ن، ص 30

<sup>5</sup> علاوة عمارة، مرجع سابق، ص. 95.

<sup>6</sup> جورج مارسي 1876-1962 وليد مدينة Rennes بفرنسا، شغل في سنة 1919 اول كرسي لعلم الآثار الإسلامية بجامعة الجزائر، وفي سنة 1929، أصبح مدير متحف الآثار والفتون الإسلامية، ثم مدير معهد الدراسات الشرقية بالجزائر، كان مع الانفتاح لكن ضد استقلال الجزائر

وكان إلى آخر أيامه مع فكرة الجزائر فرنسية، للمزيد انظر: Abderrahmane Bouchène et d'autre , histoire de l'Algérie coloniale 1830-1962 , édition la découverte , paris , 2012 , p.285.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

1943 لتيل درجة الدكتوراه عن تاريخ العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر وحتى القرن الرابع عشر، والآخر كتابه عن بلاد البربر الإسلامية، والمشرق في القرون الوسطى، الذي نشره سنة 1946<sup>1</sup>

ومن كتبه عن الجزائر: اللباس الإسلامية في مدينة الجزائر سنة 1930 *Le Costume Musulman*، وكتابه عن الفن الإسلامي في الجزائر (*l'Art Musulman en Algérie*) سنة 1931، وكتابه الجزائر المسلمة: أطلس تاريخي جغرافي اقتصادي سنة 1934 (*l'Algérie Musulmane, Atlas Historique Géographique et économique*)، وكتابه مدينة الجزائر البربرية (*Alger barbaresque*) سنة 1937<sup>2</sup>

وأما عن نظرتة فهي لا تختلف عن سابقيه، ونحاول التركيز على أحد كتبه (*Les Arabes en Berbérie Du XIe Au XIVE*)، والذي يبين لنا بوضوح الأهداف التي كان يصبوا إليها إذ يقول: وبلاد البربر لا يبدو أن في إمكانها التقدم بوسائلها الخاصة، بل يجب عليها أن تضع نفسها وراء عربة أخرى لتجرها، فإن قضاء وقدر يمنعها من أن تكون إلا تابعة أو خاضعة لغيرها، فهي مستودع لقوى لا التحام بينها، وبالتالي فهي تحتاج إلى تلقي النفوذ الموجه من الخارج، من الفينيقيين، أو من الرومان، أو من الشرق أو من إسبانيا .

الملاحظ من نظرة جورج مارسلي أنه لم يصنف فرنسا إلى قائمة مصادر النفوذ المحتملة، ولكن ذلك مفهوم ضمناً وبحكم الأمر الواقع<sup>3</sup>! ويرى ذات المستشرق، أن العرب اعتبروا بلاد المغرب بمثابة أرض للغنائم وللأحجار الكريمة، وأن العمليات الأولى للفتح بمثابة حلقة من عمليات النهب،<sup>4</sup> في حين يذهب أخوه المستشرق وليام مارسلي إلى اعتبار الفتح العربي الإسلامي، والتوسع التركي خلال القرن 16م حالتان غزا فيهما الشرق هذا الجزء من الغرب.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمد لطفي الزليطني، جورج مارسلي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المغرب، 2020، ص 31-32

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 34

<sup>3</sup> إسماعيل العربي، "مساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح أساساً لتنمية تاريخنا القومي"، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 14-15، قسنطينة-الجزائر، 1973، ص 196.

<sup>4</sup> علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بن عكنون-الجزائر، 2008، ص 51.

<sup>5</sup> محمد الميلي نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 14-15، قسنطينة - الجزائر، 1973، ص 63.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

وكتب كورتوا سنة 1942 أيضا مقالا بعنوان: افريقيا من روما الى الإسلام<sup>1</sup> (De Rome à l'islam)، يجد فيه القارئ قائمة كاملة لتلك الأسئلة المصطنعة التعسفية، لماذا اسلم المغرب وتخلّى عن الحضارة الرومانية؟ لان الصحراء جفت...أو أن الحمل ادخل الى المنطقة؟ او لان البدو الرحل انتشروا في ربوع البلاد؟ أو أن الذهنية البونيقية علقّت بعقول البربر؟ او لان البربر يحبون بطبعهم الفوضى؟ أو لأن هذه العناصر البيئية عملت مجتمعة على تقويض أركان الوجود الروماني منذ القرن الاول تمهيدا لانتصار الإسلام؟<sup>2</sup>

والقارئ لهذا المقال يلاحظ تهميشه لحركة الفتوحات الإسلامية، واكتفى بإبراز دور المقاومة البربرية فقط قائلا: بعد نصف قرن من المقاومة البطلة تقبل البربر الحضارة الجديدة، كما فعلوا مع روما من قبل،<sup>3</sup> وكأنه يريد ان ينوه إلى ان تاريخ بلاد البربر، ليس سوى تاريخ للتعاقب الأجنبي، وتواصله تواسلا طبيعيا قد استؤنف على يد الفرنسيين.<sup>4</sup>

يقول اوجين البرتيني كان لشمال إفريقيا حضور في العصور القديمة، في عالم البحر الأبيض المتوسط، وذلك بفضل قرطاجة اولا، ثم بفضل روما على وجه الخصوص، فقد تم ضمها(قرطاجة) الى الإمبراطورية الرومانية، وكانت لها علاقات ولقرون عديدة مع أوروبا الغربية، كإيطاليا وبلاد الغال واسبانيا، وعند دخول الإسلام الى شمال إفريقيا انقطعت عن ماضيها، وأصبحت بالنسبة لدول البحر الأبيض المتوسط أجنبية، وعدوة في نفس الوقت، ومعزولة أيضا منذ القرن 7م، وذلك بسبب اللغة، والدين، والحالة السياسية<sup>5</sup>

وافتح غابريال كامبس مقاله، والطبي صاغه على شكل سؤال ( كيف أصبحت بلاد البربر المغرب العربي (comment la Berbère est devenue le Maghreb arabe) ) ومن خلاله يقول: إفريقيا التي كانت في أواخر العصر القديم تابعة بكل تأكيد للعالم المسيحي والمجموعة اللاتينية، هي اليوم دول مسلمة تعلن انتماءها المزدوج للمجتمع الإسلامي والعالم العربي، ومن الغريب ان هذا التحول الثقافي الذي يمكن

<sup>1</sup>Christian Courtois, De Rome à l'islam, revue africaine ,Adolph Jourdan, Alger 1942,V86 P24,55

<sup>2</sup>عبد الله العروي, مرجع سابق, ص 131

<sup>3</sup> علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 52.

<sup>4</sup> محمد البشير شنيبي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 9.

<sup>5</sup>E.Albertini, l'Algérie Antique, livre de histoire et l'histoire de l'Algérie ,collection du centenaire de l'Algérie 1830-1930,librairie Félix Alcan,Paris 1930,p89

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

اعتباره جذريا لم يرفق باي تغيير اثني هام، إنهم نفس الرجال هؤلاء البربر الذين كانوا يعتبرون أنفسهم روماناً، وصاروا اليوم يشعرون أنهم عرب، ويتساءل غابريال كامبس كيف يفسر هذا التحول الذي يظهر عميقاً وينسب مختلفة في دول دون غيرها؟ ليجيب عن هذا التساؤل قائلاً: يجب التمييز في المقام الأول بين مفهومين متقاربين جدا وهما الإسلام والعروبة، أحدهما ديني، والآخر اثني-اجتماعي، كان يمكن ان يسلم البربر مثل الفرس أو الأتراك، ويحافظوا على لغتهم وتنظيمهم الاجتماعي وثقافتهم... كما كانت بلادهم أكثر بعداً عن مهد الإسلام من بلاد تلك الشعوب<sup>1</sup>

ومن جهة كيف نفسر ان المقاطعات الرومانية في إفريقيا التي مسّحت (évangélisées) بنفس الوتيرة التي مسّحت بها مقاطعات الإمبراطورية الأخرى التي كانت تملك كنائس قوية، تحولت كلية الى الاسلام، في حين بقي سكان مسيحيون على أبواب شبه الجزيرة العربية مثل الأقباط بمصر، والمارونيين في لبنان، والنسطوريون واليعقوبيين في سوريا والعراق<sup>2</sup>

كما يجب التمييز بين الأسلمة (l'islamisation)، والتعريب (l'arabisation)، في الواقع تمت الأولى بوتيرة أكثر سرعة من الثانية، حيث أصبحت بلاد البربر مسلمة في اقل من قرنين 7-8م، في الوقت الذي لا تزال فيه حتى اليوم، وبعد 13 قرناً من الغزوة الأولى، غير معربة كلياً،<sup>3</sup> وأن القبائل الهلالية هي التي عربت جزءاً كبيراً من البربر<sup>4</sup>

وفي الأخير وكتقييم للدراسات السابقة، فإن الملاحظ في معظم الدراسات الاستشراقية الفرنسية الخاصة بهذه الفترة -الإسلامية- أنها تصب في اعتبار الفتح الإسلامي، والهجرة الهلالية، حدثان اخرجنا بلاد المغرب من صيرورتها التاريخية الغربية، وربطها بظلام الشرق، وجعلها تدخل عصر الانحطاط، فالفتح الإسلامي لم يكن سوى غزوا فرض الدين الإسلامي بقوة السيف، والإكراه، وظاهرة عنيفة خربت تاريخ المغرب وعطلت مدنيته، وان الجزائر لم يحدث أبداً وان توحدت، وكانت دائماً خاضعة للمغربين .

<sup>1</sup> محمد الحبيب بيشاري موسى هواري، ترجمة لمقال غابريال كامبس (نشر سنة 1983) كيف أصبحت بلاد البربر المغرب العربي comment

laBerbère est devenue le Maghreb arabe? مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية جامعة الشهيد محمد خيضر، 2020، ع24، ص76

<sup>2</sup> المرجع السابق ص 77

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 86

<sup>4</sup> المرجع السابق ص 94

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

ويلاحظ ان مختلف المؤرخين الفرنسيين، يقتصرون على اختيار الروايات التي تمكنهم من أراء تنسجم واتجاهاتهم العقائدية، والسياسية، واهمال كل ما لا يتيح لهم ذلك، او من شأنه ان يسيء الى من يريدون لهم صورة حسنة، كالبيزنطيين او تحسين التي يريدون تشويهها، كصورة الفاتحين المسلمين، وهي مكتوبة بأسلوب عاطفي، يستشف من خلاله كراهية اصحابها للعنصر العربي، والدين الاسلامي، واشفاقهم على البربر وخاصة المسيحيين منهم<sup>1</sup>

اغتنم المؤرخون الفرنسيون فرصة قلة المعلومات بالنسبة للفترات القديمة، فقدموا افتراضات معتمدين على ادلة واهية، وموجهة كلها نحو تمجيد فترة التواجد الروماني، واستنقاص كل ما يتعلق بالاسلام والعرب، ومن الطرق التي انتهجها هؤلاء المؤرخون هو اعتمادهم على المصادر العربية القديمة، وقبول ما ورد فيها من قصص واساطير، واحلال ذلك محل الحقيقة التاريخية، ومخليين بذلك ببسط قواعد المنهجية العلمية السليمة، التي تدعو الى نقد المصادر عند استعمالها،<sup>2</sup> وقد نتج عن ذلك، ان ما كتبوه عن تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، يحمل طابع التعصب والتحيز فترة في معالجتهم للفتح الإسلامي، ولموقف الأهالي منه، وفي تطرقهم للتطور المذهبي والحياة الفكرية في مختلف الفترات، والصراع الذي خاضه المسلمون ضد المسيحية والصلبيين طابع العداء للعرب والإسلام<sup>3</sup>

يقول عبد الله العروي: عندما نراجع وقائع الفتح العربي، ونقارنها بأحداث الغزو الوندالي، والغزو البيزنطي، لا يمكن الا أن نتساءل: أي جديد في كل هذا؟ لا شيء فيه يدعوا الى الاستغراب، الغريب حقا هو تفنن الدارسين الغربيين في طرح مشكلات مصطنعة، فيقولون قاوم البربر الفاتحين العرب مقاومة عنيدة، أو لم يقاوموا بالشدة نفسها الوندال والبيزنطيين، كلما أرادوا تجاوز حدود ما اسميناه بالمخدع القرطاجي؟ ألا يهدف التشديد على صعوبات الفتح العربي التقليل من شأن صعوبات الغزو الفرنسي مع الفرق الهائل في العدد والعدة

<sup>1</sup>محمد بن عميرة، مرجع سابق، ص 79

<sup>2</sup>عبد الحميد حاجيات، موقف المدرسة الغربية من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مجلة الدراسات تاريخية، جامعة الجزائر، مج 3، ع 2، ص

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

؟ويأسف المؤرخون الغربيون لإخفاق روما، يذهلون لنجاح الإسلام، ان الانتقال من الرومنة الى العروبة، ومن النصرانية الى الإسلام فضيحة في نظرهم ما بعد فضيحة<sup>1</sup>

ان موضوع الفتح العربي هو العامل الحازم في أزمة إفريقيا الشمالية، قد وضعت دون ان تأخذ في الاعتبار سوى قسما فقط من المعلومات التي قدمها ابن خلدون، فالمؤرخون الحديثون الذين صاغوا هذه الموضوعة، أبقوا في الظل كل الوقائع التي لا تعمل لمصلحتهم، بيد أن الحقائق من جهة والإشارات التي وفرها ابن خلدون من جهة أخرى، تبقى غالبا متناقضة تماما مع موضوعة الفتح العربي<sup>2</sup>

ان التطور التاريخي الذي حلله ابن خلدون في بلد محدد هو إفريقيا الشمالية، وفي عصر معطى، قد شوهه المعقبين، وحولوه الى مفهوم عام للعالم، ينطبق على كل العصور وكل البلدان وفي القرن 20 خصوصا ما بين الحربين، حين استرعت مؤلفات ابن خلدون، وبشكل واسع المؤلفين (غوتي بشكل خاص)، واستخدموها خداعا من اجل محاولة تبرير الموضوعات العرقية، وإرساء الأيديولوجيات الكولونيالية<sup>3</sup>

يقول محمد الامين بلغيث في مقدمة كتابه فصل في التاريخ وال عمران بالغرب الإسلامي قوله :لقد استوقفتني بعض الهوامش، والظلال الخادعة، للمدرسة الاستشراقية، وعلى راسها كتابات فيليكس غوتي، خاصة كتابه القرون المظلمة لإفريقيا الشمالية، وحّد بشيء من العنجهية والتعالي، ان القرون التي سبقت الوجود الفرنسي كانت مظلمة<sup>4</sup>

### 2.2. الهجرات (الغزوة)<sup>5</sup> الهلالية

كانت الغزوات العربية الموضوع الأساسي لمؤرخي العصر الكولونيالي لتاريخ شمال إفريقيا منذ بداية القرن 19، وان الغزوة هي الحدث الحاسم، وقد كتب جورج مارسلي يقول: لقد أحست إفريقيا الشمالية بألم

<sup>1</sup>عبد الله العروي مرجع سابق، ص 13

<sup>2</sup>إيف لاکوست، ابن خلدون، العلامة ابن خلدون، مكتبة 374 الفارابي، بيروت لبنان، 1982، ص 129

<sup>3</sup>إيف لاکوست، مرجع السابق، ص 122

<sup>4</sup>محمد الامين بلغيث، فصول في التاريخ وال عمران بالغرب الاسلامي، ردمك انترسيني، الجزائر، 2007، ص 5

<sup>5</sup>هكذا يطلق عليها جل المستشرقين الفرنسيين (لفظة غزوة)

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

عميق وإلى الأبد بهذه النكبة، وكتب جوليان: همجية شعب بدوي مخرب هي الحدث الأهم في العصر الوسيط لبلاد المغرب وكتب غوتي النكبة الكبرى ونهاية العالم<sup>1</sup>

ويعد غوتي من أبرز هؤلاء المستشرقين مناوأة للبدو، فقد اعتبرهم على الدوام عنصر تخريب وفوضى، وثورة دائمة على كل سلطة منظمة قارة، فغوتي وصف بنو هلال بقوله " الذئاب العرب،<sup>2</sup> وذكر دخولهم بلاد المغرب بأنه كارثة أعظم من كارثة الخوارج التي حلت به، وأنه بقدمهم تفشت جرثومتهم بشكل فضيع في أنحاء البلاد<sup>3</sup>

وكذا شارل اندريه جوليان هذا حذو غوتي، ناعتا بني هلال بالتهابين، واصفا هجرتهم بأنها كانت بلا منازع أهم حدث عرفته بلاد المغرب أثناء القرون الوسطى<sup>4</sup>، وحملهم مسؤولية تحول اقتصاد افريقيا من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد رعوي، معللا ذلك بان قدومهم المنطقة تسبب في تعميم النمط البدوي الذي عمل على تحويل الأراضي المعدة لزراعة الحبوب، والخضر والأشجار المثمرة، إلى غير ما جعلت عليه واختفت قرى ومدن صغيرة، وخربت ولم تسلم إلا الأراضي الفلاحية الكائنة على طول الساحل، حول المدن الباقية، او داخل الجبال التي أحاط بها الزحف العربي دون أن يفتحها<sup>5</sup>

ويرى غوتي دائما، ان تاريخ المغرب كان واضحا وضوحا تاما، إلا ان الغموض لحق به بعد الغزوتين العربيتين، الأولى التي قام بها الأمراء، ممثلو الخلافة الإسلامية في أواخر القرن 7م، والثانية التي قام بها البدو الهلاليون في منتصف القرن 11م،<sup>6</sup> وعلق ستيفان اغزال على هاته الأخيرة بأنها لا تعد أكثر من كونها "غارة ذئاب" على المغرب قصد فرض لغتهم ودينهم على السكان.<sup>7</sup>

<sup>1</sup>ايف لاكوست، مرجع سابق، ص 133

<sup>2</sup> غوتي، ماضي شمال افريقيا، مرجع السابق، ص 302

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 298

<sup>4</sup> اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1978، ج 2، مرجع سابق، ص 97

<sup>5</sup> م اندري جوليان، رجع السابق، ص 98

<sup>6</sup> ابراهيم لونيس، مرجع سابق، ص 163.

<sup>7</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث واره في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق ن ص 29.



## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

وكتب جورج مارسي أيضا قوله: يخطئ الظن من يعتقد بأن سلاطين البربر، كانوا في حالة عدوان دائم مع العرب، ان حضورهم أحيانا كان معبرا، وبمثابة حدث مرغوب فيه، وتنقلاتهم القبلية الكثيفة لم تكن في الغالب بهدف ابعاد الجيران المعتبرين خطيرين، بمقدار ما كانت بمثابة تقريب الاحتمالات البعيدة، التي يأملون الانتفاع منها...، وكان البربر يقدمون لهم المساعدات لكي يستقروا، وينعت غوتي قبائل البدو بالفوضوية والعدمية المخربة<sup>1</sup>

ويتابع قوله: لقد تأثرت وعلى الدوام حياة افريقيا الشمالية بهذه الكارثة، ألا وهي اجتياح العرب وغزوهم لها،<sup>2</sup> وينقل رواية نقلها عن كتاب أبو العرب طبقات علماء افريقيا وتونس في باب أحاديث في فضائل افريقية،<sup>3</sup> التي ذكرها عن شيخه محمد بن فرات العبدي قول عمر بن الخطاب لعمر بن العاص: لا أغزيها أحد من المسلمين ما حملت عيناي الماء، وقد علق غوتي على جواب أمير المؤمنين ب: تعني تنبؤا، ومن المحتمل ان تكون مزيفة، لكنها ولا شك تلخص في شكل رواية شعبية، وهن الرأي العام المتأثر بكثرة الإخفاقات الناجمة عن المقاومة التي جابه بها البربر العرب فيما بعد، وذهب جوليان الى أن هذه الرسالة مطابقة للأصل تعكس على كل حال عواطف العداة المتواصل التي صار يكنها فيما بعد عرب القرن 19 م للارياف الافريقية المليئة بالفخاخ،<sup>4</sup> ففتح افريقيا يبدو لأمر المؤمنين مهمة خطيرة أكثر منها نافعة، فهو يتشكك منها لان بعدها قد يفقد السيطرة للجيش والقادة، ويصف جورج مارسي هذه الأحاديث بالمغالاة فيها، وأنها نسبت لعمر قوله: ان افريقية باب من ابواب جهنم، والحديث الأخر المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم، على أن إحدى أبواب الجنة موجودة بالتحديد في افريقية<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ايف لاكوست، مرجع سابق، ص 140

<sup>2</sup> جورج مارسي، مرجع سابق، ص 22

<sup>3</sup> يذكر مصطفى حميداتو ومصطفى حنانشة في مقالهم: علوم الحديث عن الإمام أبي العرب القيرواني في كتابه، طبقات علماء افريقية وتونس عند تناولهم ذكر الأحاديث في فضائل افريقية الذي ابتداء به أبي العرب كتابه، ونقله عن شيخه فرات بن محمد العبدي قول ابن حجر وقال ابن الحارث: كان يغلب عليه الرواية والجمع ومعرفة الأخبار، وكان ضعيفا متهما بالكذب او معروفا به، وذكر التكذيب كذلك ابن عذاري في كتابه المغرب في أخبار الأندلس والغرب، ينظر مصطفى حميداتو ومصطفى حنانشة، علوم الحديث عند الإمام ابي العرب القيرواني في كتابه طبقات علماء افريقية وتونس، مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد 6، العدد 4، 2020، ص 57-58

<sup>4</sup> محمد بن عميرة، حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، مرجع سابق، ص 71

<sup>5</sup> جورج مارسي بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مرجع السابق ص 22

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

يعلق جورج مارسلي على ما سبق من احاديث بقوله :ربما جاء هذا الحديث الذي لا يقل زورا عن الحديث الأول(حديث عمر)، ليحول المصير السيئ المرتبط ببلاد البربر، ويحث المؤمنين على الاستشهاد فيها، لقد ظهر المغرب بالنسبة للمشرق على انه الأرض المباركة للجهاد المقدس،<sup>1</sup> كما يرجعها الى فترة فجر الإسلام الأولى ولكنها ظهرت فيما بعد، وتندرج زمنيا وتدل على ما يسمى بالمتغيرات اللاحقة<sup>2</sup>

واما حديثه عن الغزوة الهلالي، فيرى بانه كان كارثة على بلاد المغرب، وان الحياة في شمال افريقيا قد تأثرت على الدوام بهذه الكارثة، وان القرن 11م قد دمغ هذه البلاد، اكثر من اي مكان بانقطاع مع الماضي، وتحول للتاريخ في جميع المجالات السياسية، والاقتصادية والفكرية، ويضيف قائلا: وسوف يرى القرن 9م اتمام عملية انتشار العقيدة، وغزو الاسلام لمواقع جديدة بفضل النظام الجديد الذي اقيم في البلاد<sup>3</sup>

ودائما وفي نفس الصدد يقول اندري جوليان: واما الغزاة فقد ارادوا بالعكس بناء معسكر يستعملونه كقاعدة لمواصلة غزوهم، فبنوا القيروان من لا شيء في قلب البلاد التونسية، وقد شاءت الدول التي قد يطول عمرها، او يقصر، والتي تسوقها تاريخ المغرب في القرون الوسطى، ان تأسس عواصم خاصة بها تأكيدا على وجهها الذاتي، فهي ا ما احبت مدينة كانت موجودة من قبل، او اختارت مكانا بكرة، غير ان مصير هذه المدن لم يكن دائما على قدر واحد من الاشرار، ويضرب مثلا بمدينة تلمسان وعاصمة بني عبد الواد وبني مريل عاصمة بني حماد بجاية والقالا وتيهرت، التي بقيت مجرد ذكريات<sup>4</sup> وفي تعظيمه للتواجد الروماني وما انجزه طيلة فترة تواجده في المغرب، يشير جوليان الى عواصم الكبيرة التي اسسها الرومان<sup>5</sup>

<sup>1</sup> يقول دومينيك سورديل: من الأفضل أن تسمى بالحرب الشرعية بدل الحرب المقدسة والتي توبعت بشكل دائم ومستمر ضد غير المسلمين، حيث اعتبرت إحدى دعائم المسلمين، ينظر: دومينيك سورديل، الإسلام العقيدة السياسة الحضارة، ترجمة علي مقلد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان 1998، ص 34

<sup>2</sup> جورج مارسلي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مرجع السابق، ص 23

<sup>3</sup> جورج مارسلي، مرجع السابق، ص 62

<sup>4</sup> اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الاقصى من البدء الى الفتح الاسلامي، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011، ص 12

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 24

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

و يورد كامبس مقارنة بين غزوتين وقعتا في شمال افريقيا، فالأولى هي غزوة الوندال يقول: وكان عدد الوندال 80 الفا عندما عبروا مضيق جبل طارق للنزول بسواحل افريقيا في شهر ماي 429م، وكان عدد غزوات العرب، ما يقارب 100 الفا، مما يعني ان الاهمية العددية للغزوتين متساوية تقريبا، وبضيف: ماذا تبقى من التأثير الوندالي في افريقيا بعد قرنين من عبورهم ؟ لا شيء اما نتائج وصول العرب الهلاليين في القرن 11 م: فقد عربت معظم بلاد البربر، واعتبرت الدول التي قامت في المغرب نفسها دولا عربية<sup>1</sup>

ويرجع كامبس هذا النجاح للقبائل العربية، والى تشابه نمط الحياة بين العرب والبربر، اضافة الى المناورات السياسية للحكام البربر، الذين لم يترددوا في استعمال القوة العسكرية، والحركة الكبيرة للوافدين الجدد ضد اخوانهم من عرقهم، عن طريق الضغط المزدوج للهجرات الرعوية، والانشطة العسكرية المصحوبة بالنهب والحرائق أو السرقات<sup>2</sup>

وكتب جورج مارسي ايضا قائلا: ان بلاد البربر كانت دوما عرضة للاضطرابات البشرية، تتابعوا على حكمها خلال العصور الوسطى، والذين كانوا يمضون مطلع كل ربيع في غزوات نهب وسلب، لا تجعل منهم سوى أمراء فاشلين، الا ان الأقدار تُنَّ عليها من حين لأخر سلطان حازم يتميز عن بقية الفاشلين، فيشع على البلاد ببريق عابر تحدوه عقيدة متوهجة، فيحرك الحشود من حوله، ليكتسح بها شمال إفريقيا، وينطلق بها حتى الى ربوع أوروبا<sup>3</sup>

وكتقييم للدراسات السابقة نورد بعض النقاط الاساسية التي عّقب عليها بعض الدارسون والباحثون نذكر منها :

ان التبسيط الخاطئ لموضوع الغزوة الهلالية لا وجود له في مؤلف ابن خلدون، والذي بين فيها وفي مقاطع كثيرة العملية الحقيقية التي تمت فيها هذه الغزوة،<sup>4</sup> وان التناحر السياسي بين البدو والحضر بين العرب

<sup>1</sup>محمد الحبيب بشاري موسى هواري مرجع سابق ص 99

<sup>2</sup>محمد الحبيب بشاري موسى هواري مرجع سابق، ص 101-102

<sup>3</sup>محمد لطفي الزليطي، مرجع سابق، ص 54

<sup>4</sup>ايف لاكوست، ابن خلدون، مرجع سابق ص 144

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

والبربر لا يتفق وحقيقة التاريخية، الأمر يتعلق بأسطورة، ولقد آمن بها المؤرخون بالرغم من ان أبحاثهم تدحض هذه النظرية في العديد من النقاط الأساسية، فجورج مارسي وهو احد دارسي قضية العرب والبربر قد سجلها منذ بداية مقدمة كتابه، بالرغم من انه جمع بين الوقائع مما يجعلها الدليل على انه لم يكن ثمة غزوة حقيقية<sup>1</sup>

يقول ايف لاکوست: المؤرخون الذين يستشهدون دائما بابن خلدون على غرار شارل اندري جوليان (حول الغزوة الهلالية)، تسجل اخطر حدث في العصر الوسيط المغربي، فقد ابتدأت في القرن 11 هـ، وكانت هجمة شعب بدوي مخرب، وضع حدا لمحاولة تنظيم بربرية دون ان يقمّ بديلا، ولم يكن لهذه الهجمة ما يؤكد انها قادرة على ان تتطور بشكل طبيعي، او ان تؤدي غايتها، وتجدر الإشارة انه لا المقدمة، ولا تاريخ البربر، يتضمنان دراسة منظّمة عن الازمة التي استطاع ابن خلدون ان يراقبها في القرن 14هـ<sup>2</sup>

ويضيف قائلا: يبدو بوضوح أن نظريات الغزو الهلالية، والتعارض الأساسي بين البدو والحضر، ليست صحيحة، كما أنها ليست في الغالب مقبولة ومحترمة، وليست بالتالي أحد المظاهر الأقل عجا في التأريخ للشمال الإفريقي من رؤية استمرار هذه النظريات الخاطئة، برغم جهود بعض المؤرخين والاكثر شهرة في الغالب، وانه لمن العبث الأكيد، أن البدو لم يقوموا بأي تخريب، وانهم لم يكونوا سوى حماة نظام وسلام، فلقد قام البدو بدور هام في الفتن، والقلاقل، والقتالات السلالية، وكما أننا لا نستطيع، أن نجعل من التحالف مع الحكومات، صفة خاصة بنمط الحياة البدوية، فإننا أيضا لا نستطيع أن نعتبر دور الرعاة في الفتن يشكل مميزاتهم الخاصة،<sup>3</sup> وان أعمال التخريب والهيّاج تبدوا تافهة بالنسبة الى الأعمال الأخرى، التي قاموا بها لحساب، وبأمر السلطات التي كانوا يخدمونها<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 148

<sup>2</sup> ايف لاکوست، مرجع السابق، ص 127-128

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 141

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 143

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

### 3.المبحث الثالث: تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصر

#### 1.3. الفترة العثمانية

تميزت الدراسات الاستشراقية الفرنسية حول الفترة العثمانية في الجزائر عموماً بالسطحية، وعدم الاكتراث، وطمغى عليها الإيجاز، فمثلاً يحتوي كتاب "فاليبير" على 630 صفحة ولكن 70 صفحة فقط خصصت للفترة العثمانية، واكتفى "البرتيني" كذلك بـ 11 صفحة من بين 375 صفحة، وقد نتج عن هذا الطمس عدم التوازن بين الفترات التاريخية، فحظيت اثنتان بالاهتمام الكامل وهما العهد الروماني والفرنسي، وعانت اثنتان من الإهمال وهما الفترتان الإسلامية (الوسيطه) والعثمانية، أما بالنسبة للمحتوى مع قلته، فقد تم التركيز فيه على تعسف الحكام، واستبدادهم وعلى الحوادث الدامية، والثورات المحلية، والانقلابات والاعتقالات والمؤامرات والفتن، وعدم الاستقرار السياسي، فهذا داي يقتل وآخر يشنق وذاك يسلم، هذا عدا عن انتشار الجهل والمرض والفقير.<sup>1</sup>

كما تمت دراسة تاريخ الجزائر في هذه الفترة، من زاوية علاقتهم بأوروبا، أكثر مما درس لذاته، وإلى جانب النصوص العربية والتركية، بدأت المصادر الأوروبية في اكتساب مزيد من الأهمية، وكلا هذين النوعين من المصادر تمّ تناولهما في كتاب المستشرقان الفرنسيان جوليان ولوتورنو، (بعنوان تاريخ إفريقيا الشمالية)، وإذا استبعدنا كتاب دي غرامون بعنوان (تاريخ الجزائر تحت حكم الأتراك) سنة 1878، وكتاب لسبيس (R.Lespès) بعنوان (الجزائر في الجغرافيا)، فنجد ان الدراسات المتوفرة اعمال تاريخية كتبت من وجهة نظر اوروبية.<sup>2</sup>

فكان الغرض من هذه الدراسات، هو الحط من شان الأتراك العثمانيين، والطمغى فيه نظمهم ومحورها، حتى لا تبقى لهم من أثار، ولتبرير الغزو الفرنسي الذي حولته إلى ضرورة لإنقاذ الأهالي من بطش هؤلاء<sup>3</sup>، فمثلاً "دي غرامون" وهو صاحب كتاب " تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية 1516-1830، لم يكلف

<sup>1</sup> مولاي بلحميسي، "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص. 105.

<sup>2</sup> جان سوفاجيه كلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الاسلامي، تر: عبد الله الستار حلوفي وعبد الوهاب علوي، المجلس الاعلى للثقافة، 1998 ص366

<sup>3</sup> مولاي بلحميسي، مرجع السابق، ص. 106.

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

نفسه مشقة البحث عن موقفه من الجزائر في العهد العثماني، بحيث أفصح عن ذلك بقوله: لقد كانت الجزائر مصدر الرعب والملجأ المفضل للقراصنة البربر<sup>1</sup>، ويشاطره في هذا الطرح جورج مارسي الذي اعتبر الفترة العثمانية ماهي الا ملاذ للقراصنة، والفوضى السياسية وايضا الاخلاقية.<sup>2</sup>

وفي تعليق لجمال قنان على كتاب دي غرامون السابق يقول: ان كتاب دي غرامون، يمثل حصيلة الدراسات الاستعمارية حول تاريخ الجزائر قبل 1830، وهي حصيلة تستجيب لمتطلبات السياسة الإدماجية التي تبنتها فرنسا في الجزائر، والمتمثلة في فرض وجود مجتمع جزائري مكتمل النمو، بمقوماته التاريخية، والحضارية المتميزة...، ولا تريد ان ترى فيه سوى مجرد أفراد لا يجوز نعتهم حتى بكونهم جزائريين، وإنما هم أهالي في طريقهم اما للانقراض، او الذوبان في جزائر المستوطنين، وقل ما يمكن ان يقال عن قيمة عمل دي غرامون هو كونه غير ناضج، ويفتقر إلى الحد الأدنى من الشروط المطلوب توفرها في أي عمل علمي.<sup>3</sup>

وفي كتاب آخر للمستشرق "شارل روكس" بعنوان "العلاقات الفرنسية المغربية قبل 1830" فقد كان توجهه واضحا وهو تبرير الاستعمار الفرنسي للجزائر وإضفاء الشرعية عليه، اذ يعتبر بان الاستعمار الفرنسي للجزائر جاء كنتيجة حتمية للقضاء على عش القرصنة وما فيه من همجية وبربرية، ومؤكدا ان سبب تصدع العلاقات بين الجزائر وفرنسا يعود الى تصرفات البرابرة الجزائريين الذين لا يعرفون معنى الالتزام والتقيد بالمعاهدات والاتفاقيات واحترامها، وانه لا يمكن تصديق يمين هؤلاء لان لا فرق بينها وبين يمين السكير.<sup>4</sup>

يبدو ان الفرنسيين تمكنوا من إيهام أنفسهم بأنهم امتلكوا الجزائر، كي يطردوا منها الأتراك العثمانيين الذين اخلّوا بالأمن في حوض البحر الأبيض المتوسط، وأطلقوا العنان لقراصنتهم ضد دول أوروبا، وقد استراحوا لهذا الوهم الكبير، وذلك رغم المقاومات الشعبية القوية التي جوبهوا بها<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عائشة غطاس، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع5،

معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص ص 122-123.

<sup>2</sup> Jacques cantier ,op.cit , p.

<sup>3</sup> جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ص 317-318.

<sup>4</sup> عائشة غطاس، مرجع سابق، ص 123.

<sup>5</sup> ابراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص 163.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

غير ان الملاحظ في دراساتهم، أنهم اتخذوا مواقف مسبقة، وبقوا متمسكين بها حتى النهاية، واستغلوا المصادر التي تخدم مصالحهم، وتحقق لهم غاياتهم، وتجاهلوا كل ما يعاكس ذلك، او في صالح الفترة المذكورة، بحجة ان المصادر الإسلامية العربية منها والعثمانية، لا يمكن الاعتماد عليها لعدم الثقة فيها<sup>1</sup>

وهو ما ذهب اليه المستشرق **وليام مارسي**، الذي ادعى انه يجب الاعتماد في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني على المصادر الأوروبية، ووثائق الأرشيف الرسمية، وهو في هذا يقتدي برأي المستشرق "دوسلان"، الذي شكّ فيها بدوره في صحة أخبار العرب عن المغرب، والواقع ان الذي سبق الى هذا الطرح هو **دي غرامون** الذي رفض الاعتماد في كتابه، على هذه المصادر لشكّه فيها.<sup>2</sup>

### 2.3. الفترة المعاصرة

اهتمت الدراسات الاستشراقية الفرنسية في اغلبها، بالتأريخ لبطولات قادة جيش الاحتلال الفرنسي، وتمجيد الاستعمار<sup>3</sup>، ومن أمثال هؤلاء نجد **لويس رين**، وما كتبه عن مقاومة المقراني والشيخ الحداد، والتي اعتبرها أهم وخطر حدث، لان إعلان الحداد للجهاد هو الذي دفع قسما كبيرا من سكان جرجرة، والبابور وحوض الحمام إليها، وان المقراني ما كان ليتحول عصيانه إلى ثورة عارمة، لولا انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم، وحملهم للسلاح بصورة جماعية،<sup>4</sup> كما نعتة بالإقطاعي، وادعى انه لم يثر لغاية وطنية، وإنما تمردا ضد السلطة دفاعا عن مصالحه الشخصية، واتهمه هو واتباعه بالتعصب الديني، والعرقى ضد النصارى والمسيحيين، وقد نفى ان يكونوا قد ثاروا، وحملوا السلاح من اجل تحرير بلادهم وطرد الاستعمار، وإنما من اجل مشاكل شخصية، اقتصادية، واجتماعية في اغلبها<sup>5</sup>، والملاحظ ان رين آخ لهذه الثورة من خلال استعراض جهود

<sup>1</sup> مولاي بلحميسي، مرجع سابق، ص. 106.

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص. 27.

<sup>3</sup> المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص. 126.

<sup>4</sup> يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871 ويليهِ مواقف العائلات الارستقراطية من الباشاغا محمد المقراني وثورته عام 1871، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص. 397.

<sup>5</sup> يحي بوعزيز، "حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،

1988، ص. 164.

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

الجيش الفرنسي ضدها، ولمواقف السياسة الفرنسية تجاهها وهذا ما جعله يكاد يطمس موضوع الثورة الحقيقي وجهود زعمائها.<sup>1</sup>

نفس الشيء ينطبق على "بول ازان (Paul azan)، الذي آخّ لمقاومة الأمير عبد القادر، واختار لكتابه عنوان (الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى المواطنة الفرنسية)، والواضح انه موجه لخدمة أهداف سياسية بحتة، وقد أراد من خلاله إبراز بطولات الأمير في المعارك، لكي يزيد من قيمة انتصارات الجيش الفرنسي عليه، ثم لكي يضرب بتحول الأمير عبد القادر المزعوم مثلاً للجزائريين لكي يقتدوا به،<sup>2</sup>

والغريب ان مختصاً مثل (جورج ايفير)، والذي تناول الأمير عبد القادر وعصره في عدة مناسبات يقول عنه: انه لم يكن بطل جنسية عربية في الجزائر لأنها لم توجد، ولم يكن سياسياً مجدداً يهدف إلى إدخال الحضارة الأوروبية على مواطنيه الذين كانوا (نصف برابري) لكنه كان مرابطاً طموحاً أراد ان يحل نفسه محل الأتراك.<sup>3</sup>

على غرار رين، وآزان، فان معظم من كتب وآخّ للمقاومة المسلحة الجزائرية أمثال شارل فيرو، تروملي، روبين، لوسيان وغيرهم،<sup>4</sup> الذين حرصوا على إبعاد الحس الوطني للمقاومة الجزائرية، ورجالها، وقادتها، وفسروها بتفسيرات مختلفة، فمنهم من ادعى ان الجزائريين عنصريين ومتعصبين دينياً، وعرقياً، ولا يستطيعون ان يتعايشوا مع الأجانب الأوروبيين المسيحيين، ولذلك كانوا يثورون باستمرار ضدهم، والدليل على ادعائهم هذا، هو كثرة رجال الدين الذين تزعموا هذه الثورات وقيادتها، ومنهم من ربط هذه المقاومات بأسباب اقتصادية، واجتماعية، وبالفقر والجوع، وهناك من ادعى بان هذه الثورات ليست وطنية جزائرية، لأنها اندلعت بسبب إجاعات، وإيعازات من طرف قوى خارجية.<sup>5</sup>

اما فيما يخص موقفهم من فترات الاستقلال التي تمكن فيها الجزائريون من انتزاع سيادتهم، فمن الدولة النوميديّة قديماً، إلى دولة الأمير عبد القادر حديثاً، كلها في منضور هؤلاء محاولات فاشلة، تأسست في

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، ثورة الباشا محمد المقراني والشيخ الحداد 1871، مرجع سابق، ص. 397.

<sup>2</sup> إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص. 191.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص. 30.

<sup>4</sup> يحي بوعزيز، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية، مرجع سابق، ص. 166.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص. 160-161.



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

ضل الأجانِب، او ظهرت نتيجة لتصاعد الرّفص المطلق للنظام الأجنبي، ونمت نموًا غير سليم لا يرتكز على الأسس الصحيحة للدولة، فهي مظاهر تلاشت دون ان تترك تقاليد سياسية، وشرعية دولية يحق للخلف ان يرثها عن السلف، وقد عبّر ستيفان اغزال عن هذا المفهوم بقوله ان السلطة عند الأهالي فردية تُغتصب بالقوة وتعتمد على عصبية قبلية، وتنحصر في أسرة معينة تعتبر الأرض ملكا لها والشعب مجموعة قبائل خاضعة، كما سار غوتي فيما يشبه هذا الطرح بقوله: ان حكام الجزائر لم يكونوا سوى زعماء قبائل من ماسينيسا الى الأمير عبد القادر.<sup>1</sup>

وللحديث عن هذا الطرح الذي قدموه، فيجب علينا تحليل مؤلفات بعض المؤلفين التي تناولت انداك هذا الموضوع من بينهم نذكر (S.Gsell)، (E.F.Gautier)، (A Bernard)، ذوو وجهات النظر المتقاربة<sup>2</sup>

عبّر المؤرخ الفرنسي ستيفان اغزال أحسن تعبير، عما يبتغيه الفرنسيون من كتابة تاريخ الجزائر، عندما قال بمناسبة مرور مائة عام على احتلال الجزائر: إن الحملة على مدينة الجزائر المتبوعة بفتح التراب الجزائري، قدمت للمؤرخين مهام جديدة، بل فرضته عليهم، ثم فصل أكثر فقال: إن معرفة الماضي ضرورية جدا لمتطلبات الحاضر، وقد عبر بذلك عن الإرادة في قراءة تاريخ الجزائر بعيون فرنسية وتفسيره بما يناسب الحاضر الفرنسي ويخدمه<sup>3</sup>

ويذكر ذات المؤلف في مقدمة كتاب (تاريخ الجزائر ومؤرخوها) قائلاً: يسيطر لنا التاريخ واجباتنا أيضا (بالنسبة للجزائر) وهي تتمثل في إرادتنا المصممة على أن نكون أسيادا في كل مكان والى الأبد، وفي ضرورة إقامة إعمار يستند إلى إسكان أوروبي قوي في الريف، كما يتمثل في ضرورة تقريب

<sup>1</sup> محمد البشير شنيبي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، د.ط، الجزائر، 2003، ص. 17.

<sup>2</sup> J Cantier L'Algerie au regard de l'histoire Un exemple d'évolution de l'historiographie colonial, , les cahiers d'histoire immédiate ,groupe de recherche en histoire immédiate , 1994 , p 6

<sup>3</sup> محمد البشير شنيبي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، مرجع سابق، ص 7

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

السكان منا، رغبة وأملا في تحقيق انصهار على مدى قريب أو بعيد، إن هذا التاريخ اذا لا يعتبر في إفريقيا هو اقل العلوم جدوى<sup>1</sup>

فهذا التقرب الذي اقترحه اغزال على الفرنسيين، كان اقتداء بتجربة العرب المسلمين الذين اعتمدوا على المجتمع الريفي، في غرس دينهم، ولغتهم على حد قوله، كما دعا الفرنسيين إلى ضرورة الاستفادة من تجارب المتعاقبين على حكم البلاد، لكي يستمروا وجودهم، ويكتسب صفة الديمومة،<sup>2</sup> أما بالنسبة للعبارة الأخيرة" بان هذا التاريخ... هو اقل العلوم جدوى، فقد حاول من خلالها إنكار اي وجود تاريخي للجزائر كدولة، لان إزاحة الستار عن حقيقة تاريخ الجزائر، يعني نفس إحدى الدعائم المعنوية الأساسية التي يستند إليها الاستعمار الفرنسي في تبرير احتلاله لهذا المجال.<sup>3</sup>

ويذهب ابعده من ذلك بحيث يقول :الجزائر اسم أنشأناه نحن وأخرجناه رسميا للعلن سنة 1838 وهي جزء أقطِع دون عدالة في شمال إفريقيا خلال العهد التركي، والتي هي حاصلة على حدود ووحدة وهمية سعت فرنسا أكثر مما تستطيع لتجعل منها وحدة حقيقية،<sup>4</sup> وقد حلل المؤرخ فاتان (vatin) الاستنتاجات الضمنية لمثل هذا الكلام والذي يحمل إيحاءات كبيرة فقال: كانت الجزائر مستعمرة في جميع الأوقات، إذا الجزائر قابلة للاستعمار في كل الأوقات<sup>5</sup>

وكتب غوتي ايضا، ومن جملة ما ذهب إليه في مؤلفه المذكور: ان سكان المغرب اي العنصر البربري لم يملك شؤونه أبدا، وبقدر ما نبحت في التاريخ، نجد سلسلة متصلة الحلقات، لاحتلال الأجانب لهذه البلاد، ان الفرنسيين خلفوا احتلال الأتراك، الذين خلفوا احتلال العرب، الذين خلفوا احتلال البيزنطيين، الذين خلفوا احتلال الوندال، الذين خلفوا احتلال الرومان، الذين خلفوا احتلال القرطاجيين، وليسجل التاريخ ان هؤلاء المحتلين على اختلاف أجناسهم وأزمنتهم كانوا يتصرفون بكامل الحرية في شؤون البلاد، إلى ان يخرجهم ويطردهم محتل آخر، يرث بدوره البلاد، ان السكان الأهالي

<sup>1</sup>محمد الميلي، " نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 14-15، قسنطينة - الجزائر، 1973، ص. 61.

<sup>2</sup>محمد البشير شنييتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، مرجع سابق، ص. 8.

<sup>3</sup>محمد الميلي، مرجع سابق، ص. 61.

<sup>4</sup>JacquesCantier , L'Algérie au regard de l'histoire , un exemple d'évolution de l'historiographie colonial, Op Cite , 1994 , p.3.

<sup>5</sup>Ibid , p.3.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

لهذه البلاد لم يتوصلوا يوما من الأيام إلى طرد مستعمرهم<sup>1</sup> وفي موضع آخر عبّر عنها قائلاً ما تتصف به شمال إفريقيا بشكل خاص، هو انه لا يوصلنا الى شيء، وفي هذا البلد الذي استمر فيه العرق واللغة على مدار الألفيتين لا يميزه سوى تعاقب الهيمنة الأجنبية، انها إعادة تشغيل لا تنتهي واحفاق دائم، ولكنه بالمقابل نجده يثني عليهم بقوله: ومع هذا نجد هؤلاء الراضين باستعمار بلادهم من دون ان يحركوا ساكنا ليسوا من الأقوام الهادئة، بل رجال حروب ولهم قادة وأبطال من عهد حنبعل إلى عهد الأمير عبد القادر<sup>2</sup>.

كما نجده ايضا يقدم حلولاً من اجل دراسة تاريخ الجزائر والمنطقة قائلاً: ومن اجل الوصول الى الحقائق، من الضروري رد الوقائع الى إطارها الجغرافي، والتي لا يستطيع مؤرخو العرب رؤيتها من خلال مصادرهم التاريخية، ومن خلال تكوين عقليتهم الشرقية<sup>3</sup>

وفي المسألة المتعلقة بسكان شمال إفريقيا، والعناصر المركبة له فيذكر بانها عناصر متنافرة لا يمكن مصالحتها، ولا يمكن ان تجد لهم تلاحماً الا تحت سيطرة أجنبية، فهي لم تكن قط امة، كما لم تكن لهم قط دولة مستقلة إدارياً، لقد كانت دائما جزءاً من إمبراطورية وبضيف غوتي: والمغاربة ليسوا سوى تابعين ومؤيدين ولم يستطيعوا قط ان يطردوا أسيادهم<sup>4</sup>

فلم يكن غوتي وحده فشارل اندري جوليان يقدم هو كذلك وبهذا التفكير الخاطيء مجمل تاريخ إفريقيا الشمالية بقوله: بقدر ما نتوغل في تاريخ إفريقيا الشمالية، ندرك ان كل شيء كان يجري كما لو كانت مصابة بعجز وراثي للاستقلال، وهذا العجز المزعوم للاستقلال لدى المغاربة او ما يسمى بطبيعة المقهورين الى الأبد<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المهدي البوعبدلي، "موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور"، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع14-15، قسنطينة-الجزائر، 1973، ص ص 129-130.

<sup>2</sup> المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 130.

<sup>3</sup> E.F.Gautier, le Cadre Géographique de l'Histoire en Algérie, In histoire et historien de l'Algérie 1830-1930, libraire Félix Alcan, 1930, p 34

<sup>4</sup> أيف لاکوست مرجع سابق ص 150

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 154

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

نجد كذلك لويس برتراد (Louis Bertrand) احد اكبر منظري الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والذي كان يبرز بعض المواضيع، ويدفع المدرسة التاريخية الى اعادة بعث افريقيا اللاتينية، ففي كتابه ( Devant l'islam)، الذي نشر في 1929 اعلن قائلاً: ان الجزائر كانت بلدا لاتينيا مسيحيا، وبدخولنا هذا البلد نكون قد دخلنا الى مجال اختفت فيه اللاتينية، لقد خلّفت لنا افريقيا اللاتينية معالم أثرية، وتاريخية لإعادتها الى الحياة، وبضيف: ان اسم إفريقي سنعيد له المعنى الذي كان عليه في أيام لوكيوس أبولويوس (Apulée) والقديس سان اوغستين<sup>1</sup> (Saint Augustin)، وكتب في موضع اخر وفي جريدة لوفيقارو (le Figaro) في 11 فيفري 1928 قوله : بالنسبة لنا فنحن نحضّر إفريقيا وليس الإفريقيين<sup>2</sup>

### 3.3. التاريخ الجزائري من خلال الاحتفال بالمتوية 1930

في 29 أكتوبر 1929 بمدينة مرسيليا، عقد السيد (M.Mercier)، المفوض العام للذكرى المتوية لفرنسا الافريقية، وبحضور السيد (M.Borde)، الحاكم العام للجزائر مؤتمرا، قدم فيه هذا الاخير مداخلة ومما جاء فيها: يجب ان تكون الذكرى المتوية تمجيذا لأساليب سياستنا الاستعمارية، ولن نكون مثل الانجلوساكسون الذين ابادوا الدول التي دخلوها ولكن بالنسبة لنا سنمنحهم وطن وحضارة،<sup>3</sup> ليرد عليه المستشرق الفرنسي ( Eugène Jung ) مستنكرا مثل هذا التصريح، من خلال كتابه الاسلام والمسلمون في افريقيا الشمالية قائلاً: كيف لنا ان نمنح لسكان وطن وحضارة؟ وهم لديهم أوطانهم ورموزهم وحضارتهم<sup>4</sup>

كان حدث متوية احتلال الجزائر هو البارز في تلك الفترة، هذا الحدث كان من إعداد نخبة المجتمع الاستعماري المحلي وبأمر من (Violette Maurice) الحاكم الليبرالي وإدارته، والذي فرض رأيه بخصوص الإحتفال بهذه الذكرى، فقد كانت تحت إدارة مجلس أعلى، أنشئ في شهر ديسمبر من عام 1927، من

<sup>1</sup>JacqueCantien. l'Algérie au regard de l'histoire: un exemple d'évolution de l'historiographie colonial .les cahier d'histoire immediate. groupe de recherche en histoire immediate HAI. archive-ouverte Fr Paris 1994.p3

<sup>2</sup>Eugène Jung, L'Islam et les Musulmanes dans L'Afrique du Nord , Edition de la jeune Parque, Paris, 1930, p68

<sup>3</sup>Eugène Jung, Op Cite, p 23

<sup>4</sup>Ibid, p 24

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

طرف الحاكم الجديد، والتي كان على رأسها المؤرخ (A.Julien)، الذي وضع قائمة للجديرين بالمشاركة، نذكر المهتم بمجال الجغرافيا (Emile- Félix Gautier) كذلك (Stéphane Gsell)<sup>1</sup>

لقد تم استدعاء كل أساتذة جامعة الجزائر حسب رغبة جوليان كما يوضحه اغزال في مقدمة كتاب التاريخ ومؤرخو الجزائر، مثل ريغاس (Reygasse)، وألبرتيني (Albertini) الذي هيمن على تدريس التاريخ القديم بعد مغادرة كركوبينو (Carcopino)، وويليام وجورج مارسي (William et Georges Marçais)، ألفريد بيل (Alfred Bel)، جورج إيفر (Georges Yver) الذي سيطر على فترة بداية الاستعمار وما بعدها، موراند (Morand) الحقوقي الذي قدّن الشريعة الإسلامية، بيار مارتينو (Pierre Martino)، والمختص في الأرشيف غابرييل إيسكار، وعميد الجامعة تيليار (Tailliar)<sup>2</sup>

فهذا الاخير مثلا، تحتوي السيليوغرافيا المنهجية له على جرد لـ 3177 عنوان مرجع، ومقال أدبي وتاريخي، يتمثل العمل الأكثر أهمية سواء من خلال طموح المشروع أو من خلال النتائج المتحصل عليها - والتي نشرت - في كتاب "الاستكشاف العلمي للجزائر" إن مغامرة "الاستكشاف العلمي للجزائر" لم تشكل يوما موضوع دراسة شاملة<sup>3</sup>

وقد سخر من أجل الاحتفالية ما يقارب الـ 90 مليون فرنك، إضافة الى هذا تأسيس متحف للفنون الجميلة ومتاحف لعلم الآثار في كل من تيمقاد، وجميلة، من أجل إثراء الرصيد الثقافي للجزائر، الذي سيدخل فيما بعد في مجموعة الدراسات، التي ستقوم بها كل من اللجان التاريخية، الثقافية والعلمية برئاسة (Charles Taillar) عميد أكاديمية الجزائر، وسيتم الاعتماد على العديد من المؤلفات الكبير خاصة "تاريخ ومؤرخي الجزائر"<sup>4</sup>

تم اختيار 15 خبيرا بدقة، واوكلت لهم مهمة وضع وترتيب ميزانية لدراسة مجال من التاريخ الجزائري، وبهذه المناسبة ايضا أسندت مهمة اعداد مؤلف بعنوان (Histoire et l'Historien de l'Algérie) عن

<sup>1</sup>Jacques Cantier, Du discours scientifique au discours commémoratif: les Antiquisants de l'école d'Alger face au Centenaire de la conquête, Op Cite, p 32

<sup>2</sup>Foued Soufi, Histoire et mémoire: l'historiographie colonial, revue Insaniat, v1, N3, p 59

<sup>3</sup>Ibid, p 56

<sup>4</sup>Jacques Cantier, Du discours scientifique au discours commémoratif: les Antiquisants de l'école d'Alger face au Centenaire de la conquête, Editions de Boccard, Revue Anabases traditions et réceptions de l'Antiquité, 2012, N15, p31

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

تاريخ الجزائر ل15 شخصية أكاديمية كلها تابعة لجامعة الجزائر، نحصي منهم الكبار ذوو الخبرة (S.Gsell)، (E.F.Gautier)، (W.Marçais)، وبعض المؤرخين الشباب كـ(Fernand Braudel)، فكل مساهماتهم كانت تحت ادارة، وتنسيق شارل اندري جوليان، الفاعل الاكبر في تجديد تاريخ شمال افريقيا، والى جانب الجغرافيين والمؤرخين اللذين سيرزون معارفهم الخاصة فيما بعد

وبطلب من هذا الاخير، والذي كان آنذاك سكرتير المجلة التاريخية (Revue historique)، وفي إطار هذه الذكرى، جمع كل من ستيفان اغزال وغبريال إيسكر (Gabriel Esquer) خمسة عشر دراسة حول أعمال في التاريخ، والجغرافيا، وما قبل التاريخ، والإثنولوجيا، والتاريخ القديم، وتاريخ الأديان (ولكن دون أية دراسة حول اليهودية)، وتاريخ العصور الوسطى (التاريخ الإسلامي)، والتاريخ الحديث (الإسبان)، والاحتلال؛ ولكن أيضا الشريعة الإسلامية، الأدب، الفنون، الجامعة، وفي الأخير المصادر حول الجزائر.<sup>1</sup>

وكان غوتيي (E.F. Gautier) قد كلف بالتقديم الجغرافي حيث استعرض في الوقت ذاته عبقريته وتمرده: لا شيء يمكن فهمه في الجزائر خارج "المجال الجغرافي"، فالعبقرية والتمرد كانا بالكاد يخفيان لديه الأفكار المسبقة، الأحكام المتسرعة، والأسئلة التي لا أجوبة لها: لماذا هناك تقسيم سياسي عمودي اتجاه البحر في حين تنقسم البلاد جغرافيا عبر ثلاثة شرائط موازية للبحر الأبيض المتوسط؟<sup>2</sup>

ومن وجهة نظره وبكل يقين قال: ان تاريخ شمال افريقيا الاسلامي لايزال قيد الدراسة والعمل او بصيغة اخرى مجهول، والسبب هو قلة ورداءة المصادر العربية المعتمد عليها في التعريف به والتي تغطي تلك الفترة، فاقترح الجمع بين علمين مختلفين، بين التاريخ والجغرافيا من اجل انجاز دراسات عميقة عن البلد، ومعرفته حق المعرفة،<sup>3</sup> كما قام ايسكر(Esquer) الذي شغل منصب امين مكتبة الحكومة العامة، بمجرد كامل لمصادر تاريخ الجزائر ثم نشرها، و اوضح ونبه الباحثين الى اهمية الأرشيف الذي يسبق الفترة الاستعمارية<sup>4</sup>

وما يمكن ان نشير إليه في هذا السياق، أن هذا العهد سُخر للكتابة عن الاستعمار، والدفاع عنه وإظهار محاسنه، ومن ثمّة إضفاء الشرعية عليه، فالاحتفال بمرور الذكرى المئوية على احتلال الجزائر، جندت

<sup>1</sup> Foued Soufi, op cite, p 59

<sup>2</sup> Ibid, p 59

<sup>3</sup> J Cantier, L'Algérie au regard de l'histoire Un exemple d'évolution de l'historiographie colonial, Op Cite, p3

<sup>4</sup> Ibid, p 6

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

لها الإدارة الاستعمارية إمكانيات ضخمة، مكنت من صدور كم هائل من الدراسات، والأبحاث التي تمجد الاستعمار، الذي مكنّ الجزائريين من التخلص من نير الاستبداد التركي، الى عصر الحرية والديمقراطية، التي جاء بها الفرنسيون، ومن الدراسات المهمة التي ظهرت وكان لها شأن كبير، كتابي "تاريخ ومؤرخي الجزائر" (1931) وشمال إفريقيا الفرنسي في التاريخ (1937 ثم 1955) وهما نموذجان للبيولوجيا النقدية، إذ يمثلان نقطة الإنطلاق في مسار الإنتاج والتطور الفكري.<sup>1</sup>

ودائما وفي مجال الاصدارات التاريخية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية، يجزنا أ.برنارد (A. Bernard)، أن المؤلف الشامل حول الجزائر، (الشامل بمعنى يشمل الجغرافيا والتاريخ)، هو مؤلف موريس وال (Maurice Wahl)، الذي صدر في خمس طبعات منذ 1882، وقد أعاد أ.برنارد كتابته، وصياغته من جديد سنة 1929، تحت عنوان قصير: (الجزائر)، علما أن كتابة الحوصلة التاريخية الأولى يعود الفضل فيها إلى رئيس بلدية قسنطينة المستشرق إرنست مرسيني (Ernest Mercier)، وقد أصدر مجلدين حول تاريخ شمال إفريقيا منذ أقدم العصور، إلى غاية الغزو الفرنسي بباريس بين سنتي 1888-1890، واللذين شكلا ولفترة طويلة المرجعية إلى غاية صدور كتاب تاريخ شمال إفريقيا لشارل أندري جوليان سنة 1931.<sup>2</sup>

نالت الجزائر اهتمام الكثير من الكتاب على غرار المؤرخ مارتان (C.Martin) في مؤلفه (Histoire de l'Algérie Française) والذي يقول من خلالها: الجزائر ليست شرقية بل هي افريقيا البيضاء، ان قبضة الشرق على افريقيا الشمالية لم تكن الا مأساة وفاجعة<sup>3</sup>

وكتب ليونيل بالو ايضا سنة 1948 جملة أعادها حرفيا في المجلة الافريقية لسنة 1955 يقول فيها: هكذا تكون بلاد المغرب الملتصقة بافريقيا والشرق، والمفتوحة على أوروبا، قد اخذت منذ الاف السنين قبل التاريخ تلك الصفة التي تحكم عليها في ان واحد، ان لا تبعد من صلبها حضارة اصلية، وان لا تندمج كلها في احدى الحضارات التي جاءت اليها من الجهات الثلاث، واستعمرتها على التوالي<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Foued Soufi, op cit, p 58

<sup>2</sup> Foued Soufi, op cit, p 75

<sup>3</sup> Ibid, p75

<sup>4</sup> عبد الله العروي. مجمل تاريخ المغرب مرجع سابق ج 1 ص 48

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

وعبر كامبس سنة 1960 على الفكرة نفسها مدعيا: منذ قرون وافريقيا الشمالية تتأرجح بحثا عن مصير قارة، فلا هي افريقية تماما، ولا متوسطية تماما، ويقول العروي ردا عليه: تشاؤم ينم عن الحسرة والمرارة وعن امال ضائعة<sup>1</sup>

وحتى المستشرق روجي لوتورنو واثناء حديثه عن الثورة الجزائرية والتي لم يرجع اسباب حدوثها الى اسبابها الحقيقية، بل ارجع سببها الى سكان الاوراس الذين كانوا منذ القديم قوما ثائرين اولا ضد الرومان ثم ضد العرب وأخيرا ضد الفرنسيين، وهناك ناحية أخرى تستحق الاشارة أن الدعاية النفسية كانت تحاول دائما أن تقنع العالم بأن الجزائر لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها من غير مساعدة فرنسا لان سكانها لا يخضعون لأي نظام ومثل هذه المزاعم والأقوال تخدم لغرض: التأكيد بأن الجزائر كانت تنتظر فرنسا لتخلصها من فوضى السياسية وتنتشر في ربوعها الامن وتسنى القوانين<sup>2</sup>

وختاما لهذا المبحث يلاحظ غزارة الأبحاث والدراسات التاريخية الفرنسية، فهي ليست كلها ولكن ذكرت اهمها، وما استطعت الوصول اليه، وبالمقابل ايضا يلاحظ قلة الدراسات الاستشراقية للفترة الممتدة من 1954-1962، (الثورة التحريرية)، وهي الفترة التي وجد فيها رواد المدرسة الفرنسية انفسهم امام معضلة كبيرة في تعاملهم معها، وكيف بإمكانهم ان يتناولوا احداثها، خاصة وان وطنهم الام فرنسا هي جزء رئيسي في الصراع مع الشعب الجزائري، اضافة الى تجنيد البعض منهم كمستشاريين، والعنصر الاساسي في نظري هو موت اغلب العناصر الفاعلة منهم قبل هذا التاريخ، اغزال، غوتي، روني باسي، ويليام مارسى...، لتخلوا الساحة لمؤرخين جدد وعلماء في علم الاجتماع، كشارل روبر اجرون، وجيلبار ميني، وايف لاکوست، واندري نوشي والقائمة طويلة، والتي كانت نظرهم جديدة وتتسم في الغالب بالموضوعية على حسب علمي

### 4.3. نقد الدراسات الاستشراقية التاريخية الفرنسية حول الجزائر

لنقد الدراسات السابقة، سأحاول في هذا العنصر ذكر اهم الردود التي كتبها المؤرخين الجزائريين والمغاربة في ردهم على مزاعم المدرسة الاستشراقية الفرنسية التاريخية، وسأجملها في نقاط كالآتي:

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص48

<sup>2</sup> حنفي بن عيسى، المستشرقون وتاريخ الجزائر، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 6 نوفمبر 1963، ع6، ص44



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

لم يعد يخفى على احد اليوم أن المستشرقين انما هم في الواقع مستشارون تلجأ اليهم وزارة الخارجية الفرنسية في كل ما يتعلق بالشؤون العربية، ونحن لا نزال نذكر أن مصالح الدعاية النفسية، كانت خلال حرب التحرير تعتمد على ارشادات هؤلاء المستشرقين<sup>1</sup>

ومما لاشك فيه أن هذه الإرشادات تبعث على الضحك، وتجعلنا نعتقد بأن الفرنسيين لم يفهموا نفسيتنا أبدا، رغم طول مدة الاستعمار، وانهم كانوا دائما ينظرون الينا من عليائهم، ولا ينزلون الى مستوى الشعب ليفهموه على حقيقته، ومن جملة ما يمكن أن نعثر عليه في هذه الارشادات، هو أن العربي لا يخضع الا بالقوة، فاستعمل معه القوة، حتى تجعله خاضعا للسلطة<sup>2</sup>

خلال فترة الاستعمار اعتاد المؤرخون الاستعماريون أن يؤرخوا للجزائر كمنطقة جغرافية، وليس لشعب الجزائر كوحدة وطنية، ومن الواضح أن هناك فرقا كبيرا بين، فالذين يؤرخون للجزائر فقط، ينظرون اليها على أنها جزء من العالم تداولت عليه الامم، وتعاقبت عليها الامبراطوريات، وهي بلاد مفتوحة لكل من يريد التوسع والاستعمار ( مثال غوتي)<sup>3</sup> الذي كان يقول: أن الجزائر أرض بدون سلطة ودولة، وأن فرنسا استولت على أرض ليست ملكا لاحد، متجاهلين في ذلك الوجود الجزائري وتاريخه وانتمائه العربي الاسلامي ووجود مجتمع جزائري واضح المعالم والخصائص، فالجزائر في نظرهم ما هي إلا رقعة جغرافية تعاقبت على حكمها سلسلة 15 طويلة من الحكام الاجانب

اعتاد المؤرخون الاستعماريون ايضا أن يؤرخوا للفينيقيين، والرومان، والوندال، والبيزنطيين، والأتراك، والفرنسيين في الجزائر، دون أن يعطوا أي اهتمام للشعب الجزائري، لانهم لا يعترفون بوجوده كقوة فاعلة تؤثر وتتأثر، فجوليان قد اتبع طريقة تاريخ الجزائر على أنه جزء من تاريخ فرنسا، فهو لم يؤرخ للشعب الجزائري وانما أُخ للقوة الاستعمارية، فقد كان الأولى به يقول سعد الله: أن نسمي كتابه تاريخ الجزائر المعاصر (تاريخ فرنسا في الجزائر)<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع سابق، ص 45

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 45

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، قضايا من تاريخنا الوطني، الاستاذ جوليان والتاريخ الجزائري، مجلة المعرفة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، ص 11

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 11

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

ينكر جوليان وجود شعب أو أمة قبل الاحتلال الفرنسي، متبعا في ذلك منطق المؤرخين الاستعماريين الذين زعموا أن فرنسا لم تجد شعبا، أو أمة في الجزائر، وإنما وجدت قبائل متناثرة، ومتناثرة ولم تجد أرضا معمورة، ولكنها وجدت أرضا سائبة (open country)، ويضيف جوليان بأن هذه القبائل الجزائرية أو الاتحادات القبليّة، لم تكن تعرف فكرة القطر الواحد التي تشكل قاعدة الأمة، وان فكرة الضمير المشترك بين الجزائريين كانت مفقودة<sup>1</sup>

رد لسعد الله عليه يقول: ومن ذلك فقد كان للجزائر كل الشروط، ومقومات الامّة قبل الاحتلال الفرنسي، فقد كانت لها جنسيّتها (Nationalité)، وشخصيتها الوطنيّة، والمتمثلة في الجيش والعلم، والبرلمان، والدولة، والحدود السياسيّة، بناء على مقاييس القانون الدولي المعمول بها في ذلك الحين<sup>2</sup> كما أهمل جوليان أهم رواد الوطنيّة في الجزائر كحمدان خوجة، والأمير عبد القادر، والتشكيك في وطنيتهم، بل أهمل أيضا كل حديث عن الحياة الثقافيّة، والروحية للشعب الجزائري في الفترة التي تضمّنّها كتابه<sup>3</sup>

منذ أن احتلت قوات الغزو الاستعماري أرض بلادنا في 1830، صار تاريخ الجزائر من اختصاص المؤرخين الفرنسيين، فهو يبقى في نظرهم كما كان زمن هيروdot، وقد أصبح تاريخ المغرب عبارة عن منازعات دموية تغذيها العصبية القبليّة والمصالح العائليّة<sup>4</sup>

ان الغرض الذي كان يرمي اليه أمثال جوليان وغوتي ولوتورنو وغيرهم من المؤرخين الفرنسيين، هو خدمة الاغراض الاستعماريّة، بايجاد مبررات لتكريز قواعد الاستعمار وتزوير الماضي بشكل يجعل القارئ يكره تاريخ أمته ويستسلم للحاضر ويأس من تغيير الوضع الراهن<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، قضايا من تاريخنا الوطني، الاستاذ جوليان والتاريخ الجزائري، مرجع سابق، ص 17

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، قضايا من تاريخنا الوطني، الاستاذ جوليان والتاريخ الجزائري، مرجع سابق، ص 18

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 21

<sup>4</sup> حنفي بن عيسى، المستشرقون وتاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 44

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 44

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

وظفت الحركة الاستعمارية التاريخ في وقت مبكر من أجل تبرير وجودها وسياستها داخل المستعمرات، وذلك من خلال انتقاد مدرّوس للفترات التاريخية والموضوعات التي عالجتها، فإذا توقعنا عند تسمية شمال إفريقيا نجد أنّها ارتبطت بمفهوم كولونيالي ذي مغزى كوني، شأنه شأن مفاهيم أخرى صيغت في أثناء الحقبة الاستعمارية (ثقافة، حضارة، شعب)، لتدل على مفهوم ثقافي سائد في أثناء الفترة الاستعمارية، وهو المفهوم الكولونيالي عينه الذي تواصل من الزمن بصورة أو بأخرى، انتجت ما يسمى الدراسات الكولونيالية<sup>1</sup>

رّداً على غوتي برد قاس على نظرياته وآرائه المتعصبة، حيال تاريخ الجزائر قائلاً: على هذا الهذيان الأدبي جهد هؤلاء لوضع ختم المؤرخ والجغرافي، فغوتي بعدما اسهم سنة 1897 إلى جانب غاياني في القمع الرهيب لثورة (الفاها فالو) في مدغشقر، عيّن استاذاً في مدينة الجزائر، وأصبح أحد منظري الاستعمار، واستمر في تبيان أن الشعور الوطني لا يمكن أن يوجد بشكل مشروع في الجزائر، ذلك لأن البدوي والعربي والشرقي من التاريخ ومن الماضي الإنساني مفهوماً بيولوجياً لا جغرافياً،<sup>2</sup> وأنا لنظّل مضطرب من كون استاذ جامعي يستطيع بمثل هذه السفاهة أن يطور مثل هذا النسيج من الأكاذيب الفظة المضادة للتاريخ، أنه يكذب القول بأن إفريقيا الشمالية كانت دائماً جزءاً من امبراطورية اجنبية، فالجزائر وتونس الحاليتين قد حكمتهما ما بين القرنين 8 و16م سلالتين من سكانهما الأصليين...، ولم تكن السيطرة الرومانية سوى مرحلة وجيزة جداً، وفي هذا السياق وفي ظل هذه الادعاءات التي قام بها غوتي وجوليان كتب المؤرخ الفرنسي مارسيل امري (Mercel Emerit) قائلاً: كان ايف لاکوست مسؤولاً عن فضح التاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى للبلاد، أنه يضع حداً للأسطورة التي نشرها اميل فليكس غوتي وجوليان، والتي مفادها (البربر الغير قابلين للتغيير والمحكوم عليهم دائماً بالهيمنة الأجنبية)<sup>3</sup>

<sup>1</sup>صالح علواني , تاريخ إفريقيا الشمالية وبلاد المغرب بين كتاب العبر والمدارس الفرنسية المعاصرة, نفس المرجع ص 714

<sup>2</sup> ايف لاکوست مرجع سابق ص 149, 151

<sup>3</sup>Mercel Emerit, Histoire de l'Algérie sous la Direction de Louis Mervilleaux, Texte de Jean Lassus, George Marçais, Iéo Barbes, Pierre Boye et Jean Farran, Yves Lacoste, André Nouschi et Prenant, l'Algérie Passé et Présent, le Cadre et les étapes de la Constitution de l'Algérie Actuelle, avec Préface de J.Dresch, In Annales économiques, Sociétés Civilisation, 1962, 17Anné, N 6, p 1212

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

من خلال ما أوردناه سابقا يجعلنا نقر بان المدرسة التاريخية الفرنسية في الجزائر، وتعاملها مع تاريخنا عبر العصور ،لم يكن كله ينم عن دراسات موضوعية، ولكن السمة البارزة لهذه الدراسات، والغرض التي كانت تصبوا اليه ،هو تبرير الاحتلال، واعطائه طابعا حضاريا من وجهة منظومتهم التاريخية، فكيف اذا نفسر دراسة مراحل تاريخية دون اخرى، والتركيز على الفترة الرومانية باعتبارها حقبة طبيعية في تاريخ المنطقة، وابرار مزاياها وخصائصها العسكرية، والادارية، والاقتصادية، والاستيطانية، والدينية والعمرانية، بينما تم اهمال او تهميش المرحلة الاسلامية باعتبارها انقطاع غير طبيعي في تاريخ شمال افريقيا، ونعتها بالعصور المظلمة

حاولت الدراسات الاستشراقية الفرنسية في جانبها التاريخي، ان تلغي الخصائص الوطنية للتاريخ، كما حاولت ان تنكر ايضا خصائصها الجغرافية، وانتمائه الحضاري، فحتى تاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، ونعني به العثماني، تعتبره جل الكتابات الاستشراقية الفرنسية مرحلة انهيار، وفوضى، وتفكك، وجمود، وان الجزائر العثمانية كيان مصطنع اقتطع بطريقة تعسفية، وعملت فرنسا كل ما في وسعها لإنجاز وحدته الحقيقية

و يمكن القول بان كتابات المستشرقين الفرنسيين كانت في الواقع تاريخا للاستعمار من وجهة نظر فرنسية، ولم تكن تاريخا للجزائر، ثم ان هذه الدراسات في مجملها لم تخرج من سياق التبرير للظاهرة الاستعمارية على انها حتمية تاريخية، لا بد منها لمساعدة البلاد على تجاوز وتخطي عجزها الأبدي على حد زعمهم

### 4.المبحث الرابع: في مجال الآثار

#### 1.4.المرحلة الاولى

بدا اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالتراث الأثري الجزائري غداة الاحتلال سنة 1830، حيث اتسمت حركة الكشف عنه بالسمة الاستعمارية، وتجلت ذلك من خلال المنهج الذي اتبعوه في أبحاثهم، واكتشافاتهم ومؤلفاتهم، وهو منهج ينم عن منطلقات فكرية وقناعات إيديولوجية سائدة، كان غرضها ترسيخ الاحتلال الفرنسي بالجزائر، باعتباره في نظرهم حلقة تاريخية حتمية، ومن ثمة اصطبغت حصيلة أعمالهم بصبغة مميزة من حيث انتقاء الموضوعات، والعناية بجوانب التوافق مع السياق العام لسياسة الاحتلال.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>محمد البشير شنيبي اضواء على تاريخ الجزائر القديم، مرجع السابق، ص ص 19-20.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

انشأت الحكومة العامة برئاسة (Louis-philippe)، لجنة مكلفة بالبحث، والامام بجوانب العلوم والفنون، عرفت باسم مجموعة الاكتشاف العلمي للجزائر، أعضاؤها اغلبهم مهندسون، ضباط، واساتذة بدأت ثمرة اعمالهم تظهر ابتداء من عام 1846، وعلى اثرها ألف المهندس (Ravoisié) كتابا بعنوان " الفنون الجميلة (هندسة ونحت)، وقام النقيب (Delamare) خلال الفترات الممتدة من 1840 الى 1845 ومن 1850 الى 1851، التي زار فيها اقليم قسنطينة عدة مرات، ورسم ما يقارب الـ 350 صورة للتماثيل والمنحوتات التي عثر عليها خلال زيارته، وجمعها في اليوم واحد، لم ينشر منها سوى 193 قطعة، والتي قام ستيفان اغزال فيما بعد بالتعليق عليها سنة 1912 تعليقا، ونقدا تفسيريا، وكلف ايضا (Léon Renier)، بتدوين النقوشات الرومانية في الجزائر، بعد نشره لأكثر من 4400 منها، والتي تعود الى سنة 1855 الى سنة 1858.<sup>1</sup>

يظهر ان الإدارة الرسمية للاحتلال لم تكن يهملها امر العناية بالآثار، فلم تسن بشأنه قوانين لحمايته او المحافظة عليه في بداية الأمر، وتركته عرضة لمبادرات القادة العسكريين، وللجمعيات، والإدارة المحلية، واقدم مبادرة صدرت عن إدارة الاحتلال بشأن الآثار، تلك التي تمثلت في تكليف شارل تيكسي (Ch.Texier) سنة 1845، بإجراء إحصاء للمعالم التاريخية في المدن الجزائرية الكبرى خاصة، وأما ما كان يجري ميدانيا مثل التنقيب في المواقع الأثرية، وجمع الكنوز من طرف الجهات، والأفراد فلا حسيب ولا رقيب من شأنه<sup>2</sup>

وضل التنقيب الأثري خلال تلك الفترة، منحصر على وظيفة الاكتساب السريع، من خلال جمع اللقى بشكل عشوائي من المواقع القديمة من اجل بيعها على امتداد سنوات كثيرة، ودليل ذلك، ان اغلب المكتشفات المستخرجة من الاسبار، والحفريات كانت بإشراف الضباط العسكريين الفرنسيين<sup>3</sup>

ولد الاستعمار الفرنسي لدى المستعربين رغبة جامحة في الاكتشاف انطلاقا من ظاهرة الاستشراق، التي لم تستهن باي من الآثار ذات الاهمية الكبيرة، والتي تعد مركزا للدراسات، فنحو سنة 1850 استعان علماء الآثار بالاطباء، وبالمهندسين، والضباط من اجل تدوين كل ما يتعلق بالنقوشات والمنحوتات، وتأخذ مثال

<sup>1</sup>Jacque Heurgon, L'œuvre Archéologique française en algerie , Bulletin de l'Association Guillaume Budé, Année 1956 , LH-15, p 7

<sup>2</sup>محمد البشير شنيبي، علم الآثار تاريخه مناهجه مفرداته، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2013، ص 60

<sup>3</sup>فاطمة الزهراء بوزياني، تاريخ البحث الاثري في الغرب الجزائري ومراحل تطوره بالجزائر منذ الاستعمار الفرنسي الى استقلال الجزائر، مجلة

الحكمة للدراسات التاريخية، يصدرها مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر سبتمبر 2017، المجلد 5، ع 11، ص 98

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

على ذلك مدينة (Lambèse) ومنقوشاتها، التي نالت إعجاب الكثير من الباحثين، عن طريق الكتابات الموجودة فيها، هذه المنقوشات، اكتشفت عام 1866 في مزرعة مستعمر يدعى (Médan)، حفرها تكريماً لـ (Nonius datus).<sup>1</sup>

وهكذا انصبت عناية المهتمين بالآثار الجزائرية على مخلفات أسلافهم الرومان في الجزائر، من هياكل حضارية ومنشآت عسكرية، كما اتجهوا إلى إزالة الأنقاض والردوم، وحتى المباني الجائمة فوق أراضي المدن والمعالم الرومانية، وإعادة تركيب وتخطيط هياكل تلك المعالم، وكذا جمع الوثائق المتعلقة بمجتمعاتها من نقوش كتابية وتحف أثرية وغيرها<sup>2</sup>

ولعل المقصود من اهتمام المستشرقين الفرنسيين بهذه الفترة، هو إنساء الشعب الجزائري في انتمائه للحضارة، والدين الإسلامي، وتوجيه البحث نحو الوثائق، التي تبرر موقفهم ورؤاهم، وتأصيل تاريخ الجزائر وفق مخططهم، ونبعا لبنود مشروعهم الاستعماري،<sup>3</sup> فنجد مثلا احد الجنرالات الفرنسية وهو "دوماس" يعلن قائلاً: كلما تعمقنا في الحفر وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربري رحيقا مسيحيا، وعند ذلك ندرك بان القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجديد.<sup>4</sup>

كما وقف الجنرال كافينياك (1857-1802 Cavaignac)، في الفترة الممتدة من فيفري إلى افريل 1848، أمام صليب من العهد الروماني منقوش على صخرة في مدينة موزاية، غرب الجزائر قائلاً: "بما أنها-اي روما- قد حكمت هنا فعلينا إلا أن نواصل عملها" ويقول مترجم حياة كافينياك بأنه كان يجمع بمنتهى العناية كل الآثار والشواهد المتعلقة بالفترة الرومانية مهما كانت صغيرة، وكان خبيراً بالآثار واهتم اهتماماً كبيراً بالحفريات، وذلك حتى يرهن للجزائريين بان للأوروبيين حقوقاً قديمة في امتلاك البلاد.<sup>5</sup>

ويضيف قائلاً بانه لم تكن لنا معلومات واضحة عن افريقيا الشمالية من قبل، كالعصور الباليوتيكية والنيولتكية، وبفضل علم الآثار استطعنا التعرف على العصور الحجرية، التي ظهرت مع الحضارة الحجرية، التي

<sup>1</sup>Jacque Heurgon, op cite, p 5

<sup>2</sup>محمد البشير شنيتي، اضاء على تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص 21.

<sup>3</sup>اسماعيل العربي، جهود الاستعمار في تأصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستلاب الثقافي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، د.ت.ن، ص 100.

<sup>4</sup>ابراهيم لونيبي، مرجع سابق، ص 161.

<sup>5</sup>المرجع السابق، ص 161.

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والآثرية الفرنسية في الجزائر

اعتمدت على الحجارة كأدوات استعملها الانسان في حياته اليومية، وتعرض ستيفا اغزال الى هذه الحضارة اعتمادا على الحفريات الآثرية في كتابه تاريخ افريقية الشمالية القديم،<sup>1</sup> فمثلا اقيمت حفريات آثرية في منطقة الغرب الجزائري في موقع تيغيف، وهي من بين اقدم الحفريات المكتشف سنة 1873، وقد شرع الحفر فيها في سنة 1872، وهي من المواقع التي استهوت أنظار الباحثين الفرنسيين، حيث تم جمع ما يقارب 130 كغ من عظام الحيوانات الضخمة، وتم اعلان نتائج البحث الآثري في الموقع اثناء اشغال مؤتمر ما قبل التاريخ لسنة 1888،<sup>2</sup> ومن بين ايضا المواقع الآثرية التي ساهمت في الكشف عن العديد من المكتشفات الآثرية التي ترجع الى فترة ما قبل التاريخ في مدينة وهران وضواحيها نذكر مغارة سكان الكهوف التي تم تنقيتها سنة 1881 من طرف الباحثين بالارايوتومازيني<sup>3</sup>

### 2.4. المرحلة الثانية

يقول المستشرق الفرنسي اوجين البرتيني: من المؤسسات التي قدمت أعمالا كبيرة في اختصاص علم الآثار اذكر الجمعية الآثرية والتاريخية والجغرافية لمدينة قسنطينة سنة 1852، من قبل كرولي (Creuly) و شيربونو (Cherbonneau)، وفي الجزائر العاصمة أسس ادريان بربوجر (Andrien Berbrugger) سنة 1856 الجمعية التاريخية الجزائرية واصدرت مجلتها الإفريقية (La Revue Africaine)، وفي سنة 1865 تأسست أكاديمية هيون (Académie d'Hippone)، وفي سنة 1878 تأسست نشرية جمعية الجغرافيا والآثار بوهران، ويتابع البرتيني كلامه قائلا: لا استطع ذكر كل الأسماء التي لها دور كبير في العمل الآثري، لكن سأذكر بعضهم والمعروفين بنشاطهم الدؤوب، السيد (Poulle) في قسنطينة، بابي (Papier) في عنابة، دوماغ (Demaeght) في وهران<sup>4</sup>

#### 1.2.4. الجمعية الآثرية لقسنطينة: Société Archéologique de Constantine

<sup>1</sup> أحمد السليماني، تاريخنا القديم من مرآة الغرب عرض ونقد، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1988، مج 3، ع 2، ص 43

<sup>2</sup> فاطمة الزهراء بوزباني، تاريخ البحث الآثري في الغرب الجزائري ومراحل تطوره بالجزائر منذ الاستعمار الفرنسي الى استقلال الجزائر، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، يصدرها مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر سبتمبر 2017، المجلد 5، ع 11، ص 99  
<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 99

<sup>4</sup> E.Albertini, l'Algérie Antique, livre Histoire et l'historien de l'Algérie, collection du centenaire de l'Algérie 1830-1930, librairie Félix Alcon, paris, 1930, p 99

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

تأسست الجمعية الأثرية لقسنطينة يوم 3 ديسمبر 1852، بموجب قرار رسمي حدد مهامها في الاستكشافات على الأرض الأثرية، وإقامة ورشات التنقيب وتدوين الآثار والعمل على حفظها، وكان عدد الأشخاص المؤسسين 11 شخصا لا غير اجتمعوا في مقر حاكم عمالة قسنطينة (La Préfecture)،<sup>1</sup>

وكان لهذه النخبة الفضل في تأسيسها ياتي في مقدمتهم: الكولونيل كروي (Creuly) الذي تولى فيما بعد رئاستها وشيربونو (cherbonneau)، وشواسيني (choisnet)، وبروسلار (Brosslard)، وفينيار (Vignard)، ثم انضم اليهم في الفترة ما بين 1856 و 1861 جوداس (Judas)، والكولونيل لاسات (la paset)، وكان الهدف من إنشائها: جمع وحفظ المعالم الأثرية القديمة وتفعيل دراسة التاريخ والجغرافيا وعلم الآثار المتعلق بشمال إفريقيا وبالخصوص الجزائر<sup>2</sup>

في عام 1853 أصدرت الجمعية أول عدد لمجلتها التي عرفت باسم حوليات الجمعية الأثرية لقسنطينة "Annuaire de la société archéologique de Constantine"، ثم تغير اسمها في عام 1864 الى: "Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine"، وقد بلغ إصدارها سنويا أكثر من 500 صفحة<sup>3</sup>، ومنذ هذه الفترة كانت الجمعية تظم عددا من المتخصصين في الدراسات الإسلامية من فطاحل العلماء منهم فايسات وفيرو<sup>4</sup>، ومن أعمال الجمعية ومجلتها نذكر:

تاريخ بايات قسنطينة الذي أصدره فايسات (Vayessette) خلال الفترة 1867-1868-1869، وشكلت إصدارات سنة 1871 و 1872 عددا واحدا، واختصت بدراسة مطولة ومعمقة لفيرو (feraud) ودراسة مطولة للكولونيل برونو (bruno) حول: مجموعات الحفريات التي قامت بها جمعية مدغاسن، ودراسة الكابيتان راجو (Ragot) حول صحاري مقاطعة قسنطينة، وهاتان الدراستان كانتا في الفترة ما بين 1873-1874.

<sup>1</sup> محمد البشير شنيبي، علم الآثار تاريخه مناهجه مفرداته، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2013، ص 52

<sup>2</sup> Jugue, l'œuvre des sociétés savante algériennes et tunisiennes, revue africaine, publiée par la société historique algérienne, Vol 49, N 256, Alger, 1905, pp.463-464.

<sup>3</sup> Ibid, p.464.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 92. و ينظر ايضا: محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 71



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

تناول الإصدار عام 1878 تقريراً مفصلاً للسيد بول (Pouille) حول: اكتشافات فسيفساء جميلة أعدت لوحاتها من طرف ارنست مرسبي (E. Mercier) في باريس، وترجمة للنقوش البونية "الحفرة" من قبل كوهين (Cohen)، وفي سنة 1882 تناول إصدارها بحثاً بالغة الأهمية حول: المعالم الصخرية لهنري مارتن (H. martin) ومقام هيرجوليا الثاني (Herculia II)، ليديجاردان (Desgardins)، واكتشافات لتيمقاد-لامبيز-مركونة.<sup>1</sup>

في الفترة ما بين 1886-1887 قام السيد دولاتر (Dellatre)، بترجمة بعض النقوش الأثرية، ونشر السيد هيرون دوفيلفوز (Hirondevillefose)، دراسة خاصة بفسيفساء موجودة في منطقة تبسة، كما ظهرت في إصدار 1888 دراسة روائع نوميديا، وتيمقاد وموريطانيا، لبول (pouille).

في عام 1894 قام موليني فيول (Molinerviolle)، بنشر دراسة معمقة حول منطقة مدغاسن، في حين كان لفار (Vars) اتجاه آخر، تمثل في دراسة النصوص المحلية لتاريخ سيرتا القديمة، وبعد 5 سنوات من هذه الدراسة ظهرت في سنة 1899 دراسات مثيرة للاهتمام، خصت آثار برج منايل للسيد ب. فيري (P. Viré)، ومذكرات بلانشي (Blanchet)، وملاحظات حول بعض الحصون القديمة لغزال (Gsell).<sup>2</sup>

في حين تناول عدد 1902 دراسة لمدينة تبسة للنقيب قرانج (Grang)، بينما تناول عدد 1903 دراسة لباري (Barry)، حول النقوش الجنائزية لخميسة، وكهوف دار الواد لماغويلون (Maguelonne)، وتناول العدد 38 من نفس السنة أعمال مهمة لبعض المساهمين في الجمعية، واحتوت فهرس كامل للأوسمة، والأعمال الفنية للمتحف الاثري لقسنطينة لهانغلي (Hinglais).<sup>3</sup>

كانت الجمعية مؤلفة من ضباط اداريون بارزون، وجامعيون، واطباء وحتى كنسيون، وكان الذي يجمع شملهم هو حب البحث والسيطرة،<sup>4</sup> واعادة بعث الماضي المضيء لإفريقيا الرومانية، وخدمة للمعرفة الفرنسية،<sup>5</sup> وقد قام احد الباحثين وهو "مالركي"، بإجراء دراسة تقييمية نقدية لمجلة جمعية قسنطينة الأثرية، وقد

<sup>1</sup>Juge, op.cit, pp.464-465.

<sup>2</sup>Jugue, op.cit, pp.465-466.

<sup>3</sup>Jugue, op.cit, p.466.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص. 92.

<sup>5</sup> محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص52

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

خرج بالنتائج التالية: ان كتابها كانوا ينظرون الى مدينة قسنطينة نظرة نصفية، نصف حي يسكنه الفرنسيون، ونصف ميت ويقصده به السكان الجزائريون، ومدنهم، واحيائهم، وتجمعاتهم.

كما ركّزت المجلة على الآثار الرومانية، اما الآثار الإسلامية، فقد أهملتها، ونظرت إليها نظرة ازدراء واحتقار، كما شملت على قسم هام ركّز على دراسة مدينة قسنطينة من وجهة نظر تخدم المصالح الاستعمارية الفرنسية في الجزائر<sup>1</sup>

يقول محمد البشير شنيبي عن أعمال هذه الجمعية: ما يسجل لهذه الجمعية، انها نشرت الكثير من التقارير الميدانية، والدراسات المتعلقة بالمواقع، والمعالم الأثرية في القطاع القسنطيني، منذ تأسيسها، كما انها دأبت على نشر أخبار عما كان يكشفه أعضاؤها، ومراسلوها في مختلف مناطق الشرق الجزائري، وهو ما شكّل رصيذا ثريا من المادة الأثرية، التي أفادت الباحثين المتخصصين من فئة الجامعيين فيما بعد، وفي مقدمتهم ستفان اغزال في أعماله الشهيرة، (Monuments Antiques de l'Algérie Histoire ancienne l'Afrique du Nord)<sup>2</sup>، وفي تصريح لرئيسها مارسيل تروسيل (M.Troussel)، بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيسها صرح قائلاً: نعمل على إزاحة الغطاء عن تيمقاد، وتيبيليس، وعنونة، وجميلة، وخميسة، وتيديس، ثم هيون، وبعث هذه المعالم من تحت ظلام السنين كي تتألق من جديد تحت الشمس الذهبية لإفريقيا الشمالية، ان الاجيال المتلاحقة على راس هذه الجمعية بعد مائة سنة لم تتغير وظائفها واهدافها<sup>3</sup>

### 2.2.4. أكاديمية هيبون: Académie d' Hippone

بعد 4 سنوات من تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية، نشأ ببون (عناية) تجمع جديد سنة 1860، من قبل مجموعة من الموظفين، والضباط، نذكر منهم جانتيس (Gantés)، لاکومب (Lacombe)، اوليفي (Olivier)، لامبار (Lambert)، بول (Pouille)، فونتان (Fontaine)<sup>4</sup>، وتحت عنوان الابحاث العلمية

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع السابق، ص ص 92-93.

<sup>2</sup> محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص56

<sup>3</sup> المرجع سابق، ص52

<sup>4</sup> Jugue, op.cit, p.467.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

والاقليمية التي نُصِّت فيما بعد أكاديمية هيون، وكان هدفها دراسة الآثار والتاريخ الطبيعي لمنطقة عنابة  
واصدرت اول عدد لمجلتها أكاديمية هيون سنة<sup>1</sup>1865

تم تقسيم الجمعية في البدء إلى 4 قاعات مستقلة على النحو التالي: علم الآثار -التاريخ الطبيعي -  
التوطن والاقلمة(محاولة توطين واقلمة الكائنات الحيوانية، والنباتية الغريبة عن الوطن)، وعلم الآداب، وبالرغم  
من الصعوبات التي واجهتها الجمعية، الا ان ذلك لم يؤجل من ان يرى اجتماعها الاول النور بانعقاده يوم 18  
جانفي 1863، وفي نفس السنة، وبتاريخ 13 مارس، تم تأسيس النهائي للجمعية، التي أخذت اسم أكاديمية  
هيون، وترأسها المحامي اوليفي<sup>2</sup> ثم تولاهما سنة 1871 الضابط جانتيس، ثم العقيد بابي، ثم مالتيري<sup>3</sup>.

بدأت الأكاديمية أعمالها بإنشاء مكتبة من مواردها الخاص، ثم تطورت وأصبحت مكتبة عسكرية،  
نهاية 1867، لتصبح بعد ذلك مكتبة للمدينة،<sup>4</sup> كما أصدرت مجلة عرفت باسم "نشرة أكاديمية هيون  
(Bulletin académie d'Hippone)، التي ركزت اهتماماتها بالشرق الجزائري، ويظهر عليها أيضا الطابع  
الاثري والديني،<sup>5</sup> ومن أهم منجزات الجمعية ومجلتها نذكر:

إنشاء كتيب للمنتجات المعدنية الجزائرية لبابي في مارس 1874، الذي تحصل في اجتماع الجمعيات  
العلمية بالسربون في 11 افريل 1874 على شرف تصنيفه كعمل هام، ومرجع يمكن العودة اليه لما يحويه من  
معلومات قيمة:<sup>6</sup>

-دراسات حول المستحثات بإقليم قسنطينة لهنري كوكاند"، ودراسة أخرى حول أصل البربر "لغوستاف  
اوليفي".

-دراسة" الجنرال فيدرب " حول الضرائح الميغاييتية للركنية، ودراسة "لوتورنو" حول الغطاء النباتي لضواحي بون،  
اما دراسة صلوكو ريموجال " فقد كانت حول ضريح مدغاسن وقبر الرومية<sup>7</sup>

<sup>1</sup>محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 59

<sup>2</sup>Jugue ,op.cit , p .467.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص .96.

<sup>4</sup>Jugue ,op.cit , p.467.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص.96.

<sup>6</sup>Jugue ,op.cit , p.468.

<sup>7</sup>Ibid , p .469

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والآثرية الفرنسية في الجزائر

- دراسة روني كانيا حول الآثار الرومانية التي تم اكتشافها بيون وضواحيها وكذلك دراسة النقوش بخنشلة<sup>1</sup>
- دراسة "بابي" حول التضاريس التحتية للتابوتين اللذين تم اكتشافها بتيازة ن واثار البنايات والفسيفساء الروماني والبيزنطي بهيون
- دراسة اغزال حول بعض التحف الرمانية التي تم الاحتفاظ عليها بيون،<sup>2</sup> وغيرها من الابحاث والدراسات التي كانت تصب في جلها، حول إحياء الماضي الروماني وتمجيده.

قام الطبيب ريبود (Reboud)، والذي انصب اهتمامه على النقوش الليبية المنتشرة بكثرة في اقليم عنابة، ونشرها في كتاب مؤلف من جزأين، أُطلق عليه عنوان المجموعة الكاملة للنقوش النوميديّة (Collection complète des inscriptions Numidiques)، ودأبت مجلة أكاديمية هيون على الصدور مدة طويلة، غطّت خلالها أقصى الشرق الجزائري وبعضا من المواقع الأثرية التونسية، بعد ما امتدت يد فرنسا إليها

### 3.2.4. الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران (Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran)

بعد مضي 15 سنة من تأسيس أكاديمية هيون، ابدي العديد من سكان وهران رغبتهم في تأسيس جمعية جغرافية بها، وبعد العديد من الاجتماعات تقرر إنشاء الجمعية في 19 جوان 1878، والتي حملت اسم "الجمعية الجغرافية لإقليم وهران"،<sup>3</sup> برئاسة الضابط البحري تروتاباس (Trotabas)، وقد ركزت الجمعية اهتمامها بالخصوص بالجنوب والغرب الجزائري، والمغرب الأقصى، كما اهتمت بقضايا الصحراء.<sup>4</sup>

تأسست هذه الجمعية قصد العناية بالمعطيات الجغرافية، والمعالم الأثرية بإقليم وهران، وشرعت في إصدار نشرية خاصة بها، تحمل اسم الجمعية، وما لبثت ان اختصر عنوانها في نشرية (Bulletin D'Oron) منذ ان تخصصت في نشر المعلومات الأثرية وحدها<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Ibid , p .470.

<sup>2</sup>Jugue, op.cit, p .470.

<sup>3</sup>Ibid, p .470-471.

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص .97.

<sup>5</sup>محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 59

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والآثرية الفرنسية في الجزائر

في عام 1882 وبرئاسة هوغوني (Hugonnet)، الذي خلف تروتاباس عام 1880، وغيرت الجمعية اسمها الى الجمعية الجغرافية والآثرية لإقليم وهران، وأسست متحف لها سنة 1884، وقامت بإصدار نشرتين: نشرة جغرافية (Bulletin géographique)، ونشرة الآثار الإفريقية، (Bulletin des antiquités Africaines)<sup>1</sup>، هذا المد من الجغرافيا الى الجغرافية والآثار كان محتوما، لانه مجرد ان تبدأ الدراسات الجغرافية السبر الآثري يفرض نفسه، لان بلاد المغرب هي عبارة حقل واسع للبحث الآثري<sup>2</sup>

في المجال الجغرافي قامت الجمعية بعدة أعمال منها: جاء العديد من هذه الدراسات حول الجغرافيا الفيزيائية والطبيعية للهضاب العليا والصحراء، كما قامت بدراسات جيولوجية متعلقة بالمستحاثات وعلم الحيوانات الجزائرية، كالحصر الوصفي لزواحف إقليم وهران، كذلك إحصائها لحركة الموانئ، والصادرات والواردات الذي مكن من تتبع تطور وتقدم الزراعة، والتجارة العامة، التي تعود بالريح على المدن الكبرى.<sup>3</sup>

ومن الناحية الآثرية والتاريخية فقد تم نشر عدة أعمال هامة منها: روائع الإقليم الإفريقي بقلم "تيسو" البحرية العسكرية بإفريقيا الرومانية بقلم (H.Ferrero) فييرو، ( La Marine Militaire dans l'Afrique Romaine)، ترجمة دو ويلمون حول الكامب (Camp)، ومدينة لومباز (Lambèse) بقلم دي كاردايلايك (D.Cardailiac)، كرونولوجيا مدينة وهران خلال الفترة العربية 903-1507م بقلم روني باسية، أولاد سيدي الشيخ منذ نشأتهم بقلم جينار،<sup>4</sup> ونشر ديمايط (De Maeght) العديد من التحقيقات الآثرية، والدراسات حول المواقع الرومانية بالغرب الجزائري،<sup>5</sup> كما قام دي كاردايلاك وواندري لوكوك (A.Lecocq)، بدراسة التجارة في افريقيا الرومانية، وايضا العمل الذي قدمه الدكتور كارتو (Cartou)، حول ورشات المصاييح في افريقيا الرومانية، وقلم جيروم كاركوبينو (Jérôme Carcopino) العمل الممتاز حول الفسيفساء الرومانية لبني راشد (La mosaïque Romaine des Beni Rached)

<sup>1</sup>Jugue ,op.cite , p. 471.

<sup>2</sup>محمد الهادي حارش، واقع الدراسات التاريخية والآثرية في الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011، ع17، ص 271

<sup>3</sup>Jugue ,op.cite, p. 471.

<sup>4</sup>Ibid , p.472.

<sup>5</sup>محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 59

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

هذا إضافة إلى وثائق أخرى هامة وترجمات وتحليلات عربية واسبانية سجلت حضورها بنشرة جمعية وهران نذكر منها: وثائق إسلامية حول مقر الجزائر بقلم روني باسي، حرب تلمسان والغزو الاسباني للمدينة سنة 1543 مترجم من قبل فرانسيسكو دولاكييف، حوارات بخصوص حروب وهران 1542-1543 مترجم من قبل النقيب بالتزادي موراليس.<sup>1</sup>

يقول محمد الهادي حارش عن عمل هذه الجمعيات: لم يكن عمل هذه الجمعيات مقتصرًا على البحث ونشر العديد من الوثائق، بل تجاوز ذلك في مرحلة أولى إلى إنشاء المتاحف، فقد تم إنشاء متحف وهران ثم متحف الجزائر وقسنطينة، وفي مرحلة ثانية، إنشاء مكاتب كملاحق لتلك المتاحف<sup>2</sup>

### 5. المرحلة الثالثة

كان تأسيس المعهد العالي للآداب يعد خطوة أولى لظهور باحثين في ميدان الآثار، والدراسات التاريخية الحديثة، وكان لذلك المعهد برنامج تكويني جامعي، يضاهاى مستوى التكوين في الكليات الفرنسية المشابهة له في الاختصاص، والذي كان يديرها اميل مسكراي، والذي عرف عليه نشاطه الكبير، فبدأ نشاط الجامعيين يبرز على الساحة الأثرية في الجزائر أواخر القرن 19م، فضم مسكراي إليه المستشرق (Waille) الذي قام في تلك الفترة ببحث عن مدينة شرشال، وادوارد كات (Edouard.Cat) الذي نشر هو الآخر "الوجيز في تاريخ الجزائر"، وهو الذي كان حينذاك أستاذًا في مدرسة الآداب بالجزائر، وأنجز سنة 1891، أطروحة دكتوراه رئيسية حول "مآثر شارل كوينت (Charles-Quint) في إفريقيا"، وأطروحة ثانوية تحت عنوان "محاولة حول المقاطعة الرومانية لموريتانيا القيصرية"، واشتهر هذا المؤلف أكثر بسجاله مع كامى روسات (Camille Rousset) سنة 1885 في نشرة المراسلات الإفريقية، وبمقالاته المنشورة في جريدته "الجزائر" أكثر من اشتهاره ببحوثه.<sup>3</sup>

في هذه الفترة ظهرت مجلات جديدة ركزت اهتماماتها بالآثار في إفريقيا نذكر منها على سبيل المثال :

.473<sup>1</sup>Jugue ,op.cite , p .

<sup>2</sup>محمد الهادي حارش، واقع الدراسات التاريخية والاثريّة في الجزائر، مرجع سابق، ص 272

<sup>3</sup> Foued Soufi, op cite, p 57

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

مجلة التواصل الإفريقيّة (Bulletin de correspondance africaine 1882-1886)، لنشر النقوش اللاتينية والليبية ودراسات أثرية جادة لكنها تعثرت وتوقفت عن الصدور، ثم مجلة (Bulletin des antiquités Revue de l'Afrique française 1886-)، والتي سميت فيما بعد ب (africaines 1882-1885)، أضف إليها (la collection du bulletin archéologique du comité des Travaux historique et scientifique) التي تمّ إنشاؤها سنة 1883، وهي تعتبر مصدرا أساسيا للذين يرغبون في متابعة تقدم علم الآثار في إفريقيا<sup>1</sup>

في سنة 1890 حلّ بالمعهد الأستاذ المتخصص في الآثار الإغريقية الرومانية (S.Gsell)، الذي ما لبث أن رُقّي إلى رتبة أستاذ كرسي العلوم الأثرية (Antiquités) أواخر 1894، اعترافا له بإسهامه العلمي البارز في مجال اختصاصه، وأنجز عملا نوعيا في مجال المعرفة بالآثار القديمة في الجزائر، أصدره في مستهل القرن العشرين، وهو المعالم القديمة بالجزائر (Les Monuments Antiques de l'Algérie)، تناول فيه بالوصف والتحليل الفني والتقني جميع اصناف الهياكل المعمارية، المعثور على أثارها وشواهداها في التراب الجزائري،<sup>2</sup> وكان قد كُلف أيضا قبل ذلك بإدارة متحف الجزائر منذ سنين، وعمل على تنظيمه، كي يستوعب ما كان يرد عليه من آثار متنوعة من مختلف أنحاء الجزائر،<sup>3</sup>

يعد تأسيس المعهد العالي هو عهد الانجازات والتطبيقات بالنسبة لعلم الآثار في الجزائر، حيث عرفت كبرى عمليات الحفرة والتنقيب والتي تمت تباعا على النحو الآتي :

السنة	اهم اعمال الحفريات في المدن الجزائرية
سنة 1880	بدات الاعمال بمدينة تيمقاد اين وجدوا ضالتهم من الاثار بعد 50 سنة من الاكتشاف
سنة 1883	بدات الاعمال بمدينة لمبيز (Lambèse)
سنة 1886	بدات الاعمال بمدينة شرشال
سنة 1888	بدات الاعمال بمدينة تبسة

<sup>1</sup>Jugue ,op.cite, p 96

<sup>2</sup>محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص70

<sup>3</sup>المرجع سابق، ص 68

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

سنة 1891	وهي السنة التي تعتبر تجسيدا لمشروع الجامعيين في العمل الاثري، وهي السنة ايضا التي شرع(Gsell) في التنقيب عن اثار كنيسة القديسة طالسا الواقعة في الهضبة الشرقية لمواقع مدينة تيبازة
سنة 1900	بدأت الاعمال بمدينة خميسة (khamissa)
سنة 1903	بدأت الاعمال بمدينة عنونة(Announa)
سنة 1905	بدأت الاعمال بمدينة مداوروش(Mdaourouch)
سنة 1909	بدأت الاعمال بمدينة جميلة(Cuicul)

كل هذه المدن تعرف باسم " مدن الذهب " اين نجد تيمقاد وجميلة اكثر شهرة يمكن منالمدينة الاثريّة بومبي<sup>1</sup>(Pompéi) بايطاليا، لكن نقطة ضعفهما هو تشييدهما في مواقع لغايتين لا أكثر، الاولى لحماية شمال الاوراس، والثانية لتشكيل تقاطع قوي بينهما ولصد ساكني جبل بابور وهذا حوالي سنة 100 بعد الميلاد.<sup>2</sup>

الى جانب تلك المدن الأثريّة المهمة نجد ايضا خميسة (Khamissa)، مداوروش (Mdaourouch)، وعنونة (Announa)، وهي ثلاث مدن نوميدية بدأ التنقيب فيها من طرف المهندس (Ch.A.Joly)، سنوات 1914، 1922، 1918 على التوالي، وهي لا تقل أهمية عن تيمقاد، وجميلة اللتان صنفنا ضمن المواقع الاثريّة الاكثر شهرة، وشيوخا في الجزائر، ومن بين الاكتشافات التابعة للغزو الروماني<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مدينة بومبي Pompéi، مدينة قديمة تقع قرب مدينة نابولي الحالية في الجنوب الايطالي، دفنت تحت وابل من الحمم والحجارة اثناء ثوران بركان فيزوف سنة 79 بعد الميلاد، وبقيت مضمورة تحت ركام بركاني الى ان تم اكتشافها في سنة 1748 م، وفضل علماء الآثار سنين طويلة يكشفون الكثير من النقوش والمباني والشوارع، كانت بومبي مدينة ساحلية جميلة على شكل بيضاوي ومحاطة اغلبها بسور حصين به ثمانية ابواب، وكانت شوارعها معبدة ومقسمة بشكل هندسي بديع، ومن بين المباني الرائعة التي تم اكتشافها، معبد جوبيتر ومعبد ايزيس الالهة المصرية القديمة، ومعبد فينوس ايضا، كما تم الكشف عن مسرح مكشوف شبه دائري يستوعب 5000 متفرج، كما تم الكشف عن مباني عامة مثل ثكنات المصارعين وثلاث حمامات معدنية، وايضا المدرج العام الذي يضم مقاعد ل 20,000 متفرج حول الحلبة الكبيرة، اما النقوش والكلمات التي وجدت فوق جدرانها فكان معظمها كلام بذئي ولكن اعجب هذه العبارات هي ثلاث كلمات تم العثور عليها وهي (قضاء الله قادم)، انها تُرجع فيما يبدو دمار بومبي الى قضاء الهي، فهل كانت هذه الكلمات ضريبا من التنبؤ بالمستقبل مكن احد الاشخاص من رؤية ذلك القدر المحتوم، ينظر: مقدمة المترجم لكتاب، لورد ليتون، اخر ايام بومبي، تر صبري الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1990، ص



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

فبالنسبة لمداوروش (Mdaourouch)، فهي بمثابة مركز نوميدي موجود منذ القرن الثالث قبل الميلاد حسب رأي (Gsell) الذي وصفها في أكبر منشوراته بدءاً بالمتنّدي، المسرح، المنتجعات، الكنائس والمعاقل البيزنطية الموجودة فيها، بينما تعرض كل من (Announa تيبيلس)، و (Khamissa تيورسيكو النوميديّة)، اهتمامات أخرى مختلفة،<sup>1</sup> فهذه الأخيرة - خميسة - هي مسقط رأس العالم بقواعد النحو والصرف (Nenius Marcellus)، ويقول جورج هورغون: فإذا مررنا بهذه المواقع الأثرية القديمة، وجب علينا المرور بالكاتدرائية المسيحية في تبسة، ومجموعات الفن الإغريقي التي جمعها يوبا الثاني في مقر إقامته بشرشال، وتيديس (tiddis)، بمدينة قسنطينة وهي مدينة غنية بالآثار والمنقوشات القيمة بالنسبة للتاريخ الإداري لنوميديا في الفترة الرومانية، تحوي كل ما له أهمية من أماكن مقدسة ومعبد المسيح وغيرها، أما ما شغل بال لويس ليسكي (lesché louis)، فهو فك الرموز (IKSM)، أو بالرومانية (Icosium)، اسم لمدينة الجزائر في الفترة الرومانية، والمكتوبة على قطع نقدية ذات أصل فينيقي، اكتشفت بالجزائر سنة 1940<sup>2</sup>.

المؤلفات المتعلقة بأعمال الحفر والتنقيب بهذه المدن والتي تعد مفتاح معلوماتنا اليوم حول تاريخ الجزائر القديمة<sup>3</sup> وبرز الباحثين المستشرقين هم :

(E.Bocswillwald) و (A.Ballu)، نشرتا نتائج أعمالهما عن مدينة تيمقاد، و (R.Cagnat)، الذي كان شغوفاً بالنقوش اللاتينية في كل من الجزائر وتونس، ومتابعة أشغال التنقيب في كل من تيمقاد، ومدينة لومباز (تازولت حالياً)، فصدر له كتاب فيه التاريخ العسكري في الفترة الرومانية بعنوان "الجيش الروماني لإفريقيا"، وذلك سنة 1892<sup>4</sup> (Paul monceaux)، درس الأدب اللاتيني لإفريقيا الوثنية، ثم كتب عن التاريخ الأدبي لمسيح إفريقيا (1901-1923)

وشارل ديهل (Charles Diehl)، الذي كرس أكبر اهتمامه لدراسة "البيزنطية في إفريقيا سنة 1896، متتبعا آثاره من خلال الحصون والقلاع، دون أن ننسى أعمال كل من فيليكس دو باشتر (F.De.Pachter)، الذي ركّز اهتماماته في الفسيفساء، فجمع ما أمكنه عنها من معلومات من خلال

<sup>1</sup> يذكر محمد البشير شنيبي أن الدراسات التي أنجزها غزال لهذه المدن الثلاثة قد تمت في الفترة بين 1913 و 1918، ينظر: محمد البشير

شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 71

<sup>2</sup> Jacque Heurgon, op cite, p 15

<sup>3</sup> Ibid, p 9

<sup>4</sup> محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 69

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

التقارير الأثرية، وصادر بشأها اول جرد لايزال مرجعا للباحثين في موضوع الفسيفساء حتى ايامنا هذه، وايضا الفهرس الذي اعدده (Gsell) والذي يضم 209 عنوان منهم الـ200 يخص الجزائر، اهمها التاريخ القديم لشمال افريقيا 1919-1928، إضافة الى الدراسات والمذكرات، التي أحيت وبرزت مظاهر الحضارة الرومانية في الجزائر، من الاعمال التي ظهرت في هذه الفترة نذكر منها على وجه الخصوص مذكرة (M. Jérôme Carcopino)، سنة 1906، التي كتبها حول النقش الذي وجده في واد المجردة في تونس، ومن اوائل مؤلفاته ايضا بعنوان " نقش (Ain-el-djemama)، التي تحسب من بين تلك المخصصة لشمال افريقيا خصيصا<sup>1</sup>

برزت حركة البحث العلمي في مجال التاريخ والاثار في جامعة الجزائر، بفضل اساتذة متميزين، تجاوز نشاطهم مدرجات الجامعة، ليشمل ميادين البحث والتقصي، حيث ما وجدت من ورشات التنقيب بالمواقع الأثرية الى معاينة المعالم التاريخية ودراستها عن كثر الى مخزونات المتاحف ومعروضاتها، وهو ما جعل الجامعة تحتل الصدارة في قيادة البحث العلمي وتطوير اساليبه وانتاج المعرفة،<sup>2</sup>

فهذه المعرفة حول الاثار في الجزائر خلفها جيل من المستشرقين الذين برعوا في هذا الميدان، نذكر على سبيل المثال ليون رينيي (Léon Rénier)، واميل مسكراي (Emile Masqueray)، وستيفان اغزال (S.Gsell)، وشارل ديهل (Ch.Diehel)، واوجين البرتيني (E.Albertini)، وكريستيان كرتوا (Ch.Courtois)، ولويس ليسكي (L.Lischi)، وجين لاسي (J.Lasus)، ومارسال لوجلاي (M.LeGlay)، وبول البيير فيفري (P.A.Février)، وكانت الأعمال الميدانية التي يقوم بها هؤلاء المؤرخين الأثريين ناجمة عن قناعة إيديولوجية كانت راسخة لديهم، وهي ان العلاقة بين المحتلين وبين من وقع عليهم الاحتلال، انها قناعة أدت الى إتباع أسلوب يعتمد على التفسير قبل التحليل الاثري، وذلك ما أدى الى تلك المزالق الإيديولوجية التي اتسمت بها جل اعمال المدرسة الفرنسية بشأن التاريخ المغاربي<sup>3</sup>

ان الأطلال الرومانية العسكرية والمدنية، وكذلك النقود، شواهد القبور، والأنصاب التذكارية، كلها تم المدن، وبالتالي تنظيمات روما السياسية والعسكرية والاجتماعية، اما الأطلال البربرية فان تاريخها لم يتحقق

<sup>1</sup>Jacque Heurgon, op cite, p 10

<sup>2</sup>محمد البشير شنيبي، علم الاثار، مرجع سابق، ص ص71-72

<sup>3</sup>محمد البشير شنيبي، علم الاثار، مرجع سابق، ص73

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

بعد، وفي هذا الصدد يعلق كاركوينو على صفحة من صفحات كتاب اغزال اطلس الاثار القديمة في الجزائر قائلاً: هذه الأطلال بربرية لا نجرؤ على تأريخها، لكن بما أن عددها كبير جدا يحق لنا أن نعتبرها إحدى عواقب الحملات التخريبية، والموجات العارمة التي اقترنت بالفتح العربي بين القرنين 7 والقرن 11م، ويعلق العروي على مثل هذا الكلام: على أساس هذه الاستنتاجات الواهية اخذ المؤرخون يرددون أحكام كاركوينو كحقائق نهائية<sup>1</sup>

اهتمت الإدارة الاستعمارية اهتماما بالغاً بدراسة تاريخ المغرب القديم وبالأثار القديمة، وكان ولاية الجزائر والمقيمون العامون يعنون شخصياً بالحفريات، فلا غرابة اذا وجدنا في البحوث التاريخية التي صدرت آنذاك أثراً واضحة للفكر الاستعماري،<sup>2</sup> والتي جاءت لبعث الثقافة اللاتينية، وجاءت في الوقت المناسب لتعبّد الصلة مع الفاتحين الرومان الذين يعدون مستعمرون نموذجيين، وفي هذا الباب كان ترميم الاثار القديمة وبعث الكتابات اللاتينية، وفتح حملات الحفر بمثابة رد افريقيا الى لاتينيته<sup>3</sup>

وفي تعليمة للحاكم العام للجزائر شارل جوناو مؤرخة في 24 مارس 1909، دعا فيها عدد من موظفي وإداري البلديات المختلطة، الى توجيه اهتمامهم الى دراسة مختلف المسائل المتعلقة بالجزائر(زراعة، جيولوجيا جغرافيا، لهجات عربية وبربرية، اثنوغرافيا فولكلور، عادات محلية، فنون)، مع التركيز بشكل خاص على الآثار، ولأداء هذه المهام الموكلة لهم وضع تحت تصرفهم برنامجاً اعده مجموعة من اساتذة جامعة الجزائر، وعلى رأسهم ستيفان افضال،<sup>4</sup> وامر فيه ايضا بوضع نسخة من كل ماله علاقة بالآثار لدى مصلحة الفنون الجميلة، علما ان الأبحاث كانت جارية في المدن الثلاث شرشال، وجميلة، وتيمقاد، ومن حسنات هذا العهد تصنيف الاثار والبنائيات التي تعتبر معالم أثرية وكذلك تحديد الأشياء التاريخية والحفريات<sup>5</sup>

شهدت هذه الفترة نشاطاً مركزاً قام به جيش الاحتلال في كل من الجزائر وتونس في الميدان الطوبوغرافي ورسم الخرائط العسكرية الدقيقة لما لها من اهمية في السيطرة على الوضع العسكري، وقد استفاد الأثريون من

<sup>1</sup> عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج 1، ص 58

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 47

<sup>3</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 36

<sup>4</sup> Gouvernement général de l'Algérie, Direction des Affaires Indigènes, Service des Communes Mixtes, Etudes de certaines Questions intéressant l'Algérie, imp: Administrative Victor Heints, , Alger, 1909, pp 3-4

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8، ص 410

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

الخرائط العسكرية لتجديد المواقع الاثريّة عليها، واستفاد(Gsell)من تلك الخرائط العسكرية، فلم يكتفي بما دونه الطوبوغرافيون من اشارات الى المواقع والمعالم الاثريّة في تقاريرهم وتحديدّها على الخرائط، بل قام بحشد جميع المعطيات المتعلقة بالموضوع، من خلال ما قامت به الجمعيات الاثريّة والتاريخية، وما توفر اليه من معطيات المصادر القديمة، ثم قام بتوظيف كل ذلك في شكل اطلس اثري للجزائر سنة 1911، (Atlas، Archéologique de l'Algérie)<sup>1</sup>

توّخي فيه الدقّة، والصرامة المنهجية، والعرض المعرفي الموثق، وأخرجه في مجلدين، خصص الأول للخرائط وخصص الثاني للوصف، متتبعا فيه ترقّيا وضعه في مجلد الخرائط، وقد استهله تحديد الإطار الجغرافي للأطلس الذي لم يتجاوز فيه الهضاب العليا الجزائرية،<sup>2</sup>غير ان ما نلاحظه في هذا العمل الهام هو تركيزه على الاثار الرومانية، وإهماله الآثار الاخرى خاصة الاسلامية منها، الأمر الذي يقلل من شأن هذا العمل علميا، ويجعلنا نتساءل عن مفهوم اثار الجزائر عند Gsell، ومع ذلك يعد الأطلس الأثري للجزائر جزءا اثريا أساسيا للمناطق بالتغطية الطبوغرافية، وبوصفه هذا كان ولا زال عملا مرجعيا لا غنى عنه للباحثين والعاملين في مجال حفظ التراث<sup>3</sup>

تضمن الجزء الأول خرائط تحمل ارقام لكل المدن والمواقع الأثريّة القديمة في الجزائر، اما الجزء الثاني نصوص المقابلة لكل رقم من ارقام الخريطة، والدراسة تلك مقسمة الى 51 خريطة مرقمة من 1 الى 51 تغطي كل مناطق التوسع الروماني بالجزائر، واهم المدن والمواقع التي ذُكرت في الأطلس إحتوت على نقوش لاتينية،<sup>4</sup> هذه النقوش انجز لها غزال دراسات منها ما قام بها لوحده ومنها ما كان مناصفة مع البرتيني نذكر منها، النقوش اللاتينية للجزائر سنة 1922، الاول، S.Gsell, Inscription Latines de l'Algérie, T1,

<sup>1</sup>محمد البشير شنيبي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 69

<sup>2</sup>المرجع السابق، ص 70

<sup>3</sup>المرجع السابق، ص 71

<sup>4</sup>عبد النور العمري، دراسة عامة للنقوش اللاتينية: اصنافها مجالاتها وقيمتها المصدرية في كتابة تاريخ المغرب القديم، مجلة عصور، تصدر عن

كلية العلون الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1، الجزائر، 2020، مج 19، ع 2، ص 19

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

S.GsellE.Albertini, Inscription Latines de l'Algérie, T2 , Vol 3, ، والثاني : paris,1922  
paris, 1922)<sup>1</sup>

عرفت هذه الفترة ايضا(1930 الى 1962) نجاحا كبيرا لعلم الاثار في الجزائر، والسبب في ذلك هو الادارة المكلفة بالآثار والتي تأسست بالجزائر سنة 1923 بعد الاصلاح الاداري الذي تم بفضل (Engéne Albertini) من 1923 - 1962، والذي كان مدير مصلحة الاثار القديمة، وقد خصصت مصلحته ميزانية للحفريات وصيانة الاثار، واسترجاعها، كما خصصت منحا للدراسات الاثرية، وكان ذلك عشية الاحتفال المئوي للاحتلال،<sup>2</sup> وايضا(Louis Leschi) من 1954 - 1962، فبالنسبة لهما كمدراء للآثار في الجزائر فقد عرفا عنهما تفانيهما في العمل، والذي ارتكز اساسا على اتمام ما كان يقوم به سلفهم من اكتشافات للمدن القديمة، ومن اجل تقييمهم واعمالهم يكفي التحدث عن عمليات الحفر، والتنقيب في كل من تيمقاد وتيبازة، وايضا انعقاد المؤتمر الخامس للآثار في ذلك الوقت<sup>3</sup>

### 1.5. المؤتمر الخامس للآثار المنعقد في الجزائر 1930<sup>4</sup>

كان انعقاد هذا المؤتمر تحقيقا لمشروع طويل الأمد، فبعد انعقاد المؤتمر الثالث لعلم الآثار في مدينة روما سنة 1912، عين الحاضرين آنذاك الجزائر لتكون مقر لانعقاد المؤتمر الرابع في سنة 1915، ولكن الظروف لم تكن تسمح بانعقاده في ذلك الزمن، وبعد 15 سنة من التأخير، تقرر انعقاده في الجزائر سنة 1930 بمناسبة الاحتفال بمئوية الاحتلال<sup>5</sup>

ضمّ المؤتمر علماء في الاثار من مختلف بلدان العالم، من المانيا وانجلترا وكندا واسبانيا والولايات المتحدة الامريكية وهولندا وايطاليا وبولندا والبرتغال وتشيكوسلوفاكيا، وترأس المؤتمر ستيفان اغزال الذي سيطر عمله

<sup>1</sup>المرجع السابق، ص 18

<sup>2</sup>ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج8، ص 410

<sup>3</sup>Jacque Heurgon,, op cite, p11

<sup>4</sup> انظر الملحق رقم 9

<sup>5</sup>E.Albertini, Chronique, cinquième Congrès International d'Archéologie, revue historique, pub: Presse universitaire de France, 1930, T 164 , p 463

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

وملدة طويلة على دراسات علم الآثار في شمال إفريقيا، وترأس اللجنة الافتتاحية للمؤتمر الحاكم العام للجزائر بيار بورد (Pierre Bordes)، وتم تقسيم لجان المؤتمر الى ثلاثة لجان<sup>1</sup> :

-علم الآثار لفترة ما قبل التاريخ

-علم الآثار لفترة التاريخ القديم

-علم الآثار للفترة الإسلامية

كان برنامج المؤتمر على النحو الآتي: 8 محاضرات حول آثار فترة ما قبل التاريخ، و15 محاضرة حول آثار الفترة القديمة، وعلى رأسها الآثار الرومانية، في حين لم يخصص للآثار الإسلامية سوى محاضرتين فقط، رغم الثراء الكبير الذي تزخر به الجزائر في هذا المجال، مما يؤكد الانتقائية المنتهجة لمعايير دقيقة في عملية توظيف الآثار الجزائرية بتلك التظاهرة العظمى<sup>2</sup>

حاول ستيفان أفزال في افتتاحية المؤتمر ان يثبت للحضور ما وصلت له الجزائر اليوم، والتي مر عليها مائة سنة تحت سيطرة فرنسا- الجزائر الفرنسية-بقوله: ان الجزائر اليوم تزخر بعلماء كبار عكس ما كانت عليه في السابق، فعندما تبحث عن عالم بها كمن يحاول العثور على بيض الإبل<sup>3</sup>، مستشهدا في افتتاحيته للمؤتمر بقول محمد العبدري البلنسي، والمتوفي سنة 720هـ، هذا الأخير يذكر في حديثه عندما حل بالجزائر، وهو في رحلته الى الحج قائلا: ثم وصلنا الى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حازت مزيتي البر والبحر، الى ان يقول: فلن يبقى بها من هو من اهل العلم محسوب، ولا شخص الى فن من فنون المعارف منسوب، وقد دخلتُها سائلا عن عالم يكشف كربة ابو أديب يُؤنِسُ غربة، فكأنني اسأل عن الأبلق العقوق او أحاول تحصيل بيض الأوف<sup>4</sup>

<sup>1</sup>Ibid, p 463

<sup>2</sup>حورية بن صالح، توظيف الآثار المحلية في احتفالات الذكرى المئوية 1830-1930 لاحتلال الجزائر الأبعاد والخلفيات دراسة تحليلية، مجلة أفاق علمية، تصدر عن المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، 2021، مج 13، ع2، ص 27

<sup>3</sup>S.Gsell, Discours D'Ouverture Cinquième congrès d'Archéologie 16 Avril 1930, pub: la société historique algérienne, Alger 1933, pp 5-6

<sup>4</sup>محمد العبدريالبلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007 ص 48

## الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

بعد انتهاء المؤتمر قام علماء الآثار المحاضرين برحلات جماعية الى مناطق عديدة في الجزائر، فزار بعضهم مدينة تيبازة وشرشال وسطيف وجميلة ومدينة زانة ولامبار وتيمقاد وقسنطينة، وذهب البعض الآخر في زيارة الى مدينة القنطرة ببسكرة وتغرت، والبعض الآخر الى مدينة بون ومداوروش وتبسة، والبعض الآخر أكمل رحلته باتجاه تونس<sup>1</sup>

واما عن أعمال المؤتمر يقول البرتيني عليه بقوله: لقد مكّن هذا المؤتمر لعلماء الآثار من معاينة ثراء الجزائر بالآثار الرومانية وأصالتها، وأيضا الجهود التي بذلتها فرنسا طوال المائة عام لتعزيزها، لقد منح المؤتمر للأثريين الفرصة لفهم الطابع العلمي التاريخي، الذي تزخر به شمال إفريقيا بشكل خاص<sup>2</sup>

وقام المستشرقون الفرنسيون في هذه الفترة كما اسلفنا الذكر باعادة البحث في المواقع السابقة، وعن هذه الاعمال يقول (Heurgon): فالزيارة تيبازة القرطاجية ذوق خاص، والتي تذكرك بالعمل الذي تراسه (S. Gsell) انذاك، والذي اجري ابحاثه سنة 1903 حول المقبرة القرطاجية المتواجدة بقوراية غرب مدينة شرشال، وليس هذا فقط، بل درس العادات القرطاجية، وكل الطقوس المميزة تحت اسم Molchomor<sup>34</sup>

فعند الدخول وجب عليك الاطلاع على ما الفه بعنوان "الزيارات الاثرية الى ضواحي الجزائر سنة 1926، وذلك من اجل ملاحظة تفانيه في العمل خاصة التنقيب الذي قام به منذ حوالي 30 عاما، وايضا لان مدينة تيبازة اكثر جاذبية بامتدادها على طول البحر،<sup>5</sup> كما وصف ذلك في اطروحاته سنة 1894 المعابد الوثنية الواقع بين التلين المسيحيين الشرقي والغربي، عندما نتحدث عن البنية العامة، بحيث يعتبر الشرقي منها مخزنا للاكتشافات العظمى وذلك بعد المهمة التي قام بها (M. Jean Lassus)، مدير الآثار بالجزائر انذاك وعضو المدرسة الفرنسية بروما، عندما كلف بإنجاز بحثه حول كنيسة (saint - salsa)، وماهية المقبرة الكبيرة

<sup>1</sup>E. Albertini, Chronique, cinquième Congrès International d'Archéologie, op cite, p 464

<sup>2</sup>JacqueHeurgon, op cit, p 464

<sup>3</sup>Ibid, pp 13-14

<sup>4</sup>كان القرطاجيون وسكان نوميديا يقدمون قرابين تتمثل في ضحايا بشرية للإله هرقل، واستمرت هذه الشعيرة حتى في فترة الاحتلال الرماني،

ولكنها تغيرت فيما بعد، فبعد ان كان القربان جنسا بشريا يطلق عليه اسم مولك Molck عوضت بقرابين بديلة غالبا ما تتمثل في حيوان

كالكباش والثور، وقد رأى مجموعة من الباحثين منهم M. Leglay في هذا النوع من القرابين ذات التأثير الروماني الذي تمثل في ما يعرف

باسم مولكومور Molchomor اي التضحية بالحيوان بدل Molck الذي يعني بشري، ينظر: مختار ناير، الطقوس الدينية القديمة بتوميديا

الرومانية، مجلة العلوم الانسانية التي تصدر عن جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر 2015، المجلد 5، ع 1، ص 31,29

<sup>5</sup>JacqueHeurgon, op cite, p 14

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

التي تم اكتشافها عند العثور على قبر القديسة صالسا، كذلك سنة 1950 تم اكتشاف كنيسة خصصت لمباركة الشهيدين (Pierre) و (Paul) في التل الشرقي .

عقدت بعد هذه الفترة من انعقاد المرمم السالف الذكر، عدة مرمرات متعلقة اساسا بعلم الاثر في الجزائر، وبالموازاة مع ذلك ظهرت ايضا مجالات، وجمعيات متخصصة في نفس المجال، كجمعية غيلوم بيد والتي سنحاول عرض تاريخها، واهم الشخصيات المؤسسة لها وبعض من الاعمال التي قامت بها

### 2.5. القسم الجزائري لجمعية Guillaume Bude:

أرادت جمعية (Guillaume Bude) أن يذاع صيتها وتمتد اعمالها في الجزائر، فقامت بتشكيل قسم لها مكون من العمالات الثلاثة للجزائر، ليسارع كل من المنخرطين اصدقائها الأوفياء والنشطاء المتواجدين بفرنسا لتقديم يد العون لها، مبررين أهم خدماتهم وبقوا على إتصال دائم بها، وقد كان لأستاذ كلية الآداب ومدير الآثار (M.Leschi) وتفانيه دور فعال في التذكير بأعمال هذه الجمعية وقسمها بالجزائر بمناسبة عيد الفصح منذ 3 سنوات مضت، وضمت الجمعية عدد هائل من الاعضاء المؤسسين نذكر منهم :

وظائفهم	الاعضاء المؤسسين
رئيسا للجمعية	غ.مرسيي G.Mercier
امين متحف الآثار، حديقة (Galland)، الجزائر العاصمة	M <sup>me</sup> .Alquier
أستاذة بالثانوية bd Bru، الجزائر العاصمة	M <sup>lle</sup> .Allais
أستاذ بكلية الآداب، جامعة الجزائر <sup>1</sup>	Busson
أستاذ بكلية الآداب، جامعة الجزائر	Canard
أمين الصندوق العام، شارع Carnot، الجزائر العاصمة	Chamsky
امين المكتبة الوطنية، شارع Enile- Maupas، الجزائر العاصمة	G.Esquer

<sup>1</sup>L.Gernet, Section Algérienne de L'Association Guillaume Budé, in :Bulletin de l'Association Guillaume Budé, édition les Belles Lettres, paris Avril 1939, N 63, p 19



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

المفتش العام للمواد المالية، الجزائر العاصمة	Fabry
عميد كلية الآداب، جامعة الجزائر	Gernet
أمين متحف شرشال، دائرة الجزائر العاصمة	Glénat
مدير الداخلية والفنون الجميلة، الحكومة العامة، الجزائر العاصمة	Guerrin
أستاذ بكلية الآداب، جامعة الجزائر	Heurgon
أستاذ بكلية الآداب، جامعة الجزائر	Hytier
أمين مكتبة في جامعة الجزائر	Koelbert
محامي في المحكمة، الجزائر العاصمة	Lefevre Paul
أستاذ بكلية الآداب، مدير الآثار ، الجزائر العاصمة	L.Leschi
عميد أكاديمية الجزائر، جامعة الجزائر	Martino
أستاذ رئيسي بثانوية البنين، باب الواد، الجزائر العاصمة	Mathier
مندوب المالية، بفيلا جنان الكاتب، الجزائر العاصمة	G.Mercier
أستاذ بكلية الآداب، جامعة الجزائر	Mesnard
رئيس جمعية الكتاب الجزائريين، الجزائر العاصمة	Pomier
الحاكم الشرقي للمستعمرات، الجزائر العاصمة <sup>1</sup>	Randau(Robert)
رئيس جمعية "أصدقاء تلمسان القديمة" سيدي بومدين تلمسان	A.Bel
مدير متحف Gustave-Mercier قسنطينة	Berthier
المدرسة العادية للبنات مليانة	M <sup>lle</sup> .Boue
نائب رئيس البلدية المختلطة بتيارت	Brimont( Marc)
المندوب المالي في عمالة قسنطينة	Cuzin

Op cit , p 19<sup>1</sup>L.Gernet,,

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

المسؤول الرئيسي بلدية سق أهراس المختلطة عمالة قسنطينة	Felgerolles
مندوب مالي، عمالة وهران	Gatuing
مفتش الموارد المائية والغابات، سوق أهراس، عمالة قسنطينة	LeDu
أستاذ في ثانوية البنين، قسنطينة	Loichot
مدير ثانوية البنين، وهران	Massiera
أستاذ في ثانوية البنين، وهران	Monniot
رئيس أكاديمية عنابة	Quintard
رئيس جمعية الآثار، قسنطينة	Vallet
المدرسة العادية للبنات، وهران. <sup>1</sup>	M <sup>me</sup> .Vernie

في المؤتمرات الثلاثة التي عقدتهم الجمعية من قبل، لم تفوت جامعة الجزائر فرصة التعريف بأكبر سادتها وأعمالهم، ويعود كل الفضل ل (S. Gsell)، أول وأكبر عالم أسس الجمعية في الجزائر، و نحوها بمعية آخرين كانوا مساندين له نذكر منهم: (M.Martino) و (M.Gernet)، كما لا ننسى (M.Albertini) و (Leschi Louis)، اللذان ساهما في تطوير الجمعية وتأثيرها السريع<sup>2</sup>، خاصة في الجامعة التي ما كان على اللجنة المؤقتة، التي تشكلت في الجزائر آن ذاك، إلا أن تفوض (M.G.Mercier) لتولي رئاستها فهي تعتبر المركز الجدير بالبحوث، الثقافة الأدب، كما أعرب الحاكم العام (M.Le Beau)، عن مسانده وتعاونه معهم بمناسبة تأسيس القسم الجزائري.

أقامت اللجنة تظاهرة من أجل الإعلان عن القسم المتأسس في الجزائر، وأنجزت عدة مشاريع من أجل الافتتاح الرسمي له، فقبل الموعد بقليل نظمت عرضا بجامعة الجزائر يوم 23 جانفي في قاعة (Gsell)، إستمر إلى غاية الفاتح من فيفري، وتناول تقريبا جل أعمال الجمعية من وثائقيات، لافتات، صور، إعلانات ورسومات بيانية كذلك خلال هذه المدة، وكّرس كل من (M. Allais)، أستاذة بثانوية البنات، و (M.Mathieu)، أستاذ بثانوية البنين، و (M. Alquier)، أمين متحف الآثار اوقاتا طولاً في إطار

<sup>1</sup>L.Gernet,, Op cit, p 20

<sup>2</sup>Ibid, p 1



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

تنافس اي دائرة من دوائر فرنسا، لكن مارسي و عدهم في الاخير بان تلمسان الاثريّة ستتقرض بالتدرج كما انقرضت في نظره مدينة الجزائر القديمة<sup>1</sup> ومن نماذج ما أنجزه المستشرقون الفرنسيون في الجزائر في ميدان الدراسات الأثرية نذكر :

دراسة بيربروجر "Berbrugger" لأطلال المرابط سيدي عبد القادر تحت مليانة، من خلال العنوان يتضح أن بربروجر تناول مكان ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني، الذي قدم له وصفا دقيقا فيقول: قام رائد فرنسي بتمشيط المنطقة، فعثر على أنقاض الولي الصالح، وحدد موقعه على بعد 10 كلم من مليانة، ومما وجد في الموقع الأثري شكل قوس، ربما يعود إلى الشكل الهندسي المعروف لدى المسلمين وهو الأقواس، ويرجح بيربروجر ان يكون لصهريج ماء او مدخل لساحة الضريح أو بقايا لبقعة، كون الأضرحة في شمال إفريقيا تتميز بهذه الهندسة المعمارية، كما وجد أحجار كلسيه لا يتعدى طولها المتر عليها نقوش، رجح بيربروجر ان تكون رومانية<sup>2</sup>، غير أن التساؤل الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما دخل النقوش الرومانية في ضريح ديني يعود إلى الفترة الإسلامية؟ والظاهر ان اهتمام الحركة الاستشراقية بهذه الفترة الرومانية- نابع في الأساس من رغبة المستشرقين الفرنسيين في إقناع الجزائريين بأنهم الورثة للإمبراطورية الرومانية وبالتالي تبرير الوجود الفرنسي على التراب الجزائري وأنهم بذلك يسترجعون ما فقدوه من ممتلكات<sup>3</sup>.

دراسة بورقينة "Bourguinat" لآثار منطقة الركنية سنة 1868، بحيث اشر في مقدمتها ان الجزائر ارض الميعاد بالنسبة للأثريين، لما تزخر به من بقايا أثرية كثيرة جدا، ومتواجدة عبر كامل المناطق، ترجع للفترة القديمة، أما فيما يتعلق بدراسته فقد خصصها للآثار الجنائزية، الموجودة بكثرة في الجزائر، وتوصل إلى أنها إلى القبائل البربرية التي كانت تحت سيطرة جنس يدعى " ارياس " الذي ينحدر من أوروبا قادما من ايطاليا عبر صقليا الذي فرض على البربر طريقة الدفن والطقوس، ولعل الغرض من هذه الدراسة هو الترويج للدعاية الفرنسية القائلة بان أصل البربر أوروبي<sup>4</sup>، رغبة في استمالتهم إلى الديانة المسيحية هذا من جهة، ومن جهة

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5، ص 144

<sup>2</sup> محمد الأمينوحلوفة، "الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر من 1856-1960، قراءة من خلال المجلة الإفريقية"، مجلة العلوم

الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالاغواط، ع5، الجزائر، 2017، ص. 186.

<sup>3</sup> ابراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص ص 161-162.

<sup>4</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص ص 345-346.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

ثانية للتفريق وإثارة الفتن بينهم وبين العرب، أو بهدف إبراز أن الجنس الذي عمّ المنطقة في الماضي نرح من أوروبا وما الشواهد الأثرية إلا دليل على ذلك بهدف إنجاح مشروعها الاستعماري.<sup>1</sup>

دراسة المستشرق الفرد بل الاثار الاسلامية ( **BeniSnous et leurs Mosquées: Etude historique et archologique** )، فيذكر يونس لوكيلي بان هذه الدراسة منشورة في الأصل في المجلة الأركيولوجية سنة 1920، لكن هو بين أيدينا كتاب مطبوع في مطبعة الوطنية بباريس، وبدون تاريخ، وموجودة نسخة منه في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، وهو باسم ألفرد بل الموصوف في غلاف الكتاب بعضو غير مقيم للجنة الأعمال التاريخية والعلمية، وألفه حينما كان مقيما في تلمسان، وهو باللغة الفرنسية، ولا تتوفر أي ترجمة لهذا النص في حدود علمه

وجاء هذا الكتاب من خلال فرصة تكليف (بل) في مصلحة المآثر التاريخية من أجل تصنيف المآثر الأساسية، فقام بالإشارة إلى قيمتها وخصائصها المميزة، وأسفر ذلك البحث الصغير حول أهم المساجد في البادية البربرية، وجبالها العجيبة، وأتباعها عن هذه الدراسة، ويهدف بل من خلال وضع هذه الدراسة إلى معرفة الهندسة المعمارية، والفن الإسلامي من خلال مساجد بني سنوس التي تعود إلى العهد المرابطي

ويتحدث عن قصة نشأتها وشكلها وديكورها ومواد بنائها، وتناسقها وماذنها... الخ. يقول بل: أنه في جبال البربر، التي أسلمت منذ قرون، هناك مساجد قديمة من الجيد الاهتمام بها، لما تمثله من فن إسلامي لشمال إفريقيا، ويعتمد بل في متن هذه الدراسة على الزيارة الميدانية إلى مساجد بني سنوس، ويستعمل الكاتب الرسوم والخرائط والتصاميم، ويشير إلى أن المستشرق إ. ديستن خصص للهجات، وحضارة بني سنوس دراسات هامة، ويبدو أنه اعتمد أيضا الرواية الشفوية من خلال إيراد قصص حول تأسيس المساجد<sup>2</sup> كما تطرق فيها إلى منطقة بني سنوس وسكانها وديانتها، بدراسة تفصيلية أكثر حول مساجدها الرئيسية "قرية تافسرة ومسجدها، قرية الثلاثا ومسجدها، قرية الخميس ومسجدها، قرية بني عشير ومسجدها،

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص. 328.

<sup>2</sup> يونس لوكيلي ألفرد بل: الباحث في تاريخ أسلمة البربر، الرابط

<https://www.aranthropos.com/%D8%A3%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%AF-%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%AD%D8%AB-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A3%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%A8%D8%B1> في يوم 13-11-2021 على الساعة 09:14

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

وقد كان غرضه من هذه الدراسة هو المحافظة على المساجد الأثرية والعتيقة بترميمها، غير أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية تجاهلت هذا الاقتراح، واستغلته لصالحها بهدف تسهيل التحكم في المساجد بتعيين أئمة رسميين يقومون بممارسات سلبية كسرقة أموال الوقف وبالتالي تعتبر دراسة الفرد بل ذات قيمة علمية إلا أنها بحكم ارتباطها بالاستعمار جعل بعض المفكرين ينظرون إليها نظرة سلبية إن لم نقل إهمالها.<sup>1</sup>

في سنة 1941 قام ج ماري ودوسي لامار Dessus-Lamare بزيارة استطلاعية لمعالم تاهرت (عاصمة الرستميين)، وأجرى تنقيبا على أثرها، والذي زاد في صعوبة مهمتهما هو ان الامير عبد القادر نزل بين سنتي 1835-1841 بموقع عاصمة بني رستم، وترك فيها أطلالا بع رحيله، وبالرغم من هذا فانهما تمكننا من ان يكشفنا بصورة قطعية عن جزء من سور بني رستم، وعن مخازن عظيمة للماء، وبقايا من الفخار، كما انهما ضبطا موقع القصبة مقر امراء بني رستم، وانتهيا بعد البحث الى ان تاهرت كانت قبل كل شيء قلعة حصينة مهيأة للصدوم عند الحصار الطويل، وان فن القصبة المعماري يذكر بقصور الشام<sup>2</sup>

دراسة جورج ماري<sup>3</sup> وأخيه وليام ماري<sup>4</sup> لمساجد تلمسان، بحيث أوردوا هذه الدراسة ما يلي: تتخذ الأجنحة في المساجد المشيدة قبل القرن 15 م منحني متعامد، في جدار الواجهة الرئيسة، وفي بطن جدار القبلة يوجد المحراب، الذي تتقدمه قبة بارزة إلى خارج جدار المحراب، وفي بعض الأحيان تعلوا الرواق المتوسط لقاعة الصلاة قبة ثانوية أكبر من الأخريات، وقد ذكر ان هذا الترتيب، هو المعتاد بكنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية، وبضيفان: يرسم الجناح القبلي مع الجناح الأوسط حرف (T) الذي يذكرنا بمخطط الكنائس المسيحية البدائية، أما الفسيفساء فهناك فرضية شائعة، ترجع استعمال المعماري للفسيفساء إلى العهد البيزنطي (...). ونعلم الذوق الذي اظهر الرومان للتطبيقات المشكلة من شظايا الرخام المكعبة<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عمار بركات، سؤال الإيديولوجي والدراسات الاستشراقية الانثروبولوجية في الجزائر أنموذجان الفرد بل وبيار بورديو، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية، 7-10 ديسمبر 2014، الجزائر 2015، ص ص 101-102.

<sup>2</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي الى سنة 1830، مصدر سابق، ج 2، ص 43

<sup>3</sup> يقول ابو القاسم سعد الله: ولعل أكثرهم قيمة واعتدالا هو جورج ماري، وكانت جهوده في ميدان الآثار الإسلامية تشهد عليه سيما كتابه عن الآثار العربية في تلمسان، والآثار الإسلامية في العصور الوسطى، وله بحوث حول بعض المساجد والقصور ذات أهمية علمية، ينظر: ابو القاسم سعد اللخ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص 58

<sup>4</sup> انظر الملحق رقم 6

<sup>5</sup> إسماعيل محروق، الدراسات الاستشراقية في الفن الإسلامي، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7-10 ديسمبر، 2014، الجزائر، 2015، ص 177. انظر الملحق رقم 4، ص 190.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسية في الجزائر

غير ان الملاحظ في دراسة كل من جورج وويليام مارسي أنها تهدف إلى جعل الحضارة الإسلامية احد فروع الحضارة البيزنطية والرومانية، وتجريدها من الخصائص المميزة للآثار الإسلامية وشخصيتها المستقلة عن باقي الآثار والفنون الأخرى،<sup>1</sup> كما نشرا الاخوان سابقا سنة 1903 كتابهما المعاملة، والموسوم (المعالم الاثرية العربية لمدينة تلمسان) باللغة الفرنسية تحت رعاية مصلحة معالم الجزائر التاريخية، التابعة لإدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، فهو بالإضافة الى الدراسة الفنية المعمارية التي يقدمها حول المعالم التلمسانية، فقد ضم ايضا معلومات قيّمة تاريخية وسياسية، وهندسية وثقافية ودينية، تعكس الحالة العامة لمدينة تلمسان منذ نشأتها، الى غاية تاريخ تأليف الكتاب،<sup>2</sup> وكتفيم لمنجزاتهم في هذا المجال نصل الى مجموعة من النتائج :

اننا اذا تفحصنا الحصيلة المتعلقة بالآثار الإسلامية في الجزائر، نجدتها باهتة، ولا تعطي صورة واضحة عن شواهد الحضارة الإسلامية الماثلة في مناطق شتى عبر التراب الجزائري، وما نقرأه عن المواقع والمعالم الأثرية الإسلامية في كتابات المؤرخين والأثريين الفرنسيين ضئيلا ومقتضبا، ويعود اغلبه الى اواسط القرن العشرين اي قبيل انطلاق ثورة التحرير<sup>3</sup>

ان المتتبع لأعمال المستشرقين الفرنسيين في مجال الآثار يجد إهمالهم للمعالم الإسلامية العامة، كقلعة بني حماد وحضارة اشير البربرية، وسدراتة عاصمة الرستميين، وتلمسان عاصمة الزيانيين وغيرها: بحيث أنها لم تلق الاهتمام والعناية من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، على عكس المعالم الرومانية، وكدليل وبرهان على الإهمال الإرادي نأخذ مثلا الأطلس الأثري للجزائر الذي ألفه ستيفان اغزال حيث انه لم يخصص لمدينة المنصورة الجاثمة على أبواب تلمسان سوى 3 سطور أورد فيها، أداة حجرية تعود إلى ما قبل التاريخ، في حين أن بومارية الرومانية السابقة لتلمسان، والتي لم يبق من أثارها سوى القليل، قد احتلت 67 سطرا، وللإشارة فان هذا التغافل ينطبق على جميع المعالم الإسلامية،<sup>4</sup> غير أن هذا لا يعني أن المستشرقين لم يدرسوا الآثار الإسلامية بل هناك حتى من تخصص فيها لكن مع الميل إلى ربطها إما بالفترة الرومانية او البيزنطية، او ان دراساتهم للآثار الإسلامية لم تصل إلى مستوى دراساتهم للآثار الرومانية من حيث العمق

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 119.

<sup>2</sup> لعللى حفناوي، مرجع سابق، ص 250

<sup>3</sup> محمد البشير شنيتي، علم الآثار، مرجع سابق، ص 81

<sup>4</sup> محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، مرجع سابق، ص 27.

## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة في الجزائر

### خلاصة الدراسات التاريخية والاثريّة

في الأخير وكتقييم للدراسات التاريخية والاثريّة التي أنجزها المستشرقون الفرنسيون في الجزائر يمكن القول :

ان هذه الدراسات حاولت نكران الهوية الوطنية للجزائر ونفت وجود اي مؤثر عنها عند الاحتلال الفرنسي، وقد بالغ البعض في هذا الاتجاه الى درجة التنطع غير المسؤول عندما كتبوا مؤكدين ان الجزائر هي من صنع فرنسا وحتى اسمها كان منحة منها<sup>1</sup>

التركيز على الماضي الروماني للمنطقة، وجعل الفترة الإسلامية هامشية، إضافة إلى إبراز دور فرنسا الحضاري فيها، فهم يفتخرون بأنها حاملة مشعل الحضارة وريثة روما على الأراضي الإفريقية

ان اغلب هذه الدراسات مغرضة تستهدف تبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر وإضفاء الشرعية عليه عن طريق تصوير الواقع التاريخي للجزائر بصورة معينة تجعله يتماشى مع مرامي السياسة الاستعمارية وخاضعا لها، كما يظهرها للجزائر بمظهر المنطقة الجغرافية التي تتعاقب عليها الدول وبالتالي فان الوجود الفرنسي بهام هو الا حتمية تاريخية وتكريسا لهذا الواقع

التركيز على تشويه الفترة الإسلامية ووصفها بالقرون المظلمة من خلال تسليط الضوء على الهجرة الهلالية، كما حاول وان يصوروا ان العنصر العربي متسلط على العنصر البربري

نفس الشيء ينطبق على الدراسات العثمانية بحيث ان الدراسات الفرنسية حولها طغى عليها الإيجاز وتميزت بالسطحية وعدم الاكتراث، وتم تصويرها على انها فترة فوضى وتخلف ولم تكن سوى ملاذا للقراصنة وما الوجود الفرنسي في الجزائر إلا لتخليص شعبها من بطش هؤلاء

انا فيما يخص الدراسات الاثريّة فمن الاجحاف ان لا نقر بالمجهودات التي بذلت في هذا الاطار والدراسات التي انجزت والحفريات وعمليات التنقيب الميدانية والميزانية التي صرفت من اجل ابراز المعالم التاريخية واخراجها من طي النسيان والتعريف بها، فنستطيع ان نعتبرها دراسات نموذجية علمية ولا ينكرها الا من يجهل قيمتها

<sup>1</sup> جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ص 15-16.



## الفصل الرابع : الدراسات التاريخية والاثريّة الفرنسيّة في الجزائر

---

يمكن استنباط الخلل في كتابات هؤلاء الى كونهم يصنعون الفكرة المسبقة ثم يجمعون لها المادة التاريخية، مما أدى إلى ان أصبحت نتائج أبحاثهم تقوم على الأحكام المسبقة أحيانا وعلى الأوهام أحيانا أخرى وهو ما يؤكد لنا انهم استخدموا التاريخ استخداما وظيفيا إيديولوجيا لتبرير وجودهم في الجزائر.

الفصل الخامس: الابحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في

الجزائر

1.المبحث الأول: البحث السوسولوجي

1.1 السوسولوجيا العسكرية

2.1. السوسولوجيا الاكاديمية

2المبحث الثاني: البحث الانثروبولوجي

1.2. التسمية

2.2. القبيلة

3.2. اللغة

4.4. أصل السكان

5.2. النزعة البربرية

3المبحث الثالث سوسولوجيا الدين

1.3. سوسولوجيا الدين عند ضباط المكاتب العربية

2.3. سوسولوجيا الدين عند الأكاديميين الفرنسيين

3.3. سوسولوجيا الدين بين الاصلاحيين الجزائريين والمستشرقين الفرنسيين

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية والانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

### الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية والانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

نستعرض في هذا الفصل الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية الفرنسية عن الجزائر، وتعتبر هذه الدراسات والأبحاث من العلوم الاستعمارية بامتياز، وذلك نظير ما قدمته من معلومات عن المجتمع والفرد الجزائري، واخضعتة الى الوصف والدراسة، وفهم سلوكه، وعاداته، وتقاليده، ودينه، ومعاشه، ولغته، وتركيبته الاثنية والعرقية، في محاولة منها لتفكيك النظم الاجتماعية للمجتمع الجزائري، بغية التعرف عليه اولا وحتى يسهل عليها ادماجه والسيطرة عليه ثانيا، ولقد حاولت في هذا الفصل استعراض مساعي وادوار هذه الدراسات وتبيين مكانة الانثروبولوجيا ضمن مشروع الاحتلال والعلاقة بينهما، وعليه نطرح الاشكال الاتي :

هل كانت الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية خاضعة للنظرة الاستعمارية؟ ما هي اهم الدراسات التي انجزت في هذا المجال؟ كيف وظفت هذه الدراسات التنوع العرقي والاثني للمجتمع الجزائري؟ ما موقع الدين من خلال هذه الدراسات؟ وغيرها من الاسئلة التي سنحاول عرضها وتبيانها في هذا الفصل

بدأت السوسولوجيا الاستعمارية تمارس مهامها في الجزائر عام 1833، وهو تاريخ تشكيل لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر بإشراف وزارة الحرب الفرنسية، ولقد جاءت ضرورة تشكيل هذه اللجنة بعد المحاولات العديدة الفاشلة للاستيلاء على بعض المناطق عن طريق القوة العسكرية، وبناء على هذا جاء البحث العلمي في الجزائر بعد الاحتلال مباشرة عن طريق تنصيب هذه اللجان العلمية ( les comités scientifiques)، وأعطيت الأوامر مباشرة لها للتنقيب على جميع المستويات وفي جميع ميادين المعرفة، في التاريخ والآثار والجغرافيا واللغة والانثروبولوجيا وحتى علماء الجيولوجيا والنبات، فالهدف كان جمع كم هائل من المعلومات عن الجزائر.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

### 1. المبحث الأول: البحث السوسولوجي

#### 1.1. السوسولوجيا العسكرية

اتخذت الدراسات والأعمال الاستشراقية من المجتمعات المغاربية المستعمرة حقلا للتجارب والدراسات واستنطاق النظريات وتجريب الايدولوجيا، ونتيجة لهذا العمل جمعت العديد من البيانات والمعلومات المتنوعة والخاصة وفي جميع جوانب الحياة اليومية الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية<sup>1</sup>، وفي ذلك يشير الفرنسي بوري دوسان فانسان (Bory de sain vincent) في ملاحظاته حول اللجنة العلمية سنة 1838، انه يجب إرسال علماء متخصصين ذوي مهارات كبيرة في استعمال اللغة العربية لأنها وسيلة مهمة في البحث عن تاريخ البربر.<sup>2</sup>

إن الحملات الفرنسية الأولى على ارض الجزائر كانت بحاجة ماسة إلى بعض المعلومات والمعطيات الهامة حول طبيعة السطح الطبيعي وكذا حول القيم والعادات الاجتماعية، ولقد تولى الضباط مهمة هذا البحث في البداية، بحيث أن دراساتهم في المجال الاجتماعي سوف تدعم القوى العسكرية الفرنسية بوسائل معرفية خاصة في توجيه علماء نشاطها الميداني<sup>3</sup>، ومن هؤلاء الضباط "كارات (Carette)، وهو احد أعضاء البعثات العلمية والذي صدرت له دراسة في 1849، والذي يحدد الهدف من هذه البعثات والدراسات في ثلاث محاور، منها ماهو علمي: ترسيم الحدود والتقسيمات ومعرفة سطح الأرض، ومنها اقتصادي: المبادلات التجارية ومظاهر العمل، وسياسي اجتماعي: هو معرفة الأوضاع السياسية والعلاقات الاجتماعية.<sup>4</sup>

أشار كارات في دراسته لمنطقة القبائل إلى أن البربر يختلفون عن العرب في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والسياسية، وان البربر القبائليين هم الأهالي الأصليين المحصورين في الجبال بفعل الغزاة العرب، فهذه

<sup>1</sup> جمال معتوق، "السوسولوجيا الكولونيلية من اجل قراءة نقدية جديدة"، مجلة أفاق لعلم الاجتماع، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، جامعة البليدة2، الجزائر، 2015، ص 8.

<sup>2</sup> كريم بوترة، مرجع سابق ن ص 332.

<sup>3</sup> محمد آكلي، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، "أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر اية علاقة ؟"، تقديم عبد القادر لقعج، دار القصة للنشر، أيام 4-5-6، ماي 2002، وهران الجزائر، 2004، ص ص 98-99.

<sup>4</sup> Careete , exploration scientifique de l'Algérie , étude sur la kabyle proprement dite , , bibliothèque national de France , paris , 1849 , p.6.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الحجة العلمية لم يكن لها اثر بعيد وإنما جاءت لتبين وتبرهن لفرنسا أن البربر هؤلاء المسيحيون قديما... كانوا الأسياد الأولين للبلاد، وان بربر جرجرة تحذوهم الرغبة للعودة إلى المسيحية.<sup>1</sup>

الملاحظ لدراسة كارات لمنطقة القبائل انه خصص حيزا هاما لهاته المنطقة وذلك حسب الأهداف العسكرية والسياسية المسطرة من قبل موجهي هذه الدراسة<sup>2</sup>، كما أكد كذلك أن منطقة القبائل ظلت في منأى عن الاتصال والاحتكاك بناء على نحو مباشر، وظلت تكافح جميع ضروب السيطرة والهيمنة السابقة، يجب ان تغدوا قبل انقضاء بضع سنين أفضل عون لأعمالنا ومشاريعنا وانفع شريك لنا على حسب قوله.<sup>3</sup>

نستنتج من الدراسة السابقة لكارات أن البحث الكولونيالي في بداياته، كان حضور "المادة القبلية" دراسة البربر بارزا، مما يتيح التساؤل حول الأهداف والخلفيات التي تقف وراء هذه الدراسات والأبحاث، ومما لاشك فيه انه كان ضمن إستراتيجية الاستعمار، والمتمثلة في محاولة القضاء على مصادر الخطر في المناطق المعروفة بالتمرد من جهة، وفي محاولة البحث عن حلفاء، أو خلق انقسام في المجتمع، ينطلق من مبدأ فرق تسد من جهة ثانية<sup>4</sup>

نجد كذلك دراسة كل من هانوتو (Hanoteau)، و لوتورنو (Le tourneux)، والتي ارتكزت حول منطقة القبائل وأعرافها سنة 1868 قبيل الانتفاضة الكبرى للقائدين المقراني والحداد، وتعتبر هذه الدراسة من أهم واكبر الدراسات الكولونيالية التي عرفت الجزائر إبان العهد الاستعماري، وتكمن أهميتها في أمرين، الأول أنها كانت تهدف إلى وصف الوقائع الاجتماعية من خلال التحليل الدقيق للأعراف، والتقاليد، والعادات الشعبية<sup>5</sup>، والثانية أن الدراسات التي جاءت بعدها لم تتمكن من إضافة شيء جديد، إلا بالرجوع إلى نتائجها، والعودة إلى أهم التحاليل، والخلاصات التي قدمتها حول الظروف التاريخية، والاجتماعية للمجتمع القبائلي، وحول بنية واقعه الثقافي،<sup>6</sup> وفي نفس المجال صدر كذلك لهانوتو كتاب آخر حول النحو القبائلي،

<sup>1</sup> آجرون شارل رويبر، المجتمع الجزائري في مخبر الإيدولوجية الكولونيالية مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس، تر: محمد العربي ولد خليفة، منشورات ثالة، 2002، ص. 33.

<sup>2</sup> محمد آكلي فرادجي، مرجع سابق، ص. 99.

<sup>3</sup> آجرون شارل رويبر، مرجع سابق، ص. 29.

<sup>4</sup> محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص. 65، 70.

<sup>5</sup> محمد آكلي فرادجي، مرجع سابق، ص. 101.

<sup>6</sup> المرجع السابق، ص. 101.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

وآخر عن الشعر الشعبي في منطقة زواوة، وقد تولى نشرها الحكومة والوزارة الفرنسية، ومن أعماله كذلك "النحو التمشقي (لهجة الهقار)، وعمل آخر خصصه للشعر الشعبي لمنطقة جرجرة\*، وقد قام احمد جلاوي سنة 2001 بدراسة نقدية لهذا العمل بالرغم من تحريف الحقائق وطغيان الإيديولوجية الكولونيالية.<sup>1</sup>

ومن الدراسات التي كان لها تأثير كبير في هاته المسألة، دراسة فابر (P.D.Faber)، ودوماس اللذان صاغوا في سنة 1847 ما اسماه البعض لاحقا "الأسطورة القبائلية"، بمعنى الشعب القبائلي المستقل جزئيا وذو الأصل الجرمانى، والمسيحي ماضيا، والهدف من هذا كله هو استنباط عرق بربري مقارب، ومنتسب إلى السكان الأوروبيين،<sup>2</sup> وكتاب(Daumas) بعنوان "صحراء الجزائر دراسة جغرافية إحصائية تاريخية (Le Sahara Algérie étude géographique statistique historique)، والتي ركز فيها على الذهب الاباضي في منطقة بني مزاب، وأسباب نشأته في الشرق، ثم تطرق إلى اختلاف المزايين عن الأجناس الأخرى من حيث بنية الجسم، ولون البشرة والشعر...، ثم أشار إلى أن أولويات وطموحات فرنسا في المنطقة، يلزم عليها أن تهتم بالبربر لما يحملونه من مزايا اجتماعية واقتصادية وحتى دينية، من اجل بقاء فرنسا في الجزائر<sup>3</sup>

لقد تم التركيز منذ البداية على موضوع السكان المستقرين من ذوي الأصول البربرية(أعمال هانوتو ولوتونو)، وعض أن تكون ترجمة مقدمة ابن خلدون في الثلاثينيات على يد دوسلان فرصة لتصحيح المسارات، فان اغلب الكتابات آنذاك اخذوا منها ما يناسب فرضياتهم وأطروحاتهم، وخاصة في إظهار التعارض بين السكان المستقرين والبدو والرحل<sup>4</sup>

من بين الباحثين الذين اهتموا بالأولياء والكرامات وكذلك الدراسات المونوغرافية للمدن الجزائرية نجد العقيد "كورنيل تريملي (Corneille Trumelet)، والذي يعد بمثابة مؤرخ السوسولوجية الكولونيالية للجزائر وإفريقيا عامة، فقد قام بدراسة حول مدينتي البليدة وبوفاريك من خلال الطابع العمراني للمدينتين، وطبيعة

\*للإطلاع على هذه الدراسة راجع: A.Hanoteau , poésies populaires du djurjra texte kabyle , gallica.bnf.fr , bibliothèque national de France , paris , 1867.

<sup>1</sup> جمال معتوق، مرجع سابق، ص. 21.

<sup>2</sup> كميل ريسلر، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر أهدافها حدودها 1830-1962، تر:نذير طيار، دار الكتابات الجديدة للنشر

الإلكتروني، د.ب.ن، 2016، ص ص. 76،79.

<sup>3</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص. 336.

<sup>4</sup> محمد نجيب ابو طالب، مرجع سابق، ص. 34.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

سكان المنطقة والقبائل التي ينتمون إليها، وهذا خدمة للمصالح الاستيطانية<sup>1</sup>، فكان تراث من أمثال هؤلاء ضباط المكاتب العربية أكثر الأشكال أهمية في تطور السوسولوجيا الجزائرية، وعلى الرغم من موقعهم السياسي، فقد كانوا أفضل مزود بالمعلومات، وأكثر تقيضا لأثر السياسات الفرنسية على المسلمين الجزائريين، وكانت الحصاة الكبرى من أعمالهم حول المجتمع الجزائري وثقافته، مثل أعمال دوماس سنة 1844-1853، وبنان 1893، وريتشارد 1848-1893، وأوربن 1847، إلى غاية أطروحة مونتاني 1930، والتي تركز جميعها على نموذج البنية القبلية للمجتمع الجزائري<sup>2</sup>.

استعرض المستشرق الفرنسي جاك بيرك مختلف التجارب البحثية في المنطقة "شمال إفريقيا" خلال المرحلة الاستعمارية، وأطلق عليها تسمية "علم الاجتماع الشمال الإفريقي"، مركزا على الأعمال البحثية التي قام بها هؤلاء المستشرقون حول الجزائر والمغرب، مروراً بالأعمال التي أنجزها العسكريون حول المناطق التي أداروها<sup>3</sup>، ومن الأعمال التي قاموا بها نجد كتابات (Daumas)، الذي استطاع ان ينشر عددا من المؤلفات التي تخص الجزائر، وتركيبتها البشرية، والاجتماعية، والدينية، والاقتصادية من خلال كتاب صحراء الجزائر (Le Sahara Algérie) الصادر 1845، وكتاب القبائل الكبرى (Le grand Kabylie) الصادر 1847، فقد حاول من خلال هذه الإصدارات إعطاء صورة لواقع الجزائر بهدف وضع السلطة الفرنسية في الجزائر على الطريق الصحيح<sup>4</sup>.

فتوالت الدراسات حول الشعب الجزائري عامة ومنطقة القبائل خاصة، إذ نجد العديد من الباحثين قد استهوتهم هذه المنطقة لما تحمله من خصوصيات ثقافية واجتماعية، ومن أهم الدراسات التي أجريت على منطقة القبائل نجد كمال من: المستشرق دوماس وكارات ودوفو ووارنبي ودوفال وشاتولان وشارفوريا والمستشرقان هانوتو ولوتورنو<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمد بن عودة، التجربة السوسولوجية في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية، 2012/12/20 تم زيارة الموقع في 2021/07/17 على الساعة 06.10 الرابط: <https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/altjrbte-alswsywlwjyte-fy-aljzayr>

<sup>2</sup> آدموند بورك، مرجع سابق، ص ص 8-9.

<sup>3</sup> محمد نجيب بو طالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، أطروحات الدكتوراه، بيروت - لبنان، 2002، ص 33.

<sup>4</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص 335.

<sup>5</sup> 1. Daumas: la Grande Kabylie historique 1847 etude  
2. Carrette: sur la Kabylie proprement dite 1848 étude

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

هذا بالإضافة إلى الدراسات التي قام بها الأكاديميون أمثال ماسكوراوي، روني باسي، وغابريال كامبس وآخرون فيما بعد، وهي دراسات قامت على الأنثولوجيا، والاثنوغرافيا لسكان الجزائر عامة، وساكنة منطقة القبائل خاصة، وكانت تهدف هذه الدراسات إلى التعمق في فهم المعاش القبائلي بهدف إدماجها في الكيان الفرنسي، وفي هذا يقول أحد المنظرين الاستعماريين: لكي تخضع لنا منطقة القبائل معنويا، علينا أن نعرف تاريخها، عاداتها، أعرافها للتمكن من الحكم عليها وفهم طباع من يجب علينا ربطهم بفرنسا بشدة<sup>1</sup>

### 2.1. السوسولوجيا الأكاديمية

وفي نص صريح للمستشرق الفرنسي ريني موني في مشروع برنامجه عن علم الاجتماع الجزائري: لنا مصلحة نظرية وتطبيقية للتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية لأنه من حقنا، ومن واجبنا أن نعرف ونفهم جميع الشعوب التي نحميها، وندير شؤونها، ولا نتوقف أبدا عن القيام بهذا الواجب (...). تطبيقية باعتبار ان العلم مصدر للنفوذ والحكم، فان المعرفة تصبح وسيلة لا بد منها للعمل، فكم من أخطاء ارتكبتها وكم من جرائم وقعنا فيها وكان بالإمكان تجنبها لو كان أعواننا على بينة من سبيل التفكير الأهلي وعلى اطلاع على نوعية البشر التي أودلت إليهم رعاية شؤونهم<sup>2</sup> ويضيف: بان الاستعمار الفرنسي هو الذي دفع بالدراسات السوسولوجية في الجزائر وفي إفريقيا عن طريق الجيوش والحملات الاستشراقية، فهذه الخلفية التي عرضها ريني موني تمثل المنطلق الحقيقي لمعظم الدراسات الاجتماعية والاستشراقية عن المجتمعات الإسلامية<sup>3</sup>

les Kbails du Djurdjura 1859 3. Devaux: l'empereur 1865 devant 4. Warnier: l'Algérie Algérie 1866 en de Napoléon 5. Duval: la politique Kabylieet les oasis 1886 en Algérieen 6. Chatelin: Kabylie 1889 en jours 7. Charveriat: huit 1893 kabyles les coutumes la Kabylieet letourneux: et 8. Hanoteau

<sup>1</sup> بلخير بومحراث وحمد عيسى، فرنسا الكولونيالية وسؤال الهوية في منطقة القبائل، مجلة معارف، جامعة اكلي محند اولحاج، جامعة البويرة،

جوان 2015، مج 10، ع 18، ص 42

<sup>2</sup> عبد الوهاب بوحديبة، لافهم فصول عن المجتمع والدين، الدار التونسية للنشر، 1992، ص. 103.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص. 104.



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

نجد أن هذا العلم الذي طبقه موني على الجزائر (Programme d'une sociologie algérienne) هو مجرد تطبيق لعلم اجتماع بدائي، اعتبره ساباته علم اجتماع أهالي (Sociologue indigène)، ولقد أنتجت هذه العلوم في إطار ما كان يسمى العلوم الاستعمارية (Les sciences Coloniales)<sup>1</sup> وعليه كان الاعتماد في إنجاز هذه الدراسات على المستشرقين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر بعد احتلالها، نظرا لكونهم أكثر أهلية من غيرهم للقيام بمهمة البحث في تاريخ الشعوب المغاربية وفي معتقداتهم وعاداتهم وطبائعهم، فدوتي مثلا "E.douté" وموليراس A.mouliras واغوستين برنار B.augustin وغيرهم قاموا بدراسات سوسولوجية انثروبولوجية، استفاد منها المستعمر الشيء الكبير،<sup>2</sup> وتعتبر هذه الفئة من المستشرقين الأكاديميين، مستشرقين لم يكونوا استعماريين، لكن المهام التي أسندت إليهم والدراسات والمعلومات التي قدموها وأجزوها كانت تصب كلها في إطار تثبيت الاستعمار الفرنسي في الجزائر سواء كانت بحسن نية أو بسوءها .

ينقسم الأكاديميون إلى ثلاث فئات<sup>3</sup>: قسم جعل من الجزائر حقلا لدراسته الميدانية فأغلبتهم قاموا بهذه الدراسات في إطار إعداد بعض الشهادات الجامعية كالدكتوراه مثل لوکور le cour وجاك بيرك jacque berque وغيرهم، وقسم كانت دراساتهم ذات إيديولوجية وخلفية استعمارية كان الهدف منها هو تزييف الحقائق ونشر الأباطيل، وقسم كانت أبحاثهم علمية جادة مثل بير بورديو...والذين عرفوا بمدرسة الجزائر بقيادة باسيه، ولقد ركز الإنتاج الفكري لهاته المجموعة على دراسة التراث والدين الشعبي وعلم اللهجات وبعبارة أخرى، دراسة المواضيع القليلة الفائدة والطموح فكريا<sup>4</sup>

لذا توزعت الأطروحات التي نوقشت في جامعة الجزائر في الفترة 1880-1962 وما يتعلق بالجانب الاجتماعي ب 17% من مجموع الأطروحات في التخصصات الأخرى، أي 48 أطروحة في علم الاجتماع

<sup>1</sup> ياسين سعادة، " التحليل السوسولوجي لتاريخ الجزائر"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، ع6، تيارت-الجزائر، 2013، ص. 302.

<sup>2</sup> الحسان بن إبراهيم بوقدون، اثر الاستشراق في بروز القوميات العرقية في الأمة، القومية الامازيغية في شمال إفريقيا نموذجا، بحوث مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، كلية العلوم والآداب بالرس، ايام 14-16/12/2016، المملكة العربية السعودية، ص. 814.

<sup>3</sup> عزيزة خلفاوي، مرجع سابق، ص. 7.

<sup>4</sup> الطيب شنتوف، "خمسون سنة من السوسولوجيا الكولونيالية المغاربية في الفترة ما بعد الكولونيالية"، تر: رشيد بن بية، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المجلد 6، ع 23، الدوحة-قطر، 2018، ص. 137.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

تناولت 11 منها موضوعات الفلاحين والجماعات الفلاحية والحياة المحلية للسكان والزوايا، بينما خصصت 10 أطروحات لمنطقة القبائل والبربر والرحل والمزاب، وعُنيت 8 أطروحات بالمرأة، و6 بالتعليم، و6 بالديموغرافيا الساكنة والمدن و5 باليهود، واثنان بالتعايش،<sup>1</sup> ويمكن اعتبار كذلك نسبة 3.86% من المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية في الفترة 1922-1950 تدرج في خانة علم الاجتماع بمعناه العام.

### 2. البحث الأنثروبولوجي<sup>2</sup>

كان خضوع الجزائر للاحتلال الفرنسي محل اهتمام الدراسات الاستشرافية الفرنسية، ولكن ما ميز هذه الدراسات أنها كانت دراسات أنثروبولوجية، حرصت على دراسة الثقافة والعلاقات الاجتماعية والقانون والسياسة والدين واللغة والأعراف والهوية وغيرها من الدراسات.<sup>3</sup>

وقام بهذا الدور المستشرقون الفرنسيون من علماء الاجتماع، فكانت لهم مساهمة بارزة في تطوير منهج الأنثروبولوجيا الاستعمارية، حيث أسفرت جهود هذا الجيل الثاني من تكوين رصيد معرفي معتبر، ذي طابع اثني كان أساس المكتبة الأنثوغرافية للدراسات البربرية، بتأليف 600 كتاب أو دراسة مخصصة لبلاد القبائل، و170 كتابا أو دراسة لمنطقة الأوراس، فكانت هذه المساهمة مرجعية للأجيال اللاحقة في الدراسات البربرية<sup>4</sup>

وكانت للمجلة الإفريقية (Revue Africaine) دور مهم في هذه الجهود، وذلك منذ تاسيسها، إذ نُشرت فيها في الفترة 1865-1947 دراسات وبحوث بلغت 94 دراسة ومبحثا يتعلق بالاصول واللغة، و79 تم منطقة القبائل، و14 تتعلق بالتوارق (بربر الصحراء)، و9 تخص وادي مزاب، و3 بحوث تتعلق

<sup>1</sup> الطيب شنتوف مرجع السابق، ص 137.

<sup>2</sup> الأنثروبولوجيا: هي تلك الدراسات التي ينجزها محترفون تخصصوا في علم الانسان، وتدريبوا على العامل الميداني داخل ثقافات من قاموا بدراساتهم ومجتمعاتهم، وذلك ضمن برامج أكاديمية اشرفت على دراستهم، ويقصد بها ايضا تلك الدراسات التي تستخدم النظريات والمصطلحات العلمية او الفنية التي تميز بها الحقل العلمي، ينظر: ابو بكر باقادر وحسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق سوريا، 2012 ص 15-16

<sup>3</sup> عمار بركات، مرجع سابق، ص 94.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدون، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب الهوية اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر

ولبنان، 2021، ص ص 78

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

بمنطقة الأوراس، فكانت هذه المجلة حاضنة ومروجة للبحث الفرنسي في شؤون الجزائر، وشمال إفريقيا، خصوصا ما يتعلق بالدراسات البربرية او البحوث الاثرية والاجتماعية<sup>1</sup>

فاقتزنت تلك الابحاث والدراسات مع الحركة الاستعمارية، وكان الهدف المرجو منها هو التعرف على المجتمع الجزائري، وهذه المعرفة تسهل المهمات العسكرية، فبدأت البحث في الإنسان الجزائري، وكان العسكريون هم الأوائل الذين تولوا الدراسة الانثروبولوجية<sup>2</sup>، ولكن الملاحظ على هذه الدراسات أنها ارتكزت جلها على تحديد وفهم النظام القبلي الذي كانت عليه التركيبة البشرية للجزائر، فظهرت دراسات كثيرة ومتنوعة خاصة وأنها اهتمت في بحوثها على العنصر البربري وبداية الترويج للدعاية القائلة بأصولهم الأوروبية<sup>3</sup>، فحاولت تمييز هذا العنصر عن سائر العرقيات الأخرى التي تشكل الخريطة السكانية للدول المحتلة كالجزائر والمغرب<sup>4</sup>.

### 1.2. التسمية

عرف سكان شمال إفريقيا بتسميات عدة، واختلف حولها الباحثون والدارسون خاصة حول سبب تلك التسميات، فمثلا يجمعهم الجغرافيون بالنوميديين ثم الجيتول ثم الموريين، ففي وقت سابق كان هيروودوت يجمع سائر الاقوام البيض من غير الفينيقيين والاغريق تحت اسم الليبيين<sup>5</sup>، والاغريق على غرار القرطاجيين كانوا لفترة طويلة يطلقون اسم نوميدي على كل الافارقة غير الخاضعين لقرطاجنة، لكن في الفترة الرومانية كان هذا الاسم مقتصرًا على بعض قبائل الشرق الجزائري وتونس<sup>6</sup>

ساد ايضا مصطلح المور في الفترة القديمة، فينقل كامبس عن سترابون اعترافه أن الأهالي يسمون أنفسهم (ماوري) بذات الصيغة التي يستعملها الرومان، وقد لاحظ اغزال والمعروف عنه حذره، انه لا يوجد

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 79

<sup>2</sup> احمد اوراغي، الانثروبولوجيا والاستعمار قراءة في صورة الجزائر في المؤلفات الانثروبولوجية الاستعمارية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مخبر الجزائر تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 7، الجزائر، ديسمبر 2013، ص 270.

<sup>3</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص 345.

<sup>4</sup> الحسان بن إبراهيم بوقدون، مرجع سابق، ص 807.

<sup>5</sup> غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب الاقصى، 2014 ص 18

<sup>6</sup> غابرييل كامبس، في اصول بلاد البربر "ماسينيسا" او بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق العربي عقون، ردمك المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

أي مسوغ يجعلنا نرفض قول سترابون أن اسم ماوري من أصل أهلي،<sup>1</sup> ونجد أيضا المستشرق لويس رين (L.Rinn) الذي يعيد الاسم مور إلى الجذر (Our)، الموجود في اسم جبل أمور أو جبل عمور، ومعناه "جبل"، أي أن اسم مور في هذا التفسير يعني سكان الجبال، أي السكان المستقرين في مقابل السكان الرحل، الذي ترجم رين اسمهم "نوميد" الرحل، ولكن هذه الشروحات بالنسبة لكامبس ما هي إلا توهّمات لا قيمة لها<sup>2</sup>

إن لفظ المور وضع للدلالة على جميع الأهالي المستقلين عن السلطة المباشرة للمدن والمقاطعات، أي الذين كانوا خارج السيادة الرومانية، والوندالية، والبيزنطية، كما ورد في النقوش دالا على الأقاليم المتمردة على الرومان،<sup>3</sup> ويذكر كامبس أن لفظ المور أطلق على كل سكان شمال إفريقيا إلى نهاية التاريخ القديم، ولتحويل إلى مدلول شامل لجميع البربر الغير مترومين، ويطلق أيضا في القرون الوسطى على جميع مسلمي الغرب

يقول محمد العربي عقون: إن اعتماد اسم ثابت لهذه المنطقة ولسكانها أمر غير متيسر، فقد تعاقب عليها تسميات ليبيا والليبيين وإفريقيا والإفريقيين والمغرب والمغاربة، ومنذ تعميم اسم إفريقيا على القارة ظهرت تسمية إفريقيا الصغرى، وفي الجغرافيا السياسية اعتمدت اسم إفريقيا الشمالية<sup>4</sup> أو الشمال الإفريقي، *Afrique du Nord, North Africa*، الدالة على البلدان الأربعة، تونس وليبيا والجزائر والمغرب، ولم يتردد البعض في اعتماد تسمية بلاد البربر،<sup>5</sup> و لفظ البربر عوض لفظ المور الذي كان شائع الاستعمال في الفترة المتأخرة من العصور القديمة، وقد برر لفظ البربر للدلالة على اثنين متميزة عن أقليات أخرى<sup>6</sup>

<sup>1</sup> غابرييل كامبس، مرجع السابق، ص 180

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 180

<sup>3</sup> محمد البشير شنيبي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، 1999، ج 2، ص 443، 492

<sup>4</sup> يقول عبد الله العروي: فإذا قلنا شمال إفريقيا اعترض علينا الجغرافيون لأننا ندخل فيها مصر وإذا قلنا غرب شمال إفريقيا كنا أقرب إلى الواقع

لكن الوصف يعبر عن حالة سياسية معاصرة وإذا قلنا أرض البربر استعملنا عبارة كانت رائجة في أوروبا في بداية العصر الحديث ثم نبذت لما

تحمله من خلفيات سياسية وربما عرقية. ينظر: عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج 1، ص 29-30

<sup>5</sup> محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2008، ص 13

<sup>6</sup> محمد البشير شنيبي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري ومقاومة المور، مرجع سابق، ج 2، ص 492

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

وبالنسبة لهذا الاسم فقد اجمع الباحثون على أن كلمتي بربر<sup>1</sup> وبربار تعنيان إما اللغظ والرطانة والضوضاء أو الهمجية والقسوة والجهل، وعلى هذا لم تكن هذه التسمية في يوم ما صحيحة لأي جنس من الأجناس، وإنما كانت دوما بمثابة النبز والشتيمة، ولما حاول بوسكي G.H.Bousquet في كتابه البربر Les Berbères تفسير كلمة بربر قال: إنها مشتقة من كلمة باربروس Barbarus المستمدة من اللاتينية وهي كلمة تعني بها فئات مختلفة ليست خاضعة لسلطان الرومان، والقصد منها هو وصف تلك الفئات بالتخلف<sup>2</sup>

يذهب كل من اغزال (Gsell)، وغوتي (Gautier)، الى أن لفظ البربر اشتق من بارباري (Barbari) وهو لفظ تم تداوله في لغة أهل المدن الناطقين باللاتينية بعد أن اختلط بهم العرب فاخذوا عنهم هذا الاسم وعمّموه بشيء من التحريف على أهل البلاد من غير البيزنطيين والأفارقة،<sup>3</sup> وأما الاسم الحقيقي للبربر عند غابرييل كامبس فهو الامازيغ الوارد عند هيروdotus نفسه بصيغة المازيس<sup>4</sup> ليفسر كامبس أكثر هذه النقطة بقوله: في الواقع هناك اسم اثني واسع الانتشار، نجده في كل جهات بلاد البربر، يتجاوز اسم الاشخاص إلى اسم المكان، فحذر الاسم المقصود هنا (م ز غ MZG) و (م ز ك MZK) الموجود أيضا في أسماء مازيس (Mazicess)، مازاس (Mazazeces)، خلال الفترة الرومانية، مما يسمح باعتباره الاسم الحقيقي للشعب البربري<sup>5</sup>

تذكر بعض الروايات أن امازيغ هو اللقب الذي يطلق على سكان شمال إفريقيا في القدم، على اعتبار انه اسم لجدهم وهي الأحرار والنبلاء، وهذا يقود إلى تصور الاعتقاد الذي اعتمده بوسكي في كتابه السابق حين قال باحتمال أن تكون كلمة امازيغ نسب نبيل لشخص أو لفئة ارسقراطية قديمة، وربما تكون هذه

<sup>1</sup> البربر مصطلح خاطئ ومضلل، مشتقة من الكلمة اليونانية Barbaros or Barbarus، ويعني حرفيا الاجنبي، اطلقها اليونان اولا على جميع الاجانب بمن فيهم الرومان، وقد اتخذت اللفظة في العهد الاغريقي معنى ازدرايا مقترنا بجميع الرذائل وبالطبيعة الهمجية التي نسبها الاغريق الى اعدائهم، ثم أطلقت على من لا يجيد اللغة اليونانية، والمصطلح لا يدل على جنس قائم بذاته، وانما على انتماء لغوي وحسب، ثم جاء الرومان الذين استعملوا نفس المصطلح او التسمية للذين كانوا يقطنون خارج اسوار الرومان، اي الذين لم يتروموا - اذا صح المصطلح - وعلى جميع الشعوب غير الواقعة تحت النفوذ او التأثير الاغريقي الروماني، وهذا يدل على ان الرومان لم تكن لهم سلطة واقعية او فعلية على قبائل البربر، لان البربر لم يتقبلوا سلطان الرومان ينظر: نجم فرج، القبيلة الاسلام والدولة، دار الدعوة، القاهرة مصر، 2004 ص 33

<sup>2</sup> الدراجي بوزياني، القبائل الامازيغية ادوارها مواطنها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج 1، ص 18

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 498

<sup>4</sup> غابرييل كامبس، البربر ذكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب الاقصى، 2014 ص 18

<sup>5</sup> غابرييل كامبس، في اصول بلاد البربر "ماسينيسا" او بدايات التاريخ، مرجع سابق، ص 80

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الكلمة أيضا سما لجدهم كما ورد ذلك في النصوص اليونانية واللاتينية،<sup>1</sup> فبالرغم من هذا الاعتراف بوجود اسم الامازيغ من قبل المستشرقين، إلا انه سترك جانبا، وسيفرض اسم (Les Berbères) كاسم شامل لكل المجموعات البشرية المستعملة للغة الامازيغية، وهذا ما عبّر عنه أيضا ايرنست رينان حين قال أن اسم البربر (Berbère)، هو الأنسب لتسمية كل هذه المجموعات البشرية المتعددة، ونفس الفكرة أكدها فيدارب (Faidherbe)<sup>2</sup>

### 2.2. القبيلة

شجعت السلطات الاستعمارية المفكرين من المستشرقين لانجاز دراسات وبحوث علمية ميدانية، حول الأوضاع الثقافية والاجتماعية بدول الشمال الإفريقي، وقامت بمساعدة وتمويل من تراه أكثر ملائمة وموافقة للتوجهات السياسية للدولة، وهكذا تمّ تهيئ جماعة من المستشرقين السوسولوجيين الذين وظّفوا بإتقان أبحاثهم ودراساتهم أطروحة التقسيم العرقي للسكان عرب-بربر،<sup>3</sup> وقد استطاع البحث الكولونيالي أن يصوغ مفاهيم ويقدم تصورا متماسكا عن القبيلة، والى جانب هذه البحوث استطاعت السياسة الاستعمارية أن تحدث انقسامًا بين المجتمع البدوي الذي تعتبره خصما لها، وبين المجتمع المستقر والذي يُنظر إليهم باعتبارهم أصدقاء، ولذلك عملت على تعميق إيديولوجية الانقسام بين العرب والبربر، بين المستقرين والقبائل البدوية،<sup>4</sup> فخصوصية الأبحاث الفرنسية تتمثل في هذا البحث المضني للتمييز بين الاثنين، بشكل يقدم الناطقين بالامازيغية كأبناء السكان الأصليين حفدة الكاهنة وماسينيسا من أصول أوروبية، وخصوصيات عرقية في مواجهة الناطقين بالعربية باعتبارهم أبناء الغزاة العرب القادمين من الشرق مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير منذ القرن السابع،<sup>5</sup> والى جانب تمييز العرب عن البربر كثنائية أساسية في الخطاب الكولونيالي يتم أيضا تقسيم البربر أنفسهم إلى مجموعات كبرى، كما سيتم البحث عن خصوصيات كل مجموعة،<sup>6</sup> ولذلك نجد كثيرا من

<sup>1</sup> الدراجي بوزباني، مرجع سابق، ص 19

<sup>2</sup> الحسن بويقوبي، المعرفة السلطة في السياق الكولونيالي بالمغرب والجزائر، مجلة دراسات الامازيغية، تصدرها كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر المغرب الاقصى، 2018، ع 2، ص 35

<sup>3</sup> الحسان بن ابراهيم بوقدون، اثر الاستشراق في شكل القوميات العرقية في الامة، مجلة دراسات استشراقية، تصدر عن المركز الاسلامي

للدراستات الاستراتيجية، دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية، 2017، ع 10 ص 156

<sup>4</sup> محمد نجيب بوطالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 101

<sup>5</sup> الحسن بويقوبي، مرجع سابق، ص 34

<sup>6</sup> الحسن بويقوبي، مرجع سابق، ص 34

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

هذه الدراسات تركز تحليلها على بنية القبيلة البربرية من حيث طبيعة العلاقات الرابطة بين مكوناتها، ومن حيث طبيعة تشكل الزعامات السياسية، وكذلك من حيث طبيعة النسق القيمي الذي يؤطرها، بالإضافة إلى مجموعة من القضايا السوسولوجية الدقيقة جدا، والتي لها علاقة مباشرة بتسهيل مهمة السيطرة العسكرية على المجال<sup>1</sup>

يقول المستشرق الفرنسي فليكس غوتي: لقد درج الباحثون على تقسيم تاريخ المغرب إلى قسمين منذ ألفي سنة حتى اليوم فنحن نتحدث اليوم عن العرب والقبائل، وفي العهد القديم كانوا يتحدثون عن النوميديين والمغاربة، وفي العصر الوسيط وراء اسم البتر والبرانس، وما هي الأسماء متباينة لفئات معينة من البدو والحضر، تغيرت ألقابها بتغير الظروف،<sup>2</sup>

وإذا رجعنا إلى العصر الوسيط فالمراجع التاريخية تشير إلى أن القبائل في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط صنفان، البتر ويقطنون في الشمال وهم أقرب إلى الحضر ويمثلون القبائل البربرية الخُلص ويلبسون البرانس، والبتر ويمتثلون الأرياف والوادي والأطراف، وهم في الغالب متمردون على المركز، وأقرب إلى البدو<sup>3</sup>

ويقول في موضع آخر: فخلال ألفين من السنين ومنذ القدم حتى يومنا هذا، كان المغرب دائما منقسما إلى قسمين لا يتحدان هما البدو والحضر (البتر والبرانس)، ذلك لأن غرائز البدوي الأصيل تختلف تماما عن غرائز الحضري، كما لم يحاول الحضر والبدو في المغرب قط العيش جنبا إلى جنب، دون أن يضم الحضر بعضهم لبعض<sup>4</sup> فهذا التصنيف هو الذي استخدمه ابن خلدون، وقد أورد كذلك شارل أندري جوليان التوجه ذاته في إشارته إلى أن كليهما (البتر والبرانس) كانا يمثلان قسما من سكان المنطقة القدامى، ويتعارف في العصر الحديث على تسمية القبائل ذات الأصول البربرية بالجبالية، بسبب ارتباط موطن إقامتها بالجبال والمرتفعات<sup>5</sup>

سار المؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان متبعا نهج زميله المستشرق غوتي، والذي اقتبس بدوره بطريقة مشبوهة فكرة ابن خلدون، والتي مفادها: فان ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصيان،

<sup>1</sup> الحسان بن ابراهيم بوقدون، مرجع سابق، ص 156

<sup>2</sup> إيميل فليكس غوتي، ماضي شمال إفريقيا، مصدر سابق، ص 166

<sup>3</sup> محمد نجيب بوطالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 110

<sup>4</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مصدر سابق، ج 2، ص 27

<sup>5</sup> محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص 111

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

البربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تُحصى، وكلهم بادية وأهل عصابات وعشائر، وكلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة،<sup>1</sup> فجولييان يعتقد أن ما كان موجودا في بلاد المغرب هو عبارة عن قبائل موحدة ضمن حلف وتقف وراء زعيم جريء، قد يدوم ذلك الحلف فترة زمنية ما، قصد تأسيس ملك لتلك القبائل المتحالفة، ولكن ذلك الملك لا يصمد طويلا بسبب قيام زعيم آخر بالدور نفسه، فيسقط الدولة القائمة ويقوم دولته، وهكذا دواليك في محيط تنعدم فيه الممالك المستقرة التي تتسع تدريجيا وتتوفر على الشروط الضرورية لنشأة الدولة، إذ لا نعتبر المدينة أو التراث هنا مقوما رئيسيا للوحدة الأساسية، بل المقوم الصحيح هو القبيلة سواء كانت ضمن حلف أم وحدة<sup>2</sup>

طبعت البداوة التاريخ الاجتماعي لمجتمعات المنطقة قرونا عديدة، ويكفي أن نتابع تحليلات ابن خلدون التي لم تستطع مقاربات السوسولوجيين والانثروبولوجيين أن تتجاوزها بفضل دقتها وعمقها، وهذا ما نجده عند الكثير من المستشرقين الفرنسيين الذين اعتمدوا في إبراز التقسيم القبلي على ابن خلدون<sup>3</sup> فمثلا تذكر فاني كولونا أن مسكراي اهتم سنة 1878 بدراسة تاريخ العمران السكاني، والمتعلق بالتجمعات التاريخية الكبرى، وقد لجأ إلى النصوص وبالتحديد إلى كتابات ابن خلدون<sup>4</sup>

انطلق التحليل الانقسامي غير المنظم مع الأعمال الأولى حول الجزائر كما رأينا في السابق، وخصوصا مع أبحاث لوتورنو وهانوتو حينما أشار إلى صراعات الصفوف، ومع أطروحة مسكراي حول البنيات والمؤسسات القبلية في مناطق الأوراس ومزاب، فقد أشار إلى التحالفات القبلية، ومبرزا الكيان القبلي في تلك المناطق<sup>5</sup>، فمثلا عند ذكره للتنظيم القبلي في الأوراس نجده مندهشا من التنظيم الاجتماعي هناك، إذ توجد في

<sup>1</sup> الدراجي بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغاربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013 ص 13

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 13

<sup>3</sup> حلت فيليكس غوتي عن ابن خلدون: ويحق للمغرب ان تفتخر بابن خلدون ويضعه في مصاف حنبعل والقديس اغسطين، يجب ان يحاط بكل ايات التعظيم والإكبار، وبوسعنا ان نؤكد انه لولاه لما استطعنا ان نتعرف على ماضي شمال افريقيا منذ الفتح العربي في العصور الحديثة، وادعوا الى اضافة اسمه في ذاكرة البشر، والى اضافة اسمه الى المؤرخين الكبار، امثال غريغوار ديترو، وفرواسار وسالوست، لتدريسه في المعاهد، ومهما يكن من امره، فاذا ذكر المغرب لا بد ان نذكر ابن خلدون، وعن كتابه المقدمة يقول: ففيها التاريخ والاقتصاد السياسي،

والفلسفة واللاهوت، فهل يمكن اعتبارها موسوعة من ما هب ودب؟ كلا، فالمادة فيها منظمة، واول ما يتبادر الى الذهن انها كتاب في فلسفة التاريخ، وهي كذلك الى حد ما، لان صاحبها يسعى لاستخلاص قوانين التطور البشري ليستعملها كمقياس في فحص مصادره التاريخية وتأويلها،

ينظر: اميل فيليكس غوتي، ماضي شمال افريقيا، مصدر سابق، ص ص 73,59

<sup>4</sup> فاني كولونا، ايات الصمود الثوابت والمتغيرات في الجزائر المعاصرة، تر: لطيف فرج، دار العالم الثالث، د س ن، د ب ن، ص 80

<sup>5</sup> محمد نجيب بوطالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 41



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الأئحاء سلطات محلية اقل مما هي عليه في القبائل ومزاب ومختلفة عنها، وذلك راجع إلى طول المسافة بين أراضي القبائل، مما يترتب عنه عدم وجود لقاءات دائمة، وبالتالي ندرة انعقاد التجمعات (مجلس القرية باللغة المحلية)<sup>1</sup>

في تناوله لقبائل البتر ومنهم زناتة يرى غوتي أن التوزيع الجغرافي لها يشمل الصحراء والجنوب التونسي وضواحي الاوراس والهضاب العليا وسهول التل الواقعة غرب الجزائر، وفي ترجمة المستشرق البارون دوسلان لابن خلدون ورد عن هذا الأخير انه قسم كتابه تاريخ البربر إلى قسمين، واحد يتعلق بالبربر الأصلي، وآخر يتحدث فيه عن زناتة، وكأن هذه القبيلة ليست من البربر،<sup>2</sup> ويقول غوتي أن الزناتيين كانوا أصحاب لغة مميزة تختلف عن سائر لغات البربر، بمعنى أن اللهجة الزناتية كانت مميزة عن اللهجات الأخرى، ولدينا اليوم دراسات روني باسي عن الزناتية لكنها ليست وافية مع الأسف، بحيث نرى لزاما العودة إلى العامل الجغرافي بغية الوصول إلى هذه الناحية<sup>3</sup>

يضيف غوتي: اختفى الزناتيون اليوم كقبيلة كبرى لأنهم لم يستطيعوا الاستمرار بعد انهيار عظيم، لكنهم لم يزولوا تماما، ومثال على ذلك القصوريين في غرارة يتحدثون البربرية ويدعون أنفسهم الزناتيين، ولا تزال أيضا اللهجات البربرية في الزاب وورقلة تحمل اسم الزناتية،<sup>4</sup> ويبقى أهم حدث حصل خلال الخمسة قرون الأخيرة في العصر الوسيط بالنسبة لغوتي، هو التحول الذي جعل من البرابرة الزناتيين عربا من بني هلال، هذه إحدى الأطروحات الأساسية لكتابه العصور أو القرون المظلمة، وهو الكتاب الذي حوّر عنوانه فيما بعد (أصبح ماضي شمال إفريقيا)<sup>5</sup> يقول ايف لاكوست معلقا: إن تاريخ إفريقيا الشمالية بأسرها بالنسبة الى غوتي ليس منذ القدم سوى مبارزة شاسعة ودائمة بين جنسين متعارضين أساسا من وجهة بيولوجية في تصرفهما الأبدي<sup>6</sup>

<sup>1</sup>فاني كولونا، مرجع سابق، ص 45

<sup>2</sup> محمد البشير شنيبي، الجزائر في ضل الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ج 2 ص 522

<sup>3</sup> ايميل فليكس غوتي، ماضي شمال إفريقيا، مصدر سابق، 149

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 150

<sup>5</sup> جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الاحد السبي وعبد اللطيف العلق،

دار توتيقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 ص 119

<sup>6</sup> ايف لاكوست، مصدر سابق، ص 134

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

يذهب كامبس إلى القول أن زناتة أخذت مكان الجيتول وابتلعتهم، فتشكلت كونفدراليات جديدة أخذت نسبا جديدا على سبيل المجاز، وان زناتة ليست منحدره من النوميدي ولا من المور وأن هؤلاء البربر الجدد (Néo Berbère)، هم الذين ينسبون لمادغيس الملقب بالأبتر، يعلق محمد البشير شنيقي على نظرية كامبس بقوله: انه افتراض وجيه، ولكنه يفتقر إلى الحجج الموثقة<sup>1</sup>

يستثني مسكراي منطقة الاوراس الغربي والمقفلة بشكل ملحوظ، والتي يعيش أحفادها اليوم في الوديان العالية (واد عبدي ووادي الأبيض)، إلى عدم انتمائها الى قبيلة زناتة بل تنتمي الى قبيلة أوربة التي تنتمي بدورها الى فرع البرانس،<sup>2</sup> والمتأثرين بالحضارة اللاتينية والمسيحية والمائلين إلى الاتحاد مع اليونانيين ضد العرب والمسلمين،<sup>3</sup> وهم أيضا يختلفون اختلافا كبيرا عن القبائل الزناتية، هذا الاختلاف جعل غوتي يستفسر، لماذا الشاوية لم يكونوا كقبائل أخرى مثل الزناتيين الذين صنعوا تاريخ سائر المغرب، وكونوا السلالات والأسر الحاكمة والجيش المقاتلة؟ ومرد ذلك بحسبه هو أن الشاوية لم يكن شاهم شأن القبائل الأخرى، وليس ذلك راجع إلى ضعف أبنائها الذين لهم مزايا مشهودة في الحرب، ولكن هذه القبائل لم تستطع أن تجمع شتاتها الموزع في القرى المقفلة لتكون كتلة محاربة<sup>4</sup>

ناقش وليام مارسلي أيضا قضية التقسيم القائم على ثنائية البتر والبرانس، والذي يرى انه من المستحيل اعتبار البتر بدوا رحلا والبرانس حضرا، ذلك أن جانبا من الزناتيين والممثلين لفرع البتر كانوا من دون شك جمالة (راكبي الجمال)، غير انه من الصعب تصور الكثيرين من البتر بدوا رحلا، وفي المقابل نجد من البرانس صنهاجة سكان الصحراء وهم أكبر الرجل عظمة،<sup>5</sup> ويشهد ابن خلدون أن هواره من البرانس كانت تضم الرجل والحضر معا، وبأن فرعا كاملا من برانس كتامة وهم بنو سدويكش كانوا يعيشون تحت الخيام ويربون الإبل، وغالبا ما تعتبر كتامة من القبائل، وهكذا فان الواحد من بني سدوكيش يمثل خليطا غريبا من القبائل الراعي الساكن بالخيام<sup>6</sup>

<sup>1</sup> محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ج 2 ص 524

<sup>2</sup> ايميل فليكس غوتي، ماضي شمال افريقيا، مرجع سابق، ص 162,150

<sup>3</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مرجع سابق، ج 2، ص 21

<sup>4</sup> ايميل فليكس غوتي، ماضي شمال افريقيا، مرجع سابق، ص 181-182

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 27-28

<sup>6</sup> المرجع السابق، ص 28

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

يذكر جاك بيرك بأن هناك موضوعا لم ينل فقط اهتمام غوتي وحده، بل احتل مكانا هاما في الدراسات التركيبية الأساسية التي ألفها جورج مارسى وتيراس، (G.Marcais, la Berbéris musulmane)، ومؤلف (H.Terrasse,Histoire du Maroc,1949) مع 1949 (et l'Orientaux au moyen Age)، ويعنى تقسيم البربر إلى مصامدة وزناتة وصنهاجة وغيرها من التقسيمات، إن تصنيفهم للمجموعات البربرية يضيف على تاريخ مجهول يقين التحليل الواضح، وكأننا بصدد سباق المشعل يُقدم فيه الجنس الآخذ في الانحطاط الشعلة إلى الجنس الصاعد، إننا أمام فلسفة للتاريخ، كما أن هذه الفلسفة تستمد سلطتها من ابن خلدون الذي مارس هيمنة مطلقة على الاستوغرافيا الأوروبية بسبب عبقريته، وبسبب ترجمته المبكرة<sup>2</sup>

لقد شكك جاك بيرك في التفسيرات التي تعتمد على السلالة الواحدة، والأصل المشترك، وفي رده على غوتي وعن الصور التي نقلها والتي تقلق القراء بما يكتنفها من تناقضات، لي طرح التساؤل: كيف نضع تحت نفس التسمية الصنهاجية كل من فلاحي القبائل الكبرى وسائقي الجمال من أتباع تاشفين، وكيف نضع تحت التسمية الزناتية البدوي المتنقل والجشع بالهضاب العليا الجزائرية، والمزابي الدحداح الذي يتصف بالتقوى والتعنت<sup>3</sup>

ولكنه في المقابل أقر بواقع الاختلاط والانصهار ضمن الوسط الجغرافي، معلنا عن تواجد أصول كثيرة متفرعة في كل المناطق، بحيث نجد أسماء القبائل ينما كان في المغرب الكبير، ولكن وليام مارسى قدم بدوره بما له من مكانة في العلوم اللسانية وفي حذر رغم ذلك، تفسيراً شخصياً لهذا التقسيم بقوله: ربما انبنى هذا التقسيم على الفروق التي لاحظها العرب في لباس أولى القبائل البربرية التي عرفوها من بربر يرتدون برانس ذات قلانس، وبربر يرتدون ملابس قصيرة بدون قلانس<sup>4</sup>

يقول جاك بيرك أن ابن خلدون يقسم التاريخ إلى حقب تسيطر عليها مجموعات اثنيه كبرى بصورة متتالية، إنها قاعدة ذهبية لا يسمح أي شيء مع ذلك بالإقرار فيما إذا كانت تعتمد على انقسام أصلي، أم

<sup>1</sup> جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 119

<sup>2</sup> جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 119

<sup>3</sup> المرجع سابق، ص 120

<sup>4</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مصدر سابق، ج 2، ص 28

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

مجرد أسطورة تفسيرية تم ظواهر نحن مطالبون باكتشافها، أو على الأقل إعادة تركيبها، ويعتبر بيري أن تكرار نفس أسماء المجموعات هنا وهناك، يرجع إلى تقاطع جغرافي كثيف يستعصي معه تشخيص الظاهرة، ويضيف: لذا يجب علينا أن نلزم الحذر لأن المسافة التي تفصل ابن خلدون عن الأحداث هي نفس المسافة التي تفصلنا عن ابن خلدون، فهي مسافة تعد بالقرون، لا بد أن نلتزم الحيطة والحذر إلى أن يتم الكشف العلمي الدقيق عن وقائع هذه الفترة، ونعتمد الحفريات كعمل مسبق<sup>1</sup>

### 3.2. اللغة

وحد المستشرقون الفرنسيون أنفسهم أمام وضع انثروبولوجي ولغوي، على غير ما كانوا يتوهمون، وهذا الوضع هو الهوية الحقيقية للشمال الإفريقي، الذي اعتقدوا في البداية انه لا يختلف عن بلدان الشرق الأدنى، وهذا ما دفعهم إلى العناية بلهجات اللغة الامازيغية، فظهرت في هذا المجال دراسات هنري باسي (Henri Basset) 1892-1926، ثم اندري باسي (André Basset) 1895-1956، وهما ولدا المستشرق روني باسي (René Basset) 1855-1924، يضاف لهما الأخوان وليام مارسي وجورج، وتبعهم آخرون في هذا المجال،<sup>2</sup>

واختلفوا كثيرا في بحث أصولها، فمن زعم لها تلك القرابة إلى السومرية والطورانية والباسكية، ومن زعم لها قرابة إلى المصرية، ومن جعل قرابتها إلى الهلينية كالمستشرق بارثلون، الذي دافع بحماس في السنوات الأولى من القرن العشرين على الأصل الإغريقي الأيحي (نسبة الى بحر ايجة) وعدد الأسماء والكلمات البربرية ذات الأصول الإغريقية أو الهلينية القديمة<sup>3</sup>

وقد بلغ بالمنكرين لها حد الشك في أن تكون للبربرية وشيخة حتى بالليبية نفسها، وهو الرأي الذي قال به اندري باسي على الرغم من كثرة الشواهد الناطقة بتلك العلاقة،<sup>4</sup> و في نفس النقطة كان لشارل أندري جوليان رأي آخر إذ يقول: ولا شك أن هذه الوحدة قد ظهرت قديما في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك

<sup>1</sup> جاك بيري، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 119

<sup>2</sup> العربي عقون، الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الاصول والهوية، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط المغرب الاقصى، 2010، ص 9

<sup>3</sup> ج كامب، البربر الذاكرة والهوية، تر: جاد الله عزوز الطلحي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة

44، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ص 57

<sup>4</sup> عابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، مرجع سابق، ص 16

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسiolوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

باستعمال لغة واحدة في بلاد البربر كلها، بل في اغلب الظن باستعمال لهجات متقاربة تكون مجموعتها المسماة اصطلاحا الليبية فرعا من فروع أسرة حام وهي مصدر اللهجات البربرية الحالية<sup>1</sup>

كما ينقل لنا جين سرفيي قول احد المستشرقين عن اللغة البربرية قوله: اللغة البربرية لا تقدم لغة حضارية، ولكنها ببساطة عبارة عن لغات محلية، لحاجات خاصة لمجموعات بشرية ضيقة ومحدودة،<sup>2</sup> ويقول جورج مارسي: فبالنسبة للبربرية لم تكن لغة حضارة بل كانت لغة تكتب قديما كالألغاز وطريقتها بدائية وغير صالحة وكانت لا تصلح إلا لأدب شفهي فقير وأصبحت على مر العصور لغة كلام تكفي للمتطلبات المحدودة للريفين الغير متطورين<sup>3</sup>

ويقول كامبس: يمكننا التأكيد بأنه كان لأسلاف البربر في زمن معين نظام كتابة خاص بهم، وقد انتشر هذا النظام كما انتشروا هم من البحر المتوسط إلى النيجر، إن الحجّة التي يمكن الذيع بها في مواجهة هؤلاء الذين ينكرون مكاربة التوسع القديم للسان البربري، أو يشككون في القرابة الحقيقية بين البربرية والليبية التي كان يتكلمها الإفريقيون القدامى، هي ما تقدمه الدراسات اللغوية لأصل أسماء الأماكن، فحتى في البلدان المستعربة بالكامل بقيت أسماء مواقع لا يمكن تفسيرها إلا بالبربرية،<sup>4</sup> وحتى وحدة المفردات اللغوية في كل اللهجات البربرية أمر مسلم به في كل المنطقة الممتدة من جزر الكناري إلى سيوة في مصر، ومن البحر المتوسط إلى النيجر، إن الوحدة الأساسية في اللغة تتسق بالضرورة مع التقارب في التفكير حتى لو اختلفت أساليب السلوك والتصرف الظاهرية<sup>5</sup>

سعى البعض من هؤلاء المستشرقين إلى إثبات الأصول الإغريقية الإيجية، وهذا بالاستناد إلى اللغة والمقاربة بين المفردات والأسماء البربرية، فقد دافع عن هذا الافتراض برثلون (Bertholon)، في مطلع القرن العشرين،<sup>6</sup> والذي أنجز عملا هاما حسب ما يرى العربي عقون بعنوان: أبحاث انثروبولوجيا في البربرية الشرقية (Recherche Anthropologique dans la Berbérie Oriental 1913)، والذي يرى من خلاله أنهم

<sup>1</sup> شارل اندري جوليان تاريخ افريقيا الشمالية، مؤسسة تاولات، مصدر سابق، ج 1، ص 53

<sup>2</sup> J.Servier, Les Berbères, Presses Universitaires de France, 1990, p 36

<sup>3</sup> جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، مصدر سابق، ص 46

<sup>4</sup> ج كامب، البربر الذاكرة والهوية، تر: جاد الله عزوز الطلحي، مرجع سابق، ص 41

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 43

Op cite, p 33<sup>6</sup> J.Servier, Les Berbères,

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

من أصل إغريقي سابق للعصر الهليني، وذلك للتشابه بين أسماء القبائل وبعض المواقع في البحر الإيجي مع نظيراتها في المغرب القديم<sup>1</sup>

واثبت كذلك رينان في كتابه (المجتمع القبائلي)، حجة لغوية مفادها أن البربر لا يزالون ينطقون الشهور حسب النطق الروماني اذ يقول: إن أسماء الشهور اللاتينية هي نفس الشهور المنطوقة والمستعملة اليوم عندهم<sup>2</sup>، وحاول المستشرق الفرنسي وليام مارسلي ربط مصطلح بربر (Berber) مع مصطلح (Ibère) سلتيبار (Celtibère)، ومدى تشابههما، وهذا يوحي بالقرابة بينهما، وكأن البربر نزحوا من شبه الجزيرة الأيبيرية<sup>3</sup>، وخالفهم في ذلك المستشرق لويس رين والذي ارجع أصول سكان البربر إلى الجنس الطوراني من آسيا.<sup>4</sup>

للإشارة فان هناك دراسات ظهرت في تلك الفترة، واتجهت إلى دراسة اللغة البربرية، فالمستشرق الفرنسي موتيلانسكي نشر دولة عن لهجة بني مزاب وغدامس، وعرف كذلك بكتاب مخطوط بالبربرية عن لهجة قبيلة زواغة، وكتب مسكراي قاموسا فرنسيا-تارقيا، وبحوثا عن لهجات بني مزاب والشاوية والزواوة، وقام المستشرق هويغ بنشر قاموس فرنسي-شاوي وفرنسي-قبائلي، ومن جهة بحث المستشرق غوستاف مرسبييه في أسماء الأماكن البربرية بالاوراس، وواصل دراسة أسماء النباتات بالشاوية<sup>5</sup>

دراسة للمستشرق الفرنسي ارنت فالوا (Ernest Fallot)، من خلال مؤلفه ( Par de la méditerranée Kabylie Aures kroumirie )<sup>6</sup>، الذي حاول من خلال دراسته تبني نظرية المستشرق إميل مسكراي القائلة بوجود أوراسين الشرقي والغربي، القسم الغربي ويتكون من أولاد عبدي وأولاد داود وبني بوسليمان، ويتحدثون امازيغت ( Amazirt )، والذي رجح بأنهم الأقدم في إفريقيا، أما القسم الشرقي من المنطقة فيقطنها الزناتيون من عرش اوجانة، وبني بربر وأولاد سلطان، ونمانشة ويتحدثون

<sup>1</sup> اكسيل لعلوا التركيب الاجتماعية للمغرب القديم، 146 ق م - 40 م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الجزائر2، 2015-2016، ص 64

<sup>2</sup> جمال كركار، مرجع سابق، ص 142.

<sup>3</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص 353.

<sup>4</sup> Louis Rinn, Essi d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères (peuplement sud origins indiennes de quelques races berbères), revue africaine, Alger, 1889, n 193, p 25

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 55.

<sup>6</sup> Ernest Fallot , par de la méditerranée kabylie Aures Kroumirie , librairie plon , paris , 1887, p 123

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسiolوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الزناطية،<sup>1</sup> هذا التقسيم اللغوي الذي أوجده مسكراي وغيره يقوم على أساس التفريق بين لهجتين، لهجة الشاوية سكان الاوراس الغربي أحفاد كسيلة، ولهجة الشاوية سكان الاوراس الشرقي أحفاد الكاهنة، تقول فاني كولونا: اثبت مسكراي من خلال دراسته أن هناك قسمين الشرق والغرب، الغرب الحضري والمتأثر بالبيزنطية سكانه قادمون من موطن آخر، والشرق القائم منذ فترة وأكثر قدما ويقوم برعي الماشية، الشرق حيث كان يبداس والكاهنة، والغرب حيث كان اوتياس وكسيلة، وتتابع قولها : هذه المسيرة تزدهم بها المقالات العشر التي ألهمت مسكراي لقضاء عامين من الاكتشاف، ونصوصه التي هي في اغلب الأحوال استقصاء يومي وهي ثمينة للغاية في هذا الصدد،<sup>2</sup> لكن هذه النظرية لم تلقى القبول عند شارل اندري جوليان الذي يعلق عليها بقوله: هو تفريق مبني على عدة أخطاء ومردود اليوم من جميع الاختصاصيين في اللغة البربرية، فنظرية مسكراي القائمة على ثنائية بلاد الشاوية، تظهر إذن واهية جدا، والحيطة تفرض علينا اجتنابها انتظارا لما يخالف ذلك<sup>3</sup>

ظهرت إشكالية لدى المستشرقين الفرنسيين في أوائل القرن العشرين، ألا وهي تراجع اللغة البربرية وتقهقرها في الجزائر، والتي شغلت العديد منهم على سبيل المثال، وليام مارسي، وادموند دوتي، وفيليكس غوتي، ففي دراسة إحصائية للمستشرق وليام مارسي يشير فيها إلى مجموعة من الأرقام التي تحصل عليها، فيذهب إلى أن نسبة الناطقين بالبربرية آنذاك هي 23% في ليبيا، وفي تونس 1%، وفي مقاطعة قسنطينة 27%، وفي مقاطعة الجزائر العاصمة 34%، وفي مقاطعة وهران 1%، وقد تجاوزت 40% في المغرب الأقصى<sup>4</sup>

دراسة أخرى في نفس المجال قام بها المستشرقان الفرنسيان ادموند دوتي وفيليكس غوتي بعنوان (L'Enquête sur la Dispersion de la Langue Berbère en Algérie)، والتي كانت بطلب من الحاكم العام شارل جونار في 1910 وللقيام بهذه المهمة طُلب من ضباط شؤون الأهالي ومن متصرفي البلديات المختلطة (les Communes Mixtes)، أن يقوموا بإحصاء شامل لدوائهم، تشمل القبائل

<sup>1</sup>Ibid , p 123

<sup>2</sup> فاني كولونا سنوات الصمود، ص 45

<sup>3</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مصدر سابق، ج 2، ص 30

<sup>4</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مؤسسة تاولات، مصدر سابق، ج 1، ص 54

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسiolinguistic الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

والدواوير والأحياء والقصور، وتحديد اللغة المستعملة فيها،<sup>1</sup> مع تسجيل نسبة المتحدثين بالبربرية، يذكر المستشرقان انه وبعد مناقشة كل النقاط العالقة مع مراسلينا توصلنا الى هذه النتيجة يوجد 36549 بربري توقف عن التكلم بلغته الأم منذ خمسين سنة وهذه ضربة قاضية طبعا يجب أخذها بجديّة كبيرة غير أن هذا لا يمثل إلا نسبة ضعيفة مقارنة بالعدد الإجمالي وهو 130570<sup>2</sup>

وضع المستشرقان جداول إحصائية من الصفحة 94 الى الصفحة 134 بينت بوضوح حضور اللسان البربري في كل الغطاء الجغرافي للجزائر بأقاليمه الكبرى وعمالاتها وبلدياتها بنوعها الكاملة والمختلطة،<sup>3</sup> وفي الصفحة 151 يعطوننا أمثلة على كثافة انتشار اللسان البربري في المناطق الثلاث: القبائل، مزاب والشاوية، وهي حصون كبرى يصعب اختراقها، ثم ينتقل المستشرقان ليعطوننا أسباب التراجع للسان البربري في الجزائر ومرد ذلك من خلال دراستهم إلى عدة عوامل نذكرها كما أورداها من خلال دراستهم:<sup>4</sup>

- ففي العصور المتأخرة وتبعاً للإحصاءات تبين أن الزواج المختلط والحاضر بقوة في منطقة الأوراس ساهم في إزاحة وخلخلة اللغة البربرية<sup>5</sup>

- ظهور أقطاب صناعية وامتداد طريق السكك الحديدية من الغرب إلى الشرق، سهلت عملية الفرنسية والتعريب

- العامل الثالث نزوح الأمازيغي من بيئته الجبلية نحو الفضاءات الأوسع والنشاطات الأفيدي له، أفقدته لسانه بالتردد لحساب العربية والفرنسية، إضافة إلى العامل الديني

وهنا يذكر المستشرقان الدور الذي لعبته فرنسا في تقريب الأمازيغ من العربية،<sup>6</sup> استناداً لاعتراف ذكره المستشرق مسكراي، والذي بين فيه دور فرنسا في هذه القضية قائلاً: ان لفرنسا دور كبير في تعريب البربر، أردنا إعطاء قانون إسلامي للأوراسيين، وفرضنا عليهم قاضي مسلم سنة 1866، وحرصنا على

<sup>1</sup> E.Doutté.E.F.Gautier, Enquête sur la Dispersion de la Langue Berbère en Algérie, imp: Adolph Jourdan, alger, 1913, p 3

<sup>2</sup> E.Doutté.E.F.Gautier, Op cit, p 148-149

<sup>3</sup> Ibid, pp 94,134

<sup>4</sup> Ibid, p 151

<sup>5</sup> Ibid, p 154

<sup>6</sup> Ibid, p 154



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

التواصل معهم بلغة الدين، وليس بلغتهم الأصلية، ولا نغالي إذا قلنا بأننا ساهمنا في أسلمة الأوراس وتعريبها<sup>1</sup>

وفي الأخير خلّص المستشرقان من خلال هذه الدراسة إلى التأكيد أن اللغة البربرية لغة مهددة، فهي تتناقص شيئاً فشيئاً في علاقات التعامل في المنطقة بكاملها، وأيضاً هي في تراجع، ولكنها لم تختفي بعد، وهي تتراجع في مواجهة الحضارة العربية الإسلامية، وليس في مواجهة الحضارة الغربية!<sup>2</sup>

يعلق كل من فيليب لوكا وكلود فاتان مؤلفا كتاب جزائر الانثروبولوجيين على دراسة دوتي وغوتي: إن هذا التحري يعيننا من وجهين، فقد عالج أستاذان أحدهما مختص في الإسلاميات والآخر في الجغرافيا المواد التي سلمت لهما، واستخلصا منها بعض النتائج<sup>3</sup>، غير أن هذه النتائج حُفّت بسبب بعض الأحكام المسبقة، والتي لم يتفطن لها المحررون، ثانياً احتواء النتائج لإعادة توجيه السياسة المعتمدة إزاء السكان موضوع التحليل، أما الوجه الثاني من التحري فقد احدث التغيير في الأساليب السابقة سواء من حيث النوعية أو الطريقة، فمعرفة جهة بعينها لم تعد تتم من خلال أفراد يتولون جمع المعلومات المتفرقة من خلال كتابات متنوعة أو من خلال أفراد ينزلون إلى الميدان ليسألوا، فنحن بالأحرى إزاء مسعى أوسع<sup>4</sup>

ويستمر الباحثان في نقد هذا التحري: الدراسة أجريت من طرف الضباط والمتصرفين الإداريين، والذين كلّفوا بجمع المعلومات، وكُلّف الأستاذان بتفريغ المعلومات والتعليق على النتائج، وكل ذلك تم لصالح الإدارة الاستعمارية، إن الأمر لا يتعلق ببحث جامعي بل بمسعى رسمي تطلب فيه اللجوء إلى الجامعيين<sup>5</sup>

وفي نفس السياق دائماً يتحدث غابريال كامبس عن هذه مسألة تراجع البربرية قائلاً: تفهقرت البربرية التي كانت في السابق حاضرة في كامل المنطقة أمام العربية، ومرد ذلك هو سياسة التعريب التي سهلت

<sup>1</sup> Ibid, p 155

<sup>2</sup> Ibid, p 157

<sup>3</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 43

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 43

<sup>5</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، جزائر الانثروبولوجيين، مرجع سابق، ص 44

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

لأسلمة شمال إفريقيا والصحراء، هذا التعريب صاحبه اندماج ثقافي اجتماعي لغالبية سكان دول  
المغاربة<sup>1</sup>

وعلى غرار السابق ذكرهم نستدل حول هذه المسألة بمؤرخ كان شاهدا على تلك الفترة، وهو المؤرخ  
التونسي العكاك، والذي يرجع تقهقر البربرية إلى انتشار التعليم ولو بشكله المنقوص، وتوفر طرق المواصلات  
التي لم تبق أية جهة معزولة عن بقية الجهات، وتنوع مطالب المعاش ومعارف الحياة التي احتاجت إلى مصطلح  
لغوي لا تتسع له البربرية، وتشتت القبائل البربرية التي تحطم إطارها واندجت أو على الأقل اختلطت بالقبائل  
العربية<sup>2</sup>

### 4.2. أصل السكان

ظهرت مسألة تحديد الأصول لسكان شمال إفريقيا لدى المستشرقين الفرنسيين، وتعارضت لمدة طويلة  
مدرستان واحدة تقول بأن أصول البربر من أوروبا، والأخرى ترجع أصلهم من الشرق الأوسط، وفي هذا يذكر  
الهادي حارش بأن الاستعمار أفرز نظريات حول أصول البربر، يمكننا إجمالها في مدرستين مدرسة تدعي  
الأصول الشرقية الكنعانية أو الحميرية، وأخرى الأصول الهندو-أوروبية، وهما مدرستان ذات توجهات  
أيديولوجية مرتبطنان في نظرنا بسياسة الدمج التي مارسها الاستعمار في بلادنا،<sup>3</sup> حتى يكاد يجزم غابريال  
كامبس، بأنه لا توجد أقوام وقع عليها البحث في أصولها من الاجتهاد والتلفيق، بقدر ما وقع على  
البربر<sup>4</sup>

ولعل من الأسئلة التي أعتُبرت مركزية في التأليف الاستعماري لتاريخ شمال إفريقيا "موضوع البربر"، من  
حيث انتمائهم، وأصل لغتهم، ومظاهر حياتهم العامة، إما بغرض التشكيك في أصولهم، أو بهدف عزلهم عن  
عناصر البنية التي ينتمون إليها اجتماعيا وتاريخيا، وفي ذلك خدمة لإستراتيجية التجزئة التي حكمت منطق

<sup>1</sup> ج كامب، البربر الذاكرة والهوية، تر: جاد الله عزوز الطلحي، مرجع سابق، ص 41

<sup>2</sup> عثمان العكاك، مرجع سابق، ص 81

<sup>3</sup> الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،

1992 ص 31

<sup>4</sup> غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، مرجع سابق، ص 12

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسيوولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا،<sup>1</sup> وبما أن دراستنا تركز على المدرسة الغربية والتي يمثلها المستشرقون الفرنسيون سنحاول ذكر أهم دراساتهم وبحوثهم في هذا المجال.

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر دراسات أنثروبولوجية تناولت الخصائص الفيزيولوجية والتي يطلق عليها اسم الانثروبومتري<sup>2</sup>، والتي ركزت على المجموعات البربرية في الجزائر، وعلى مجموعات قليلة ومعزولة وضعتهم قيد التجربة والملاحظة، ولقد نشرت هذه الدراسات كلها تقريبا ما بين 1880-1900، باعتبارها المرحلة الأولى للأنثروبولوجية الاستعمارية، فظهرت أعمال كل من برينقروير (Breengruber)، وساباتيي (Sabatier)، وبرثلون (Berthlon)، وبابييون (Papillaut) هذا الأخير الذي قام بزيارة إلى منطقة الأوراس<sup>3</sup> ودون ملاحظاته الانثروبومترية، والخصائص الفيزيائية لبعض العينات من المجتمع الأوراسي والتي اختارها لبحثه ودراسته.

وفي أوائل القرن العشرين، اهتم الطبيبان شانتر، وبرثلون بالمسألة البربرية، فألغا تصنيفا ضخما جدا في مقاييس جماجم البربر، (Recherche anthropologique, dans les berbères)، والتي وجدوا أن لها شكل مفلطح أو مستطيل، كما وصفوا أيضا من خلال هذا البحث أصباغ شعور البربر، وألوان عيونهم، وأطوال جسومهم، مع المقارنة بين جميع ذلك وبين مقاييس جماجم الغالين، فتبين بعد طول البحث وبسط أعمق النظريات، توصلا في الأخير إلى ان الشعبين هما من أرومة واحدة<sup>4</sup>

ومن خلال دراستهم صنفا فيها البربر إلى ثلاثة أنواع: (le type 1, type 2, type 3)

Le type 1 النوع الأول وهم البربر ذوو البشرة السوداء (Neigre)

<sup>1</sup> امحمد مالكي، مرجع سابق، ص ص 174-175

<sup>2</sup> الانثروبومتري، هو فرع من فروع الانثروبولوجيا الطبيعية، وهو مصطلح يشير إلى قياسات الجمجمة وطول القامة وتقنية الخصائص الجسمية، ويعرف أيضا بكونه علم قياس جسم الإنسان واجزائه المختلفة، حيث يستفاد من هذا العلم في دراسة وتطور الإنسان والتعرف على التغيرات التي تحدث له شكلا .

<sup>3</sup> Papillaut, Population de l'Aurès note rédigées d'après les observation anthropométrique, Bulletin et mémoire de la société d'anthropologie, T 8, paris, 1897, pp, 537-544.

<sup>4</sup> عثمان العكاك، البربر، مصدر سابق، ص 106

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسيوولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

Le type 2 وهم بربر جربة والمزابيين

Le type 3 وهم بربر الاوراس والقبائل وبربر أطلس المغربي.

تلخص الدراسة الى التأكيد على ان الخصائص الفيزيولوجية لبربر جربة والمزابيين، غير الخصائص التي عند الاوراسيين والقبائل، فالنوع الثاني جربة والمزابيين رؤوسهم قصيرة، وكذلك قامتهم وشعورهم سوداء، كما ان وجوههم عريضة وكادرة ويميلون الى السمنة<sup>1</sup> في حين ان النوع الثالث من الاوراسيين والقبائل فهم في الأصل ينتمون الى نفس الجنس وهم يشبهون الأوروبيين في كثير من المواصفات<sup>2</sup> فيتصفون برؤوس مستطيلة الشكل وبقامة طويلة وعيون فاتحة في الغالب وشعر أشقر او أصهب

ونفس الرؤية للمستشرق الفرنسي شارل فيروا الذي يقول ان الشاوية في الغالب يمتازون بشعورهم الشقراء وأعينهم الزرقاء وبشرتهم البيضاء<sup>3</sup>، كما يذكر المستشرق (Faidherbe) انه وجد في واد جبل ششار(بمدينة خنشلة)، قبيلة اغلب سكانها من ذوي البشرة والشعر الأحمر<sup>4</sup>،

فبحسب اغلب الدراسات الاثنوغرافية الفرنسية فان الفرق شاسع بين هذا النوعين<sup>5</sup>، ويصنفون النوع الثاني بانهم بربر بفعل عامل اللغة فقط، وأنهم يختلفون عن البربر الآخرين، مخالفين في ذلك الدراسات اللسانية والاجتماعية والتاريخية، والتي تصنفهم ضمن المجموعات البربرية الاخرى، كالقبائل والتوارق وغيرهم<sup>6</sup>.

ويذهب في نفس الطرح شارل اندري جوليان، ويؤكد على ان سكان الذين يعمرون بلاد البربر اليوم، ومع اعتبار بعض عمليات التوليد، هم أنفسهم الذين كانوا يعمرونها في أوائل عصور التاريخ، ويكفي ان نقارن بين المزابيين ذوي الرؤوس البيضية والقامات الصغيرة واللون الأسمر والوجوه المفلطحة، وبين سكان جبال القبائل ذوو الرؤوس المستطيلة، والقامات القصيرة، والشعر الأشقر او الأصهب غالبا،

<sup>1</sup>Ely leblanc le problème des berbères étude d'anthropologie physique, (histoire et l'historien de l'Algérie), librairie Félix Alcan, paris , 1931 , p 72

<sup>2</sup>Delartigue , monographie de l'aures , document sur Batna et sa région , constantine,1904 , p200

<sup>3</sup>Faidherbe l éon ,Instruction sur l'anthropologie de l'algerie , paris ,1874, p 44

<sup>4</sup>Ibid , p44

<sup>5</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، جزائر الانثروبولوجيين، مرجع سابق، ص 231

<sup>6</sup> Ely leblanc , le problème des berbères étude d'anthropologie physique , OP CIT , p 77

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

لندرك حق اليقين ان البربر لا يكونون جنسا منسجما من حيث الانثروبولوجية، ولا شك انه حدث خلال عصور ما قبل التاريخ اختلاط كبير بين مختلف عناصر السكان انبثقت منه النماذج الجسدية الحالية<sup>1</sup>

واما فيليكس غوتي فعند ذكره لصفات البربر يقول: فمنهم الغلاظ والقصار وذوو الشعر الأشقر والزنج، الى ان يقول: أولئك الذين نعتهم القدامى بالليبيين الموسومين بمتانة الجسد وصحته، او على حد قول سالوست الذين لا تمتيهم سوى الشيخوخة، واستبعد في الأخير ان يكون البربر نوعا بشريا محمدا، وينعته ايضا بان البربري يعاني قصورا فكريا<sup>2</sup>

وأما أستاذ الحقوق بجامعة الجزائر (Charveriat) فيرى: أن القبائل خليط من أجناس اندثرت تحت وابل الأحداث. هذه الأجناس امتزجت لتشكّل غاية التماسك مثل صخور الغرانيت، هذا الخليط في نظره متكون من انجليز وباسك ونورمانديين (نرويج) ومصريين، وفي نفس السياق يقول "ماسكوري" ولكن وجوههم (و هو يقصد القبائل) مختلفة إلى درجة يصعب التكهن بمن كانوا آباءهم، فالجرماني يصطدم بالروماني والكنعاني بالهندي والعرب<sup>3</sup>

في مقابل هذه النظريات يرجح كامبس الأبحاث، والدراسات التي تتجه في بحث اصول البربر الى التمعن في البقايا البشرية المتخلفة عن عصور ما قبل التاريخ، فالمنطق عنده يقتضي ان نُحوّل الاولوية لعلم الاناسة، اي التمعن ينبغي ان يكون في البربر أنفسهم، والمقارنة ينبغي ان تُجعل لهم بالبقايا المتخلفة لنا من الانسان القديم<sup>4</sup>

لقد وجد الفرنسيون في بنية (Physique) الجبلي القبائلي القاطن في الشمال الشرقي (الاوراس ومزاب) بعض الصفات التي تحته الى دفع التشابه بعيدا عن التفاصيل، فهناك من رأى فيه مسيحيا قد اسلم بالقوة، وهناك من قضى بانحداره من السلتيين (Celts)، وهي رغبة من فرنسا في ادماج القبائل

<sup>1</sup> شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، مؤسسة تاولات، مصدر سابق، ج 1، ص 55

<sup>2</sup> احمد مالكي، مرجع سابق، ص 176-177

<sup>3</sup> بلخير بومحراث وحمدى عيسى، مرجع السابق، ص 50

<sup>4</sup> عابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، مرجع سابق، ص 15

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

تدرجيا بحيث تسمح لهم هذه السياسة من ترسيخهم في اراضيهم الشخصية او جعلهم معمرين من الدرجة الثانية وذلك بمنحهم أراض أخرى، غير ان الهدف الصريح كان يتمثل في إدراج الأمة البربرية في صلب الأمة الفرنسية، وسعي الى احتواءهم سياسيا واقتصاديا<sup>1</sup>

رجح كامبس ايضا الوحدة الثقافية للبربر على الوحدة العنصرية ويقول: اذ لا وجود في التاريخ لعرق بربري بملامح عرقية محددة، واول ظهور لهم يعود للألف الثامن قبل الميلاد، وقد جاؤوا على فترات متعاقبة من الشرق وتغلغلوا تدريجيا بالمنطقة، وهم موزعون الآن على اثنا عشر بلد إفريقي، ويختم حديثه بطرح تساؤل: اي روابط مشتركة بين الجمال الملثم الأزرق النيلي الجاف، والبقال المزابي الطيب، والبستاني القبائلي، والراعي الشاوي؟ وبعد هذا التساؤل يرجح في الأخير هذا الترابط بين هذه المجموعات الى عامل اللغة فقط،<sup>2</sup> ثم يسترسل في استنتاجاته ويؤكد: بالرغم من عدم وجود جنس بربري، سلّم علماء الانثروبولوجيا اليوم ان للسكان البيض في شمال غرب إفريقيا، والذين يشتركون في اللغة والتقاليد أصل واحد أساسي، فهم ينحدرون في غالبيتهم من المجموعات المتوسطة القديمة(الكنعانيين) التي جاءت من الشرق في الألف الثامن او قبله وانتشرت ببطء في المغرب الكبير والصحراء،<sup>3</sup> ثم يذكر بان البربري جنس قائم بذاته منذ اقدم العصور: فالبربري غير الاجنبي اي غير البونيقي وغير اللاتيني وغير الوندالي وغير البيزنطي وغير العربي وغير التركي وغير الاوروبي(فرنسي-اسباني-ايطالي)<sup>4</sup>

من الذين كتبوا في مسألة الاصول المستشرق وعالم الاجتماع روني مونييه، الذي ألف كتاب بعنوان( أعراف جزائرية)، والذي حاول فيه ربط أعراف الجزائريين والبربر على وجه الخصوص بالأصل الروماني، وبالمسيحية التي اعتنقها أهل المغرب الأوسط في أحقاب غابرة، بحيث يقول عنهم: انهم اقرب إلى الأوروبيين، وذلك ظاهر في قوانينهم العرفية، وعلى الفرنسيين ان يندمجوا معهم، وقد بذل مونييه في

<sup>1</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص، 42

<sup>2</sup> ج كامب، البربر الذاكرة والهوية، تر: جاد الله عزوز الطلحي، مرجع سابق، ص 6

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 45

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 45

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

سبيل ذلك جميع الطرق المؤدية إلى مراده، متزعا ان منطقي القبائل رومانية الأصل، ومتبعا منها استقرائيا يثبت فيه التشابه التام بين قوانينها<sup>1</sup>

ونفس الشيء لدراسة المستشرق بوربي (perier)، والتي صدرت عام 1873، والذي يؤكد من خلالها ان البربر عنصر دخيل على المنطقة، ثم دراسة ايميل مسكراي الذي ضرب مثلا ببعض المناطق من الاوراس مثل سكان قرية منعة، فيذكر انهم يقيمون احتفالات ذات أصل وثني يعرف ب: (نفسوين) - paienne- او مسيحي كدلالة عن المصالحة بعد مضي فصل الشتاء وحلول فصل الربيع، فمسكراي من خلال هذا المثال يحاول جاهدا ان يجد الصلة التي ربطت سكان المنطقة بالأجناس الأوروبية من خلال بعض الممارسات<sup>2</sup>

ولم يكن مسكراي وحده من اورد هذا الكلام، فالمستشرق الفرنسي غوستاف مرسبي ينقل شهادات لعائلات بربرية تقطن منطقة تكوت (Tkout) وبعض الاماكن الاخرى، والتي يورد من خلالها شهادات لبعض العائلات من هذه المناطق التي يؤكدون انحدارهم من الاصل الروماني<sup>3</sup>

وكذلك الكسندر باببي (Alexender Papier)، الذي يستند في دراسته إلى وجود جنس ابيض يقطن منطقة الاوراس يشبهون كثيرا الرمانيين وينحدرون من شخص روماني اسمه دييورك!! وقد يكونون من أحفاد الجيش الروماني والفيلق الثالث لأغيست (troisieme région d'auguste)، الذي وفد إلى المنطقة خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي،<sup>4</sup>

كما حاول المستشرق الفرنسي ادوارد لابان (Edouard Lapène) في كتابه، ( Tableau historique)، إسقاط شخصية الفرد القبائلي على أبحاث الروماني ( Tacitus و Sallust)، ويستنتج ان

<sup>1</sup> جمال كركار، القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال "قانون منطقة القبائل أنموذجا" مقارنة بين موقف القوانين الفرنسية والشريعة الإسلامية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المركز الجامعي لتمنراست، ع5، الجزائر، جانفي 2014، ص. 141.

<sup>2</sup> غرينة عبد النور، الاوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010، ص. 137.

<sup>3</sup> G.Mercier, Mœurs et Traditions de l'Aurès, Cinq Textes Berbères en Dialecte Chaouïa, Journal Asiatique, imp Ernest Leroux, Paris, Juillet-Aout 1900, TXVI, p 196

<sup>4</sup> Alexender Papier, description MENAA et un groupe de danseuses des Ouled Abdi Aures occidental, gallica.bnf.fr, Bibliothèque national de France, librairie africaine colonial, paris, 1895, pp.3-4.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

القبائل ينحدرون من عرق الجرمان والرومان مستدلا بذلك على الألبسة والشكل الهندسي للوشم الذي ترسمه النساء على وجوههن<sup>1</sup>

ومن خلال هذه النظريات يقول عبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب: كان النزاع بين كتاب الاستعمار قبل الحرب العالمية الثانية حول انتماء الجنس البربري، فيصُرُّ الهواة والمتطفلون على التاريخ ان البربر من اصل اوروبي، فيما يقرر المتخصصون ان لغتهم وحضارتهم تنتسبان الى لغات وحضارات الشرق، ثم جاء المعاصرون واعتمدوا على نتائج الانثروبولوجية الجسمانية، والاكتشافات الاثرية، وهم يميلون الى الاعتقاد ان البربر سكنوا المنطقة منذ زمن طويل، وان اصولهم متباينة، ولم يعد عامل اختلاف البشرة، واللون، يدل على توالي افواج غازية على المغرب،<sup>2</sup> بل يتفق الجميع على ان الاغلبية الساحقة من البربر مكونة من خليط بشري استقر في العهد الحجري الصقيل، يتميزون منذ القدم بالتنوع، والامتزاج، والتاثر بالجيران<sup>3</sup>

ما يهمننا من هذه الدراسات الانثروبولوجية لخصائص البربر الجسدية، ليس التصنيف المشكوك فيه لكل السكان المجمعين في هذا البلد الذي يقال انه بلد البربر، ولكن مكنم الخطورة من هذه الدراسات هو تخلي البربر عن وحدتهم القديمة...، وعلى اثرها تكتلت الجماعات التي يجمعها تجانس وتفرقت تلك التي بينها تباين، ولم يعد يجمعهم سوى عامل اللغة وبعض العادات، وهكذا اصبحت تسمية البربر مفرغة من محتواها، وآلت إلى مجرد كلمة يشار بها إلى سكان يتحدثون اللغة البربرية ومبعثرين هنا وهناك بإفريقيا الشمالية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Patricia.m.e.lorcín , impérial identités stereotyping préjudice and race in colonial Alegria , IB.Tauris&coltd , London-new York , 1999 , p.22.

<sup>2</sup> عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج 1 ص 43

<sup>3</sup> عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج 1 ص 46

<sup>4</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص، 230



من المستشرقين الذين روجوا لهذه النزعة المستشرق الفرنسي إميل مسكراي (Emile Masqueray)، فمسكراي مستشرق ومؤرخ وعالم اجتماع فرنسي، جاء إلى الجزائر في نوفمبر 1872، عين أستاذا للتاريخ والجغرافيا في ثانوية الجزائر بالعاصمة، وفي هذه المرحلة قام بتقديم طلب إلى السيد إميل لوفاسور Emile le vasseur عضو في المعهد العالي للتعليم ليتدخل لصالحه وذلك بالقيام بمهمة علمية إلى منطقة الأوراس ووادي مزاب، وحجته في ذلك ان هذه المناطق ذات أهمية كبيرة من الناحية العلمية وأيضا خدمة للسياسة الاستعمارية من ناحية أخرى،<sup>1</sup> فكانت رحلاته إلى المناطق البربرية فيما بعد على النحو الآتي: الأوراس من 1875 إلى مارس 1878، وفي مزاب سنة 1878، ومنطقة القبائل في جانفي ماي 1881 م.<sup>2</sup> ويعتبر من الجامعيين الذين اهتموا بالإشكالية الاستعمارية من زاويتها العلمية الأكاديمية، خاصة في الفترة التاريخية التي ظهرت فيه دراساته، فهي تعكس بصورة واقعية انشغالات الإدارة الفرنسية في مجال تنظيم العلاقة بين الأهالي، والسلطة الاستعمارية، ويمكن تصنيفها من أهم الدراسات التي تشكل الحقل الدراسي الأكاديمي في إطار الدراسات الكوونيلية المنجزة حول الجزائر،<sup>3</sup> ويعد إميل مسكراي الشخصية التي منحت أكثر من أي كان للدراسة الأكاديمية للمجتمع الجزائري وجاهة وشرعية<sup>4</sup>

فألف كتابا تاريخيا في 1886 بعنوان (La formation des cites chez les populations sédentaires de l'Algérie)،<sup>5</sup> وجل ملاحظاته في هذا الكتاب أخذها من (Duveyrien) حول الحواضر الصحراوية، يقول عنه المستشرق الفرنسي جاك بيرك: لقد كان له الفضل الكبير في انجاز العديد من أبحاثي، وذلك لما له من أهمية في إبراز المجتمعات البربرية الثلاثة، وتناوله لها بالفحص والتحليل

<sup>1</sup> Ouhhim ouled brahim , la grand mission d'enquête scolaire d'emile masqueray en Kabylie (1881) , revue études et documents berbères , n 15-16 , paris , 1998 , p.8.

<sup>2</sup> Ouhhim ouled brahim , mission scientifique de masqueray dans l'Aurès ses dépendances (1875-1878) revue études et documents berbères , n 17 , paris , 1999 , pp.21-22.

<sup>3</sup> محمد اكلي فرادجي، مرجع سابق، ص. 105.

<sup>4</sup> ادموند بورك مرجع سابق ص 10

<sup>5</sup> تعلق فاني كولونا عن اطروحة (La formation des cites chez les populations sédentaires de l'algerie) زعيم المؤرخين في وقته، بيد انه في النهاية لم تكن له القدرة على تجاوز النتائج الفضيعة لانخراط السوسولوجيا الكولونيلية في السياسة، وخاصة مع غياب أتباع له". للاطلاع أكثر ينظر: ادموند بورك، مرجع سابق، ص. 10.

<sup>5</sup> ادموند بورك مرجع سابق ص 10

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

والنوع المونوغرافي، إلا أنه لم يقره في القناعات التي أوردتها في كتابه، خاصة تشبيهه للمجتمعات المغاربية بالمجتمعات الإيطالية القديمة.<sup>1</sup>

يعد إميل مسكراي كذلك من أنصار البربرية، وقد عمل على تغذية الأسطورة القبائلية القائلة بان البربري والقبائلي أكثر تشابها للأوروبي، وقد استغل هذا الطرح في خدمة الاستراتيجية الكولونيالية، والمتمثلة في تقسيم البلاد، ولهذا أصبحت كل أنظار المسؤولين الفرنسيين وأبحاثهم العلمية موجهة لمنطقة القبائل<sup>2</sup>

ففضله تمكن الاستشراق الفرنسي من معرفة التكوين الاجتماعي للبربر بعد أن أقام وتعرف عليهم في كل من الأوراس والقبائل وبنو مزاب، وعمل كل ما في وسعه ليملك الجزائر لفرنسا، لا بالسيف ولا بالخراب، ولكن بالعلم والكلمة وفي كتاباته<sup>3</sup>، وما يؤكد لنا هذا أنه كتب يوما في المجلة الزرقاء "1876 la Revue Bleu" وهي مجلة سياسية "إذا أردنا خلال جيلين أن تصبح بلاد القبائل فرنسية فنضع في كل قبيلة معلم<sup>4</sup>

ونظيرا لما قدمه مسكراي من أعمال كبيرة كتب عليه زميله اغيسط برنار مقالا مطولا في المجلة الإفريقية سرد فيه تاريخ الرجل وعدد مناقبه وختم مقاله بقوله: خدم مسكراي الجزائر بكل قوته وذلك من خلال كتاباته وايضا تعليمه، وكان مسكراي يرى أن العلم والثقافة الفكرية العالية سيكون لها مكانة ودور في الجزائر...، أن مسكراي يقف على درجة واحدة مع الطباط والاداريين الفرنسيين الذين خدموا في إفريقيا<sup>5</sup>

وعلى غرار مسكراي نجد لويس ماسينيون، وهو الآخر من أنصار النزعة البربرية، والذي كان مستشارا للمستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، وفي إحدى تصريحاته عن النزعة البربرية يقول فيها: أن القضية البربرية أقلقت ضميري من الناحية الدينية والعلمية على مدى سنوات 1909 و 1913 إذ ألح علي الأب دي فوكو شفويا وكتايا، أن أوقف حياتي بعده على هذه الحركة التي كان عليها، أن تقضي على الإسلام واللغة العربية في شمال إفريقيا التابعة لنا، لتحل

<sup>1</sup> مختار مروفل، في غزارة الكتابة الانثروبولوجية "نحو قراءة استقصائية لميراث جاك بيرك المعرفي وأهميته في فهم الإنسان المغاربي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قيم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط-المملكة المغربية، 5 سبتمبر 2017، ص. 10.

<sup>2</sup> جمال معتوق، مرجع سابق، ص. 17.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص. 36.

<sup>4</sup> جمال معتوق، مرجع سابق، ص. 17.

\*انظر، E.Daumas , le Sahara Algérie étude géographique statistique historique , gallica.bnf.fr , Bibliothèque nationale de France , paris , 1845.

<sup>5</sup> A.Bernard, Emile Masqueray, Revue Africaine, imp: Adolph Jourdan, Alger, 1894, Vol 38, p 369

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

اللغة الفرنسية والنصرانية محلها، وذلك في مرحلتين، البحث عن أصول اللغة البربرية وتقاليد البربر العتيقة، ثم إدماجهم بمقتضى قانون فرنسي ومسيحي اعلى، وقد امنت حينئذ باستغلال تلك الحركة البربرية لإدماج سكان بلاد القبائل لتنصيرهم، وتجنيسهم بالجنسية الفرنسية<sup>1</sup>

وعن الحديث دائما عن ماسينيون، يروي عثمان العكاك انه حضر في شتاء 1937 بحثا مستفيضا القاه الاستاذ لويس ماسينيون بمعهد الكوليج دو فرونس، وجعل موضوعه وعنوانه الوحدة البربرية او الجامعة البربرية (le Pan berbérisme)، ويتساءل العكاك عن ماهية الوحدة البربرية عند ماسينيون، ليجيب من خلال استنتاجاته لهذه المحاضرة بقوله: رّوح الباحثون الفرنسيون في الأذهان ان البربر من الجنس السّلي او الكلتي، والسّلت جنس هندو-اوروبي قد سكن اوربا الغربية في عصور متقدمة قبل الميلاد، فمنه الولش سكان اجلتر القداماء، والبلج سكان بلجيكا القداماء، والغالليون سكان فرنسا القداماء، والاييريون سكان اسبانيا القداماء<sup>2</sup>

فهذه النظرية التي تريد ان تجعل البربر من السلت، ترمي الى ان تجعلهم طبعاً من الغالين اي انهم يتحدون جنساً مع قداماء الفرنسيين، واذا اتحدوا معهم جنساً من القدم، فقد تعين ان يتحدوا مع الفرنسيين جنساً في الحاضر، فتلك بضاعتنا ردت اليها، فالغالليون سلت والبربر غاليون والغالليون فرنسيون والبربر غاليون فالبربر فرنسيون، لنصل الى نتيجة واحدة مقررة هي ان البربر فرنسيون من ناحية الجنس، وقد بقي ان تجعلهم فرنسا فرنسيون من ناحية اللغة والثقافة، وهذا امر بسيط تكفلت به المدرسة الفرنسية<sup>3</sup>

بالموازاة مع الاستكشاف العلمي للمجال البربري من قبل المستشرقين السابق ذكرهم، هناك أبحاث ترويجية سجالية ان قليلا او كثيرا، وحتى إشارات أدبية محضة حاولت تحيين الموضوعات الخاصة بالعرق البربري، امثال لويس برتران<sup>4</sup> Louis Bertrand من الأكاديمية الفرنسية، والمنشد الرسمي للحكومة العامة في الجزائر، والذي كان يصدر مجلة افريقية اللاتينية، وهو من الأدباء الذين قيل عنهم انهم يمثلون مدرسة الجزائر الادبية

<sup>1</sup> الحسان بن ابراهيم بوقدون، مرجع سابق، ص 159

<sup>2</sup> عثمان العكاك، البربر، مصدر سابق، ص 102

<sup>3</sup> المصدر سابق، ص 103

<sup>4</sup> علي مراد، الحركة الاصلاحية، مرجع سابق، ص 432

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

المزيج من الجزائر والفرنسة والكتلكتة،<sup>1</sup> والذي سعى الى إشاعة نظرية رومنة بلاد البربر (Romanisation de la Berbérie)، والتي تنطوي على موضوع أساسي هو منطقة البربر المسيحية المرموز لها في شخص القديس اغسطين، وقد بقيت زما طويلا خاضعة للمجتاحين الشرقيين ثم عادت بفضل فرنسا الى حضن الغرب والكتلكتة، يعلق علي مراد على مثل هذا الكلام قائلا: انها لموضوعات هادئة تلك التي جمّلت للرسميين خلال عدد كبير من الخطب مهمة فرنسا الحضارية<sup>2</sup>

ومن الذين ساروا في التشكيك في أصول البربر جوزيف ديسبارمي، وهو ملاحظ معاصر ومحلل لمجريات الأمور، وكان من تلاميذ روني باسي، وقد شكك ديسبارمي في ان البربر من بني كنعان، اي في وحدة أصولهم مع العرب،<sup>3</sup> كما نوه أيضا زميله المستشرق ادموند دوتي الذي جال بين قبائل البربر قوله: ان به مناط الآمال في إفريقيا (اي البربر) انه شعب يظهر عليه الميل من نفسه الى المدنية الفرنسية لذلك يجب علينا ان لا نعربه أكثر مما هو عليه ولآجل بلوغ هذه الغاية يجب ان يحمل البربر الثقافة الفرنسية وان يتكلموا بالفرنساوي قبل وصول الثقافة العربية واللسان العربي إليهم وليس لنا ادني مصلحة من ان ننشر بينهم اللغة العربية لغة الجامعة الإسلامية<sup>4</sup>

وفي هذا الصدد تأخذنا الباحثة الامريكية (Patricia.m.lourcin) الى تعريف النزعة البربرية في كتابها (impérial identifies)، وابتدأتها باستفسار قائلة: كيف تم تقسيم المجتمع الجزائري وصناعة الأسطورة القبائلية (Kabyli Myth)، من طرف المدرسة الكولونيالية؟...، الأسطورة القبائلية تتمثل في الحكم على ان القبائلي أفضل من العربي، والقبائلي أكثر عملا من العربي، والقبائلي طيب والعربي شرير<sup>5</sup> وتضيف: لقد عمل الفرنسيون على وضع تصورات سلبية للفرد العربي وتصورات ايجابية للفرد القبائلي، وهذا تمهيد لأرضية إيديولوجية تقول ان الفرد القبائلي له قابلية للإدماج في المجتمع الفرنسي.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجوائز الثقافي، مرجع سابق، ج 5، ص 236

<sup>2</sup> علي مراد، الحركة الاصلاحية، مرجع سابق، ص 183

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجوائز الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص 324

<sup>4</sup> عمار طالبي، اثار ابن باديس، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968، ج 1، ص 50

<sup>5</sup> Patricia.m.e.lorcin , op.cit , p.12.

<sup>6</sup> Ibid, p. 13.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

كما نجد أيضا جان موريو (Jean Morizo)، والذي شغلت باله هو الآخر النزعة البربرية لسنوات عديدة، والذي اعتبر ان المسألة البربرية تحولت الى شان قبائلي، وما عاد لفرنسا دور تقوم به، بعد ان وضعت اسسها واستطاعت التأثير في سكان القبائل، بواسطة المدرسة والخدمات الاجتماعية، مبديا اعجابه سلوك الفرد القبائلي المتميز بالاندفاع وحب الاستقلال، والرغبة في التفوق، سجل افكاره اساسا في كتابه (القبائل اقوال شاهد) وكتابه (الجزائر قبائلية)، وذهب فيهما الى ان النخوة (العصبية) الاثنية المعبر عنها ضد الناطقين باللغة العربية هي اساس خصوصية القبائل وتميزهم، وان اللهجة القبائلية مؤهلة لان تصبح اداة التماسك والتلاحم بينهم<sup>1</sup>

وفي حين يأسف موريو لعدم تعصب ضد العرب الذي آل اليه الشاوية، سكان منطقة الاوراس، لانه يشكل عائقا امام تحقيق توحيد البربر، وتجنيدهم ضد الانتماء العربي للجزائر، وهذا ما تجلّى في مقارنته بين القبائل والشاوية في الفصل العاشر من كتابه (القبائل اقوال شاهد)، الذي وضع له عنوان (السياسة البربرية هي سياسة قبائلية)، مشيرا الى الفارق البين بين المجموعتين السكانيتين، فعلى الرغم من القرب الجغرافي النسبي بينهما، واشتراكهما في الموروث البربري، فان كلا منهما تتجاهل الأخرى، ولا توجد صلات عائلية متينة او علاقات مصلحة متبادلة<sup>2</sup>

ولم تكن مقارنة موريو لمنطقة القبائل والشاوية فقط، بل حتى القبائل انفسهم وضع لهم مقارنة قائلا: إن جبال جرجرة تشق منطقة القبائل المتجانسة اجتماعيا، ولغويا، وتقسمها إلى منطقتين في غالبية الأحيان متعاديتين، الأولى تصد واجهتها للجزائر، والثانية لقسنطينة، ونحن من سمينا الاولى القبائل الكبرى، والثانية القبائل الصغرى، ونظرا لكون هذه البلاد معروفة بجبالها المتشابكة، اضطررنا للتمييز في القبائل الكبرى، بين القبائل العليا، والقبائل السفلى، وفي القبائل الصغرى بين قطاع الصومام وقطاع قرقفور<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدون، المسألة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 82

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 83

<sup>3</sup> بلخير يومحراث وحمدى عيسى، مرجع السابق، ص 54

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

والملاحظ لهذا التصريح من موريزو والذي يقر من خلاله ان لفظ (القبائل)، من تاليف فرنسا، بمعنى ان فرنسا هي من اطلقت هذا اللفظ على هؤلاء السكان، لان تاريخيا وقبل الاحتلال الفرنسي كان يطلق عليها منطقة زاوية نسبة لقبيلة زاوية

لقد عملت الكتابات الفرنسية على المبالغة في إظهار الانقسام بين العرب والبربر، وعلى رغم الأسس التاريخية الثابتة لهذا التكوين، فان المبالغة حصلت في إظهار الثنائية بمظهر التعارض، لأنها كانت تنطلق من نزعة تفرقية، بهدف الاثارة اكثر مما تهدف الى الكشف عن حقيقة الواقع، وقد أشارت جان فافري الى ان ما حدث من تعرض بثنائية القبائلي والعربي، لم يكن سوى جزء من متطلبات الايديولوجيا الاستعمارية<sup>1</sup>

هكذا كانت دراسات المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، وهكذا كان يدرس روني موني ومسكراي وغوتي وغيرهم، فإنهم جميعا متطفلون اسأؤوا للاستشراق كما اسأؤوا للإسلام والمجتمعات العربية والإسلامية.<sup>2</sup>

في الأخير نستنتج من هذه الدراسات والاقوال والتصريحات التي أوردناها في بحثنا هذا، فهي ليست جميع الدراسات ولكن اعتمدنا على بعضها في التأكيد على حقيقة هامة، ان السلطات الاستعمارية وضباطها ومستشرقوها درسوا القبائل الجزائرية وخاصة البربرية ليس بهدف دراسة علمية لها، ولكن وفق إستراتيجيتهم وخدمة لمصالحهم وأهدافهم التوسعية، وركزوا فيها على العنصر البربري ليس حبا فيه وخدمة له، ولكن هذا العنصر بقي صامدا في وجوه الاستعمار المتعاقب على المنطقة، ومحاولتهم جاهدين إلحاقه بالعناصر الخارجية، وذلك بغية تفتيته وتفكيك وحدته، وكذلك كان الهدف من هذه الدراسات هو إثارة الفتن بين العرب والامازيغ ومحاوله إضعاف المجتمع وإيجاد كيانات ثقافية وعرقية.

فبقطع النظر عن الاصول التي ينحدر منها البربر، سواء من الشرق، او الغرب، او حتى انه لم ياتي من اي مكان، فان الشيء الذي نثبتته هو انه لم يعرف التاريخ قبولا لدخيل بالقوة والاكراه او الاندماج فيه، او الخضوع له، واقوى شاهد على ذلك مقاومتهم وثورتهم المستمرة ضد الغزاة في القديم والحديث، بدءا بالفينيقيين والرومان، ثم الوندال، والبنزطيين، والاسبان والفرنسيين

<sup>1</sup> محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص ص 111-112

<sup>2</sup> عبد الوهاب بوحديبة، مرجع سابق، ص 107.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

### 3. سوسولوجيا الدين

شارك الفرنسيون ببحوث كثيرة عن الإسلام منذ احتلالهم للجزائر، وظهرت دراسات لهم فردية وجماعية، وتحدثوا فيها عن مختلف الموضوعات التي تمس تاريخ الإسلام وعقيدته وسيرة رجاله، وموقفه من التمدن ومن النصرانية، كما تناولوا موضوعات خاصة منه كالجهاد والملكية والسلم والهجرة والمرأة والحكم، وقد حاولوا فهم الإسلام ليفسروه تفسيراً يليق بمصالحهم، ووصل بهم الأمر أن أصبحوا يلقون عليه عبارات لا تليق مثل الإسلام الجزائري، واختص المستشرقون منهم بجوانبه كالتصوف والفقهاء والتاريخ<sup>1</sup> أو ما يعرف اليوم بالاسلاميات (Islamologie)

(Islamologie)، وهي سلسلة من الخلاصات حول الإسلام في الجزائر، بل حول الحضارة الإسلامية كلها، لسلسلة من المؤلفين ذوي التكوين المختلف<sup>2</sup>، وتعريف آخر هي مجموع الأعمال الدالة المنتجة حول المجتمعات الإسلامية من قبل ضباط المكاتب الأهلية (بيرو آراب)، والأكاديميين الفرنسيين

كانت سوسولوجيا الإسلام منذ بدايتها مرتبطة مؤسسيا بالدولة الفرنسية، ومن بين المجموعات المساهمة في إنتاج المعرفة حول المجتمعات المسلمة الفئات الثلاثة السالفة الذكر، ويظهر جليا هذا الارتباط في حالة ضباط المكاتب العربية الذين أنتجوا العديد من الأعمال حول المجتمع الجزائري في القرن 19م، ولقد تنوعت المقاربات فتارة تبدوا في شكل دراسات مفردة (Monographie) تعنى بجمعية دينية ما، وأحيانا بزاوية معينة، وتارة أخرى تبدوا تجميعا لمعطيات حول عدة جمعيات، كما تظهر هذه الكتابات كإحصاء منهجي متبوعا أحيانا بنصائح علمية من حيث السياسة الواجب اتباعها حيال الجمعيات، وأحيانا تبدوا وكأنها تأملات حول الإسلام الممارس في الجزائر، وأثار الديانة على المجتمع الجزائري<sup>3</sup>، وهو ما يصدق أيضا على أعمال الأكاديميين التي كانت مشابهة، والتي أنتج أغلبها سواء برعاية مؤسسات المحور القيادية (الكوليج دوفرانس، مدرسة اللغات الشرقية، والمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وأكاديمية النقوش والآداب)، أو من قبل المدارس الفرنسية-العربية كالثانويات، أو جامعة الجزائر<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 124

<sup>2</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 19

<sup>33</sup> المرجع السابق، ص 19

<sup>4</sup> آدموند بورك، مرجع سابق، ص ص 3, 6

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

منحت العلوم الاجتماعية البلدان المغاربية ولمدة طويلة صورة مجتمعات مسلمة بلا إسلام، ومع ذلك ومنذ نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر، كانت الدراسات عن الإسلام في هذه المجتمعات عديدة، حدث ذلك بصورة متفاوتة من حيث التسلسل الزمني بالنسبة لاكتشاف جوانب أخرى للمجتمع، ويبدو ان المؤلفين قد تحيروا بين فريقين لدراسة مجتمعات شمال إفريقيا، اما ان الدين في هذه المجتمعات هو كل شيء، أو انه لا يؤثر في شيء، ومن الاعمال التي صدرت في الجزائر اواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وتعتبر الدين هو كل شيء أعمال المستشرقين الفرنسيين كلويس رين، ودييون وكوبولاني، وكأعمال ضباط المكاتب العربية، دي نيفو (Neveu)<sup>1</sup>، ودوماس (Dumas)، وريشارد (Richard)، وروبان (Robin)<sup>2</sup>

### 1.3. سوسولوجيا الدين عند ضباط المكاتب العربية

كان ضباط المكاتب العربية من العلماء الموظفين في الدوائر الاستعمارية، ومعظمهم من العسكريين الاثنوغرافيين، فوظفوا خبرتهم لخدمة الاستعمار، وقد جمعوا بين العمل الاستشراقي والعمل الاستعماري<sup>3</sup>، ولم تكن مهمتهم الحفاظ على النظام في الجزائر بقوة السلاح فحسب، بل من خلال تقديم تقارير عن مدنها وسكانها، وقبائلها، وسياستها، وحتى مواردها الطبيعية فيما يقرب من عقدين من الزمن، امثال لويس رين وغيره من المستشرقين، الذين يرون الواقع المغاربي والدين بالتحديد تحت ضغط أحداث محددة، ومن خلال ارتباطات شخصية لهذه الأحداث<sup>4</sup>

يذكر المؤرخ الفرنسي بيروني (Peyronnet) في كتابه ( le livre d'or des officier des affaires indigènes)، الدور الذي قام به هؤلاء الضباط بقوله: كان ضباط المكاتب العربية من النخبة الفكرية، وقد تم توظيفهم في المصالح المتخصصة لكل ما يتعلق بالجانب التاريخي والجغرافي والاثنولوجي

<sup>1</sup> دي نوفو، ضابط ومستشرق فرنسي كان مكلف بأعمال طبوغرافية في القطر الجزائري ويرسم الحدود الجزائرية التونسية وماهر في المسائل السياسية، تولى إدارة المكتب العربي بمدينة باتنة عام 1864 وانتقل إلى رئاسة إدارة الشؤون العربية لمقاطعة قسنطينة في أول ماي 1848، ليصبح فيما بعد على رأس إدارة المكتب السياسي ما بين 1855-1858، وقد كان احد العناصر البارزة في مؤسسة المكاتب العربية بكامل القطر، حيث أفاد حكومته في مسالة تثبيت الاحتلال بالبلاد، توفي بالجزائر في 1871/10/17، ينظر: صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص ص 232-233.

<sup>2</sup> فاني كولونا، مرجع سابق، ص 25

<sup>3</sup> محمد خليفة حسن احمد، اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر،

1997، 38

<sup>4</sup> فاني كولونا، مرجع سابق، ص 25



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

وغيره من التخصصات، وعليه كان عملهم العلمي كبير، فالمعرفة التي لدينا اليوم عن شمال إفريقيا وعن الإسلام في الماضي والحاضر ترجع الى مساهمة هؤلاء الضباط<sup>1</sup>

بادر ضباط المكاتب الأهلية لدراسة الإسلام الشعبي خاصة دور الزوايا،<sup>2</sup> والطرق الصوفية، وكانت بداية هذه الدراسات دراسة شارلز ريشارد، حول الجذور الدينية الشعبية للمقاومة الشعبية بعنوان "دراسة حول تمرد "الضهرة"، المحاولة الأولى لاكتشاف تاريخ العصر الذهبي للإسلام الشعبي، ومحتواه، ورأى ان الإسلام من خلال مشاهد المقاومة الدينية لفرنسا، ورأى أيضا ان المعتقدات الدينية الشعبية مصدرا للقوة الروحية والمقاومة السياسية،<sup>3</sup> وهي تعتبر اول محطة ميدانية لإنجاز اول دراسة سوسولوجية، واول تحقيق فرنسي حول السوسولوجية الدينية، وللإنجاز التحقيق استلزم الأمر الدخول الى الزوايا، وتشريحها من الداخل، للكشف عن خباياها، وتسليط الضوء على شبكة العلاقات الداخلية والخارجية، وهذا ما ساعد على وضع خارطة بيانية لانتشار الزوايا وأمطاط تنظيمها، ومن ثم التمكن من تفكيك قوتها العسكرية ونفوذها السياسي<sup>4</sup>

صّور الاستعمار القائمون على تلك الزوايا في كثير من الأحيان على انها مصدر خطير عليهم، واعتبروها جمعيات سرية تعمل مع السلطة العثمانية لتحطيم الوجود الفرنسي في الجزائر، فربطوا بينها وبين حركة الجامعة الإسلامية التي كانت في نظرهم معادية لهم وعميلة لها،<sup>5</sup> وأمام انتشار أفكار الوحدة العربية التي نادي بها مفكرون في القرن 19م وانتشرت في بداية القرن 20م، كان المتخصصون في شؤون الأهلية يرون ان روح المقاومة تنبع من الطرق الصوفية<sup>6</sup> الدينية الكبرى ويجري تصوير الطرق الصوفية على انها مظهر وأداة خطر

<sup>1</sup> R.Peyronnet, Livre D'Or des officiers des affaires indigènes 1830-1930, imprimerie Algérienne, Alger, 1930, T1, pp 57-58

<sup>2</sup> يعرف المستشرق الفرنسي دين وفو De Neveu الزوايا ودورها بانها مسجد ومدرسة وملجأ وقاعة اجتماعات ومكتبة ومستشفى ومكتب دعاية تتبادل فيها الانباء، انظر: ايون تيران المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين، دار القصة للنشر،

الجزائر، 2007، ص 122

<sup>3</sup> ادموند بورك، مرجع سابق، ص 8

<sup>4</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 100

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5، ص 507

<sup>6</sup> صور الاستعمار القائمون على تلك الزوايا في كثير من الاحيان على انها مصدر خطير عليهم، واعتبروها جمعيات سرية تعمل مع السلطة العثمانية لتحطيم الوجود الفرنسي في الجزائر، فربطوا بينها وبين حركة الجامعة الاسلامية التي كانت في نظرهم معادية لهم وعميلة لها، انظر: ابو

القاسم سعد الله/ تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 507

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الجامعة الإسلامية<sup>1</sup> الذي يوجد منظموه السريون في الدولة العثمانية،<sup>2</sup> وكذلك ارتباطها بمراكز في الخارج، والمبالغ الكبيرة الموضوعة بتصرف رؤسائها المشكوك في نزاهتهم وعلى صلة دائمة بالخارج، فأوجدت مبررا لشكوك مكتب الشؤون الأهلية الذين أكثروا من طلب الدراسات والتقارير عن الطرق الصوفية المتهمه بالتواطؤ مع تيار الدعوة الى الوحدة الإسلامية<sup>3</sup> الذي يشتبه بأنه يقف وراء كل تمرد كبير، وبدا من خلال هذه الاستقصاءات ان الفرق الدينية تحتضن الآراء السياسية وبدا الانتساب إليها كشكل من أشكال المقاومة السلبية القادرة على تهيئة النفوس للثورة<sup>4</sup>

ظهرت في هذه الفترة دراسات للمستشرقان الفرنسيان ديون وكوبولاني،<sup>5</sup> ولويس رين، الذين ركزوا اهتمامه بوضوح على الطرق الصوفية،<sup>6</sup> فكان كتاب هذا الاخير والمعنون ب: ( Etude sur Islam en Algérie )، هو ثمرة بحث مقارن للجمعيات الدينية، والتي اخضعها لتنقيب دقيق بعد الوقوف على الموارد

<sup>1</sup> يقول المستشرق الالماني جوزيف شاخت: كانت حركة الجامعة الإسلامية هي الغول المرعب في ذلك العصر على نفس الطريقة، وفي نفس الزمن اللذين انتشر الرعب فيهما من الخطر الأصغر، فكانت كل ظاهرة مناهضة للامبريالية حتى ولو كان معنيتها مشاعر محلية خالصة تُعزى الى تلك الحركة الاسلامية، وكانت الكلمة نفسها توحى بالتطلع الإسلامي للسيطرة وبايدولوجية عدوانية وبمؤامرة على نطاق عالمي، ينظر: محمد الدسوقي، خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة، مجلة كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ليبيا، 1984-1985، ع 1، ص 84

<sup>2</sup> هنري لورنس جون تولان جيل فانشتاين، أوروبا والعالم الإسلامي تاريخ بلا أساطير، تر بشير السباعي، المركز القومي للترجمة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر، 2016، ص 464

<sup>3</sup> يعلق المستشرق والمؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان على هذا المصطلح ب: قد أطلق كاتب فرنسي سنة 1881 على هذه النظرية اسم الوحدة الاسلامية panislamisme بمعنى سياسي مضبوط لا يجوز إطلاقه بدون إفراط على غيرها في الحركات مثل الوهابية والسوسوية التي لا ترمي في جوهرها الى غاية توحيدية او مثل الجامعة الإسلامية التي لا تربط تحقيق الوحدة بالهيمنة التركية، انظر: شارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، دار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 28

<sup>4</sup> الصادق سلام، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الاسلامية 1895-2005، تر زهيدة درويش جبور، الكلمة هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي فهرسة دار الكتب الوطنية، ابو ضبي الإمارات، ط ، 2012، ص 180

<sup>5</sup> قام المستشرقان الفرنسيان اوكتاف ديون واكزافي دي كوبولاني بدراسة حول الطرق الصوفية، وبرزوا من خلال دراستهما الدور السياسي الذي كانت تؤديه هذه الطرق والامكانات الكبيرة التي تتمتع بها مما جعلها تشكل كيان خاص بها مستقل عن كل دولة تحكمها، انظر فصل النشاط

السياسي للزوايا من كتاب: Octave dépont, Xavier coppolanie, les confréries religieuses musulmanes, Adolphe Jourdan, Alger, 1897, p 257,277

<sup>6</sup> عملت فرنسا على ضرب الطرق الصوفية الراضية للاحتلال في الركائز الاساسية التي ترتكز عليها للقيام بنشاطها، وذلك بع ان اجروا لها دراسة دقيقة ويتم مراقبتها جيدا بواسطة مجموعة من الباحثين والعلماء(المستشرقين) الذين كرسوا وقتهم وجهدهم لدراسة تركيبة هذه الطرق وكيفية اداء نشاطها واهم الركائز الاساسية التي ترتكز عليها، انظر، شارل رويبر اجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871-1919، تر: الحاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ج1، ص 551

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

والوسائل التي تتوفر عليها،<sup>1</sup> وايضا المشتركة مباشرة في القلاقل السياسية التي عرفتها القبائل في نهاية القرن التاسع عشر<sup>2</sup>

فيقر المستشرق لويس رين في دراسته مرابطون واخوان، بانه لم يكن يقدر ان يخرج مثل هذا العمل لولا مساعدة كل من الحاكم العام السيد تيرمان الذي وضع له جميع التسهيلات للوصول الى المصادر من جهة، وكذلك علاقاته الشخصية مع بعض شيوخ الزوايا امثال سي احمد التيجاني، والشيخ (الميسوم علي بن عثمان) لاجراخ هذا العمل،<sup>3</sup>

ويعترف في هذا الصدد: انا لفرنسا مصلحة سياسية واستراتيجية في ضبط عدد الفرق الدينية ومذاهبها وطرق عملها وتنظيماتها وطرقها في التجنيد<sup>4</sup>، وهي اشارة دالة على استغلال الادارة لهذه الدراسات لخدمة مصالحها،<sup>5</sup> وفي حديثه عن الإسلام يقول المستشرق لويس رين: كل المسلمين بدون استثناء لديهم إيمان قوي لا يقبل المساومة ولا المنطق فكل إنسان نشأ في هذه البيئة فان وجود الله ورسالة محمد هما حقيقتان تظهران بوضوح مثل ضوء النهار بالنسبة للمسلمين وهم سعداء بهذه السخافة في دينهم (Credo qui absurdum)<sup>6</sup>

يذكر ارنست فالو (Ernest Fallot) قائلاً: ان بعض الطرق الصوفية قد دعمت وبكل قوتها وأثارت العصيان ضد الغزو الفرنسي للجزائر في حين ان البعض منهم ورجالها كالطريقة التيجانية حافظت دائما على أحسن العلاقات مع السلطات الفرنسية ووضعت كل نفوذها في خدمة قضية

<sup>1</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 20

<sup>2</sup> فاني كولونا، مرجع سابق، ص 146

<sup>3</sup> L.Rinn, *marabout et khouans, étude sur l'Islam en algerie*, imp: Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p 8

<sup>4</sup> Ibid, p 56

<sup>5</sup> كانت الحكومة العامة في الجزائر توجه الخبراء لدراسة ضاهرة معينة K وتسليط الضوء عليها محليا ودوليا K لتستفيد من ذلك تفادي الاخطاء والتوجه الصحيح في التعامل مع العالم الاسلامي، ومن ذلك مثلا دراسة أنشطة الطرق الصوفية، ودراسة اوضاع الاسلام والمسلمين، انظر، ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص 124، وما يؤكد هذا الطرح أيضا في العلاقة بين الإدارة الاستعمارية والدراسات المنجزة من قبل المستشرقين، هو رعاية الإدارة لمثل هذه الأعمال وتقديم لها جميع التسهيلات، فمثلا عند تتبعنا للكثير من الدراسات الاستشراقية الفرنسية المنجزة في الجزائر، والتي تخص دراستنا، وجدنا انها كانت برعاية الحكام العامون سواء في أواخر القرن التاسع عشر مثل الحاكم العام تيرمان وجول كامبون او في بداية القرن العشرين كالحاكم العام شارل جوناو والحكومة العامة في الجزائر Le

*gouvernement général*، رأينا في السابق ان لويس رين يعترف بمساعدة الحاكم العام تيرمان، ونفس الشيء للمستشرقان ديبون وكوبولاني في مقدمة دراستهم يوهون بفضل التوجيهات والنصائح والتعليمات التي كان ممثل الحكومة العامة ورئيس المكتب الاهلي السيد ريبال

Reibell الذي كلفهم بانجاز هذه الدراسة، انظر: Octave dépont, Xavier coppolanie, Op cite, p 5

<sup>6</sup> Ernest Fallot, Op cite, p 311

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية والانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

التهدة، ويضيف "ان الذين كانوا معارضين لنا في البداية أصبحوا فيما بعد متقبلين لأمر الواقع، بل ان بعضهم احتشد وبإخلاص وبدوافع خفية لقضيتنا، فالقادرية على سبيل المثال ثاروا بقوة الى جانب الأمير عبد القادر في البداية، وألان يعملون على نشر نفوذنا في كل مناطق الجنوب الجزائري"<sup>1</sup>

ولقد رأى المسؤولون عن المكاتب العربية في تزايد الانتساب الى الفرق الدينية ردة فعل ضد السيطرة الاجنبية يملئها التوق الى الاستقلال، فهانوتو (Hanoteau) يرى ان الروح الوطنية التي لم تكن لترضى بخضوع كامل وجدت مرتكزا جديدا لأمالها في الجمعيات السرية للإشارة الى الفرق الدينية، وبين المستشرق ادموند دوتي ان الفرق الصوفية هي جمعية على الطراز الإسلامي<sup>2</sup>

ولويس رين اقترح من جهته اعتماد خيار اخر يكون بديلا عن السياسة الأمنية المتشددة، اذ اعتبر ان الزوايا ليست كلها معادية لفرنسا، بل ان من الحكمة السياسية ان تحمي فرنسا ونشجع الكثير منها، كما نصح الحكومة العامة بدعم الزوايا التي تحتفظ بمكانة عالية لدى السكان مع الإبقاء على مراقبتها، ونصح ايضا بمنح مساعدات للزوايا الجيدة وذلك لمحاربة الفرق الدينية الكبرى<sup>3</sup>، ومع ذلك لم تعجب اقتراحاته أنصار سياسة الاستيعاب الذين أقلقهم ارتفاع نسبة المنتسبين الى الفرق الدينية التي بلغت 30%، فاقترحوا إلغاء الزوايا، وبالفعل تم اقفال بعض الزوايا وخضع مقدموها للملاحظة<sup>4</sup>

واستنادا لتلك الاقتراحات، اصبحت الزوايا تحت أنظار الفرنسيين وصدر مرسوم في 13 أكتوبر، 1892 والتي أخضعها للمراقبة والتفتيش من قبل السلطات الاكاديمية الدنية والعسكرية، وكانت النتيجة ان اعلن المستشرق الفريد بيل: ان الزوايا مآلها ان تصبح للعبادة ولزيارة الغرباء والإخوان فقط،<sup>5</sup> ونتيجة لهذه التوصيات تم احتواء مشايخ الطرق الصوفية وتوظيفهم، ولقد أوصت المؤلفات السابقة

<sup>1</sup> Ibid, p 334

<sup>2</sup> الصادق سلام، مرجع سابق، ص 181

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 181

<sup>4</sup> لم تكنفي السلطات الاستعمارية بهدم وتخريب الزوايا فقط، بل حتى مقدمي واتباع هذه الطرق كان لهم نصيب من العقاب، تركز اقلية في النفي والتهجير كل من قال لا لقوانينها وساساتها خاصة بعد اثبات عجزها في استمالة هؤلاء الزعماء والمشايخ لصالح منافعها في الجزائر، انظر،

عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الامة، الجزائر، 2004، ج4، ص 359

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق ص 176

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

بضرورة العمل على كسب المشايخ المعادين للاستعمار من ذوي النفوذ، وذلك باستعمال طعم جاذب، كالاتيازات الشرفية، وخصهم ببعض المكاسب الكفيلة بان تزرع بينهم بذور الفرقة والاختلاف<sup>1</sup>

كان تراث مكاتب الشؤون الأهلية أكثر الأشكال أهمية في تطور السوسولوجيا الجزائرية، وعلى الرغم من موقعهم في الحقل السياسي، فقد كانوا بشكل ملحوظ أفضل مزود بالمعلومات، وأكثر تيقظا لأثر السياسات الفرنسية تجاه مسلمي الجزائر<sup>2</sup>، ويذكرنا قوستاف مرسيني (Gaustrave Mercier) بالجهود المبذولة من طرف ضباط المكاتب العربية قائلا: فكلما ابدت مجموعة من من الاهالي مقاومتها للمحتل تُسلط عليها الاضواء، وتكون محل سلسلة من الدراسات<sup>3</sup>

واما عن هدفهم الذي كانوا يصبون اليه من خلال هذه الدراسات يقول ابو القاسم سعد الله: الهدف البعيد لهؤلاء المستشرقين على شاكلة لويس رين هو تجريد الجزائريين من أبطالهم، كما حاولوا تجريدهم من اسلافهم الحق، واتهامهم -اي الجزائريين- بالإيمان بإسلام جزائري هو اقرب الى الخرافة منه الى العقيدة الراسخة الواعية<sup>4</sup>

يذكر المؤرخ الفرنسي هنري فرويدفو (Henri Froidevaux) في مقال له نشر في مجلة التاريخ الاستعماري قوله: ان مؤرخو الاستعمار الفرنسي المعاصرين، وجدوا أنفسهم مهتمين بكل ما يتعلق بالإسلام، وخاصة الإسلام المغاربي في ماضيه وحاضره، ومظاهره الأكثر تنوعا عندما اصبحت فرنسا تعتبر نفسها قوة اسلامية عظمى<sup>5</sup> ويتابع قوله: وفي الجزائر على وجه الخصوص كان ينظر الى الإسلام على انه نقيض المسيحية أكثر منه نقيض للحدثة، وقد اعتبر الإسلام عدوا طبيعيا للدولة الحديثة - قيام الجمهورية الثالثة- التي ينبغي ألا تعيده إلى المجال الخاص به سابقا، وبأن تحافظ عليه في علاقة

<sup>1</sup> التليبي لعجيلي الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، اطروحة دكتوراه مرحلة ثالثة، كلية الاداب، جامعة

تونس، 1، 1992، ص 342

<sup>2</sup> ادموند بيرك، مرجع سابق، ص 7

<sup>3</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 28

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، ابحاث وارااء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 29

<sup>5</sup> Henri Froidevaux, Encyclopédie de Islam, revue de histoire des colonie française, Honoré champion-Emile larose, 1<sup>er</sup> anné, 1<sup>er</sup> trimestre, paris, 1913, p 243

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

صارمة من التبعية، وسيستخدم المستشرقون والمستعربون لتقديم استنتاجات عملية شان السلوك الواجب اتخاذه فيما يتعلق بموضوع الأهالي المسلمون<sup>1</sup>

بقيت الإدارة الاستعمارية متمسكة بإصرار على الإسلام الجزائري، كما وصفه المستشرق لوشاتوليي<sup>2</sup>(le chatelier): ان اول احتكاك لنا بافريقيا المسلمة قد حصل من خلال الجزائر، خلال 80 عاما انتجنا فيها نموذج للإسلام هو الوحيد من نوعه في العالم، اسلام من دون أوقاف، ومساجده تابعة للإدارة، وقضاته موظفين، والحج رهن بإذن الإدارة، واليوم نضيف الى ذلك نماذج نضام جديد، وخليط من الشرع الإسلامي(La loi musulmane) والتشريع الفرنسي...، ليس هناك مجال للعودة الى الوراثة لأسلمة الجزائر، لقد حدث الضرر، وبدا الخير اذا قمنا بإضعاف المسلمين بشكل منهجي<sup>3</sup>

### 2.3. سوسولوجيا الدين عند الأكاديميون

يمثل الأكاديميون ثالث مسارات سوسولوجيا الدين بعد كل من الهواة وضباط المكاتب الأهلية، وهم لم يظهروا كمجموعة متميزة الا بعد 1871، استجابة لتحديث الجامعة الفرنسية، وبروز تخصصات العلوم الاجتماعية<sup>4</sup>، وجاءت دراساتهم وخصوصا حول الحركة المرابطية في الوقت المناسب، لتقدم عن الاسلام الصورة الأكثر عنفا والأكثر تشخيصا والأكثر انحرافا<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Ernest Fallot, Islam et la politique musulmane de la france dans l'Afrique du nord, Revue politique et parlementaire, N 11, T x2 , avril , mai, juin, paris, 1904, p310

<sup>2</sup> كان الفرد لوشاتوليي هو صاحب كرسي سوسولوجيا الإسلام ( السوسيوغرافيا والسوسولوجيا الإسلامية)، الذي تأسس سنة 1902 بالكوليج دو فرانس، وكان لوشاتوليي مرتبط سياسيا باعتباره موظفا سابقا بالمكاتب العربية، وملتزما بتطوير وعي ذاتي سوسولوجي عن السكان المسلمين للإمبراطورية الفرنسية، وقام قبل تعيينه بانتاج عدد من الاعمال والدراسات لفائدة وزارة الحرب حول السكان المسلمين لافريقيا نذكر منها: -

Islam dans l'Afrique occidental 1899 ودراسة Islam au XIX siècle انظر ادموند بورك، مرجع سابق، ص 12

وكان لوشاتوليي ايضا هو مؤسس مجلة العالم الإسلامي التي ضربت المثل في السرعة والعمل الجماعي، فأصدرت ما بين 1906 و 1925 اثنين وستون 62 مجلدا، وظهر على صفحاتها المستشرق لويس ماسينيون وآخرون، وقد قال عنها لوشاتوليي انها مجلة غير استشراقية وغير استعمارية، ولكنها مجلة تعرف بالإسلام كما هو يتطور في الواقع، وتبرز الحقائق الاجتماعية التي ترصدها في الساحة الافريقية، انظر، ابو القاسم سعد الله،

تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 75

<sup>3</sup> A .Le Chatelier, politique musulman colonial, revue le monde musulman, publication par la mission scientifique du Maroc, Ernest Leroux, paris, septembre 1910 ; T12, pp 79-80

<sup>4</sup> ادموند بورك مرجع سابق ص 10

<sup>5</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 28

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

من المستشرقين الذين عنوا بالمسألة الدينية في الجزائر، مسكراي ومنتاني ومونيي (Masqueray Montagne , Maunier)، وهم مراقبون شديدي الولع وفي غاية الأمانة حين يذكرون أهمية الإسلام، وشرعوا في بناء إنشاءات نظرية توجه الاهتمام الى عناصر أخرى في التنظيم الاجتماعي (المدينة والعرق) وأنهم قضوا حياتهم المهنية (الاثنان الأولان) في عمل محلي استعماري بالكامل تقريبا، وينتمون الى مآثور نظري الدوركامبي المهيمن على العوم الاجتماعية حديثة النشأة، باستثناء مسكراي<sup>1</sup> الذي مات في سن مبكرة نسبيا خلال حياته المهنية التي قضاهها كاملة في الجزائر، وله الفضل في تأسيس المدرسة الجزائرية في عام 1881، في حين حقق المؤلفان الآخران نجاحات لا يستهان بها<sup>2</sup>، وكان من الضروري ان يقوم أولئك الذين استغرقوا في أداء هذه المهمة-المستشرقون-بالتححرر من نموذج المدينة القديمة الفارض لنفسه على الجميع في القرن 19م والذين تواجهوا مع الإسلام في الجزائر<sup>3</sup>

رَكَز الأكاديميون الفرنسيون والذين عرفوا باسم مدرسة الجزائر في نهاية القرن 19م بقيادة روني باسي على الإسلام في الجزائر، وكانت هذه المجموعة تظهرا للعديد من القوى المشابهة التي غيرت من بعد التعليم العالي الفرنسي،<sup>4</sup> فروني باسي رأى ان بلاده يجب ان تفرق في معاملتها بين الإسلام في شمال إفريقيا، والإسلام في افريقية والسودان، ونصح بالربط بين الاحتلال، والمصالح المادية للمسلمين، ونصح أيضا بعدم مدح الإسلام أمام الأهالي، لأنهم سيزدادون تعصبا، ودعا بالإبقاء على الإسلام تحت رقابة الإدارة، لان هيئة الدين متعاونة مع الإدارة<sup>5</sup>

فبدأت توجهات جديدة، وذلك بتسليط الضوء على المذهب الاباضي من خلال دراسة بارزايس (Parezys)، والتي كانت بعنوان (التنظيم الاباضي في منطقة مزاب)، حيث حاول من خلالها توضيح كيفية دخول فكر الخوارج<sup>6</sup> لاسيما وان المنطقة كانت الأرضية المناسبة لغرس أفكارهم السياسية، والاجتماعية التي

<sup>1</sup> يقول ادموند بورك عن اميل مسكراي واعماله : كاد ان يكون دوركهايم سوسولوجيا الإسلام، انظر ادموند بورك، مرجع سابق، ص 10

<sup>2</sup> فاني كولونا، مرجع سابق، ص 25

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 195

<sup>4</sup> ادموند بورك مرجع سابق ص 11

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 6 مرجع سابق ص 126

<sup>6</sup> الخوارج هو مصطلح يرفضه الاباضيون نظرا لأنهم تاريخيا تبرؤوا من الخوارج واختلفوا عنهم وهنالك مراسلات ائمتهم تدل على ذلك، للمزيد ينظر: علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الإسلامية، تحقيق بكير بن محمد شيخ بالحاج، دار الحكمة، لندن، 2004.، ويذكر المستشرق موتيلانسكي عن عقيدة الاباضية وفكرهم قائلا: اختلف الخوارج مع علي في امر التحكيم، وهم دون ان يجادلوا في شرعية حكم الخلفاء الاربعة

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

كانت تتعارض مع سلطة الخلاف، ومن هذا الباب تبني البربر هذا الفكر للتخلص من سلطة الولاية، وتحقيق ذلك عن طريق عبد الرحمان بن رستم الذي أسس الدولة الرستمية<sup>1</sup>

وبالنسبة لاباضية الجزائر يذكر في هذا الصدد المستشرق موتيلانسكي أنهم يتشددون كثيرا في الامور الخُلقية خصوصا في قصور مزاب، حيث لا يستطيعوا الفرار من سلطة (الطلبية)، اما في مدن التل الجزائري حيث يجتمعون بقصد التجارة، فلا يتفق عملهم مع النظريات دائما، ويقول موتيلانسكي: يجب ان نعترف انهم يتمسكون بعقائدهم تمسكا شديدا، وهم لا يختلطون بالمسلمين من اهل السنة الا لضرورات تجارتهم النافعة، وقلما يصاهرون اهل السنة، لان مثل هذا الزواج مما تبرأ منه الجماعة، وهذا النقاء سواء اكان عن إخلاص ام تظاهر، يجعل منهم كتلة متجانسة، متألفة، متميزة تمام التميز، بسلوكها وأخلاقها، وميولها بين اهل السنة من العرب، والبربر في شمال افريقيا<sup>2</sup>

لطالما تم تحليل الإسلام باعتباره شكلا من اشكال المقاومة، لاسيما في شكله الاخوي، ولكن دون ان يكون الهدف الرئيس منه الإصلاح، ونذكر على سبيل المثال أعمال المستشرقان ادموند دوتي، وجوزيف ديسبارمي (Joseph Desparmet)<sup>3</sup> وبخاصة هذا الأخير والذي لإعماله أهمية حقيقية،<sup>4</sup> ويعد نشر المستشرق

---

الراشدين، كما يفعل الشيعة، يصرون على ان القدوة الحسنة بعد النبي صل الله عليه وسلم كانت في ابي بكر وعمر، اما عثمان فلم يقتف آثارهما، والاباضية يشيرون في كتبهم بعناية الى ما اسموه (بدع عثمان)، ويجب على المسلمين اقامة الإمامة عندما يتوافر لديهم القدرة والعلم، وليس من الضروري ان يكون الإمام قرشيا بل يكفي ان يكون فاضلا ورعا، وان يحكم طبقا لأوامر القرآن والسنة، فاذا ابتعد عنهما وجب خلعه، والقرآن كلام الله هو الذي خلقه (القرءان مخلوق)، ولن يُرى الله في الجنة، والعقاب في الحياة الاخرى ابديان، والنار كالجنة لا يعتربها الفناء، والله يغفر الصغائر اما الكبائر فلا تمحوها الا التوبة، ومن واجب كل مسلم ان يعمل المعروف وينهى عن المنكر، ينظر: موتيلانسكي

(A.D.Motyliniski)، الاباضية، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ج 10، ص 58

<sup>1</sup> كريم بوترة، مرجع سابق، ص 348.

<sup>2</sup> موتيلانسكي (A.D.Motyliniski)، الاباضية، مرجع سابق، ص 59

<sup>3</sup> ظهرت قصائد وقصص شعبية تتبلور في أشكال مختلفة وتعطي معنى لانهايار نظام ما قبل الاستعمار(العثماني) والعديد من هذه القصائد الشفوية تنظر الى الهيمنة الفرنسية على الجزائر والتي جاءت كعقاب الهي على الانحطاط الأخلاقي للسكان والحكام العثمانيين ومن الامثلة الموثقة ديوان الأولياء، جمع في بداية القرن العشرين من قبل المستغرب جوزيف ديسبارمي، وإسنادا الى هذه الروايات الشفوية، فان إنهاء الحكم العثماني في الجزائر على يد فرنسا، كان ينبع من رؤية تم مناقشتها بالتفصيل في اجتماع رجال الدين والأولياء المغاربة في بغداد برئاسة شيخ الطريقة الصوفية عبد القادر الجبلياني، بمعنى ان الاحتلال الفرنسي للجزائر قضاء وقدر، وكثيرا ما تتخذ هذه الروايات شكل من أشكال التنبؤ، وهو في الكثير ما يُنسب الى المرابطين الذين ماتوا منذ فترة طويلة بعد ان اعلنوا ان الله قد منح الجزائر للفرنسيين لمدة مائة عام شريطة ان يحكوا الناس بالعدل،

ينظر: Jan C.Jansen, Fête et Ordre Colonial, Centenaire et Résistance Anticolonialiste en Algérie Pendant les Années 1930, vingtième Siècle, Revue d'Histoire, Sciences po université presse, janvier-mars 2014, N121, p 68

<sup>4</sup> فاني كولونا، مرجع سابق ص 25



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

ادموند دوتي سنة 1900 كتابه الإسلام الجزائري (الذي عبر عنه انه اسلام الدروشة والسحر)،<sup>1</sup> وله أبحاثا أيضا حول الممارسات السحرية والطقوس الوثنية، وأشكال من الشعوذة التي كانت سائدة في الجزائر في تلك الفترة،<sup>2</sup> ودافع من خلاله على فكرة استمرار البقايا الوثنية على مستوى بنية الدين الشعبي، وقد اعتبرها شكلا من أشكال الاكتساح العربي الاسلامي لبلاد البربر، والشمال الإفريقي، وفي هذا الإطار جاءت أطروحته مرتكزة على مسلمتين أساسيتين: اولها تتمثل في عملية الأسلمة، التي ستعرض لها المعتقدات الوثنية السابقة عن الإسلام، والثانية لخصها في الطبيعة التوحيدية للديانة الإسلامية، مما يستدعي بالضرورة ظهور وسطاء<sup>3</sup>

برزت في هذه الفترة أعماله ومؤلفاته مثل مدونات الإسلام المغاربي الصلحاء وغيرها،<sup>4</sup> التي حاول دوتي فيها، ان يقف على كل ماله علاقة بالإسلام، الذي تتبناه الدولة رسميا، ويعمل الفقهاء والعلماء على ترسيخه، من خلال المؤسسات الدينية، والعلمية المتمثلة في الكتاب، والمساجد، والمدارس، كما عمل في مختلف كتبه على دراسة ما يمكن تسميته بالإسلام الشعبي، الذي يشيع في المجتمع، والذي تختلط في لدى العامة المعتقدات الإسلامية الرسمية ببعض المعتقدات الأخرى،<sup>5</sup> فدراسة الدين عنده والاهتمام به هو المفتاح لفهم الشخصية المغاربية، فهما يأخذ بعين الاعتبار المكونات الجوهرية، التي توجهها وتضبط حركتها اجتماعيا وسياسيا،<sup>6</sup>

كما يرى ان سكان شمال إفريقيا، اضطروا مع مجيء الإسلام الى التحايل، من اجل المحافظة على معتقداتهم الوثنية الأصلية، وذلك بتكييف المعتقدات الوثنية مع الإسلام، وبالرغم من قدرته الكبيرة على التأثير والتسوية (Nivellement)، لم يكن بوسع القضاء كليا على جميع الطقوس الوثنية القديمة، وبالتالي فقد تمت

<sup>1</sup> Alain Masaoudi, *la langue de la cité ou la langue de l'étranger ? l'enseignement de la langue arabe entre l'Algérie française et français contemporaine* (texte original français) french history Oxford, septembre, 2006, SHSIM/EHESS ,p11

<sup>2</sup> فيليب لوكا وجون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 29

<sup>3</sup> يونس لوكيلي، مرجع سابق، ص 2

<sup>4</sup> تناول ادنوند دوتي في كتابه بالفرنسية محمد الكاردينال الصادر في باريس سنة 1899، الخرافة التي انتشرت انتشارا واسعا في العصر الوسيط، والتي تقول ان محمدا كان في الأصل كاردينا لا رومانيا، يسعى للحصول على تاج البابوية، ولكنه عندما فشل في الحصول عليه أسس الطائفة المحمدية، وصرف آلاف كثيرة من النفوس عن المسيحية، ينظر: ابو التراب سيد بن حسين العفاني، وامحمداه، دار العفاني، مصر، 2006،

ج 3، ص 85

<sup>5</sup> رشيد الادريسي، ادموند دوتي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2020، ص 37

<sup>6</sup> المرجع السابق، ص 38

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

أسلمتها،<sup>1</sup> إضافة الى عبادة الاولياء، والذي ارجعه دوتي الى انتشار هذه العبادة الى التوحيد الاسلامي الحاد والمفرط، فالاسلام قد غالى في التوحيد، عندما باعد المسافة بين العابد والمعبود، والغى كل الروابط الملموسة التي تجمع بين الله والمؤمنين، ممّا دفع بالناس بالبحث عن وسائل، بينما هي في الواقع عبادة للإنسان (Anthropolâtrie)<sup>2</sup>

قدم دوتي من خلال دراسته الصلحاء مجموعة من التوصيات والنصائح للادارة الفرنسية قائلا: يجب دراسة الصلحاء في التاريخ السياسي، والبحث عن أصول التصوف<sup>3</sup> والطرق الصوفية في شمال إفريقيا، وكتابة التاريخ الداخلي والخارجي لكل واحدة منها من اجل الحصول على فكرة صحيحة عن علاقة الصلاح بالطرق الصوفية، وبخلاصة دراسة الإسلام المغاربي كله، ما دام صحيحا ان زيارة الصلحاء أصبحت الدين تقريبا،<sup>4</sup> وقد سبق لإعمال هامة ان شرعت في ذلك، من خلال أعمال السيد رين، وديبون، وكوبولاني وغيرهم، ويبقى على المدرسة الجزائرية ان تشتغل وتنقل بحكمة خلاصات عملها لحكامنا<sup>5</sup>

يضيف دوتي قائلا: لا يساورنا اي شك في دور الصلحاء في سياستنا، ويكفي فقط النظر الى امثال مولاي الطيب الوزاني، وتجاني عين ماضي، ودورهم الحاسم في سياستنا، وقد قدم لنا الصلحاء في الجانب الإداري الصرف خدمات، وذلك في تنظيم تصرفات أتباعهم والدعاء لرؤساء الجماعات المختلفة وتهدئة الأوضاع، ولكن هل نستطيع ان نتخذ من الصلاح والطرق والدين الإسلامي وسيلة للحكم كما كان

<sup>1</sup> عبد الغني مندوب، الدين والمجتمع دراسة سوسولوجية للدين بالمغرب، دار افريقيا الشرق، المملكة المغربية، 2006، ص 30

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 32

<sup>3</sup> كان المستشرق ماسينيون يرجع التصوف الى أصل إسلامي صرف، وهو القرعان، مؤكدا ان التصوف في انبثاقه الأول ليس سوى الاشراف الروحية المنبعثة من دراسة القرعان، والمستمدة من نبعه الفياض، وان التطورات التي طرأت على الفكر الصوفي من جراء التأويلات الباطنية الجديدة، والتي تتجلى خاصة في كتب ابن عربي الحاتمي، انما تأثرت - في نظره - بالنزعة الصوفية المسيحية التي اقتبست هي الأخرى من مصادر فلسفية أبرزها مذهب الاشراف في المدرسة الافلاطونية الحديثة بالاسكندرية، ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، الاستاذ ماسينيون عضو مجمع اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، يصدرها الكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط المغرب الأقصى، يناير 1965، ع 2، ص 80

ويقول المستشرق الفرنسي هنري ماسي عن الإسلام الصوفي: ليس هناك مجال للضن ان التصوف الإسلامي ذو أصول أجنبية، اذ يبدو انه اختاريا على ارض الإسلام، مع اننا نشعر فيه بوجود تأثيرات مسيحية وايرانية وهندوسية ايضا، ينظر: هنري ماسي، الإسلام، تر: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت لبنان، 1988، ط3، ص 219

<sup>4</sup> ادموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الإسلام المغارب خلال القرن 19م، تر: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2014، ص 137

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 138

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

مقترحاً؟<sup>1</sup> ويجب: فسّن سياسة مرنة للسياسة الدينية سيف ذو حدين، ومن الخطير توظيفه، وإذا كنا مجبرين على سن بعض القواعد السياسية، فإننا سنلجأ مؤقتاً إلى تلك التي سنناها قديماً، وإن نزيح عنها بعضاً من صرامتها والتوقف قدر الإمكان عن كل تدخل ديني محض، وخلق وسائل أخرى ممكنة من أجل مصالح جديدة<sup>2</sup>

ولكن السؤال الذي يمكن للقارئ طرحه في هذا الإطار، ما علاقة الهيمنة بالصلحاء؟ والجواب واضح، وهو أن الصلحاء بحكم الوضع الاعتباري الذي يحضون به، يتحولون إلى وسيلة فعّالة للتواصل مع ساكنة منطقة بعينها، بحيث يكفي استمالة الولي وإقناعه بوجهة نظر السلطة لإقناع كل الذين يحضن لديهم بالتوقيع والتقدیس<sup>3</sup>

ولتقييم الدراسات الانثروبولوجية التي قام بها دوتي وعلى رأسها كتابه السحر والدين في إفريقيا الشمالية، فينبغي وضعها داخل الإطار المعرفي للفترة التي أُنجرت أثنائها، وهي الفترة التي كانت تهيمن فيها نظريات المدرسة السوسولوجية الفرنسية، والمدرسة التطورية البريطانية،<sup>4</sup> وعلى غرار منشورات دوتي السابقة، ظهرت أبحاث ودراسات اهتمت بالمسألة الدينية، وهي دراسات نستطيع أن نطلق عليها مصطلح الاستخباراتية، وهي في الغالب من توجيه الإدارة الاستعمارية

فمثلاً نشر المستشرق جون ميرانت قراءة نقدية لانتفاضة مرغريت (La révolte margueritte) في نفس السنة مثلاً على تحول الدراسات الاستشراقية نحو الإسلام، وعلم الاجتماع الديني، وكما يعطي المستشرق وليام مارسي شهادة متأخرة عن هذه الأسبقية الممنوحة للإسلام في الدرس الافتتاحي الذي ألقاه في الجزائر العاصمة سنة 1941، أثناء افتتاحه للدورة التدريبية في المركز العالي للدراسات الإسلامية<sup>5</sup>

ومن أمثلة الدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون في هذا المجال ترجمة بيرون (Biron) لمختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي، وهو طبيب فرنسي تشهد له ترجمته على معرفته للعربية وعلى اطلاعه الواسع

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 120

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 120

<sup>3</sup> رشيد الإدريسي، مرجع سابق، ص 48

<sup>4</sup> عبد الغني مندوب، مرجع سابق، ص 32

Op cite, p11<sup>5</sup> Alain Masaoudi,

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

بكتب التراث ومنه الفقه، وحسب أبو القاسم سعد الله فان هذه الترجمة كانت موجهة كما هو متوقع إلى الإدارة الفرنسية الاستعمارية وليس إلى الجزائريين،<sup>1</sup> ونشر دومنيك لوسيان الذي تولى ادارة مديرية الشؤون الاهلية بين اعوام (1901-1919)، وتحت رعاية الحكومة العامة في الجزائر ترجمة للمستشرق (Biron)،<sup>2</sup> وفي مقدمته اعتبر ان العقيدة الاسلامية بإعادتها الى مبادئها الأساسية فهي لا تشكل عائقا امام تطور الشعوب، وهذا ليس رأيه وحده بل رأي خليفته على مديرية الشؤون الاهلية المستشرق جون ميرانت،<sup>3</sup> كذلك اهتم المستشرق هوداس بالفقه الإسلامي حين تعاون مع زميله مارتيل الذي كان أستاذا لمدرسة الحقوق على ترجمة كتاب "تحفة الاحكام" وقيل ان مدة الترجمة قد دامت قرابة 10 سنوات، و صحیح البخاري بمعية ويليام مارسي في اربعة اجزاء،<sup>4</sup>

كما نشر ادموند فانيان (Edmond Fagnan)<sup>5</sup> رسالة ابن أبي زيد القيرواني المشهورة في الفقه، بينما نشر ارنست مرسيي (Ernest mercier)<sup>1</sup> الأملاك في بلاد المغرب طبقا للمذهب المالكي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد اله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص. 107.

<sup>2</sup> له ترجمات عديدة نذكر منها ترجمته لكتاب ميزان الشريعة: *abd al-wahab ibn ahmed ibn ali al-ansari al-sarani, Balance de la loi musulmane, ou Esprit de la Législation Islamique de divergences de ses quatre rite jurisprudentielles, traduit de l'Arabe par le Dr peron, avec un avant-propos signé: J.D.Luciani(Alger :imp de L'Islamisme: son institution, son influence et son avenir, ouvrage Posthume(Paris,E.Leroux 1877)*، وله كتاب اخر مهم عن الاسلام ومؤسساته بعنوان *p.Fantana 1898*، وكان رأي الدكتور بيرون العارف بشؤون الاسلام في الجزائر في نهاية القرن 19م "ان إعادة إصلاح وصياغة القانون المدني هو عمل على جانب كبير من الأهمية في حياة المسلمين، فيجب إدخال تعديلات على الشريعة الإسلامية وتصحيح بعض الجوانب فيها من قبل السكان المسلمين الذي نسعى الى تنويرهم وتمدينهم، لان قانوننا مغلقا او شريعة جامدة تعبر عن مأزق وفقدان الصواب، وبرى ايضا ان الجزائر تحتاج الى تقنين وتدوين أحكام الشريعة الإسلامية، لحل التعارض بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، ينظر: نور الدين نينو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت لبنان، 2015، ص 81

<sup>3</sup> Alain Masaoudi, les Arabisants Français (la Réforme de l'Afrique du Nord, Autour de Louis Machuel 1848-1922 et de ses Contemporains, pub de l'IRMC, l'Harmattan, Paris, 2009, p 10  
<sup>4</sup> Voir, O.Houdas et W.Mrcais, EL-Bokhari, les traditions Islamique, imp Ernest Leroux, paris, 1914, وهو متوفر

على موقع Gallica في اجزائه الاربعة

<sup>5</sup> ادموند فانيان 1846-1931 مستشرق فرنسي متحصل على ليسانس ودكتوراه في القانون، تعلم العربية والفارسية والتركية والعبرية ومتحصل على دبلوم فيها، في سنة 1873 الحق بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية بباريس، وفي 1884 كلف بمحاضرات في اللغتين العربية والفارسية في كلية الآداب بالجزائر، واستمر في هذا المنصب الى حين تقاعده سنة 1919، من اثاره: ترجمة مهمة في الفقه المالكي وفي تاريخ المغرب، ترجمة رسالة ابي زيد القيرواني سنة 1912، ترجم كذلك تاريخ المغرب لابن عذارى المراكشي. للاطلاع أكثر ينظر: عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 387-388.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

ضلت المرابطة ردحا طويلا من الزمن محل ريبة من قبل الإدارة في الجزائر، فطوال القرن 19م، وحتى عشية الحرب العالمية الأولى، كانت هذه الإدارة تهاب الحركة المرابطة، التي كان المؤرخون والمتخصصون في الإسلاميات (Islamologie) في تلك الفترة يقدمونها بحسبانها القوة النضالية للإسلام، التي من شأنها أن تذكي التعصب وكره الأجانب في نفوس الجماهير الإسلامية المخلصة لقادتها الفكرية قلبا وقالبا،<sup>3</sup> وتجمع جل الدراسات المتخصصة للمرابطة قبل الحرب العالمية الأولى، على إصدار أحكام قاسية في شأنها، فذكريات الاضطرابات التي هزت الجزائر بين 1871-1901، ألقت مسؤوليتها على عناصر مرتبطة إن قليلا أو كثيرا بالجمعيات المرابطة<sup>4</sup>

وهي التي لعبت في وقت من الأوقات دورا كبيرا في الشؤون السياسية بالنظر إلى سلطانها المعنوي في بلاد كـالجزائر لم يكن القانون والنظام قد استتبأ فيها بعد استتبابا، ومنذ ذلك الوقت تضاءلت أهميتها تضاءلا كبيرا، وهي تقيم بصفة عامة صلات طيبة بالسلطات بالفرنسية، ولكن أهل الحضر ينتقدونها بشدة، ومن المستحيل أن نذكر عدد أتباعها ذكرا يتسم بأي دقة (من 250 ألف إلى 450 ألف، وأهمها الرحمانية والتي تشمل أكثر من نصف الأخوان، وخاصة في شرق بلاد الجزائر، ثم تأتي بعد ذلك الطيبية وما تزال نشطة في إقليم وهران،<sup>5</sup> ثم الشاذلية التي جمعت أتباعها أساسا من إقليم مدينة الجزائر، ثم التجانية في إقليم قسنطينة، ثم القادرية، وثمة أيضا قليل من الدرقاوية في وهران، والعيساوة والعمارية في قسنطينة<sup>6</sup>

---

<sup>1</sup> ارنست مارسى Ernest mercier، من مواليد 17 سبتمبر 1840، تعلم اللاتينية والعلوم والعربية بعد مجيئه إلى الجزائر، مترجم عسكري في الكثير من المناطق مثل مدينة سبدو وتنس وأخيرا في قسنطينة أين استقر بها في 1873، انتخب ثلاث مرات على رأس بلدية قسنطينة، وعين مستشارا بلديا، ترك العديد من المقالات والكتب نشرت بعضها في المجلة الإفريقية لسنوات 1873، 1868، 1874 وغيرها، نشر كتاب « Histoire de 1903 و Histoire de l'établissement des arabes dans l'Afrique septentrionale » Constantine

ينظر: عزالدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري ارنست مارسى أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري - قسنطينة، 2007-2008، ص 37، 31. انظر كذلك: ينظر كذلك واجهة كتاب: Ernest mercier ,histoire de Constantine , 1903. ينظر الملحق رقم(5)

<sup>2</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص 107-108.

<sup>3</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 63

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 63

<sup>5</sup> ديسوا (Despois)، السكان (جناح الجزائر)، موجز دار المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للابحاث الفكرية، ج1، ص 2886

<sup>6</sup> المرجع السابق، ص 2887

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

ويمكن القول ان الدراسات والأبحاث التي تناولت نشاط الطرق الصوفية ورجال التصوف كانت كثيرة وممنهجة، لمعرفة أكبر كم من المعلومات حولها، ولتجنب ثورتها مستقبلا ضد الوجود الاستعماري الفرنسي، وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرد بل عند حديثه عن الإسلام الجزائري: من وجهة نظر سياسية نحن بالتأكيد محقون في ممارسة الرقابة الدقيقة على الطرق الدينية في السابق، مع عدم إغفال الأهمية التي تحضها بها اليوم،<sup>1</sup> ويضيف قائلاً: أفضل دراسة لنا عن الطرق الصوفية هي دراسة الكسندر جولي حول الطريقة الشاذلية، والتي نُشرت بعد مهمة خاصة أوكلت له من قبل الحاكم العام شارل جونار<sup>2</sup>

نشر الكسندر جولي<sup>3</sup> خلال سنتي 1906-1907، دراسة مفصلة حول الطريق الشاذلية، لكن ما يشد انتباهنا هو ان جولي صرح ان الهدف من دراسته للطريقة الشاذلية ليس البحث في تاريخها، وشيوخها بقدر البحث في مدى تأثيرها على المجتمع، ومكانتها عند السكان، وهو الهدف الذي سطرته فرنسا لمستشرقها، حتى نستطيع ان تفهم الطرق الصوفية، وتكيف معها بوسائل خاصة تمكنها من القضاء عليها.

صرح أيضا انه لم يعتمد مطلقا على الدراسات السابقة حول هاته الطريقة، بل قام شخصيا ببحث ميداني انتقل من خلاله إلى منطقة بوغاري، والتقى بزعيمها الشيخ سيدي بن يوسف بن قويدر، كما سرد رواية سي موسى بوجمار الذي تعود أصوله إلى مصر، وكيف حوَّض السكان على الفرنسيين، ووجوب طردهم ورميهم في البحر، كما تطرق جولي إلى صراع هذا الأخير مع الأمير عبد القادر، ففي العدد الصادر سنة

<sup>1</sup> Alfred Bel, Coup D'œil sur L'Islam en Berbérie, Revue de l'Histoire du Religions, 1917, Vol 75, p 81

<sup>2</sup> Ibid, p 82

<sup>3</sup> ولد جولي بفرنسا سنة 1870، ودرس في ليسيه هنري الرابع، وكان ابوه متخرجاً من مدرسة ترشيح المعلمين في اختصاص الكيمياء، فنشأ جولي على حب العلوم، ولأسباب صحية جاء الى الجزائر واستقر بها، وقام باعمال عديدة لا تؤهله للاستشراق مثل الاشغال العامة والرسم، ولكنه ما لبث ان تعلم اللغة العربية، واهتم بالدراسات الإسلامية سيما اهل التصوف، وأصبح استاذاً في مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية الثعالية، بعد اعادة تنظيمها واحداث القسم العالي بها سنة 1896، ثم انتقل سنة 1901 الى مدرسة قسنطينة ليعمل الى جانب موتيلانسكي، وعند وفاة هذا الأخير تولى كرسي حلقة اللغة العربية للفرنسيين، كان جولي مولعاً بالتجوال وحب الاطلاع ومعرفة المجهول، واشتغل في توات ورافق فلانان سنة 1899-1900، وكان ينشر ملاحظاته في وقائع المؤتمرات العلمية التي تقدم اليها نتائج بحوثه، وقال عنه احد زملائه، بانه لايعتبر جغرافيا وجيولوجيا ونباتيا ولغويا واجتماعيا واثريا، وكانت الحكومة الفرنسية قد كلفته بمهمة سنة 1903، لدراسة الطرق الصوفية في منطقة التيطري، وقد نشر بعد ذلك دراسات عن الحركة الصوفية ورجالها، ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص ص 40-41

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

1907 تعرض إلى أصول وبدايات الشيخ الميسوم، والمناطق التي تأثرت بالشاذلية مثل مستغانم، وغليزان، ومعسكر، وقوة تأثيره التي فاقت كل التوقعات كما قدم وصفا لزاويته وعلاقة الشيخ بالزوايا الأخرى.<sup>1</sup>

استطاع جولي ان يتتبع مسار الطريقة الشاذلية في منطقة بوغاري بشكل دقيق، يجعلنا نحكم بما لا يدع مجالاً للشك بأنه قام بهذا العمل لصالح الاستعمار كعمل استخباراتي دقيق، في شكل بحث مفصل استفادت منه فرنسا لاحقاً في تعاملها مع الطريقة، وفي مقال صدر له سنة 1908 بعنوان "أسطورة سيدي علي بن مالك" تناول فيه العديد من الكرامات والخوارق التي عدّها لهذا الولي،<sup>2</sup> وقد انتهى في دراسته الى ان الطرق الصوفية تموت تلقائياً بموت العضو الحي، اذ يعتريها الهرم والفناء، ومن رأيه ان الطريقة تعيش شبابها وكهولتها لحياة شيخها المؤسس، ثم يخلفه خلف اضعف منه واكل حماساً، فتضعف الزاوية وتنكمش سمعتها عند العامة، ويكثر التنافس بين الفروع ومن ثمة تتحلل وتنتهي<sup>3</sup>

وعن هذه الدراسة يعلق مؤلفاً فيليب كتاب جزائر الانثروبولوجيين قولهما: ان مقالات الكسندر جولي في المجلة الافريقية بين 1907-1909، وخاصة دراسته السابقة(الطريقة الشاذلية) هي شهادات على الهزال الذي اصاب الجمعيات الدينية، كما ان مناقشة أطروحة حول الجمعيات الدينية الإسلامية في كلية الحقوق بالجزائر، ان دلت على شيء فانما تدل أكثر من اي برهان او استدلال على سداد الحكم، ذلك ان البحث الأكاديمي عندما يخوض في موضوع كهذا، فان ذلك يعني بانه اصبح عديم الرائحة والمذاق من الوجهة العلمية<sup>4</sup>

واوضح مارسيل سيميان في كتابه (Les Confréries Islamiques en Algérie Rahmania Tidjania) الذي صدر سنة 1910 قائلاً: ان تلك الجمعيات الدينية غالباً ما تتحول الى وكر للثورة ضد

<sup>1</sup> محمد الامين بوحلوفة، الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر من 1856-1960 قراءة من خلال المجلة الافريقية"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الاغواط الجزائر، مارس 2017، ع5، ص ص 189-190.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 192.

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 74

<sup>4</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 28

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الاجنبي، و ضد الرومي المذنبس لأرض الإسلام، وبالتالي فان الزاوية لم تعد فقط مكانا لتعليم القرءان الكريم، بل اصبحت وكرا للثورة ترسم في ظلام أركانها مخططات الانتفاضات<sup>1</sup>

بقيت الادارة الاستعمارية رغم اقرارها بفصل الدولة عن الدين سنة 1905، مهمة في مستعمراتها بالمسالة الدينية، حيث عملت على توظيف مشايخ طرق صوفية في خدمة مصالحها الاستعمارية في بلادهم، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وطيلة الفترة التي استغرقتها، أصبحت معالم تلك السياسة الدينية أكثر وضوحا، وقد تجلّت فيما قامت به فرنسا تجاه المجندين والموجودين على جبهات القتال<sup>2</sup>

ومن بين من وقع عليهم اختيار الحاكم العام للجزائر من رجال الدين هم السيدين بومزراق الوانوغوي المقراني مفتي الاصنام ومدرسها،<sup>3</sup> والسيد عبد الرحمان القطراني<sup>4</sup> الذي كان يشغل خطة عدل بالمحكمة المالكية بمدينة الجزائر، لإيفادهم الى فرنسا في إطار مواجهة فرنسا للدعاية (الإسلامية) الألمانية،<sup>5</sup> ومن بين رجال الطرق الصوفية الذين جندتهم فرنسا ابان الحرب العالمية الاولى ايضا، ابراهيم بن الحاج محمد بن القاسم اخ شيخ الطريقة الرحمانية بزواية الهامل، الذي تطوع طيلة الحرب ضمن فيلق الصبايحية الجزائريين (Spahis)، وقد قام بزيارة عدة مراكز، يوجد بها جرحى من المسلمين للرفع من معنوياتهم، كما انه في كلمته أمام رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 16 نوفمبر 1914، مجّد انجازات فرنسا، وعبر عن تعلق المسلمين بها، ونّد بالمقابل بتركيا عدوة العرب منذ القدم على حد قوله<sup>6</sup>

ويؤكد هذه المعلومات المستشرق الفرد بل في مقاله: لمحة حول الاسلام في بلاد البربر (Coup D'œil sur L'Islam en Berbérie)، بان السياسة التي انتهجتها فرنسا غداة الحرب العالمية الأولى كانت ناجحة لدرجة ان معظم رجال الطرق الصوفية كانوا أول من اظهروا ولائهم لفرنسا، ويؤكد على ذلك من خلال التصريح السابق الذي ادلى به شقيق شيخ الطريقة الرحمانية نيابة عن رجال الطرق الاخرى، ويؤكد Bel تجنيد

<sup>1</sup> التليلي لعجلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، مرجع سابق، ص ص 78-79

<sup>2</sup> التليلي لعجلي، السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة ضد التونسيين المجندين في الحرب العالمية الاولى، مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1991، ع 32، ص 173

<sup>3</sup> هو احمد بومزراق المقراني الذي خلف اخاه محمد المقراني في ثورة 1871، وقد أصبح معروفا (احمد بومزراق) بالوانوغوي فقط، وكان متوليا للقضاء في ناحية الشلف، ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7، ص 103

<sup>4</sup> هو غير معروف بعلمه عندئذ ولا بمؤلفاته، ويبدو انه من رجال الدين بالعاصمة، ومن الاصول العثمانية، ينظر: المرجع السابق، ص 103

<sup>5</sup> التليلي لعجلي، السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة ضد التونسيين المجندين في الحرب العالمية الاولى، مرجع سابق، ص 182

<sup>6</sup> المرجع السابق ص 185



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

ابن شيخ الزاوية التجانية قائلاً: يجب ان نذكر ان ابن شيخ الزاوية التيجانية هو الآخر جنّد نفسه في فرقة الصبايحية على طوال مدة الحرب<sup>1</sup>

كما تطرق من خلال دراسته هذه، وسعى فيها إلى تتبع المراحل الكبرى لتطور الإسلام عند البربر إلى يومنا هذا، ولكي تكون قائمة هذا الدين كاملة لا ينبغي تجاهل المعتقدات والشعائر التي تعيش مع الإسلام، والتي هي ظاهرة أو مضمرة بشكل من الأشكال، مثل: عبادة الأولياء، العقائد الإحيائية، السحر والشعوذة، وأيضا من البقايا الأديان القديمة الما قبل إسلامية، إن تدين البربر المسلمين يظهر من خلال عبادة الأولياء، والاعتقاد في الأرواح، والجنون، والاحتفالات السحرية المؤسمة بشكل أكبر أو أقل التي تعبر عن الكثير من الممارسات القديمة جدا ويضيف أن الأولياء في بلاد البربر عوضوا البقايا الإلهية القديمة<sup>2</sup>

ويخلص في نهاية البحث إلى أنه ورغم كل شيء، فإن الإسلام حتى في صيغته المبسطة، لم يفلح في السيادة على وعي كل أولئك البربر الذين يدعون أنفسهم مسلمين، فهؤلاء الجبليون البدائيون المرتبطون بأرضهم وآلهتهم المحليين أكثر من العقائد الإسلامية، يقبلون بسهولة بأن يدعوا مسلمين، لأنه ورغم حملهم للقب، فهم لا يتبعون الشعائر الأساسية للإسلام، بل ويرفضون الأحكام القرآنية للقانون المدني، حتى يحافظوا على عرفهم المسمى (قانون) في القبائل، بمعنى عادات أسلافهم<sup>3</sup>

كما نشر الفرد بل دراسة بعنوان "الإسلام الصوفي" استطاع من خلالها ان يدرس التصوف من عدة نواحي، والدراسة كانت في جزأين، الأولى بعنوان "الأخويات الدينية والقديسين سنة 1927"، استعمل فيها مفاهيم ومصطلحات ذات خلفية دينية مسيحية، مما يعكس توجهه، اما الثانية فقد خصصها للمعتقدات والممارسات الدينية، والطقوس التي تمارس عند الأضرحة، وقد صدرت سنة 1928،<sup>4</sup> كما نشر ايضا فصلا

<sup>1</sup> Alfred Bel, Coup D'œil sur L'islam en Berbérie, Op cite, p 84

<sup>2</sup> يونس لوكيلي ألفرد بل: الباحث في تاريخ أسلمة البربر، الرابط:

<https://www.aranthropos.com/%D8%A3%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%AF-%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%AD%D8%AB-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A3%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%A8%D8%B1> في يوم 13-11-2021 على الساعة 09: 14

<sup>3</sup> المرجع السابق

<sup>4</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 193.

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

مخصصا للإسلام في الكتاب الجماعي لمئوية الاحتلال، تاريخ ومؤرخي الجزائر ( Histoire et Historien de l'Algérie ) سنة 1931.<sup>1</sup>

وله كتاب آخر عن الدين الإسلامي في بلاد البربر ( **La Religion Musulmane en Berbérie** )، والذي يحوي على 407 صفحة، والملاحظ عليه بأنه لا يتضمن هذا الكتاب أي إشارة إلى مكان النشر أو تاريخ النشر ولا دار النشر، وهو موجود بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، ضمن الكتب النوادر، برقم 40/10.062.2، وفي الفهرس الذي وضعته المكتبة منصوص على مكان الطبع في باريس بالمكتبة الاستشرافية بول كوتر، سنة 1938، في حين أن الكتاب لا يؤكد على هذه المعلومة، غير أن المؤلف يوقع مقدمة الكتاب ب تلمسان الجزائر، ألفه بل باللغة الفرنسية ولا أظن أنه ترجم إلى اللغة العربية.<sup>2</sup>

هذا الكتاب ليس فقط دروس وندوات مختصرة أقيمت حول الإسلام في شمال إفريقيا في كرسى العربية ب تلمسان، أو كلية الآداب بجامعة الجزائر، لكن كما يقول بل في المقدمة أن هذا الكتاب وضعه ك كراس عملي، يستعمله الشباب المستعرب، والطلبة في العلوم الإسلامية بإفريقيا الشمالية، وأيضا ليساهم في دراسة قضايا السوسولوجيا الإسلامية لبلاد البربر، وأيضا الإعداد المونوغرافيات الضرورية من أجل الإضاءة على قضايا تلك السوسولوجيا، وأراد كذلك تقديم مجموعة من المفاهيم المنظمة لفائدة الرأي العام الفرنسي، والأهالي المسلمين، وتدقيق حالة معرفتنا حاضرا حول الدين الإسلامي في المناطق الشمال إفريقية الثلاث، الخاضعة للحكم الفرنسي<sup>3</sup>

ويمكن اعتبار الأسئلة التالية التي طرحها بل موضوعا للكتاب، ماهو هذا الدين من خلال العصر الوسيط والأزمة المعاصرة؟ ومنذ متى جاء إلى بلاد البربر من قبل العرب ابتداء من القرن السابع الى اليوم؟ كيف أصبح إسلام الرسول والخلفاء الأربعة بعد 13 قرنا من التطور؟ وهل لحقه تحول في هذه البلاد؟ ماذا بقي من معتقدات واستعمالات سحرية ودينية قبل إسلامية في الدين وعند الأهالي حاليا؟<sup>4</sup>

<sup>1</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 49

<sup>2</sup> يونس لوكيلي ألفرد بل: الباحث في تاريخ أسلمة البربر، المرجع السابق

<sup>3</sup> المرجع السابق

<sup>4</sup> يونس لوكيلي ألفرد بل: الباحث في تاريخ أسلمة البربر، المرجع السابق

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

اعتمد بل المصادر أساسية في دراسته لكتّاب أوروبيين حول الإسلام السياسي الديني في بلاد البربر وفي الشرق أيضا، وكذلك العربية في الموضوع، واعتمد مجلات باللغات الأربع، وهي 61 مجلة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية والألمانية منها (Bulletin du Comité de l'Afrique Française) واعتمد موسوعات، وهي حوالي 30 موسوعة، وكذلك اعتمد المراجع الأساسية حول الدين الإسلامي، مثل القرآن وكتب الحديث، واعتمد أيضا كتباً أخرى باللغات الأوروبية، وهي أكثر من 180 كتاباً، ورغم ذلك فقد عانى بل من قلة المراجع بسبب إقامته أثناء تأليف الكتاب بتلمسان التي لم تكن تتوفر فيها مكتبات مثل الجزائر<sup>1</sup>

وقد ختم كتابه هذا بالخلاصة التالية: إن تاريخ بلاد البربر المسلمة، خلال ثلاث عشرة قرناً مضت منذ الغزو العربي، تؤكد الحقيقة التالية: أن الإسلام عبارة عن دين دولة، وسيادة الدولة هي تعني أولاً حراسة الدستور الإسلامي باسم من يحكم، وهذا ما ينجم عنه أن جميع الحركات السياسية المناوئة للحكومة تتأسس على الدين بشكل أو بآخر<sup>2</sup>

من الدراسات التي اهتمت بالإسلام دراسة اندري جوليان في مؤلفه تاريخ أفريقيا الشمالية، والتي من خلالها قسم الإسلام المغاربي إلى ثلاثة أقسام، الإسلام السنّي والمقامة شعائره في المساجد حسب الطقوس التقليدية المعروفة، والمقدّنة تعاليمه التشريعية العامة في الفقه الشرعي، وإسلام الزوايا والمرابطين الصوفي، وإسلام العقائد في الجن والأرواح<sup>3</sup> وبعض طقوسه من بقايا الوثنية<sup>4</sup>

وأما عن مراحل انتشاره في بلاد المغرب يذكر: ولم يكن هذا الإسلام منقطعاً عن غيره أو متجمداً أو سالماً من التأثيرات الخارجية، فمن سنة 637 إلى سنة 1060 كان مرتبطاً بالشرق تمام الارتباط، ثم من النصف الثاني للقرن 11م انسلخ من التأثير الشرقي (المرابطين والموحدين)، ثم رجع الإسلام المغاربي من جديد لنفوذ الشرق بمجيء الأتراك في القرن 16م،<sup>5</sup> ثم إسلام الإصلاحيين في القرن 19 و 20م، والذي يدعو إلى الرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى القائم على الكتاب والسنة، والذي يعمل على التوفيق بين الدين والعلم

<sup>1</sup> يونس لوكليلي ألفرد بل: الباحث في تاريخ أسلمة البربر، المرجع السابق

<sup>2</sup> المرجع السابق

<sup>3</sup> وهي ممارسات بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وتعاليمه، فهي تعني التخلف العقلي والتزمت وضيق الأفق، والشعوذة وهي السحر والدجل والتخريف، وهي الزردات والوعادات والذبائح عند قبور الأولياء والصالحين، وهي عقائد النفع والضرب في مشايخ الطرق الصوفية، وفي

الأحجار والأشجار والآثار، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص 52

<sup>4</sup> شارل اندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 27

<sup>5</sup> المصدر سابق، ص 28

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية والانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الحديث، حيث تأثرت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مما كَوَّن لها نجاحا كبيرا،<sup>1</sup> هذا النجاح لدى العلماء جعلته يصرح بأنهم هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي من سباته<sup>2</sup>

ظهرت كتابات كثيرة في تلك الفترة، تدور حول الدين الاسلامي، غير انها تبدو انها مجعولة لتدعيم المعرفة اكثر منها إثراء للإسلاميات، بيد ان كتاب المستشرق ج بوسكي بعنوان: ( Islam Maghrébin introduction à l'étude Général de Islam )، قد احتوت على صورة اقل سطحية من كتابات اخرى ككتاب فليكس غوتي (Mœurs et Coutumes des Musulmans)<sup>3</sup>

ودراسة الكاتب الفرنسي ريمون بيرونيه (R.Peyronnet) الذي خلص بعد تحليله اوضاع الجزائر الى ان الاسلام يشكل لدى السكان عالما متكاملا وكاملا، وكأنه يقدم ريمون حلا لجميع المسائل الانسانية، الدينية منها والاجتماعية والتشريعية، وهو الذي صاغ حياة السكان بما في ذلك القبائل البربرية المحافظة على اوضاعها، فاسلمة شمال افريقيا ظاهرة اجتماعية لا تقبل النقاش<sup>4</sup>

ولعل آخر الدراسات في هذا المجال هو ما ذكره اميل بيرمنغام تحت عنوان: "الجزائر الدينية في كتاب المدخل"، الذي نشرته الحكومة العامة حوالي 1957، وقد استعرض في بحثه ما بقي من الطرق الصوفية بنفس المواقف تقريبا، مع شيء من التحرر الذي فرضته المعطيات الجديدة في الجزائر والمشرق، وفي الفترة نفسها نشر الجنرال اندري كتابا عن الطرق الصوفية والاسلام، والذي صبّ فيه جام غضبه العسكري على الإسلام والمسلمين، فكان كتابه آخر التخريفات الفرنسية عن حياة التصوف عند المسلمين الجزائريين،<sup>5</sup> ودراسة بيار جون اندري، والذي ساهم هو الاخر في دراسة للطرق الدينية، واصدره اثناء الثورة الجزائرية، وتبين فيه على ما اعتبره الاسلام العميقة للبربر، والتي ارجعها جزئيا الى نشاط الزوايا ثم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>6</sup>

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص ص 28-29

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 133

<sup>3</sup> فيليب لوكا جون كلود فاتان، مرجع سابق، ص 49

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدون، المسألة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 50

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 305

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيدون، المسألة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 81

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

### 3.3. سوسولوجيا الدين بين الإصلاحيين والمستشرقين الفرنسيين

مع بداية القرن 20م كانت الإدارة الاستعمارية خشية من رواد الإصلاح وخاصة دعاة السلفية، وفرض هذا الصعود للتيارات الجيدة على إدارة السكان المحليين-الشؤون الأهلية- التخصص وتدعيم إمكاناتها<sup>1</sup> فلما أحست بالخطر المحدق بها من جهة العلماء، أنشأت لجان مختلفة ومنها اللجنة الاستشارية للدين الإسلامي(اللجنة الوزارية المشتركة CIAM)، وعينت على رأسها مستشرقين، وكانت مهمتهم الأساسية هو تزويد الإدارة بالمعلومات والمصادر الفكرية التي تسمح لها في التحكم وإدارة السكان الأهالي، وكانت الإدارة تطلب من هؤلاء المستشرقين تنوير السياسيين والإداريين بالجوانب العامة من عادات وتقاليد وأعراف وتاريخ، وبشكل أكثر تحديدا حول المسألة الدينية، باعتبارها واحدة من المشاكل الرئيسة بالنسبة للإدارة<sup>2</sup>

أنشئت هذه اللجنة بالمرسوم المؤرخ في 25 جوان 1911 وتم إعادة تنظيمها بمرسومين آخرين في 30 نوفمبر 1918 و 16 ديسمبر 1931 كانت هذه اللجنة مكلفة بتحديد الصيغ الإسلامية الفرنسية والبحث عن حلول للقضايا المشتركة لمختلف القطاعات فيما يخص القضايا الإسلامية وكانت مكونة من ممثلين من وزارة الشؤون الخارجية والداخلية والمستعمرات، وكانت مهمتها في الجزائر دراسة مع مندوبين مسلمين جزائريين وعددهم خمسة كل المسائل التي تهم قانون الأحوال الشخصية وكانت تعقد كل سنة دورة خاصة كان يحضرها الأعضاء الأهالي وبواسطة مرسوم 8 اوت 1932، نذكر مثال على الأعضاء الذين تم تعيينهم في اللجنة، بن عبد الله وغرسي، وهما عضوان في الفرع العربي للمفوضيات المالية، بن علي الشريف علاوة من فرع القبائل، وخليفة الاغواط جلول بن لخضر، وقاضي تلمسان دواوحي<sup>3</sup>، ومكلفة أيضا بتقديم المرشحين للوظائف الدينية لموافقة الإدارة، وإعطاء رأيها في كل القضايا التي تهم الدين، وكان يرأسها أمين عام للشؤون الأهلية، وعلى اثرها سارع الرئيس بالإعلان عن عدم إعطاء الحق في اخذ الكلمة في المساجد الا للأعوان النظاميين للدين اي للموظفين الذين تعينهم الإدارة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الصادق سلام مرجع سابق ص 191-192

<sup>2</sup> Vincent Geisser, la Question Musulmane en France au prisme des sciences Social, Cahiers d'études Africaines, édition de l'EHESS, 1juin, 2012, p3

<sup>3</sup> محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، تر: احمد بن البار، دار الامة، الجزائر، 2011، ج1، ص 409

<sup>4</sup> محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، تر: احمد بن البار، دار الامة، الجزائر، 2011، ج1، ص 367

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

كانت النهضة الإسلامية تقلق الإدارة الفرنسية حيث كانت اللغة العربية والصحافة المكتوبة بها ونشاط العلماء تحضر لنهضة ثقافية ودينية لا يمكنها الا ان تهدد الإدارة والسياسة الاستعمارية، وكان دعاة العلماء في جمعية العلماء يلقون في الواقع خطبا في المساجد وكانت إعادة بعث الإسلام ومحاربة تناول الخمر والنهضة الثقافية والاجتماعية للمسلمين تشكل المواضيع الأساسية المطروحة<sup>1</sup>

وكانت السياسة الفرنسية تجاه الإسلام والمسلمين بوحى من إدارة الشؤون الأهلية، والتي عملت على تأسيس إسلام رسمي يتمتع بإنعامات الإدارة وفرض الرقابة الصارمة، وما ذلك الا لانتصار أفكار المستشرق دومنيك لوسيانى، التي تستبدل العلمانية ومبدأ المساواة سياسة دينية موجهة وبنظام قضائي يقوم على التمييز العنصري ضد السكان المحليين<sup>2</sup>

استدعى المستشرق الفرنسي دومنيك لوسيانى<sup>3</sup> مدير الشؤون الأهلية المستشرق اوغسطين بيرك(والد جاك بيرك)، والذي كان قد نشر لتوه دراسة دينية عن الفرق الدينية سنة 1912، وكلفه الاهتمام بهذه الفئات من المثقفين وعدم ترك المجال لبروز اي حركة ثقافية، او اجتماعية، من دون استعابها، او تعطيل عملها على الفور، بشكل لا يسمح لأي قوة حقيقية ان تتحول الى قوى معارضة<sup>4</sup>

بالإضافة الى ذلك شددت مصالح الشؤون الأهلية رقابتها على مساجد الدولة، وكان رجال الدين الرسميون هم المخولون الوحيدون للوعظ هناك، والدافع وراء مثل هذه الإجراءات هو الخوف من عدوى

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 367

<sup>2</sup> الصادق سلام، مرجع سابق ص 213

<sup>3</sup> يقول ابو القاسم سعد الله، يمكن اعتباره اداريا، اذ انه ضل اكثر من 20 سنة وهو يسير الشؤون الاهلية، فهو الذي تولى تفتيش البلديات ونشط الادارة المدنية على حساب الادارة العسكرية منذ 1890 وأثناء ثورة عين التركي، كان لوسيانى هو الذي امر باقامة المحاكم الجزرية، وقمع الثورة بلا رحمة، ومع ذلك يصفه مترجمه بول مارتي بانه كان يعمل على تقريب الاهالي من الفرنسيين، وقد عمل لوسيانى مع ثلاثة من الحكام العاميين هم ريفوال وجونار ولوتر، وكان قد زار عدة بلدان اسلامية لدراسة احوالها الادارية في ظاهر الامر، ومنها مصر تونس المغرب وسوريا، وكان يريد ان يستفيد منها في ادارة شؤون الاهالي بالجزائر، وقد عمل اثناء وجوده على راس هذه الادارة على تنظيم الحالة المدنية الجديدة التي فرضها الفرنسيون على الجزائريين قصد تغيير هويتهم وانسابهم لدمجهم، وعلى تطوير ما يسمى بجمعيات الاحتياط الاهلية، اما عمله الاستشراقي، فيقوم على تشجيعه ومساهمته في لجنة ترجمة الكتب العربية سنة 1894، وقد سهر على نشر مجموعة من الاعمال في شكل ترجمات سواء من العربية او من البربرية المكتوبة بالحروف العربية، ككتاب السلم المرونق في المنطق، والدرة البيضاء في الفرائض، وكلاهما لعبد الرحمان الاخضرى، كما ترجم الرحبية في المراث، وهي لعبد الله الشنشوري، والعقيدة الصغرى(ام البراهين)، لمحمد بن يوسف السنوسى، والجوهره لابراهيم اللقاني، وموطا المهدي بن تومرت، وترجم من البربرية كتاب الحوض في الفقه، ومجموعة من اشعار اسماعيل ازكيو حول ثورة

1871، ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6، ص ص 72-73

<sup>4</sup> الصادق سلام، مرجع سابق ص 192

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الأفكار الإصلاحية، حتى ان الموضوعات التي يتناولها خطباء المساجد، كانت مقدّمة ومبرجة سلفا، وهي تصدر عن إدارة الشؤون الأهلية، ولا حرية للمبادرة فيها مي اي خطيب، فهي خطبة مكتوبة من قبل المستشرقين الفرنسيين مكرّسة فقط للتنويم والتخدير، وليس فيها الا الحديث عن الآخرة والموت والخضوع لولي الأمر،<sup>1</sup>

ويعترف اغسطين بيرك بصراحة فظة، بان العامل المحدد الأقوى لاختيار علماء الدين الرسميين هو ان يكونوا مخبرين للشرطة،<sup>2</sup> ان هؤلاء الموظفين كانوا من رجال المخبرات، وكانوا يقدمون تقاريرهم الى الشرطة، فوظيفتهم دينية اسلامية في الظاهر فقط، اما الباطن فلهم دور آخر يلعبوه، ولذلك كان الفرنسيون يتشددون في اختيار الواحد منهم<sup>3</sup>

واذا عدنا الى قائمة المفتين<sup>4</sup>، والأئمة الرسميين الأجراء(لان هناك أئمة معينين ولا يتقاضون اجرا) لوجدنا ان اغلبهم مروا بكل المراحل التي تجعلهم تحت مجهر الشرطة، والمصالح المخبرانية، من تلميذ في المدرسة الى موظف في جريدة المبشر الى قاض او باش عدل، قبل ان تعهد إليهم الرتبة الدينية الصورية، ويعطي ادموند دوتي من خلال كتابه الإسلام الجزائري طريقة تدخل الإدارة في تعيين الموظفين الدينيين من الإمام الى المفتي الى المدرس والى المؤذن،<sup>5</sup> وقد وضع إحصائية كاملة لهؤلاء على مستوى كامل القطر الجزائري<sup>6</sup>

لقد حذّر المختصون في الشؤون الاهلية غير مرة من التقدم السريع لجمعية العلماء المسلمين منذ انشائها سنة 1930، ممّا ولّد لدى الادارة الاستعمارية بان الدعاية الاصلاحية تشكل خطرا كبيرا للسياسة الفرنسية في الجزائر، وبالطبع سعت الاخيرة الى اتخاذ مجموعة من التدابير الرامية الى مواجهة توسع الحركة الاصلاحية، وحتى تشتت قواها، واضعاف تنظيمها،<sup>7</sup>

<sup>1</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 374

<sup>2</sup> الصادق سلام، مرجع سابق، ص 182

<sup>3</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 382

<sup>4</sup> انظر الملحق رقم 5

<sup>5</sup> Douted Edmond, l'islam algérien en l'an 1900 , Alger Mustapha Giralt, imprimeur-photographeur, 1900, pp 117,118

<sup>6</sup> Ibid, pp 118,128 ( انظر الملحق رقم )

<sup>7</sup> علي مراد، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 175

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

من المستشرقين الذين اهتموا كثيرا بالنهضة الفكرية والثقافية في ثلاثينيات القرن الماضي المستشرق جوزيف ديسبارمي، والذي تناولها بالتحليل في العديد من المقالات التي انجزها حول هذا الموضوع، اذ ينتهي دوما الى وجوب الاهتمام والتنبيه من خطورة الصحوة الفكرية، التي أطلق عليها تسمية النهضة الجزائرية والحركة الوطنية<sup>1</sup>

ويعترف ديسبارمي في اطار التيارات السياسية أن افكار بعض الجزائريين أمثال الشيخ الميلي والمدني ليست الا تعبيرا عما تردده جميع فئات الشعب الجزائري، وان هناك تجاوبا فعليا وواسعا من طرف أفكار هذه التيارات السياسية، بحيث يشير الى الاتجاه المغربي الوحدوي الذي غايته احياء الحضارة العربية في المغرب العربي، ودعوة الشباب الجزائري الى الإقبال على الثقافة العربية، باعتبارها الثقافة الام لكل الشعب الجزائري، وعلى الاخص تلك الفئة الشبانية المتشعبة بالثقافة الفرنسية، ونظرا لمدى كراهية" ديسبارمي "للقومية العربية، فقد كتب مقالا تحت عنوان " القومية العربية في الجزائر "تناول فيه عمق الحس العربي عند الجزائريين في الثلاثينات وتفاعل أقطاب الحركة الوطنية مع فكرة القومية العربية، مستعرضا في ذلك وسائل انتشارها السرية وصدائها وأصولها في الجزائر<sup>2</sup>

ويذهب " ديسبارمي " في أصول القومية العربية في الجزائر الى أنها تعود الى تأثر الجزائريين بافكار التي وردت في مقالات بعض المفكرين العرب أمثال محمد رش يد رضا وأمير البيان شكيب أرسلان هذا الاخير الذي اعتبره ديسبارمي "العدو اللدود للاستعمار، والاب الروحي للفكر القومي العربي عموما، خاصة ما كان ينشر في جريدتي " المنار " و " الجزيرة " من أفكار يدعو الى الاستقلال والتحرر والوحدة العربية

وفيما يخص نشر هذا الوعي بين صفوف الجزائريين، فقد حمل ديسبارمي، العلامة " ابن باديس " مسؤولية تهيئة الشعب الجزائري بطريقة ذكية قصد تقبله فكرة القومية العربية مستشهدا في ذلك بالمكانة المرموقة التي حظيت بها جمعية العلماء المسلمين في المشرق العربي، الى جانب نشاط ممثليها على نطاق واسع<sup>3</sup>

<sup>1</sup> بوعزة بوضرساية، بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديسبارمي، مجلة تاريخ المغرب العربي، يصدرها مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ،

جامعة الجزائر، 2015، مج 1، ع 3، ص 50

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 51

<sup>3</sup> بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 52



## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

وكان الأب فوكو قد كتب قبل هذا وفي سنة 1916 متخوفاً من ظهور نخبة من المثقفين الجزائريين تكون خطراً على فرنسا، فكتب عن قناعة راسخة في قيام حركة قومية شبيهة بتلك التي حدثت في تركيا، إذا لم يعتنق المسلمون الديانة المسيحية، ويقول الأب: سوف تظهر في المدن الكبرى، نخبة من المثقفين من بين أولئك الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية، ولكنهم لا يتحلون لا بالفكر ولا بالقيم الفرنسية، ستفقد تلك النخبة إيمانها بالإسلام، ولكنها مع ذلك ستحافظ عليه كشعار يتيح لها التأثير على الجماهير، وستضل تلك الجماهير جاهلة متمسكة بالعقيدة المحمدية، وتظهر الحقد والكراهية للفرنسيين، وعندما تحين الفرصة المواتية، فإنها سوف تستعمل الإسلام كأداة لتحريك الجماهير الجاهلة نحو تأسيس امبراطورية أفريقية مسلمة ومستقلة<sup>1</sup>

وكتب أيضاً المستشرق غوتي سنة 1914 قائلاً: يتحول المسلمون المتخرجون من مدارسنا إلى أعداء الداء لنا، وهذا أمر طبيعي، لأن طائفة المولدين في مستعمرات العبيد قديماً هم الذين كانوا يشكلون خميرة حركات التمرد والعصيان، فإذا لم يكن في أفريقيا الشمالية مولدون بالمفهوم العرفي، فإن الحاصلين على شهادة البكالوريا يعتبرون فئة مولدة بالمفهوم الثقافي<sup>2</sup>

ومن خلال هذا الاستشراق الاستشراقي لواقع الجزائر والخطر المحدق تجاه الإدارة الاستعمارية خوفاً على وجودها، ومن ظهور هذه الفئة الجديدة والمتعلمة، سواء في المدارس الفرنسية، أو المتخرجة من المدارس الحرة لجمعية العلماء، انتهجت الإدارة الفرنسية مجموعة من التدابير الوقائية والردعية لمواجهة جمعية العلماء، فانتهجت سياسة التقرب من رجالات الطرق الصوفية من جهة، وبالمقابل قامت بالتضييق على الجمعية ورجالاتها، ولم تكتفي بذلك بل ذهبت إلى إغلاق مدارس الجمعية، خوفاً من انتقال أفكارها إلى التلاميذ وتأثيرهم بها، ولكن وقع ما كانت تخشاه الإدارة الاستعمارية، فحصل تقارب بين الشباب الجزائري ذوو التكوين الفرنسي، وبين العلماء الإصلاحيين المدافعين عن الإسلام السلفي، بعد أن انضموا (الشباب) منذ سنة 1931 في جمعية العلماء الجزائريين<sup>3</sup>

<sup>1</sup> غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكفونية، مرجع سابق، ص 120

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 121

<sup>3</sup> غي برفيلي، المرجع السابق، ص 175

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

وهذا التقارب راجع الى فكر الاصلاحيين من العلماء، على نقيض اصحاب العمائم القديمة قبل 1914، ولقد مكّنتهم تفتحهم على روح العصر، من استمالة الشباب الجزائري، الذي استهوته فصاحة مخاطبتهم له بلغة الاجداد، والاباء، هذا التحالف بين الشباب الجزائري مع العلماء، تسبب في سخط ونقمة الملاحظين الاستعماريين (المستشرقين)، فذهب بعضهم من امثال ديسبارمي وجان مونو (Jean Meneaut) مستعار للمستشرق اغسطين بيرك)، الى القول: ان لذلك التقارب لا يفتأ يزداد كل يوم اكثر بين المثقفين الوهابيين الجدد، ويقول متحصرا عن هذا التقارب: ها هو ديكارت (Descarte) يتحالف مع الرسول (صل الله عليه وسلم) ضدنا، هل ستواصلون يا تلاميذنا ويا ايها العقلانيون الذين رفعتم القدسية عن الاسلام؟ هل ستتمادون في هذا التحالف الوحشي؟<sup>1</sup>

وكان المستشرق غوتي يؤخذ الطلبة المسلمين في مدينة الجزائر على اعراضهم على الانضواء تحت لواء الجمعية العامة للطلبة، التي سوف ستقبلهم بكل فرح، بدل الانضمام الى نوادي العلماء الذي ينظمها الشيخ العقبي<sup>2</sup>

وفي اوت 1932 انعقد المؤتمر الثاني للطلبة المسلمين بالجزائر، ولقد ذكر مناظرو شمال افريقيا الطلبة المثقفون بواجبهم (بصفتهم ابناء افريقيا وبعروبتهم وحضارتهم وبضرورة التعريف باللغة العربية)، وفي تعليقه على مناخ هذا المؤتمر، عبر المستشرق ديسبارمي عن دهشته لتشابه مشاعر الطلبة، والاميين من الشعب، فالكلمات نفسها، والعبارات نفسها، يسمع دويها: الاستقلال، وحدة شمال افريقيا، اللغة العربية، الاسلام، فهناك تيار عجيب، يشبه التيار الكهربائي، يسري في الحضور في كل مكان، ويثير في كل مشارك الاحاسيس والمشاعر نفسها، والافكار والتطلعات نفسها<sup>3</sup>

ويواصل ديسبارمي حديثه: ان الاوروبي يرى في وسط هؤلاء الافراد ذوي الوجوه المتغيرة، تتجلى روح عرقهم العبقريّة الموريطانية التليدة في عنادها الشرس، والابدي، ويختتم كلامه قائلاً: يعطينا مؤتمر

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 176

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 176

<sup>3</sup> محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، مرجع سابق، ص 340

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

الجزائر دليلا جديدا من بين العديد من الأدلة الأخرى، على أن التعليم الذي نقدمه لتلاميذنا، لا يقتل البتة فيهم روح الأسلاف، بل بالعكس فهو يعطيهم نفسا جديدا من الحيوية<sup>1</sup>

بين الحربين خاصة أخذت فرنسا تحاول أن تؤطر الطرق الصوفية، وأن تحثها لمواجهة جمعية العلماء من جهة، والحزب الشيوعي والتيارات الأخرى السياسية من جهة أخرى<sup>2</sup> واستدعت الحكومة الفرنسية بباريس اللجنة الوزارية المشتركة للشؤون الإسلامية، والتي كان على رأسها المستشرق، ومدير شؤونها الأهلية ج ميرانت، وأن يصبح أحد عناصرها المحركة، وكانت هذه اللجنة تحظر سلسلة من التدابير التي من شأنها قمع التهجمات المعادية لفرنسا الواردة في خطب الجمعية المخاتلة، وفي الدروس المشيدة بالقومية العربية في المدارس الحرة، والمقالات العنيفة الصادرة في الجرائد العربية ضد الحكومة العامة للجزائر وضد فرنسا<sup>3</sup>

وهو الذي أكد في نهاية سنة 1933 وذلك في رد على أحد رؤساء الطريقة، وهو السيد سي علي مبارك بن علال، الذي طالبه فيها بمنع الخطب السياسية التي يقوم بها الاصطلاحيون في المساجد، فرد ميرانت عليه بأنه لا يعتزم إلا مكافحة أصحاب نزعة العروبة، الذين ينشدون غاية طرد الفرنسيين من الأرض الجزائرية<sup>4</sup>

اقترح المستشرق ج ميرانت دراسة ثلاث مسائل هامة تتعلق بكيفية معادلة الدعاية المغرضة، التي تحاول الطعن في هيبة فرنسا، وإبعاد الأهالي عنها (خطب المساجد، تعليم اللغة العربية في المدارس الخاصة، وازدهار الصحافة)، كما كانت هناك نشرة من المحافظ لمنع الخطباء الأحرار، أي أعضاء جمعية العلماء من دخول المساجد<sup>5</sup>، وهي التي جاءت بعد أن قام حاكم عمالة الجزائر في 27 فيفري 1933، بحل مصلحة الشعائر الإسلامية، وسحب منها حق الانتفاع من المساجد، وأقيمت محلها لجنة استشارية للشؤون الدينية، ونصبت الكاتب العام ميشال (Michel) رئيسا لها، وهو الذي أعطى أوامره لأتباعه الإداريين بمراقبة نشاط الإصلاحيين

<sup>1</sup> المرجع سابق، ص 341

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 332

<sup>3</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 183

<sup>4</sup> شارل روبيير اجرون تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 556

<sup>5</sup> محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 1 ص 368

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

عن قرب، وعدم التساهل معهم، وعلى اثر ذلك طُلب من الطيب العقبي الكف عن القاء خطبه في المساجد الرسمية<sup>1</sup>

على اثر هذه النشرة، نظّمت في اغلب المدن مظاهرات ضد مديرية الشؤون الأهلية، التي يتأسها المستشرق ميرانت، واحتج السكان على الاستفزات التي يتعرضون لها من قبل الحكومة، وخاصة على المناورة الأخيرة التي أقحمت اللجنة الوزارية المشتركة، دون تفويض ولا صلاحيات في انتهاك تنظيم تعليم اللغة العربية، واستعمال المساجد من قبل المؤمنين، وحرية الصحافة الإسلامية المكتوبة باللغة الفرنسية، وتصاعدت أصوات وهتافات تندد بمشاريع ميرانت الهادفة الى الاغتيال المعنوي لعشرة ملايين جزائري<sup>2</sup>

وتصدى ابن باديس والاصطلاحيون، واطلق عبارات تداولتها كل الصحافة: انهم يغلقون المساجد في وجوه العلماء ويغلقون ابواب مدارسنا لمنعنا من التعلم، وتحدث فرحات عباس ايضا عن حرية العبادات، وكتب ليمين لعمودي: مساجدنا تمنع عن وعظنا الاحرار ومصالح شعائنا يتولاها المسيحيون ويسيرونها<sup>3</sup>، وكتبت صحيفة الدفاع في 11 ماي 1933 بالبند العريض تعليقا على ممارسات ميرانت: اغتيال جديد يقترفه ميرانت في حق جميع حرياتنا المصادرة أصلا، ميرانت يسعى الى الإجهاز على كل حرياتنا، حرية العبادة وحرية تعليم اللغة العربية وحرية الصحافة<sup>4</sup>

وصلت عدة برقيات الى الحكومة صادرة عن شخصيات، ومنظمات مختلفة، ومن اجل تهدئة النفوس قامت اللجنة الوزارية المشتركة بنشر بيان، واعتبرت المعلومات المنتشرة في الأوساط المسلمة غير صحيحة، وفيما يتعلق بالعبادة، أوضحت ان اللجنة التي كانت ممثلة من وزارة الشؤون الخارجية والداخلية والمستعمرات والحرب، اكتفت بالإشارة الى ان نفس القواعد متبعة في كل البلدان الإسلامية، التي تمارس فيها عمل فرنسا، وبان هذه القواعد الإسلامية فوق ذلك، في تطابق كامل مع عقيدة الإسلام وتاريخه<sup>5</sup>

<sup>1</sup> شارل روبيير اجرون تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 557

<sup>2</sup> محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج1، ص 380

<sup>3</sup> شارل روبيير اجرون تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 557

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 559

<sup>5</sup> محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج1، ص 381

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

استغل الفرنسيون رجال الطرق الصوفية كما ذكرنا لضرب جمعية العلماء المسلمين، لما راوا فيها الخطر الداهم على اليهود الفرنسيين، وذلك بتشكيلهم في 1937 جمعية رؤساء الطرق الصوفية الدينية، برئاسة الشيخ قاسمي مصطفى، الرئيس الديني للطريقة الرحمانية بزواوية الهامل، وانظم اليها من الشرق الجزائري الشيخ باشرزي، والشيخ ابن الحملاوي بقسنطينة، وكان تشكيل هذه الجمعية بإيعاز من إدارة الشؤون الأهلية التي يترأسها المستشار لويس مايو،<sup>1</sup> ولكنها لم تفلح في الكثير من هذه الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد جمعية العلماء سواء من رجال الطرق الصوفية المواليين للإدارة الاستعمارية او من الإدارة الاستعمارية نفسها

وهذا ما جعل من اغسطين بيرك مدير الشؤون الأهلية ينتقد مثل هذه الممارسات في نقد ذاتي وشجاع منه، وظهر هذا النقد في المقالات<sup>2</sup> التي نُشرت بعد موته للإدارة الاستعمارية التي طالما كانت في نظره معاندة وضلت سياستها الإسلامية تقوم دائما على الاستيعاب، ولقد ترجم حميد بن سالم مقال لاغسطين كاملا، نُشر في مجلة البحر المتوسط من سنة 1951، تحت عنوان (صيادو الالهة مرابطون وعلماء)، ولفائدة هذا المقال سنذكره كاملا اذ يقول: ومشكل العلماء لم يكن يكتسي تلك الحدود لولا تدخل فرنسا في شؤون رجال الدين الموظفين من طرف الحكومة، ولا زلنا نتذكر ائمة سنة 1900 الذين يقرؤون تصوف الغزالي، ويستطيعون ان يؤولو تأويلا صحيحا البخاري، ويتقنون فهمه، كما كانوا يفهمون عن حقيقة فلسفة ما وراء الطبيعة لابن رشد، نعم ان علمهم في الدين والفقهاء، كان مركزا، مؤثرا، دقيقا وجلابا، وفي طليعة هؤلاء كان السيد عبد الحليم بن سماية<sup>3</sup>

ان خطأ سياستنا الدينية الكبير، هو اننا قبلنا بان يقوم على خدمة المساجد، موظفون جهلة، بلا ثقافة جشعون، ولا شيء يشبعهم، حسنتهم الوحيدة هي ثقافتهم المطاوعة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جمال بشير بولعنابي، السياسة الفرنسية في شرق الجزائر 1900-1939، واثرا على السكان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية للدراسات العليا، جامعة الاسكندرية، مصر 1939، ص 188

<sup>2</sup> المقال الاصلي هو للمستشرق الشهير وعالم الاجتماع اغسطين بيرك، نشره في مجلة البحر المتوسط، العدد 33، الجزء 2، من شهر جويلية سنة 1951

<sup>3</sup> حميد بن سالم، الثقافة الاسلامية ومكانة اللغة العربية في الجزائر قبل الاستقلال، مجلة اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط المغرب الأقصى، يونيو 1964، ع1، ص 45

<sup>4</sup> الصادق سلام، مرجع سابق، ص 182-183، ينظر ايضا حميد بن سالم، مرجع سابق، ص 46

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الانثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

لقد يسهل علينا الان ان نفهم لماذا نجح العلماء في محاولاتهم، ولقد شوهد مرة مفتي يستفتي الطيب العقبي عن خلاف فقهي سهل كان ائمة الاسلام قد سووه اكثر من مائة مرة، غير ان ذلك المفتي كان دليلا يعمل لمصلحة الشرطة، وقد سمع مرة موظف ديني يرتكب ابشع الاخطاء اثناء اعمال مؤتمر مغربي، ويثير هكذا ضحكا لا نهاية له من لدن زملائه المغاربة والتونسيين، غير ان ذلك الموظف كان عميلا تستخدمه الحكومة لدعايتها الانتخابية<sup>1</sup>

وهكذا يظهر ان جميع الشروط كانت متوفرة لدى جمعية العلماء الجزائريين لتضمن لها النجاح السريع، فمن جو عالمي واسلامي مناسب، الى اصرار فرنسا على مواصلة سياستها التجهيلية، الى قصور انصارها من الموظفين الدينيين والنحطاط مستواهم المعنوي والخلقي، اضافة الى ذلك ان مسيري جمعية العلماء سواء المشايخ الثلاثة الذين اسسوها، ام المسؤولون الاخرون، مثل السيد احمد توفيق المدني الذي تولى فيما بعد كتابة الجمعية العامة، والذي امتاز بنشاطه المستمر الناجح، والشيخ المبارك الملي الذي كان يتسم بمواهب علمية صحيحة، او الشيخ العربي التبسي الذي اشتهر بتحمسه وتعصبه لمبادئ الجمعية وغيرهم من اعضاء الجمعية العاملين المخلصين الاخرين، الذين لا يسعنا المجال لذكر اسمائهم جميعا كانوا كلهم متفانيين الى درجة التضحية بالحياة في سبيل غايتهم، بفضل مجهودات هؤلاء الرجال عرفت الجزائر قبيل الحرب العالمية الثانية نشاطا عظيما، وحيوية بالغة في الميدان الثقافي والسياسي، ورغم مختلف العراقيل التي كانت تعترض سبيلهم لم يعرفوا تهاونا في العمل، ولا خمودا في المهمة، ولا فتورا في العزيمة، الامر الذي اكسبهم ثقة الشعب وتأييده<sup>2</sup>

ما نلاحظه من خلال هذا التصريح الذي يثبت مما لا يدع مجالا للشك قيمة رجال جمعية العلماء وتفانيهم من اجل قضيتهم، وكانوا مستعدين الى التضحية بحياتهم من اجل وطنهم وهذا ما يقرأ ويستنتج من خلال تصريحات اغسطين بيرك الذي كان معاصرا وشاهدا على تلك الاحداث

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل، يجد القارئ نفسه امام حقيقة مؤكدة، الا وهي العلاقة التي تربط بين الاستشراق والاستعمار، فدراسات المستشرقين وخاصة في هذا المجال (الانثروبولوجي وهو بطبيعة الحال علم استعماري، او علم نشأ في احضان الاستعمار)، من تدمير الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري وتفكيك

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 46

<sup>2</sup> حميد بن سالم، المرجع السابق، ص 46

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

بنيته الاجتماعية، وانكار هويته الحضارية، وتحطيم انسجامه الأثني، يلاحظ العلاقة بين ووضحة وجلية بين مؤسسة الاستشراق والاستعمار

وفي هذا الصدد، نستشهد بأقوال أحد منظريهم فهو ابلغ من عبّر عن نواياهم واهدافهم، يقول: يبدو ان فرنسا مدعوة لخلافة العرب على مستوى الهيمنة الثقافية التي مارسوها في كل البلاد الامازيغية منذ فتوحاتهم الاولى ومدعوة ايضا لخلافة الامازيغ على مستوى الهيمنة السياسية التي ما فتئ هؤلاء المحاربون يمارسونها فعلا لمواجهة سيطرة الغزاة<sup>1</sup>

ويسترسل في الحديث بل يعطي نصائح وحلول لأدارته من اجل ترسيخ اقدامها في هذه البلاد وبسط نفوذها من خلال سياسات اوردها واقرها هو قائلا: فلنترك المسلم الغير قابل للإدماج مع افكاره ومعتقداته المحترمة اجمالا بشكل كبير ومع عاداته وقوانينه واعرافه العتيقة واحواله الشخصية واحكامه المسبقة ولنحصل على مساهمته معنا في ثلاث اعمال اساسية: الحرب والزراعة والرعي فذلك كل ما يمكننا ان نستفيد منه وهو شيء كثير،<sup>2</sup> واقول لو طبقت فرنسا وصايا هذا المستشرق فلربما لا تزال فرنسا الى اليوم على هذه الارض

وختاما لهذا الفصل نورد مجموعة من النقاط الاساسية

- قام هؤلاء المستشرقون بدراسة التركيبة السكانية وتحليل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، والتطرق لمختلف القضايا المتعلقة بالشؤون الجزائرية من عادات وتقاليد وأنماط المعيشة عند السكان بمختلف مناطقهم، وركزت بعض الدراسات الاستشراقية على مناطق معينة من الجزائر، كمنطقة القبائل والمناطق الناطقة بالامازيغية، دون بقية المناطق التي اهتموا بدراسة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم ولهجتهم، وإظهارها ككيان منفصل عن باقي السكان، وأطلقت في سبيل الوصول لذلك صفات خاصة، فهم في نظر هؤلاء عبارة عن خلية من الثنائيات المتضادة

<sup>1</sup> اوجست موليراس، مرجع سابق، ج 1، ص 39

<sup>2</sup> المرجع سابق، ج 1، ص 40

## الفصل الخامس: الأبحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر

- شكك المستشرقون الفرنسيون في مسألة الأصول، وتبنوا من أجل ذلك العديد من النظريات، الرومان، الكنعانيين، السلت، الأسبانيين وغيرها من الأصول، وكل ذلك بقصد استمالتهم، وادماجهم في الحضارة الغربية

- ركزت الدراسات السوسولوجية الفرنسية على مسألة الدين، وخاصة أواخر القرن التاسع عشر، والرابع الأول من القرن العشرين، فأجرت دراسات كبيرة عنها، كما ركزت على الإسلام في الجزائر، باعتباره أحد عناصر الهوية الجزائرية، وباعتباره أيضا المحرك والمسؤول الرئيس عن الانتفاضات، والثورات التي واجهت فرنسا في الجزائر - قامت الدراسات المتخصصة في الإسلاميات بأبحاث كثيرة عن الطرق الصوفية، خوفا من ردة فعلها خاصة إذا علمنا دورها الكبير في أحداث القلاقل، والانتفاضات في القرن التاسع عشر، كما حاولت استدراجها واستمالتها بغرض تدجينها، وكان لها ذلك مع بعض الطرق الصوفية، كما نجحت أيضا في زرع الشقاق بين بعض رجالات الطرق الصوفية، ورجال جمعية العلماء

- بالرغم من الوصايا التي قدمها منظرو الاستعمار الفرنسي لكبح جمعية المسلمين، وإيقاف نشاطها بشتى الطرق، إلا أنهم في الأخير لم يستطيعوا أن يحققوا هدفهم، بل اعترفوا بفضلمهم في إرجاع الأمة الجزائرية إلى الطريق الصحيح وإلى دينها الحق ووقفوا في وجه المشروع التغريبي الفرنسي في الجزائر، ونستشهد هنا بقول شارل اندري جوليان الذي أوردناه سابقا قوله في العلماء بأنهم هم من أيقظوا الأمة الجزائرية من سباتها



## الخاتمة

وفي الختام وكإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة نستنتج ما يلي:

- ان الاستشراق الفرنسي هو اتجاه فكري غربي يهتم بدراسة الشرق عامة، في عاداته وتقاليده وتاريخه وشعوبه وفنونه وآدابه، والإسلام بوجه خاص لأغراض ودوافع معينة، مع العلم ان الاستشراق في بداية ظهوره كان مقتصرًا على دراسة الإسلام ثم اتسعت دائرته لتشمل دراسة الشرق كله من مختلف نواحيه.

- ان المستشرق هو باحث غربي يختص بدراسة الشرق وكل ما يتصل به، وقد يكون ذلك بهدف علمي او بهدف السيطرة على هاته الشعوب وإحكام قبضتهم عليها.

- ان الشرق في مفهوم الاستشراق كان يقصد به الشرق الإسلامي ثم اتسعت حدوده ليشمل الشرق الأقصى كالصين واليابان.

-ظهر الاستشراق الفرنسي إلى الوجود منذ القرون الوسطى، وذلك على اعتبار الصلات الودية التي كانت بينها وبين الدولة العباسية وكذلك إلى الحروب الصليبية سنة 491هـ-1098م، اما بمفهومه العلمي الأكاديمي، فيرجع إلى حملة نابليون على مصر سنة 1798م، والى ظهور مدرسة اللغات الشرقية بزعمارة المستشرق دي ساسي، الذي يعود اليه الفضل في تأسيس الاستشراق في فرنسا وفي أوروبا وتخرج على يديه كبار المستشرقين الفرنسيين من أمثال، لويس ماسينيون، بلاشير ورينان وغيرهم كثير، والذين كان لهم دور كبير في استعمار العالم العربي والإسلامي من بينه الجزائر.

-ان الدراسات الاستشراقية على الجزائر كانت قد سبقت الاحتلال سواء، هذه الدراسات من طرف الفرنسيين أنفسهم، او من طرف الانجليز، او الرحالة الألمان، وحتى القناصل الأمريكيين، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على مدى التكامل الوظيفي بين الاستشراق والاستعمار

-تنوعت أغراض الاستشراق الفرنسي في الجزائر، بين أغراض دينية، واستعمارية، وفي أحيان نادرة علمية، وان كانت توظف هي الأخرى في إطار خدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، غير ان الدافع البارز هو الدافع الاستعماري، فالاستعمار الفرنسي ما كان له ان ينجح لولا الاستشراق، الذي كان له بمثابة

الدليل، يهديه ويرشده، ويزوده، بدراسات وتفاصيل حول المجتمع الجزائري، ومن هنا نشأت رابطة رسمية وثيقة بين مؤسستي الاستشراق والاستعمار الفرنسي، الذي استطاع تجنيد وتسخير طائفة من المستشرقين ومن مختلف الجنسيات لتحقيق أهدافه وتعمل لصالحه.

-مر الاستشراق الفرنسي في الجزائر بثلاث مراحل، حيث اتسمت المرحلة الأولى 1830-1879 بكونها كانت بمثابة تهيئة لأرضية الاحتلال الفرنسي وتكريس وجوده في الجزائر، كما يمكن القول بان هذه المرحلة كانت مرحلة استكشافية استطلاعية تستهدف التعرف على المجتمع الجزائري، وقد حمل لواء الكتابة في هاته المرحلة مترجمون عسكريون كانوا في معظمهم غير مؤهلين، فاتصفت كتاباتهم بسيادة عنصر الهواية وتحكم فيها المنصب الوظيفي والإغراءات المادية، هذا زيادة على أنها كانت موجهة لخدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية وخدمة لجيشها على الميدان بالدرجة الأولى.

-أما المرحلة الثانية 1879-1930 فقد كانت بمثابة عصر التنوير بالنسبة للاستشراق الفرنسي في الجزائر لاسيما بعد إنشاء المدارس العليا الأربعة التي مهدت لتأسيس جامعة الجزائر 1909 والتي ساهمت في تكوين عدد لا بأس من المستشرقين المحترفين الأكاديميين الذين تميزت كتاباتهم بالتخصص، خاصة بعد ظهور العلوم الإنسانية والاجتماعية، غير أنها لم تكن تخلوا هي الأخرى من التبعية للاستعمار الفرنسي ومحاوله إضفاء الشرعية لغزوه الجزائر، أما بالنسبة للمرحلة الثالثة 1930-1962 فقد تميزت بالتوسع في إنشاء المعاهد وذلك بهدف خدمة مشاريع الدولة الفرنسية ومخططاتها، وقد عرف الاستشراق الفرنسي خلال هذه المرحلة تراجعاً لا سيما بعد نمو حركات التحرر في البلدان المستعمرة تأتي في مقدمتها الجزائر بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954.

-الملاحظ في كل مرحلة من المراحل السالفة الذكر هو الدعم التام والامشروط من طرف الإدارة الاستعمارية للاستشراق الفرنسي، مما يبرهن على ان الاستشراق والاستعمار الفرنسي كان يسيران جنباً إلى جنب لتحقيق هدف واحد وهو فرض السيطرة العسكرية والسياسية والثقافية والفكرية على المجتمع الجزائري

- عملت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، على تهيئة الدعم المادي، وتسخير الإمكانيات المختلفة لتدعيم جهود المستشرقين، كانوا في مقدمتها تشكيل اللجان العلمية، وتأسيس الجمعيات، والمجلات، المتخصصة، وإنشاء المدارس، والمعاهد، وعقد المؤتمرات، وقد لعبت هذه المؤسسات دور كبير في تطوير إنتاج المستشرقين، وجعله يتماشى مع مرامي وأهداف السياسة الفرنسية

بالرغم من ان الاستعمار الفرنسي وبعض الدراسات الاستشراقية حاولت اشعال فتيل الازدواجية اللغوية وتسخيرها في سبيل التفرقة بين افراد الشعب الا انه بإمكاننا ان نستفيد من هذه الدراسات المتعلقة بعامية الجزائر فهي تحمل رصيذا لغويا هاما كما انها تعتبر مستودعا حقيقيا للتراث اللغوي العامي الجزائري

- ان منجزات هؤلاء المستشرقين في الكثير من المجالات ضلت خاضعة للظروف الاستعمارية وبالتالي ابتعد أصحابها عن الموضوعية ومالوا الى سرعة إصدار الأحكام المسبقة

- اما بالنسبة لموقفهم من "تاريخ الجزائر عبر العصور" فقد اولوا اهتمام بالفترة الرومانية فقد جعلوا الفترة الاسلامية هامشية واصطلحوا عليها بفترة العصور المظلمة، مدللين على رأيهم هذا بالهجرة الهلالية التي جاءت في انتاجاتهم على انها غارة ذئاب والسبب الوحيد في الانحطاط والتخريب الذي لحق ببلاد المغرب، اما العهد العثماني في الجزائر فقد حولته الكتابات الاستشراقية الفرنسية الى عهد فوضى وتخلف واضطراب وملاذ للقراصنة، اما في الفترة المعاصرة في احتلالهم فقد وجهت كتاباتهم أصابع الاتهام لقادة المقاومة فتارة تتهمهم بالتعصب الديني وتارة تنفي عنهم الروح الوطنية هذا عدا ارجاعها اسباب مقاومتهم الى مشاكل اقتصادية واجتماعية كالفقر والجوع

- لقد استفادت فرنسا من بحوث المستشرقين في مجال دراسة اللهجات، وطبائع الشعوب، فاستغلت تلك الدراسات لصالحها، وبدات تركز على الجانب الاجتماعي، والتاريخ، والاثار، في محاولة ايجاد ما يساعدها على السيطرة عليها، فوسعت الهوة بين العرب والبربر، واهتمت بالبربر، وكل ما يمت لهم بصلة من تقاليد وعادات ولهجات ودين وغيرها من الاهتمامات

-من خلال دراستي هذه وجدت بان هناك علمين بارزين استطيع ان اطلق عليهم علوم الاستعمار بامتياز، لارتباطهما مباشرة بالظاهرة الاستعمارية وخدمتهم وهم التاريخ والانثروبولوجيا، وذلك راجع الى الطريقة التي وظفا فيها، وفي الواقع ايضا لم تكن دراستهم لنا ولتاريخنا عن حب فينا، بل تاريخا من وجهة نظر فرنسية استعمارية، ولم تكن تاريخا للجزائر، ثم ان هذه الدراسات في مجملها لم تخرج من سياق التبرير للظاهرة الاستعمارية وعلى انها حتمية تاريخية لا بد منها لمساعدة البلاد على تجاوز وتخطي عجزها الأبدى على حد زعمهم .

-ان الدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر على تعدد أغراضها، تستحق الاطلاع عليها، ودراستها وكشف خباياها، كونها لم تكن خالية من الفائدة العلمية، وايضا النظر من زاوية مساهمة هؤلاء المستشرقين في تدعيم السلطة الاستعمارية، فليس جل دراسات المستشرقين تقع في خانة خدمة الاستعمار، ولكن الأمانة العلمية تحتم علينا ان نقر بان هناك مجالات واسعة للمستشرقين، قدموا من خلالها خدمات جليلة للجزائر بدراساتهم، وحافظوا على الموروث الثقافي، والاجتماعي، والتاريخي للجزائر -للإنصاف وحتى لا نكون محففين في حق بعض الدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر، علينا ان ننوه ان ليس كل الاستشراق تابع لأغراض استعمارية بل يوجد ما هو موضوعي فيه ولديه قيمة علمية .

-نخلص ايضا من خلال هذه الدراسة الى ان كتابات المستشرقين الفرنسيين في شتى المجالات، كانت دراسات نموذجية، مست جميع التخصصات العلمية، فمجهودهم لا يمكن ان ينكره الا جاحد، او جاهل لا يعرف معنى وقيمة البحث العلمي، ولئن حاولت جمهرة من الدارسين ان تنحاز ضد المستشرقين واعمالهم، فان هذه الدراسة اثبتت انه بالإمكان ان نستفيد من هذه الدراسات، اذا ما وضعنا البحث والتنقيب عن النوايا جانبا، وركزنا على الامور المعرفية والمنهجية، دون خلفيات او حساسيات، ووضعنا العلم والوصول الى الحقيقة هدفنا وليس محاكمة البشر واثبات ادانتهم

-من الصعب ان نحصي عدد المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، لكن ما يجب الاشارة له ان الادارة الاستعمارية سخرت 10% فرنسا والبالغ عددهم ثلاث مائة، يمثلون مناصب سياسية مختلفة، مكنتهم من تقديم العون والمساعدة، اضافة الى ان العد ثلاث مائة اذا قورن بالعدد الذي اورده نجيب العقيلي

يفوقه بكثير، اذ يبلغ خمس مائة مسترق فرنسي، فضلا عن ذلك ان العقيقي قد يكون اهمل ذكر العديد منهم

وقبل الختام علينا ان نشير الى انه وبعد استقلال الجزائر بعد 1962 ظهر هناك تطور وتحول في واقع الاستشراق والاستشراق الفرنسي بوجه خاص، اذ ظهرت مقولة ترديه واندثاره، نظرا الى انقضاء الاستعمار العسكري، كما يجب ان نتوقف عند القرار الغربي بالتوقف عن استخدام مصطلح الاستشراق، او كما قال برنارد لويس ( ان هذا المصطلح قد القي به في مزابل التاريخ فقد راى الغرب ان هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية، وان هذا المصطلح لم يعد يفني بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الاسلامي)<sup>1</sup>

والواقع ان الاستشراق لم ينتهي، ولكن غير من مسامه فقط لما يحمله من آثار سلبية جعلت من المستقبل له يعتقد انه نذير شؤم على البلدان التي مهد فيها للاستعمار وبانعقاد مؤتمر المستشرقين في باريس سنة 1973، تغير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية الى المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال افريقيا وكلمة استشراق الى دراسات الشرق الاوسط.<sup>2</sup>

كما ظهر تحول في فكر بعض المستشرقين الفرنسيين فمثلا جاك بيرك على الرغم من انه بدا مسيرته الاكاديمية في دراسة الاستشراق، فقد درس الإسلام بحيادية من دون ان يسقط عليه الموروث الاستشراقي الذي اشتهر به رواد الحركة وفي طليعتهم برنارد لويس وآخرون، كما ادخل مصطلحات جديدة الى الثقافة العربية والإسلامية كالأصالة والمعاصرة والإسلام المتوسطي والتأسيس لحوار ديني بين المسيحية والإسلام، ومن اهم الأعمال التي كرس له وقته ترجمته للقران الكريم الى الفرنسية سنة 1990.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمن مظهر الهلوش، الشرق ملحمة العشق الاستشراقي، كتاب المجلة العربية 270، مكتبة التنوير، الرياض المملكة العربية السعودية، 1440هـ، ص 42

<sup>2</sup> عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي، الاستشراق ماله وما عليه بحوث مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، كلية العلوم والاداب بالرس، جامعة القصيم، ص 1268.

<sup>3</sup> محمد بكري، جاك بيرك المؤرخ الانساني، جريدة الحياة، الثلاثاء 15 اكتوبر 2013.

---

# الملاحق

---

ملحق رقم 1:



FÉRAUD, Laurent Charles 1829-1888

المصدر:

Alain masaoudi op :cit , p.



ملحق رقم: 2



المصدر :

<http://etudescoloniales.canalblog.com/archives/2014/08/19/30441374html>

LIVRES DES BENI MZAB



CHRONIQUE

5278

D'ABOU ZAKARIA

PUBLIÉE POUR LA PREMIÈRE FOIS

TRADUITE ET COMMENTÉE

PAR

EMILE MASQUERAY

ÉLÈVE DE L'ÉCOLE NORMALE SUPÉRIEURE, PROFESSEUR AGRÉGÉ D'HISTOIRE.  
Chargé de Mission par Monsieur le Ministre de l'Instruction publique.

ALGER

IMPRIMERIE DE L'ASSOCIATION OUVRIÈRE V. AILLAUD ET C<sup>ie</sup>

1878

١٠٣٢  
32

## ملحق رقم 4

جدول يبين المدرسة العليا للاداب من (1884-1887) و(1887-1908) والاساتذة الذين تعاقبوا على

### مدرسة الاداب منذ انشائها الى ان تحولت الى كلية 1909

<ul style="list-style-type: none"> <li>• <b>العمداء</b></li> <li>• أمسكراي (Masqueray): مدير وأستاذ محاضر (1884_1894)</li> <li>• ريني باست ( René Basset ): (1908-1894 )</li> </ul>	
<ul style="list-style-type: none"> <li>• <b>الأساتذة</b></li> <li>• أ . ألو (Mm Alaux): أستاذة الفلسفة وتاريخ الفلسفة (1898-1885)</li> <li>• جوتيي (Mm Gauthier): أستاذة الفلسفة وتاريخ الفلسفة (1908-1899)</li> <li>• أ. ويل (Mm Waille): اللغة والأدب الفرنسي</li> <li>• ن (Mm N): أستاذ اللغات والاداب القديمة واللهجات الامازيغية(1887-1884)</li> <li>• وولتز (waltz): أستاذ اللغات والاداب القديمة (1892-1887 )</li> <li>• فورنيي (Fournier): أستاذ اللغات والاداب القديمة (1908-1892)</li> <li>• مورال فاتيو (Moral Fatio): أستاذ اللغات والاداب الأجنبية(1885-1884)</li> <li>• ميسبلي (Mesplé): أستاذ اللغات والاداب الأجنبية (1908-1885)</li> <li>• أ. مسكراي (Masqueray): أستاذ تاريخ افريقيا القديم(1894-1884)</li> <li>• جيزال (Gsell): أستاذ تاريخ افريقيا القديم (1908-1894)</li> <li>• دولابلونشاغ (De la Blanchère): أستاذ جغرافيا افريقيا (1892-1884)</li> <li>• أ . كات (A. Cat): أستاذ جغرافيا افريقيا (1896-1892)</li> <li>• بيرنارد (Bernard): استاذ جغرافيا افريقيا (1908-1896)</li> <li>• باست (Basset): أستاذ اللغة العربية وأستاذ محاضر في اللهجة الأمازيغية</li> <li>• فاجنو (Fagnan): أستاذ الدروس التكميلية في الأدب العربي والفارسي</li> <li>• بلقاسم بن سديرة (Belkassem Ben Sedira): أستاذ الدروس التكميلية في اللهجات العربية(1902-1884)</li> <li>• دوتي (Doutté): أستاذ الدروس التكميلية في اللهجات العربية ( 1908-1902 )</li> <li>• مارتن (Martin): أستاذ اللهجة القسنطينية(1893-1884)</li> <li>• كلامانتي متينسكي (clamanti motinski): استاذ اللهجة القسنطينية (1907-1893)</li> <li>• جولي (joly): أستاذ اللهجة القسنطينية (1908-1907)</li> <li>• دالفن (Delphin): أستاذ اللهجة الوهرانية(1893-1884)</li> <li>• مولبييرا (Moulièras): أستاذ اللهجة الوهرانية (1908-1893)</li> <li>• أ. سباتيي (Sabatier): أستاذ الدروس التكميلية في العادات والاعراف الامازيغية</li> <li>• مونسو (Monc eaux): أستاذ الدروس التكميلية في اللغات والاداب الاجنبية</li> <li>• سعيد بوليفة (Saide Boulifa): أستاذ اللهجة القبائلية (1908-1902)</li> <li>• ييفار (Yver): أستاذ تاريخ افريقيا المعاصر ( 1908-1907 )</li> <li>• روبينو (Robineau): أستاذ الدروس التكميلية في اللغة والأدب اللاتيني</li> <li>• سينيارت (Seigneret): أستاذ الدروس التكميلية في الأدب الاغريقي</li> <li>• ليفيبير (Léfébure): أستاذ الدروس التكميلية في اللغات المصرية القديمة</li> </ul>	<p>مدرسة الأدب واللغات (1887-1884)</p> <p>المدرسة العليا للأدب واللغات (1908-1887)</p>

<p style="text-align: center;"><b>البرنامج الدراسي</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• الفلسفة وتاريخ الفلسفة</li> <li>• الفلسفة الاسلامية وتاريخ الفلسفة (1902)</li> <li>• اللغة والأدب الفرنسي</li> <li>• الاداب واللغات القديمة</li> <li>• الاداب واللغات الأجنبية</li> <li>• تاريخ افريقيا القديم</li> <li>• جغرافيا افريقيا</li> <li>• اللغة العربية</li> <li>• اللغات المصرية القديمة</li> <li>• تاريخ افريقيا المعاصر (1894)</li> <li>• <b>دروس تكميلية :</b></li> <li>• الأدب العربي والفارسي</li> <li>• اللهجة البربرية</li> <li>• اللهجات العربية</li> <li>• اللهجة القسنطينية</li> <li>• اللهجة الوهرانية</li> <li>• عادات البربر</li> <li>• تاريخ الحضارة الاسلامية وتاريخ العرب (Doutté -1907)</li> </ul>	
<p style="text-align: center;"><b>الشهادات</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• دبلوم الدراسات التاريخية</li> <li>• دبلوم اللغة العربية</li> <li>• دبلوم اللغة الامازيغية</li> <li>• دبلوم اللهجات الامازيغية</li> <li>• دبلوم الدراسات العليا في الأدب واللغة العربية (1906)</li> </ul>	

1-programmes des Quartes écoles, l'Enseignement Supérieur, imp: Adolph Jourdan, Alger, les Années scolaire,1884, 1885, 1886, 1887, 1888, 1889, 1890, 1891, 1892, 1893

2-le Livret de l'étudiant D'Alger, Programmes des Cours Académies D'Alger, imp :Adolph Jourdan, Alger, les Années scolaire, 1894, 1895, 1896, 1897, 1898, 1899, 1900, 1901, 1902, 1903, 1904, 1905, 1906, 1907, 1908

جدول يبين المدرسة العليا للحقوق من (1884-1887) و(1887-1908) والاساتذة الذين تعاقبوا على

مدرسة الحقوق منذ انشائها الى ان تحولت الى كلية 1909

السنة الدراسية: 1908-1884		
<ul style="list-style-type: none"> <li>• م. استوبلون (Mm.Estoublon): أستاذة القانون التجاري، محاضرة في الاقتصاد السياسي</li> <li>• الأستاذة جرارد ( Mm Gérard ) 1896</li> <li>• الأستاذة موراند (Mm Morand) 1906</li> </ul>	المدير	مدرسة الحقوق بالجزائر
<ul style="list-style-type: none"> <li>• أ . ديين (A.Dain): أستاذ القانون الجنائي المكلف بمادة القانون الدولي الخاص</li> <li>• جاكاي (Jacquey): أستاذ القانون المدني، المكلف بمادة القانون الفرنسي للسكان الأصليين</li> <li>• شارفيريات (Charveriat): أستاذ القانون الروماني المكلف بمادة القانون البحري</li> <li>• بيليه (Pillet): أستاذ القانون المدني، المكلف بمادة تاريخ القانون الفرنسي</li> <li>• زيس (I.P.Zeys): المكلف بمادة الفقه الاسلامي وعادات السكان الأصليين</li> <li>• شاربونتيي ( Charpentier ): المكلف بمادة التشريع الجزائري</li> <li>• لاکوست (Lacoste): مكلف بمادة القانون المدني</li> <li>• جيجات (Jujat): مكلف بمادة القانون الدستوري والإداري</li> <li>• فنسو (Vincent): مكلف بمادة الأحوال المدنية</li> <li>• شوس (Chausse): مكلف بمادة القانون الروماني</li> <li>• شارمونت (Charmont): مكلف بمادة القانون المدني والعقوبات الفرنسي</li> </ul>	الأساتذة	
<ul style="list-style-type: none"> <li>• القانون الروماني ( الأستاذ شارفيريات Charveriat )</li> <li>• القانون المدني ( الاستاذ بيليه Pillet )</li> <li>• القانون الجنائي (الاستاذ ديين A.Dain )</li> <li>• تاريخ القانون الفرنسي ( الأستاذ بيليه Pillet )</li> </ul>	شهادة (CAPD)	
	دروس السنة الأولى	شهادة

<ul style="list-style-type: none"> <li>• القانون الروماني ( الأستاذ شوس Chausse )</li> <li>• القانون المدني ( الأستاذ جاكاي Jacquey )</li> <li>• الأحوال المدنية ( الأستاذ فانسو Vincent )</li> <li>• الاقتصاد السياسي ( الأستاذة استابلون (Mm.Estoublon</li> </ul>	<p>دروس السنة الثانية</p>	<p>الباكالوريا شهادة الليسانس</p>		
<ul style="list-style-type: none"> <li>• القانون المدني ( الأستاذ لاکوست Lacoste )</li> <li>• القانون الجنائي ( الأستاذة استابلون (Mm.Estoublon</li> <li>• القانون الدستوري والاداري ( الأستاذ جيجات (Jujat</li> <li>• القانون العالمي الخاص ( الأستاذ ديين A.Dain )</li> <li>• القانون البحري ( الأستاذ شارفيريات Charveriat )</li> <li>•</li> <li>• القانون المدني والعقوبات الفرنسي ( الأستاذ شارمونت Charmont )</li> <li>• القانون الدستوري والاداري ( الأستاذ جيجات (Jujat</li> <li>• الاقتصاد السياسي ( الأستاذة استابلون (Mm.Estoublon</li> </ul>	<p>دروس السنة الثالثة</p> <p>دروس السنة الأولى</p>	<p>برنامج الدروس</p> <p>شهادة دراسات القانون الاداري و التشريع الجزائري وعادات السكان</p>		
<ul style="list-style-type: none"> <li>• التشريع الجزائري ( الأستاذ شاربونتي Charpentier )</li> <li>• عادات السكان الأصليين ( الأستاذ زيس I.P.Zeys )</li> </ul>	<p>دروس السنة الثانية</p>			<p>مدرسة</p>

		الأصليين	برنامج الدروس	الحقوق بالجزائر
<ul style="list-style-type: none"> <li>الفقه الاسلامي ( الأستاذ زيس I.P.Zeys ) تكملة لدروس السنة الدراسية 1883-1884</li> </ul>		دروس خاصة لنيل شهادة الدراسات العليا في التشريع الجزائري وعادات السكان الأصليين		

#### ملاحظات:

- **السنة الدراسية 1885-1887:ص6**
  - بعض التغييرات في الأساتذة :  
بيدليافغ (Piédelièvre): أستاذ الدروس التكميلية في مادة القانون المدني  
ديجاغي (Dujarier): أستاذ القانون الفرنسي المدني والعقابي  
أوديني (Audinet): أستاذ القانون الفرنسي للسكان الأصليين  
بخيفوت ليجوني (Prévoit-Leygonie): أستاذ الدروس التكميلية في مادة القنون المدني
  - تم استحداث دروس القانون المزابي والقبائل لنيل شهادة الدراسات العليا .ص43
  - تم استحداث مادة التشريع الجزائري والتونسي ص37
- **السنة الدراسية 1887-1888: ص05**
  - بعض التغييرات في الأساتذة:  
دسيبو (Despiau): أستاذ مادة الأحوال المدنية  
كولن (Colin): أستاذ القانون الدستوري والاداري  
بارتن (Bartın): استاذ القانون الروماني  
جيني (Geny): أستاذ القانون الفرنسي المدني والعقابي
- **السنة الدراسية 1892-1896:ص05**
  - بعض التغييرات في الأساتذة:  
جرارد (Mm Gérard ): أستاذة القانون العالمي الخاص والعام

ديكلاغيي (D eclareuil): أستاذ القانون الروماني والجنائي

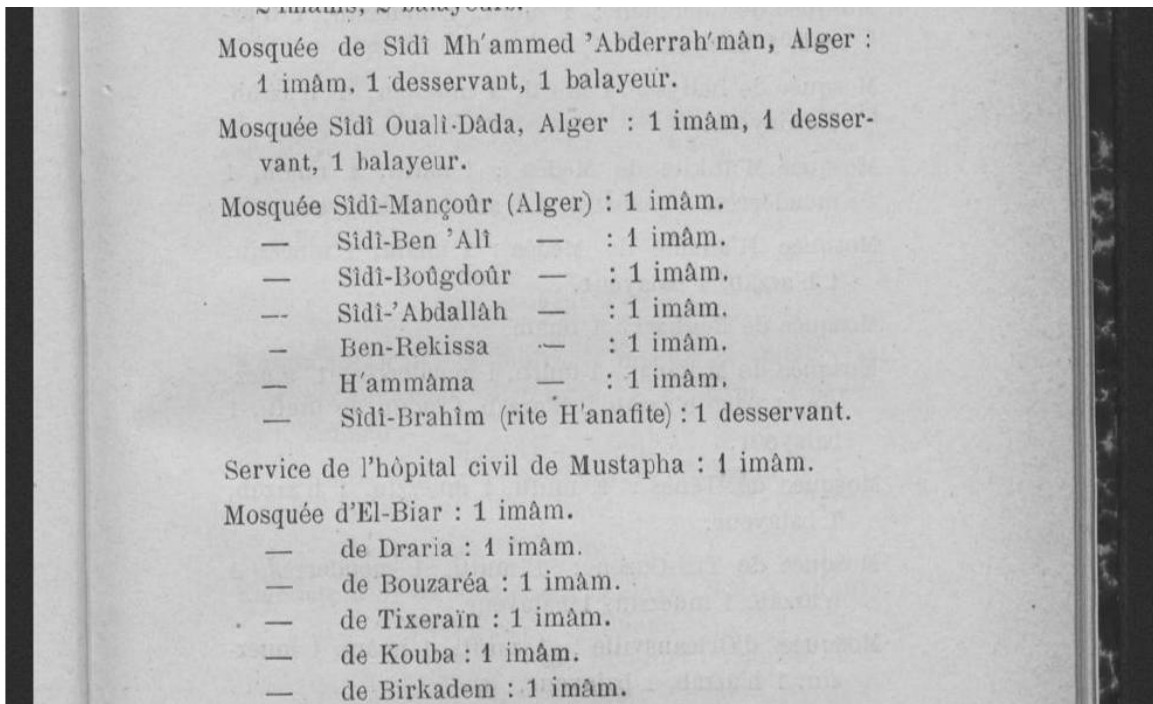
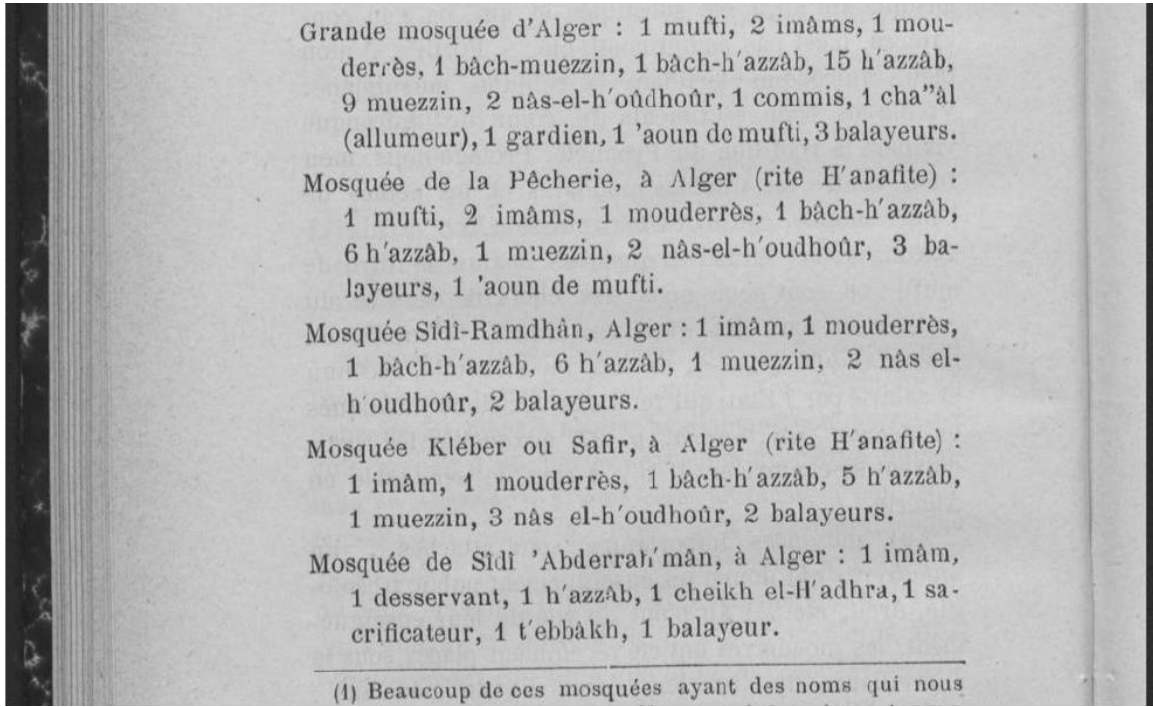
- استحداث مادة القانون العالمي العام ص33

• السنة الدراسية 1896-1906: ص05

- تنصيب الأستاذة جرارد ( Mm Gérard ) مديرة جديدة للمدرسة

## ملحق رقم 5

المصدر: Doutté Edmond, l'Islam algérien en l'an 1900 , alger-mustapha Giralt, imprimeur-photogaveur, 1900,p 118, 121, 125





**Département d'Oran**

Mosquée d'Oran : 1 mufti, 2 imâms, 1 mouderrès,  
1 bâch-h'azzâb, 6 h'azzâb, 1 muezzin, 4 nâs-el-  
h'oudhoûr.

Mosquée de Sidi l-Hawwâri (Oran) : 1 imâm.

— de Kristel : 1 imâm.

— de Bettioua : 1 imâm.

Etablissement secondaire du Village Nègre (Oran) :  
1 imâm.

— de Bou-Sfer : 1 imâm.

— du Sig : 1 imâm.

— d'Aïn-Temouchent : 1 imâm  
et 1 muezzin.

Mosquée d'El Mh'al (Mostaganem) : 1 mufti, 1 imâm,  
1 mouderrès, 1 bâch-h'azzâb, 6 h'azzâb, 1 muezzin,  
2 nâs-el-h'oudhoûr, 1 gardien-balayeur.

Mosquée de Sidi Yah'ya (Mostaganem) : 1 imâm,  
1 muezzin, 1 gardien-balayeur.

### Département de Constantine

Grande mosquée de Constantine : 1 mufti, 1 imâm,  
1 mouderrès, 1 bâch-h'azzâb, 1 bâch-muezzin,  
15 h'azzâb.

Mosquée de Sidi l-Kettâni (Constantine) : 1 mufti,  
1 imâm, 1 mouderrès, 1 bâch-h'azzâb, 1 bâch-muezzin,  
9 h'azzâb.

Mosquée Sidi Lakhdhar (Constantine) : 1 imâm,  
1 bâch-muezzin, 5 h'azzâb, 2 muezzin.

Mosquée Sidi Affam (Constantine) : 1 imâm, 1 muezzin.

— Hansala — 1 imâm, 1 muezzin.

— Kerroul — 1 imâm, 1 muezzin.

— Arboui Cherif — 1 imâm, 1 muezzin.

— Ben Amala — 1 imâm, 1 muezzin.

— Sidi Moh'ammed Mimoun (Constantine) :  
1 imâm, 1 muezzin.

— Sidi Derra (Constantine) : 1 imâm.

— Sidi Sliman — 1 imâm.

— Hafsa — 1 imâm.

— H'amma — 1 imâm.

Chapelle temporaire du H'amma (Constantine) :  
1 imâm.

Mosquée de Bône : 1 mufti, 2 imâms, 1 mouderrès,  
1 bâch-h'azzâb, 1 bâch-muezzin, 10 h'azzâb.

Mosquée de Bougie : 1 mufti, 1 imâm, 1 mouderrès.

---

ملحق رقم: (6)

Georges Marçais (1876-1962) على يسار الصورة

على يمين الصورة William Marçais (1872-1956)



المصدر:

[http://www.bibliore.com/coin\\_du\\_bibliophile\\_bis.htm](http://www.bibliore.com/coin_du_bibliophile_bis.htm)

ملحق رقم: (7)



Ernest Mercier, élève de Polytechnique  
المصدر: (C) [Photo Collections Ecole polytechnique](http://www.anales.org/archives/x/mercier.html)  
<http://www.anales.org/archives/x/mercier.html>

ملحق رقم 8

I

هذا مخراج الحروف من الشوارب واللسان واللهة (١)  
والاحناك والسنين والقرزي والحلقوم (٢) والعلقة (٣) والصدر \*

PRONONCIATION DES LETTRES.

الالف يخرج من الصدر ابن ادم يحلّ فيه كالمریض منین ينضّر  
ويقول أي

الباء تخرج من بين الشوارب (٤) بالتريار كالفریان منین ينطق

يقول بابا

الثاء تخرج من بين راس اللسان ومرشق الربيعات القوافة  
كالرجل التوتاي يخالي واحد اخر \* يعني يتكلم بالسياسة في أذن  
صاحبه تانا تانا

الثاء تخرج من راس اللسان يعضه البن ادم بالسنين (٥) كالرجل  
الي يثبت

الجيم تخرج من بين الاحنالك \* البن ادم يوجط (٦) كالحيفون  
الحاء تخرج من علقه العروس كالي يجيح والا البن ادم الي كلا  
الحار ويبرد فمه والا الي ضربه الريح ويمرض وما ينجم شي ينطق بالزور  
الحاء تخرج من الحلقوم \* البن ادم يفركت فيسان فمه (٧)  
ويخنج (٨) كالسكران

الذال يخرج من بين راس اللسان واللهاة كالدوداي الي يقول دودودو

1

Digitized by Google

G

جامع اللطائف وكنز الخرايف  
Delphin, Recueil de texte de L'Arabe parlé, imp ; A.Jourdan, alger 1891, p 7

ملحق رقم 9



Cinquième Congrès international d'Archéologie  
(Alger, avril 1930)

Ci  
nquième Congrès international D'Archéologie 14-16 Avril 1930, publier par la société Historique  
Algérienne, Alger 1933, p1

## البيبلوغرافيا :

### قائمة المصادر :

### باللغة العربية:

1. ادموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الإسلام المغارب خلال القرن 19م، تر: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2014
2. اوجست موليراس، المغرب المجهول، ترجمة وتحقيق عزالدين الخطابي، منشورات نقرانز الريف دار النجاح الجديدة 2007، ج 1
3. اوكتاف هوداس، محاولة في الخط العربي، تعريب عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1966، ع 3
4. ايف لاکوست، العلامة ابن خلدون
5. ايميل فليكس غوتي، ماضي شمال افريقيا
6. اوجست موليراس، المغرب المجهول، ترجمة وتحقيق عزالدين الخطابي، منشورات نقرانز الريف دار النجاح الجديدة، 2007، ج 1
7. بورك ادموند: فرنسا وسوسيولوجيا الإسلام الكلاسيكية 1798-1962، تر: يونس لوكيلي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث الرباط -المملكة المغربية، ديسمبر 2014.
8. ج كامبس، البربر الذاكرة والهوية، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة الدراسات المترجمة 44، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية الشعبية العظمى، 2005
9. جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الاحد السبتي وعبد اللطيف العلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988
10. جورج ايفر، الجزائر جناح، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري، 1998، ج 10



11. جورج مارسى بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكىل، نشأة المعارف الاسكندرية مصر
12. جوزيف ديسبارمى، الفوايد فى العوايد والقواعد والعقائد، مطبعة السيد دوفان، البلدة الجزائرية 1905
13. ديسبوا(Despois)، السكان(جناح الجزائر)، موجز دار المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكرى، ج 1
14. ستيفان غزال، تاريخ شمال افريقيا القديم محمد التازى سعود، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ج 1
15. شاخت جوزيف، كليفور بوزورت، تراث الاسلام، تر: محسن زهير الزمهورى وحسن مؤنس واحسان صدوقى، سلسلة كتب ثقافية تضدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنونوالاداب، دار المعرفة، الكويت، 1998، ج 1
16. شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الاقصى من البدء الى الفتح الاسلامى، تعريب محمد مزالى البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011
17. غابرييل كامبس , البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2014
18. غابرييل كامبس، فى اصول بلاد البربر"ماسينيسا" او بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق العربى عقون، ردمك المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر.
19. فيليب مارسى، اللغة العربية، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكرى، 1998، ج 10
20. كميل ريسلر، السياسة الثقافية الفرنسية فى الجزائر أهدافها حدودها 1830-1962، تر: نذير طيار، دار الكتابات الجديدة للنشر الالكترونى، د.ب.نن 2016.
21. لوكا فيليب جون كلود فاتان، جزائر الانثروبولوجيين نقد السوسيوولوجيا الكولونىالية، تر: محمد يحياتن، بشير بولفراق، وردة لبنان، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، د.ب.ن، د.ط، 2002.
22. محمد العبدري البنسى، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007

23. موتيلانسكي (A.D.Motylinski)، الاباضية، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة

للإبداع الفكري، 1998، ج 10

24. هانوتو و.ا لوتورنو: منطقة القبائل والاعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، دار الامل،

تيزي وز-الجزائر، دط، 2013، ج 1.

25. هنري ماسي، الإسلام، تر: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت لبنان، 1988، ط 3

باللغة الفرنسية :

1. I.Goldziher, l'école Supérieure des Lettres et les Médersas d'Alger Au XIVE Congres des Orientalistes, Revue de l'Histoire des Religions, pub: Association de la Revue de l'Histoire des Religions, 1905, Vol 52
2. A .Le Chatelier, politique musulman colonial, revue le monde musulman, publication par la mission scientifique du Maroc, Ernest Leroux, paris, septembre 1910 ; T12
3. A. Cour, Note sur les chaire de la langue arabe d'alger de Constantine et d'oran 1832-1879 , revue africaine , N 318 , Alger, 1924
4. A.Bernard, Emile Masqueray, Revue Africaine, imp: Adolph Jourdan, Alger, 1894, Vol 38
5. A.Hanoteau , poésies populaire de la kabylie du jurjura texte kabyle et traduction , gallica.bnf.fr , bibliothèque national de France ,l' imprimerie impérial, paris , 1867.
6. Alexender Bellmare, Grammaire arabe (Idiome Algérie), imprimerie abadie, Constantine Algérie, paris, 1854
7. Alexender Papier , description MENAA et un groupe de danseuses des Ouled Abdi Aures occidental , gallica.bnf.fr , Bibliothèque national de France, librairie africaine colonial , paris , 1895.

- 
8. Alfred Bel, Coup D'œil sur L'Islam en Berbérie, Revue de l'Histoire du Religions, 1917, Vol 75
  9. Auguste Mouléras, manuel algérien Grammaire chrestomathie et lexique, édition Maisonneuve CH Leclerc, paris, 1888
  10. B.de braine, prononciation des Idiomes de l'Algérie ou cours élémentaire de lecture arabe, librairie de l.hachette et Cir, paris, 1848
  11. B.de Slane, catalogue de la bibliothèque oriental, Ernest le roux, paris , 1878
  12. Beaussier mercelin, dictionnaire pratique arabe-français, Adolphe Jourdan, Alger, 1887
  13. Berbrugger , Statut de la société historique algérienne , R.A, Vol 09 , N49 , Alger , 1865.
  14. Careete , exploration scientifique de l'Algérie , étude sur la kabyle proprement dite , gallica.bnf.fr , bibliothèque national de France , paris , 1849.
  15. Caussim de Perceval, catalogue des livres et manuscrits arabes , Adolphe Labitte, 1871
  16. Charles Trailliart, L'Université d'Alger, in livre de Histoire et l'Historien de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1930
  17. Christian Courtois, De Rome à l'islam, revue africaine ,Adolph Jourdan, Alger 1942,V86
  18. Clément Huart, le livre du centenaire 1822-1922 Société Asiatique, libraire Orientaliste, paul Geuthner, paris, 1922
  19. Delartigue , monographie de l'aures , document sur Batna et sa région , constantine,1904
  20. Doutté Edmond, l'Islam algérien en l'an 1900 , Alger Mustapha Giralt, imprimeur-photographeur, 1900

- 
21. E. Albertini. l'Algérie antique livre d'histoire et l'historien de l'algérien, collection de centenaire de l'Algérie 1830\_1930, librairie Felix alcon. Paris,1930
  22. E.Albertini, Chronique, cinquième Congrès International d'Archéologie, revue historique, pub: Presse universitaire de France, 1930, T 164
  23. E.Albertini, l'Algérie Antique, livre de histoire et l'histoire de l'Algérie ,collection du centenaire de l'Algérie 1830-1930,librairie Félix Alcan,Paris 1930
  24. E.Doutté, L'œuvre scientifique de l'école des lettres d'Alger, revue Africaine, pub: par la société historique algérienne, Adolph Jourdan, Alger, 1905, vol 49, 1<sup>er</sup> trimestre, N<sup>o</sup> 256
  25. E.Doutté.E.F.Gautier, Enquête sur la Dispersion de la Langue Berbère en Algérie, imp: Adolph Jourdan, alger, 1913
  26. E.F.Gautier, le Cadre Géographique de l'Histoire en Algérie, In histoire et historien de l'Algérie 1830-1930, libraire Félix Alcan, 1930
  27. Edmond fangan , la collection des manuscrit de si hamouda ,R.A , Vol 36 , Alger , 1892.
  28. Ernest Fallot , par de la méditerranée kabylie Aures Kroumirie , librairie plon , paris , 1887
  29. Ernest Fallot, Islam et la politique musulmane de la france dans l'Afrique du nord, Revue politique et parlementaire, N 11, T x2 , avril , mai, juin, paris, 1904
  30. Ernest mercier ,histoire de Constantine , gallica.bnf.fr , bibliothèque national de France , Constantine , 1903.

- 
31. Eugène Jung, L'islam et les Musulmanes dans L'Afrique du Nord , Edition de la jeune Parque, Paris, 1930
  32. Faiderbe Léon ,Instruction sur l'anthropologie de l'algerie , paris ,1874
  33. G.Delphin, (جمع اللطائف وكنز الخرايف), Recueil de Textes pour L'étude de l'Arabe Parlé, E. Leroux, paris, A. Jourdan, Alger, 1891
  34. G.Demombynes, Recueil de Mémoires et de Textes publier en l'Honneur de XVIe Congrès des Orientalistes par les Professeurs de l'écoles Supérieure des Lettres et des Médersas, revue africaine, publiée par la société historique algérienne, Adolph Jourdan, Alger, 1905, vol 49, 1<sup>er</sup> trimestre, N<sup>o</sup> 256
  35. G.Mercier, Mœurs et Traditions de l'Aurès, Cinq Textes Berbères en Dialecte Chaouia, Journal Asiatique, imp Ernest Leroux, Paris, Juillet-Aout 1900, TXVI
  36. Gouvernement général de l'Algérie, Direction des Affaires Indigènes, Service des Communes Mixtes, Etudes de certaines Questions intéressant l'Algérie, imp: Administrative Victor Heints, , Alger, 1909
  37. Henri Froidevaux, Encyclopédie de Islam, revue de histoire des colonie française, Honoré champion-Emile larose, 1er anné, 1er trimestre, paris, 1913
  38. Henri Massé, Les etudes arabe en algerie 1830-1930, revue africaine, Jourdan libraire, Alger N 74, 1933
  39. Jean Mélia , L'épopée intellectuelle de l'Algérie, histoire de université d'Alger , la maison des livre , Alger , 1950
  40. L.Gernet, Section Algérienne de L'Association Guillaume Budé, in :Bulletin de l'Association

---

Guillaume Budé, édition les Belles Lettres, Paris Avril  
1939, N 63

41. L.Rinn, marabout et khouans, étude sur l'Islam en Algérie, imp: Adolphe Jourdan, Alger, 1884
42. Le XIV<sup>e</sup> congrès international des orientalistes , R.A , Vol 49 , N<sup>o</sup> 256 , 1<sup>er</sup> trimestre , Alger , 1905.
43. Le XIV<sup>e</sup> congrès international des orientalistes , revue africaine , volume 49 , publiée par la société historique algérienne , N<sup>o</sup> 256 , 1<sup>er</sup> trimestre , Alger , 1905
44. Louis paouli , L'enseignement supérieure a Alger , R.A, Vol 49 , alger , 1905.
45. Louis Rinn, Essi d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères (peuplement sud origines indiennes de quelques races berbères), revue africaine, Alger, 1889, n 193
46. Louis Rinn, Note sur l'Instruction Publique Musulmane en Algérie, imp :De l'Association Ouvrière P.Fantana et Compagnie, Paris, Février 1882
47. M.Gaudefroy et R.Blachère, Grammaire de l'Arabe Classique morphologie et Syntaxe, imp: Maisonneuve Larose, Paris, 1975
48. Mauris poulard , L'enseignement par les indigène en Algérie , imprimerie administrative , bibliothuque universitaire Gojosso , alger ,1910.
49. Octave dépont, Xavier coppolanie, les confréries religieuses musulmanes, Adolphe Jourdan, Alger, 1897
50. Octave Houdas, Ethnographie de l'Algérie, libraire de la Société, 1886
51. Octave Houdas, Précis de Grammaire Arabe, libraire Africaine et Colonial, Paris, 1897

- 
52. Papillaut, Population de l'Aurès note rédigées d'après les observations anthropométriques, Bulletin et mémoire de la société d'anthropologie, T 8, Paris, 1897 Ely leblanc, le problème des berbères étude d'anthropologie physique, (histoire et l'historien de l'Algérie), librairie Félix Alcan, Paris, 1931
  53. R. Peyronnet, Livre D'Or des officiers des affaires indigènes 1830-1930, imprimerie Algérienne, Alger, 1930, T1
  54. René Bassé: Recueil de Mémoires et de Textes publiés en l'Honneur de XVIe Congrès des Orientalistes par les Professeurs de l'école Supérieure des Lettres et des Médéras, imprimerie Pierre Fantana, Alger, 1905
  55. René Bassé, Mélanges rapport sur l'activité scientifique de la France en Algérie et dans l'Afrique du nord depuis 1830, journal asiatique, enziem série, Tome XV, imprimerie Ernest Leroux, Paris, 1920
  56. S. Gsell, Discours D'Ouverture Cinquième congrès d'Archéologie 16 Avril 1930, pub: la société historique algérienne, Alger 1933
  57. Université d'Alger, Cinquantenaire 1909-1959, imp: Mohamed Rasim, Alger
  58. William Marçais Quelques observations sur le dictionnaire pratique Arabe-Français de Beaussier Alger, 1905
  59. William Marçais, Articles et Conférences, librairie d'Amérique et D'Orient Adrien-Maisonneuve, Paris, 1961

## المراجع:

### الجزائرية:

1. ابي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس الكتّاني، سلوة الانفاس ومحادثه الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتّاني، دار الثقافة، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2004، ج 1
2. اثار الامام عبد الحميد ابن باديس، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007
3. اثار الامام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم احمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1997، ج 3
4. أثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
5. آجرون شارل روبير، المجتمع الجزائري في مخبر الايدولوجيا الكواونيلية، تر: محمد العربي ولد خليفة، منشورات ثالة، 2002.
6. احميدة عميراي، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2004، ط 2
7. اسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
8. انور احمد الزناتي، ليون غوتي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020
9. ايفون تيران المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007
10. بن إبراهيم الطيب، الاستشراق الفرنسي في الجزائر وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004.
11. بوحدية عبد الوهاب، لافهم فصول عن المجتمع والدين، الدار التونسية للنشر، د.ب.ن، 1992.
12. بورنان سعيد، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي 1900-1954، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 2015.



13. بوعزيز يحيى، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871 ويليه مواقف العائلات الارستقراطية من الباشاغا محمد المقراني وثورته عام 1871، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة ن 2009.
14. حلوش عبد القادر، السياسة التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013.
15. حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962، الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين، الجزائر، 1994.
16. الحناشي بلقاسم، الحركة التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن 19، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والتوثيق والمعلومات، زغوان-تونس، 1989.
17. الدراجي بوزياني، القبائل الامازيغية ادوارها مواطنها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج 1،
18. دومينيك سورديل، الإسلام العقيدة السياسة الحضارة، ترجمة علي مقلد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان 1998
19. رشيد الادريسي، ادموند دوتي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2020
20. ريغ دانيال، رجل الاستشراق مسارات اللغة العربية في فرنسا، تر: إبراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط3، 2013.
21. الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية-الجزائر، 1982، الجزء 2.
22. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون -الجزائر، د.ط، د.س.ن.
23. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية-الجزائر، 2009.
24. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998، الجزء 1
25. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998، الجزء 3
26. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998، الجزء 5

27. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1998، الجزء 6
28. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1998، الجزء 7
29. سعد الله أبو القاسم، أفكار جامحة، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2015.
30. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1998، الجزء 8
31. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1996، الجزء 1
32. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1996، الجزء 2
33. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1996، الجزء 4
34. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1996، الجزء 5
35. سعيدون ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2000.
36. شارل رويبر اجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871-1919، تر: الحاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ج1
37. شنيقي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب وسياسة الرومنة 146ق.م.40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط2،
38. شنيقي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994
39. شنيقي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2003.
40. شنيقي محمد بشير، علم الآثار تاريخه مناهجه مفرداته، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2013
41. الصادق سلام، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية، تر زهيدة درويش جبور، الكلمة هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث الجمع الثقافي فهرسة دار الكتب الوطنية، ابو ضبي الإمارات، 2012

42. صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013
43. عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الامة، الجزائر، 2004، ج 4
44. عبد الستار الجامعي، اوكتاف هوداس، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020
45. عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، د س ن
46. عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، دار افريقيا الشرق، المملكة المغربية، 2006
47. عثمان العكاك، البربر، اعده للنشر مؤسسة تامنغاست، د س ن
48. العربي عقون، الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الاصول والهوية، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط المغرب الاقصى، 2010
49. عمار طالي، اثار ابن باديس، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968، ج 1
50. عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر، د.ط ن 2008.
51. عميراوي احميدة، تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.
52. عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
53. غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكفونية 1880-1962، ترجمة حاج مسعود واخرين، دار القصبة للنشر الجزائر
54. فاطمة البكوش، وليام مارسي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020
55. فاني كولونا، ايات الصمود الثوابت والمتغيرات في الجزائر المعاصرة، تر: لطيف فرج، دار العالم الثالث، د س ن، د ب ن
56. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987
57. فركوس الصالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013

58. قنان جمال، قضايا ودراسات غي تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإشهار، روية-الجزائر، 1994.
59. لعلى حفناوي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الفرنسيين، دروب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
60. لوكيلي يونس: ادموند دوتي رائد انثروبولوجيا الدين الكولونيالية بالمغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، د.س.ن.
61. لونيسي إبراهيم، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013.
62. لونيسي رايح، محاضرات في تاريخ الجزائر، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، ط2، 2012.
63. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، تر: احمد بن البار، دار الامة، الجزائر، 2011، ج1
64. محمد الامين بلغيث، فصول في التاريخ وال عمران بالغرب الاسلامي، ردمك انترسيني، الجزائر، 2007
65. محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2008
66. محمد رشاد الحمزاوي، اعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومعجما، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998
67. محمد شفيق، الدارحة المغربية مجال توارد بين الامازيغية والعربية، مطبوعات اكااديمية المملكة المغربية سلسلة المعاجم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999
68. محمد فتاح، الفرد بيل، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020
69. محمد لطفي الزليطني، جورج مارسسي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المغرب، 2020
70. محمد لطفي الزليطني، جورج مارسسي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2020
71. مروفل مختار: في غزارة الكتابة الانثروبولوجية نحو قراءة استقصائية لميراث جاك بيرك المعرفي وأهميته في فهم الإنسان المغاربي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط المملكة المغربية، 5 ستمبر 2017.
72. نجم فرج، القبيلة الاسلام والدولة، دار الدعوة، القاهرة مصر، 2004

73. نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت لبنان، 2015
74. الهادي حارث، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992
75. وزناحي مراد، مفهوم التاريخ عند أبو القاسم سعد الله، تص: ناصر الدين سعيدون، عالم المعرفة، المحمدية-الجزائر، 2015.

## 2/ المشرقية :

1. ابو التراب سيد بن حسين العفاني، واحمداه، دار العفاني، مصر، 2006، ج 3
2. ادوارد سعيد، الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مكتبة ديوان العرب، د.ب.ن، د.ط، د.س.ن.
3. آل حميد سعيد، أهداف الاستشراق ووسائله، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، د.ط، د.س.ن.
4. بدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط3، 1993.
5. بكري محمد حمدي، أصول نقد النصوص ونشر الكتب محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر، دار المريخ للنشر، الرياض-السعودية، ط2، 1982.
6. بن إبراهيم رضوان عمر، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره-دراسة ونقد، دار طيبة، الرياض-السعودية، د.س.ن، ج1.
7. بن نبي مالك، إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت-لبنان، 1969.
8. بيطار زينات، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1998.
9. تاج محمد قدور، الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2014
10. الجبري عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، 1995.
11. حسن محمد أمين، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل، الأردن، 2002.

12. الخالدي مصطفى وفروخ عمر، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1986.
13. دريوش احمد، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ب.ن، 1997.
14. الديق عبد العظيم، المستشرقون والتراث، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط3، 1992.
15. ربيع عبد الله سهام: الاستشراق، الموسوعة السياسية للشباب، دار النهضة، مصر، 2007.
16. زقزوق محمد حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة-مصر، د.س.ن.
17. زكاري ليمان ؛ تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط ؛ دار الشروق القاهرة ؛ مصر ؛ 2007
18. زماني محمد حسن، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر:محمد نور الدين عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
19. ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، د.ب.ن، 2002، ج1.
20. السامرائي قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، د.ب.ن، 1983.
21. السباعي مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق، د.ب.ن، د.ط، د.س.ن.
22. الشراقوي محمد عبد الله، الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.س.ن.
23. الشراقوي محمد عبد الله، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار مصر، 2016.
24. الشيباني المنصوري المبروك، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق الى الاسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت-لبنان، 2014.
25. الطهطاوي، رفاعة، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، دراسة وتعليق، محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974
26. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، 1984
27. العقيقي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط3، 1964، الجزء 1.
28. علي محمد إسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل-مدخل علمي لدراسة الاستشراق، دار الكلمة، د.ب.ن، د.ط، د.س.ن.

29. عمارة إسماعيل احمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، عمان - الأردن، ط2، 1996.
30. عميرة عبد الرحمان، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت-لبنان، د.س.ن.
31. فوك يوهان، تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 2001.
32. فيومي محمد إبراهيم، الاستشراق رسالة استعمار -تطور الصراع الغربي مع الإسلام، دار الفكر العربي، جامعة الأزهر-مصر، 1993.
33. لورد ليتون، اخر ايام بومبي، تر صبري الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1990
34. لوكمان زكاري، تاريخ الاستشراق وسياساته-الصراع على تفسير الشرق الأوسط، دار الشروق، القاهرة-مصر، 2007.
35. مراد يحيى، ردود على شبهات المستشرقين، من قضايا الاستشراق بحوث ودراسات، د.ب.ن، د.س.ن.
36. المقداد محمد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
37. الميداني عبد الرحمان، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير الاستشراق الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق-سوريا، ط8، 2000.
38. النبهان محمد فاروف، الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو، الرباط-المملكة المغربية، 2012.
39. نصري احمد، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار العلم، د.ب.ن، 2009.
40. النقد التاريخي، المدخل الى الدراسات التاريخية لانجلوا وسينوبوس و"نقد النص، بول ماس و"التاريخ العام" امانويل كانط، تر: عن الفرنسية والألمانية عبد الرحمان بدوي، مكتبة الإسكندرية وكالة المطبوعات، ط4، الكويت، 1981
41. النملة علي إبراهيم الحمد: المستشرقون والتنصير، دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصرين، موسوعة الدراسات الاستشراقية، الرياض، ع4، 1998.
42. هنري لورانس، تاملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والالماني وحاضره، تر: محمد صبح وعدنان حسن، مكتبة المهتمدين الاسلامية، بيروت لبنان، 2006

43. هنري لورنس جون تولان جيل فانشتاين، أوروبا والعالم الإسلامي تاريخ بلا أساطير، تر: بشير

السباعي، المركز القومي للترجمة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر، 2016

44. هنري لورنس جون تولان جيل فانشتاين، أوروبا والعالم الإسلامي تاريخ بلا أساطير، تر بشير

السباعي، المركز القومي للترجمة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر،

45. وزان عدنان محمد، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم

الإسلامي، مكة المكرمة-السعودية، 1984.

46. الوهبي عبد الله عبد الرحمان، حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، د.ط، الرياض-

السعودية، 2013.

47. الياس ابو شبكة، روابط الفكر والروح بين العربية والفرنجية، دار المكشوف، بيروت لبنان،

1943

المراجع باللغة الاجنبية:

1. Alain Massaoudi, Les arabisants français et la "réforme" en Afrique du Nord. Autour de Louis Machuel (1848-1922) et de ses contemporains », in Odile Moreau (éd.), Réforme de l'État et réformismes au Maghreb (XIXe et XXe siècle), Paris/Tunis, L'Harmattan/Publications de l'IRMC, 2009
2. Alain Massaoudi, les études Arabes dans l'Université Françaises en Contexte Colonial 1800-1950, texte publie dans la Revue Ibla, Tunisie, N 197, janvier 2007
3. Alain Messaoudi, l'enseignement de la langue arabe entre l'Algérie française et La France contemporaine, CHSIM/EHESS, 2006
4. Bouchene Abde errhman est d'autre , Histoire de la algerie a la periode coloniale 1830-1962 , édition la découverte , paris, 2012.
5. Cantier Jacques , L'Algérie au regard de l'histoire , un exemple d'évolution de l'historiographie colonial , les cahiers d'histoire immédiate ,groupe de recherche en histoire immédiate , 1994.
6. Collette Zytneiki et Habib Kazdagh, le Tourisme dans l'Empire Française Politique, Pratique et Imaginaire 19-20<sup>e</sup>



- 
- siècle, un article de la domination colonial ?PUB :SFHOM, paris, 2009
7. Fanny Collona, Question à Propos de la Littérature Oral Comme Savoir, In Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée,1976 , N22
  8. Georges Coedès, Notice sur la Vie et les Travaux de Mauris Gaudefroy membre de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres,1959 , 103 année, N 1
  9. Gérard Troupeau, Deux Cent d'Enseignement de l'Arabe à l'école des langues Orientales, Revue international d'Archéologie et de science sociale sur la péninsule Arabique, 1997
  10. J.Servier, Les Berbères, Presses Universitaires de France, 1990
  11. Jacques Cantier, Du discours scientifique au discours commémoratif: les Antiquisants de l'école d'Alger face au Centenaire de la conquête, Editions de Boccard , Revue Anabases traditions et réceptions de l'Antiquité, 2012, N15
  12. Jan C.Jansen, Fête et Ordre Colonial, Centenaire et Résistance Anticolonialiste en Algérie Pendant les Années 1930, vingtième Siècle, Revue d'Histoire, Sciences po université presse, janvier-mars 2014, N121
  13. Masaoudi Alain: Les Arabisants de la France colonial, ENS, édition, Lyon, 2015.
  14. Mercel Emerit, Histoire de l'Algérie sous la Direction de Louis Mervilleaux, Texte de Jean Lassus, George Marçais, léo Barbes, Pierre Boye et Jean Farran, Yves Lacoste, André Nouschi et Prenant, l'Algérie Passé et Présent, le Cadre et les étapes de la Constitution de l'Algérie Actuelle, avec Préface de J.Dresch, In Annales économies, Sociétés Civilisation, 1962, 17Anné, N 6
  15. Patricia.m.e.lorcin , impérial identités stereotyping préjudice and race in colonial Alegria , IB.Tauris&coltd , London-new York , 1999

16. Sylvette Larzul, Grammatisation et lexicographie de l'arabe algérien au XIX<sup>e</sup> siècle, revue *Synergies Monde arabe* n° 7 – 2010 CHSIM-EHESS
17. Vincent Geisser, *la Question Musulmane en France au prisme des sciences Social*, Cahiers d'études Africaines, édition de l'EHESS, 1juin, 2012

المقالات :

باللغة العربية:

1. محمد مالكي، صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، اعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي 2-3 جويلية 2006، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007
2. أوراغي احمد: "الانثروبولوجيا والاستعمار قراءة في صورة الجزائر في المؤلفات الانثروبولوجية الاستعمارية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة الجيلالي الياوس سيدي بلعباس، الجزائر، ع7 ن ديسمبر 2013.
3. بابا جمال الدين: "الاستشراق الفرنسي والتكلمات اللهجية قراءة تحليلية"، مجلة الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابو بكر بلقايد - تلمسان، ع 13، الجزائر، 2017.
4. بالحيمسي مولاي: "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع5، 1988.
5. بخوش عبد القادر: "توظيف الاستشراق في خدمة الاستعمار"، مجلة المعيار، كلية اصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع10، 2005.
6. بركات عمار: "سؤال الايديولوجيا والدراسات الاستشراقية الانثروبولوجيين في الجزائر أنموذجا"، الفرد بل وبيار بورديو"، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014، الجزائر 2015.
7. بن عراج عمر: "التراث العربي الإسلامي المخطوط وجهود المحققين المستشرقين انموذجا"، مجلة أفاق فكرية، جامعة الجيلالي الياوس سيدي بلعباس، الجزائر، ع6، 2017.

8. بن هنية سامية-خضرة: "الاستشراق الفرنسي ودراسته للقرآن الكريم الاتجاه والمنهج"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع11-12، مارس 2016.
9. بن يحيى بركان: "الاستشراق الفرنسي ونشاطه الاجتماعي في الجزائر"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي-الجزائر، ع17، سبتمبر 2016.
10. بناني احمد: "الدرس اللغوي العربي رؤية استشراقية"، مجلة إشكالات، تمارست الجزائر، ع2، ماي 2013.
11. بوترة كريم: "الاستعمار وظاهرة الاستشراق في الجزائر"، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014، الجزائر 2015.
12. بوحلوفة محمد الامين: "الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر من 1856-1860 قراءة من خلال المجلة الافريقية"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع5، مارس 2017.
13. بوخاوش سعيد: "من مظاهر سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي"، مجلة اللغة العربية وادابها، كلية الاداب واللغات، جامعة البليدة 2، ع2، سبتمبر 2013.
14. بوزيدي ساسي هادف، الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة دراسة سوسيو-لسانية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، قالمة الجزائر، ص 109. المقالة متوفرة في مجلة نقد وتنوير، 15-ماي-2015
15. بوسليم الصالح: "حركة الاستشراق المفهوم والنشأة الدوافع والأهداف"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع11-12، مارس 2016.
16. بوعبدلي المهدي: "موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور"، مجلة الأصالة، قسنطينة-الجزائر، ع14-15، 1973.
17. بوعزة بوضرساية، بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديارمي، مجلة تاريخ المغرب العربي، يصدرها مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015، مج 1، ع 3
18. بوعزيز يحيى: "حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية" مجلة الدراسات التاريخية، ع5، 1988.
19. بوقدون الحسان بن ابراهيم: "اثر الاستشراق في بروز القوميات العرقية في الأمة القومية الامازيغية"، بحوث مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، كلية العلوم والآداب بالرس، ايام 24-2016/12/16، المملكة العربية السعودية.
20. التليلي لعجيلي، السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة ضد التونسيين المخذنين في الحرب العالمية الاولى، مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1991، ع 32

21. التميمي عبد الجليل : " التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع1، 1974.
22. جميع جمال: " دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر" مجلة المعيار، كلية اصول الدين جامعة الامير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، مج10، ع5، 2005.
23. جهداني عيد الواحد: " المستشرق الفرنسي روبرت برنشفيج واثاره 1901-1990"، مجلة افاق الثقافة والتراث، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ع95، سبتمبر 2016.
24. حباسي شاوش: " من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1962"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع10، 1997.
25. الحسن بويقوي، المعرفة السلطة في السياق الكولونيالي بالمغرب والجزائر، مجلة دراسات الامازيغية، تصدرها كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر المغرب الاقصى، 2018، ع2
26. حميد بن سالم، الثقافة الاسلامية ومكانة اللغة العربية في الجزائر قبل الاستقلال، مجلة اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط المغرب الاقصى، يونيو 1964، ع1
27. حنفي بن عيسى، المستشرقون وتاريخ الجزائر، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 6 نوفمبر 1963، ع6
28. حورية بن صالح، توظيف الآثار المحلية في احتفالات الذكرى المئوية 1830-1930 لاحتلال الجزائر الأبعاد والخلفيات دراسة تحليلية، مجلة أفاق علمية، تصدر عن المركز الجامعي تلمسان، الجزائر، 2021، مج13، ع2
29. الحيدري زهير يوسف عليوي: " جهود المستشرقون في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي"، مجلة اوروك للأبحاث الإنسانية، قسم التاريخ جامعة المثنى، ع3، 2010.
30. خالد محمد: " المستشرقون وأثرهم الفكري والفني في الجزائر"، مجلة الأثر، جامعة تلمسان، ع13، 2012.
31. خضير صلاح الدين حسين: " الاستشراق وشبهه الدافع الاقتصادي للأراضي المفتوحة نقد وتحليل"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج3، ع10، 2011.
32. خلفاوي عزيزة: " السوسيولوجيا الاستعمارية في الجزائر ومخلفاتها"، مجلة دراسات وأبحاث جامعة الجلفة، ع17، 2015.

33. خلوفي بغداد: "التعليم العالي بالجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع10، ديسمبر 2015.
34. دربال بلال: "وظائف اللغة ابان فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر"، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع14-15، جوان 2014.
35. دريوش سهيلة: "الاستشراق الفرنسي في الجزائر ما بين 1830-1930، قراءة في مقال لهنري ماسي"، تر: محمد يحياتن، مجلة الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري تيزي وزو، ع39، الجزائر، 2017.
36. الرحيم احمد حسن: "المستشرق الفرنسي ارنست رينان ونظرته الى اللغة والفلسفة"، سلسلة كتب الثقافة، مجلة الاستشراق، العراق، ع2، شباط 1987.
37. رشيد باقة، الموضوعية في الكتابة التاريخية حول الجزائر بين المدرية الكلاسيكية والمدرسة الحديثة، مجلة الآداب والحضارة الاسلامية، تصدرها كلية الآداب والحضارة الاسلامية جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة الجزائر، 2003
38. ربوقي عبد الحليم: "ماهية الاستشراق النشأة المناهج والاهداف الأصناف والوسائل"، مجلة الإنسان والمجتمع، ع2، ديسمبر، 2011.
39. زلافي ابراهيم: "رسل الغزو الفرنسي في الجزائر التنصير نموذجا"، مجلة إشكالات، معهد الاداب واللغات، المركز الجامعي تلمسان، الجزائر، ع10، ديسمبر 2015.
40. زماني محمد حسن: "ادوار الاستشراق" مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ع2، 2014.
41. الزين محمد: "جهود المستشرقين الفرنسيين في خدمة التراث الغرب الإسلامي لبفي ربروفنسال نموذجا"، مجلة افاق للعلوم، ع7، مارس 2017.
42. سامعي إسماعيل: "جهود الاستعمار في تاصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستلاب الثقافي"، مجلة المعيار، كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، مج10، ع5، 2005.
43. سعادة ياسين: "التحليل السوسيوولوجي لتاريخ الجزائر"، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع6، 2013.
44. سليمان دحماني، المستشرق الفرنسي الفرد بل مؤرخا واثولوجيا للدين الاسلامي، مجلة اثروبولوجيا الاديان، يصدرها مخبر اثروبولوجيا الاديان ومقارنتها دراسة سوسيو اثروبولوجيا، جامعة تلمسان، الجزائر، 2021، مج 17، ع 2

45. سيد علي احمد مسعود: "الاستشراق الانثروبولوجي الفرنسي بالجزائر وارتباطه بالتنصير"، مجلة قضايا تاريخية، بوزريعة الجزائر، ع2، 2016.
46. شنتوف الطيب: "خمسون سنة من السوسيولوجيا الكولونيالية المغاربية في الفترة مابعد الكولونيالية"، تر: رشيد بن بية، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة-قطر، ع23، مج6، 2018.
47. الشيخ ابو عمران: "شارل دي فوكو في تمارست 1905-1916"، مجلة الثقافة الجزائرية، ع70، جوان 1983.
48. صاحبي محمد: "المجلة الإفريقية دراسة إحصائية بيبليوغرافية للمخطوطات العربية"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، ع4، مارس 2013.
49. صحراوي عبد القادر: "تاريخ الجزائر في القديم من خلال كتابات ستيفان جزال"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع2، 2010.
50. الظالمي حامد: "كتابات المستشرقين عن نتاجهم محاولة في الأنساق العامة"، مجلة دراسات استشرافية، ع2، 2014.
51. عبد العزيز بن عبد الله، الاستاذ ماسينيون عضو مجمع اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، يصدرها الكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط المغرب الأقصى، يناير 1965، ع2
52. عبد النور العمري، دراسة عامة للنقوش اللاتينية: اصنافها مجالاتها وقيمتها المصدرية في كتابة تاريخ المغرب القديم، مجلة عصور، تصدر عن كلية العلون الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1، الجزائر، 2020، مج19، ع2
53. العربي إسماعيل: "مساهمة المؤرخين الفرنسيين في الجزائر وهل تصلح أساسا لتنمية تاريخنا القومي، مجلة الأصالة، قسنطينة-الجزائر، ع15-15، 1974.
54. علاوة عمارة، الهجرة المالكية اشكالية انحطاط حضارة المغرب الاسلامي الوسيط، مجلة كلية الاداب الاسلامية، قسنطينة الجزائر، 2004
55. العلوي سعيد بن سعيد: "صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر"، مجلة الاجتهاد، السنة السادسة، بيروت-لبنان، ع25، 1994.
56. عمارة علاوة: "الشيخ مبارك الملي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر"، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، جامعة معسكر، ع3، ديسمبر 2008.

57. غطاس عائشة: "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية، مجلة الدراسات التاريخية، ع5، 1988.
58. فاطمة الزهراء بوزياني، تاريخ البحث الاثري في الغرب الجزائري ومراحل تطوره بالجزائر منذ الاستعمار الفرنسي الى استقلال الجزائر، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، يصدرها مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر سبتمبر 2017، المجلد 5، ع 11،
59. فانسان موتي، اللغة العربية الحديثة، تلخيص جمال الدين البغدادي، محلة اللسان العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط المغرب الاقصى، يونيو 1964
60. فرادجي محمد آكلي: "علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر"، أعمال الملتقى الوطني دور علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر الية علاقة، تق: عبد القادر لقجع، دار القصة للنشر، 4-5-6 ماي 2002، وهران. 2004.
61. قرباج بلقاسم: "تاريخ الجزائر العثمانية في الكتابات الانجليزية"، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران ن ع 11-12، 2013-2014.
62. قنان جمال: "التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية سلطته واستغلاله"، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين 2-3 جويلية 2007.
63. قنان جمال: "مدرسة التاريخ الاستعماري بين الايديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع5، 1988.
64. كركار جمال: "القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال قانون منطقة القبائل نموذجاً مقارنة بين موقف القوانين الفرنسية والشريعة الاسلامية"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المركز الجامعي تمارست، الجزائر، ع5، جانفي 2014.
65. كورغلي جمال: "حول تاريخ اللغة العربية (مقابلة اجرتها سلام دياب) المدرسة العليا لتكوين المتعلمين: [http://cle.ens-lyon.fr/fichiers/entretien\\_avec\\_dj\\_1213272450319.pdf](http://cle.ens-lyon.fr/fichiers/entretien_avec_dj_1213272450319.pdf) رابط المقال
66. مجاهد يمينة: "مدرسة الطب ودولا المساعدين الطبيعيين في ضل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مجلة عصور، ع26-27، جويلية ديسمبر 2014.

67. محروق اسماعيل : " الدراسات الاستشراقية في الفن الإسلامي"، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014، الجزائر 2015.
68. محمد الحبيب بيشاري موسى هواري، ترجمة لمقال غابريال كامبس (نشر سنة 1983) كيف أصبحت بلاد البربر المغرب العربي *Berbère est devenue le comment la Maghreb arabe?*، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الشهيد محمد خيضر، ع2020، 24
69. محمد الدسوقي، خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة، مجلة كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ليبيا، 1984-1985، ع 1
70. محمد الهادي حارش، واقع الدراسات التاريخية والاثرية في الجزائر مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر 2013، ع17
71. محمد بسناسي، التعبير اللهجي الجزائري وتوظيفه في القواميس الثنائية، مجلة الكلم، تصدر عن مخبر اللهجات ومعالجة الكلام، جامعة وهران 1، احمد بن بلة، الجزائر، جانفي 2016، ع1
72. محمد بن حمو، الدراسات الاستشراقية في الجزائر اداة للغزو، مجلة اشكالات، تصدر عن المركز الجامعي نامنغست، الجزائر، 2013، ع2
73. محمد بن سويسي، قراءة في جوانب من العمران القديم لقصر تامنظيط من خلال مخطوط القول البسيط للشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة، مجلة رفوف، تصدر عن مخبر المخطوطات الجزائرية في افريقيا، جامعة ادرار، الجزائر، ديسمبر 2016، ع 10
74. محمد بن عميرة، حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، مجلة التاريخ، جامعة الجزائر
75. محمد حجي، دراسات المستشرق الفريد بيل Alfred Bell المتعلقة بالمغرب، موضوع الندوة السادسة تحت عنوان المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات اكااديمية المملكة المغربية، مراكش، المغرب-افريل 1993، الهلال العربية للطباعة والنشر، 1995
76. محمد علي توفيق: "نحن والمستشرقون"، مجلة النجاح للابحاث، كلية الآداب جامعة البروموك، الاردن، مج15، 2001.
77. مختار ناير، الطقوس الدينية القديمة بنوميديا الرومانية، مجلة العلوم الانسانية التي تصدر عن جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر 2015، المجلد 5، ع 1



78. مزارى عبد الصمد توفيق: " بدايات الاستشراق قراءة في المنطلقات والمفهوم"، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7 الى 10 ديسمبر 2014، الجزائر 2015.
79. مشري محمد: " الجزائر في كتابات المستشرقين الفرنسيين"، أعمال الملتقى الدولي، الجزائر في الكتابات المتوسطة ايام 7-8/6/2010، منشورات مخبر الترجمة في الادب واللسانيات، قسنطينة، جانفي 2011.
80. مصطفى حميداتو ومصطفى حنانشة، علوم الحديث عند الإمام أبي العرب القيرواني في كتابه طبقات علماء افريقية وتونس، مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد 6، العدد 4، 2020
81. مصطفى حميداتو، الرجال الذين رووا صحيح البخاري وبلغوه لاهل مدينة الجزائر للاستاذ محمد بن شنب، مجلة المنهل، تصدر عن مخبر اسهامات علماء الجزائر في اثناء العلوم الاسلامية، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، مج 5، ع 1
82. معتوق جمال: " السوسيولوجيا الكولونيالية من اجل قراءة نقدية جديدة"، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، جامعة البليدة 2، ع 1، 2001.
83. منتران روبر: "الاستشراق الفرنسي اصوله تطوره آفاقه"، تر: يوسف حبي، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، مجلة الاستشراق، العراق، ع 2، 1987.
84. الموسوي سلمى حسين علوان: " التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي حتى القرن العشرين"، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، النجف الاشرف، السنة 2، ع 5، 2008.
85. مياسي ابراهيم: " الدراسات التاريخية في الجزائر للمقاومات الشعبية الجزائرية"، أعمال الملتقى الوطني، واقع الدراسات التاريخية في الجزائر المقاومة والثورة نموذجاً، المنعقد بولاية غرداية يومي 16-17 سبتمبر 2006 ن منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر ن 2007.
86. الميللي محمد: " نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، قسنطينة الجزائر، ع 14-15، 1973.
87. نايلي عبد القادر: " التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية المجلة الإفريقية أنموذجاً"، مجلة دراسات وأبحاث ع 3، مارس 2011.
88. نصر الله جواد كاظم، الكعبي ابراهيم: " الاستشراق الفرنسي والبعثات اليسوعية لقاء الاستشراق والتبشير، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ع 4، 2015.

89. هلايلي حنفي: " اقليم قسنطينة في كتابات الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية في ضوء المجلة الافريقية، الجزائر، ع18، اوت 2015.
90. هلايلي حنفي: " المستشرقون الفرنسيون واعادة بعث المخطوطات الجزائرية وتنظيمها 1830-1962"، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ع154-155، 2014.
91. هلايلي حنفي: " المترجمون في الجيش الفرنسي اليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر 1830-1962"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي البابس سيدي بلعباس، الجزائر، ع11-12، مارس 2016.
92. هلايلي حنفي: " المستشرقون الفرنسيون في خدمة الادارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962"، مجلة كلية الالاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، ع7، جوان 2005.
93. هلايلي حنفي: " المستعربون الفرنسيون في مدرسة تلمسان الرسمية"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، ع8، ديسمبر 2017.
94. هيصام موسى: " محمد بن شنب والمحافل الاستشراقية مؤتمر الجزائر 1905 نموذجاً"، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7 الى 10 ديسمبر 2014، الجزائر 2015.
95. الويسي ياسين حسين: "مالك بن نبي وموقفه من الاستشراق والمستشرقين كتابة إنتاج المستشرقين انموذجا"، مجلة دراسات استشرافية، ع9، حريف 2016.
96. يجياوي مسعودة: " الجزائر من خلال المنظار الاستعماري"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة الجزائر، ع7، 1993.
97. يوسف موسى علي عبد الله وآخرون: " الهدف الديني للاستشراق من دراسة التراث الإسلامي من وجهة نظر محمد البهي ومحمد ياسين عربي"، المجلة الدولية للفكر الإسلامي، لندن، ع1، جوان 2012.

1. Ouhhim Ouled Brahim , la grand mission d'enquête scolaire d'emile masqueray en Kabylie (1881) , revue études et documents berbères , n 15-16 , paris , 1998 .
2. Ouhhim Ouled Brahim , mission scientifique de Masqueray dans l'Aurès ses dépendances (1875-1878) , revue études et documents berbères , n 17 , paris , 1999 .
3. Pierre Singeravélou, L'enseignement supérieur colonial, revue histoire de l'éducation 1942, N122, avril-juin, France , 2009.
4. Rey Goldzenger , les problèmes algériens du second empire vue par les historiens français, revue d'histoire moderne et contemporaine 1954, XXI janvier-mars-1974.

المذكرات:

1. اكسيل لؤلؤ التركيبية الاجتماعية للمغرب القديم، 146 ق م- 40 م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الجزائر2،
2. بن عبد الصمد محمد شمس الحكيم: الإطار التاريخي لمواقف المستشرقين من القراءات القرآنية -دراسة تحليلية- بحث مقد لنيل درجة الماجستير في اصول الدين، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا كوالالمبور، 2016.
3. التليلي لعجيلي الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، اطروحة دكتوراه مرحلة ثالثة، كلية الاداب، جامعة تونس1، 1992
4. جمال بشير بولعناي، السياسة الفرنسية في شرق الجزائر 1900-1939، واثرها على السكان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ والاثار المصرية والاسلامية للدراسات العليا، جامعة الاسكندرية، مصر 1939
5. الحاج محمد الحاج ابراهيم: المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19-مزاب والحقار نموذجاً-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012.
6. حمو عبد الكريم: الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2007-2008.

7. خميلي العكروت: التعليم العالي في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي 1879-1962، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2016-2017.
8. خميلي العكروت: جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين 1909-1956، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008-2009.
9. سويسبي المحسن بن علي بن صالح: مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها تكوينها اهدافها، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، 1998، ج1.
10. عبد القادر فخّار، الطابع التمييزي لمرفق التعليم ابان الاحتلال الفرنسي، اطروحة دكتوراه دولة فرع القانون العام، كلية الحقوق بن عكنون، جامعة الجزائر 1، 2011-2012
11. عزالدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري ارنست مارسبي أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري -قسنطينة، 2007-2008
12. غرينة عبد النور: الاوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونiale 1840-1939، مذكرة مكتملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009-2010.
13. قرنا ب عبد الرؤوف: جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مذكرة مكتملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص مقارنة الأديان، جامعة الجزائر 1، 2014-2015.
14. مدني حسن، التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر 1884-1914 الغرب الجزائري أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2012-2013
15. معريش محمد العربي: الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الاسيوية 1822-1872، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
من أ الى ز	مقدمة
65-13	الفصل الأول: فصل مفاهيمي تاريخي حول الاستشراق الفرنسي
43-15	المبحث الأول: الاستشراق وبداياته
15	<b>1. ماهيته</b>
27-16	1.1- مفهوم الاستشراق والمستشرق
32-27	2.1- نشأته
43-33	3.1- دوافعه ووسائله
65-44	المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق الفرنسي
50-44	2 : بداياته وأعماله
53-51	1.1 المدرسة الاستشراقية الفرنسية
65-53	2.1 اهم رواده
114-67	الفصل الثاني: الاستشراق الفرنسي في الجزائر اهدافه مراحل ووسائله
79-67	المبحث الأول: اهداف الاستشراق الفرنسي في الجزائر
72-67	1. الهدف الديني
76-73	2. الهدف الاستعماري
79-77	3. الهدف العلمي
99-79	المبحث الثاني: مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر
90-81	1. المرحلة الأولى 1830-1879
96-91	2. المرحلة الثانية 1879-1930
99-97	3. المرحلة الثالثة 1930-1962
114-99	المبحث الثالث: وسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر

99	1. اللجان العلمية
101-99	1.1. لجنة اكتشاف الجزائر العلمي 1837
103	3.1. لجنة الاحتفال المئوي بالاحتلال (1930)
114-104	2. الجمعيات والمجلات
184-115	الفصل الثالث: البحث الاكاديمي الاستشراقي في إطار الجامعة
116	المبحث الاول تطور مؤسسات التعليم العالي في الجزائر
116	1. المدارس العليا (الكليات )
118-116	1.1. كلية الطب
119-118	2.1. كلية العلوم
121-120	3.1. كلية الحقوق
123-121	4.1. كلية الآداب
125-124	2. العمل العلمي لكلية الآداب بالجزائر
126-125	1.2. العمل الاثري
127-126	2.2. في الترجمة
127	3.2. اللهجات البربرية
128	3. عقد المؤتمرات (مؤتمر المستشرقين المنعقد بالجزائر افريل 1905)
131	4. بعض المواضيع التي تم تداولها في المؤتمر
132	1.4. التاريخ والجغرافيا
133-137	2.4. التراث والادب
138	3.4. الفلسفة
140	5. أهم الملاحظات حول المؤتمر

144-141	6. جامعة الجزائر
145	7. المعاهد
146	1.7. معهد الدراسات الشرقية: <b>Institut d'études Oriental d'Alger</b>
147	2.7. معهد الأبحاث الصحراوية: <b>Institut du recherche saharienne</b>
149	المبحث الثاني: اللغة العربية في اهتمامات المدرسة الاستشراقية الفرنسية
153-150	1. المعاجم
156-154	2. المستشرقون الفرنسيون واللغة العربية من خلال كراسي التعليم
159-157	3. اللغة العربية العامية
165-160	4. مدرسة تلمسان
184-166	5. اللغة العربية من خلال الدراسات الاكاديمية الفرنسية
254-188	الفصل الرابع: الدراسات التاريخية والأثرية الفرنسية الجزائر
189	المبحث الاول: الدراسات التاريخية
193-189	1.1. تاريخ الجزائر في القديم (الفترة الرومانية)
196-194	2.1. أسباب إخفاق الرومان في نظر المستشرقين الفرنسيين
197	المبحث الثاني: تاريخ الجزائر في الفترة الوسيطة
205-197	1.1.: الفتح الإسلامي
210-206	2.1.: الهجرات (الغزوة) الهلالية
225-211	المبحث الثالث: تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة
212-211	1.1.: الفترة العثمانية
217-213	2.1.: الفترة المعاصرة

222-218	<b>3.1. التاريخ الجزائري من خلال الاحتفال بالمتوية 1930</b>
225-223	<b>4.1. نقد الدراسات الاستشراقية التاريخية الفرنسية حول الجزائر</b>
254-226	<b>المبحث الرابع: في مجال الآثار</b>
228-226	<b>1. المرحلة الاولى</b>
229	<b>2. المرحلة الثانية</b>
232-230	<b>1.2. الجمعية الأثرية لقسنطينة : Société Archéologique de Constantine</b>
234-233	<b>2.2. اكاديمية هيون: Académie d' Hippone</b>
236	<b>3.2. الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران (Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran)</b>
243-236	<b>3: المرحلة الثالثة</b>
246-244	<b>1.3. المؤتمر الخامس للآثار المنعقد في الجزائر 1930</b>
249-246	<b>2.3. القسم الجزائري لجمعية: Guillaume Bude</b>
254-249	<b>3.3. الآثار الاسلامية</b>
326-256	<b>الفصل الخامس: الابحاث السوسولوجية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر</b>
262-256	<b>المبحث الأول: البحث السوسولوجي</b>
261-256	<b>1. السوسولوجيا العسكرية</b>
262	<b>2. السوسولوجيا الاكاديمية</b>
292-263	<b>المبحث الثاني: البحث الانثروبولوجي</b>
266-264	<b>1. التسمية</b>
273-267	<b>2. القبيلة</b>
279-274	<b>3. اللغة</b>



286-280	4. أصل السكان
292-287	5. النزعة البربرية
326-293	المبحث الثالث سوسولوجيا الدين
300-293	1. سوسولوجيا الدين عند ضباط المكاتب العربية
314-300	2. سوسولوجيا الدين عند الأكاديمين
326-315	3. سوسولوجيا الدين بين الاصلاحيين والمستشرقين الفرنسيين
331-327	خاتمة
347-332	الملاحق
378-348	قائمة المصادر والمراجع
384-380	فهرس الموضوعات

## الملخص:

### باللغة العربية:

الاستشراق على إطلاقه وشموله حركة علمية عُنِيَتْ ولا تزال تعنى بدراسة المدنيات الشرقية؛ ما غبر منها وما حظرت، ما طُمِسَ منها وما استقر، ما خلفته تلك الحضارات من قِوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة وما فيها من شعوب وأجناس، ومذاهب ومدارس وما إلى ذلك من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضارية.

والاستشراق كحركة ظهرت في القرن التاسع عشر ميلادي؛ لكن لها جذور تاريخية تعود إلى فترة القرون الوسطى، عندما وصل المسلمون إلى الأندلس سنة 711م وإلى جنوب فرنسا وإلى فترة الحروب الصليبية. واعتبارا من هذا التاريخ أصبح العالم الإسلامي معروفا لدى الأوروبيين، لكن في المقابل لم تكن هذه المعرفة إيجابية بالنسبة للدين الإسلامي.

والمدرسة الإستشراقية الفرنسية والتي يصفها يوسف داغر في كتابه مصادر الدراسة الأوروبية: بالوضوح في الإفصاح، والجلاء في التعبير، والدقة في البحث، والنهج في السياق، ولقد بدأ الاستشراق الفرنسي في الجزائر مع بداية القرن التاسع عشر، ومع الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، والملاحظ على الاستشراق الفرنسي في الجزائر أنه كان استشرقا مؤسساتيا شمل جميع التوجهات؛ الاجتماعية، الثقافية الدينية، والاقتصادية... وتخصص في جميع الدراسات خاصة ما تعلق منها بالجانب الأدبي والاجتماعي والأنثروبولوجي، كما عرفت الجزائر مستشرقين كبار من أمثال إميل مسكراي E.Masqueray وارانست مارسى E.Mercier وروني باسي R.Basset والأخوين جورج G.Marcais وويليام مارسى W.Marcais إميل فيليكسغوتي E.F.Gautier وستيفان غزال S.Gsell وغيرهم كثير، الذين عملوا ما في وسعهم جميعا سواء بقصد أو عن غير قصد لتصبح الجزائر فرنسية، وكذلك لتثبيت الوجود الاستعماري في الجزائر.

## Sommaire

L'orientalisme pour son lancement et son exhaustivité est un mouvement scientifique qui s'est intéressé et est toujours concerné par l'étude de l'instruction civique orientale ; Ce qui leur est caché et ce qui est interdit, ce qui a été effacé et ce qui s'est installé, et les forces spirituelles laissées par ces civilisations et les traces intellectuelles, littéraires, artistiques et religieuses, et ce qui est lié à ces civilisations anciennes et aux peuples, races, sectes, écoles et ainsi de suite de l'impact apparent et parlant qui témoigne de la vie humaine civilisée.

L'orientalisme en tant que mouvement a émergé au XIXe siècle après JC; mais il a des racines historiques qui remontent à la période médiévale, lorsque les musulmans sont arrivés en Andalousie en 711 après JC, dans le sud de la France, et à la période des croisades. A partir de cette date, le monde islamique est devenu connu des européens, mais en revanche, cette connaissance n'était pas positive pour la religion islamique.

Et l'école orientaliste française, que Youssef Dagher décrit dans son livre *Sources of European Study*: avec clarté dans la divulgation, clarté dans l'expression, précision dans la recherche et approche dans le contexte. L'orientalisme français a commencé en Algérie au début du XIXe siècle, et avec l'occupation française de l'Algérie en 1830. L'orientalisme français en Algérie était un orientalisme institutionnel qui incluait toutes les orientations ; Social, culturel, religieux, et économique... et se spécialise dans toutes les études, notamment celles liées à l'aspect littéraire, social et anthropologique.

L'Algérie a également connu de grands orientalistes tels que E. Masqueray, Ernest Mercier, R. Basset et les frères Georges Marcas et W. Marcas, E.F.Gautier, Stéphane.Gsell et bien d'autres, qui ont tous fait de leur mieux, intentionnellement ou non, pour que l'Algérie devienne française et aussi pour y établir une présence coloniale.

**abstract**

Orientalism for its launch and comprehensiveness is a scientific movement that has been concerned with and is still concerned with the study of eastern civics; What is hidden from them and what is prohibited, what has been erased and what has settled, and the spiritual forces left by those civilizations and intellectual, literary, artistic and religious traces, and what is related to these ancient civilizations and the peoples, races, sects, schools, and so on of the apparent, speaking impact that bears witness to human life civilized.

Orientalism as a movement emerged in the 19th century AD; But it has historical roots that go back to the medieval period, when Muslims arrived in Andalusia in 711 AD, to southern France, and to the period of the Crusades. As of this date, the Islamic world became known to Europeans, but on the other hand, this knowledge was not positive for the Islamic religion.

And the French Orientalist school, which Youssef Dagher describes in his book Sources of European Study: with clarity in disclosure, clarity in expression, accuracy in research, and approach in context. French Orientalism began in Algeria at the beginning of the nineteenth century, and with the French occupation of Algeria in 1830. French Orientalism in Algeria was an institutional Orientalism that included all orientations; Social, cultural, religious, and economic ... and specializes in all studies, especially those related to the literary, social and anthropological aspect. Algeria also knew great orientalists such as E. Masqueray, Ernest Mercier, R. Basset and the brothers Georges Marcais and William Marcais, E.F.Gautier, Stéphane Gsell and many others, who all did their best, whether intentionally or unintentionally, to gain possession over Algeria and also to establish a colonial presence there.